



مجمع الملك سلمان
العالمي للغة العربية
King Salman Global Academy for Arabic Language



شجاعة العربية

مقاربات لغوية ومعرفية





مجمع الملك سلمان
العالمي للغة العربية
King Salman Global Academy for Arabic Language



شجاعة العربية:

مقاربات لغوية ومعرفية

السجل العلمي للأبحاث المقدمة في الندوة الدولية: "شجاعة العربية"
١٤٤٧ هـ / ٢٠٢٥ م

هذه الطبعة إهداء من المجمع.
ولا يُسمح بنشرها ورقياً، أو تداولها تجارياً.

مجمع الملك سلمان
العالمي للغة العربية
King Salman Global Academy for Arabic Language



شجاعة العربية: مقاربات لغوية ومعرفية

الطبعة الأولى

١٤٤٧ هـ - ٢٠٢٥ م

البريد الإلكتروني: nashr@ksaa.gov.sa

ح / مجمع الملك سلمان العالمي للغة العربية، ١٤٤٧ هـ
السلمي، عبدالرحمن
شجاعة العربية: مقاربات لغوية ومعرفية. السلمي،
عبدالرحمن وآخرون الرياض، ١٤٤٧ هـ
(الندوات والمؤتمرات: ٣٢)

٥٣٠ ص؛ ١٧ × ٢٤ سم

رقم الإيداع: ١٤٤٧/٥٩٤٩

ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٨٥٢٥-٥٠-٠٠

لا يُسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب، أو نقله في أي شكل أو وسيلة، سواء أكانت إلكترونية أم يدوية، بما في ذلك جميع أنواع تصوير المستندات بالنسخ، أو التسجيل أو التخزين، أو أنظمة الاسترجاع، دون إذن خطي من المجمع بذلك.

الآراء الواردة في هذا الكتاب تمثل رأي الباحثين، ولا تعكس - بالضرورة - رأي المجمع.

هذه الطبعة إهداء من المجمع، ولا يُسمح بنشرها ورقياً، أو تداولها تجارياً.

هذه الطبعة إهداء من المجمع،
ولا يُسمح بنشرها ورقمياً، أو تداولها تجارياً.



هذه الطبعة إهداء من المجمع.

ولا يُسمح بنشرها ورقياً، أو تداولها تجارياً.

تحرير

أ.د. عبدالرحمن بن رجالة السلمي

المشاركون

أ.د. عبدالله عبدالرحمن البريدي

أ.د. محمد السيد سليمان العبد

أ.د. عبدالرحمن بودرع

د. عقيل بن حامد الشمري

أ.د. عبدالرحمن السليمان

أ.د. سعود بن حامد الصاعدي

أ.د. محمد المختار مشبال

أ.د. عزالدين محمد أحمد المجدوب

أ.د. محمود إسماعيل صالح

د. معاذ بن سليمان الدخيل

د. فيصل بن حمد الحربي

د. مصطفى يوسف عبدالح

د. أسامة بن أحمد السلمي



محتويات الكتاب

الموضوع	الصفحة
كلمة المجمع	٧
كلمة جامعة الملك عبدالعزيز	٩
"شجاعة العربية" عن تماثل اللغة والعالم	١٣
تكييف إستراتيجي لـ "التوصيفات اللغوية الكلية": "شجاعة العربية" نموذجاً	٣٩
شجاعة العربية أو شجاعة نحوها: مفهوم النقل نموذجاً	٧٧
شجاعة العربية في مواجهة التغير اللغوي المتسارع في العصر الحديث	١١٥
شجاعة العربية في مواكبة الصناعة المعجمية المعاصرة	١٤٧
مفهوم "نحو النص" مقارنةً بجديده لفهم شجاعة العربية وذكائها	١٩٣
من مظاهر شجاعة العربية: الانتظام التداولي في فكر نحاة العربية نموذجاً	٢٤٩
"شجاعة العربية": قراءة إستراتيجية بين الخطابين العلمي والثقافي	٢٧٩
شجاعة العربية في التعليم الرقمي: تطبيقات تعزيز القارئية في مرحلة الطفولة المبكرة بين النظريات والممارسات	٣٣١

الموضوع	الصفحة
شجاعة اللغة العربية في التواصل الحضاري قراءة في صورة اللغة العربية في وعي الآخر	٣٦٥
شجاعة العربية في الخطاب السردى: تنوع الأنماط اللغوية وإثراء المعجم المعاصر	٤٠٣
شجاعة العربية من الاستعمال اللغوي إلى مصاولة اللغات (شجاعة التعريب والترجمة) منظورٌ جديد	٤٧٩
العبارات المسكوكة في العربية بوصفها مظهرًا من مظاهر شجاعتها	٥٠٥



كلمة المجمع

تستوقفنا اللغة العربية في مسيرتها الطويلة؛ بما حفظته من تراث ممتد، وبما حظيت به من قدرة على التجدد، ومهارة في التصرف، وشجاعة في الخروج عن المألوف. وقد وقف علماء اللغة الأوائل عند خصائص العربية وبدائعها، فلفت انتباههم ما تنطوي عليه من طرائق خفية في بناء المعنى، ومهارات تعبيرية تتيح لها الانتقال بين الأساليب، وتوليد البنى، وتكثيف الدلالة، في مرونة لا تخلّ بانسجام التركيب أو استقامة السياق، ورأوا في هذه الظواهر شاهداً على نضج العربية، واتساع إمكاناتها، وقدرتها على التعبير عن دقائق الفكر وتعقيدات المعنى.

وتأتي ندوة (شجاعة العربية: مقاربات لغوية ومعرفية) التي تُنظَّم بالتعاون بين مجمع الملك سلمان العالمي للغة العربية ووقف لغة القرآن الكريم بجامعة الملك عبدالعزيز؛ لتسلط الضوء على أبعاد هذا المفهوم بإضاءات علمية تستكشف جذوره، وتوسّع دلالته، وتربطه بقضايا النحو، والمعجم، والتواصل، والتعليم، والتقنية، والخطاب، وصورة العربية في الوعي الثقافي. إن مشاركة المجمع في هذه الندوة تأكيد لالتزامه برسائله في خدمة اللغة العربية؛ دعماً للبحث العلمي اللغوي، وتحفيزاً للحوار المعرفي، وتوثيقاً للصلة بين اللغة وهويتها الحضارية في زمن تتقاطع فيه اللغات والثقافات والتقنيات.

ويضمّ هذا السجل العلمي مجموعةً من الجهود البحثية المتميزة التي تجمع بين التأصيل النظري والتحليل التطبيقي، وتسعى إلى إعادة النظر في خصائص العربية، بوصفها لغةً حيةً قادرةً على الإبداع، والتجديد، والمنافسة، والإسهام في تشكيل المعارف المعاصرة.

تتوالى جهود المجمع في مسارات البرامج التعليمية والثقافية والحوسبية فيما يخدم لغتنا العربية، وتتصل اتصالاً وثيقاً بجهوده في مسار التخطيط والسياسات اللغوية وما يشمل من أبحاث ودراسات؛ فأنجز لذلك المنصات، والمشروعات، والتقارير، والمراسد، والمؤشرات، وتصاعدت حركة النشر للبحوث، والكتب، والسلاسل، والمجلات العلمية المحكمة، إضافةً إلى المؤتمرات، والملتقيات، وحلقات النقاش في دول عديدة وعبر شراكات متنوعة، وتأتي في سياقها هذه الندوة العلمية الدولية.

ختاماً أتقدم بالشكر لصاحب السمو الأمير/ بدر بن عبدالله بن فرحان آل سعود -حفظه الله-، وزير الثقافة، رئيس مجلس أمناء المجمع نظير دعمه الدائم لبرامج المجمع ومشروعاته، وإلى صاحب السمو الملكي الأمير/ خالد بن فيصل بن عبدالعزيز آل سعود -حفظه الله-، مستشار خادم الحرمين الشريفين أمير منطقة مكة المكرمة، والرئيس الفخري لوقف لغة القرآن الكريم نظير رعايته الكريمة للندوة، وإلى سعادة رئيس جامعة الملك عبدالعزيز، ووقف لغة القرآن الكريم نظير التعاون المميز في تنظيم هذه الندوة العلمية الدولية، والشكر موصول للعلماء والباحثين المشاركين على ما قدموه من جهد علمي، وإسهام معرفي.

الأمين العام للمجمع

أ.د. عبدالله بن صالح الوشمي



كلمة جامعة الملك عبدالعزيز

تحتضن جامعة الملك عبدالعزيز ممثلة في وقف لغة القرآن الكريم الندوة الدولية "شجاعة العربية: مقاربات لغوية ومعرفية" بالشراكة مع مجمع الملك سلمان العالمي للغة العربية وهذه الندوة تمثل محطة علمية نوعية في مسيرة خدمة اللغة العربية، وتُجسد روح الشراكة الفاعلة بين وقف لغة القرآن الكريم بالجامعة، ومجمع الملك سلمان العالمي للغة العربية، المظلة اللغوية الوطنية الكبرى والشريك الداعم لكل ما من شأنه خدمة لغتنا العربية الخالدة لغة القرآن الكريم.

لقد جاءت هذه الندوة مدفوعة بإيمان راسخ بأن اللغة العربية ليست قضية لغوية فحسب، بل هي قضية هوية وحضارة ووعي لغة تملك القدرة والشجاعة على مواكبة المستجدات وتستجيب لمراحل التحول وتحمل في بنيتها جذور التطور والنمو.

لقد تميزت محاور الندوة بمضامينها العلمية الرصينة فجاءت تناقش مفهوم شجاعة العربية ودور اللغة العربية في التواصل الحضاري وشجاعتها في مواكبة التغير اللغوي المتسارع على مستوى اللغات العالمية وتناقش كذلك قدرتها على مواكبة التعليم الرقمي والصناعة المعجمية المعاصرة، وقدرتها كذلك على الاستجابة لتقنيات الذكاء الاصطناعي ومتطلبات التعريب والترجمة.

لقد شارك في إثراء محاور هذه الندوة نخبة من الباحثين والمتخصصين من أصحاب المعالي والسعادة من داخل المملكة وخارجها، حيث يجتمع فيها الفكر والتخصص، والتجربة الأكاديمية والرؤية التجديدية المعاصرة، في سبيل مقارنة مفهوم "شجاعة العربية" بوصفه مدخلاً حيويًا لتعميق مظاهر شجاعة العربية وتعزيز فاعليتها فلهم جميعاً خالص الشكر والتقدير.

ولا يفوتنا في مقدمة هذا السجل العلمي أن نتقدم بجزيل الشكر والعرفان لقيادتنا الرشيدة - يحفظها الله - على ما توليه من عناية خاصة بخدمة لغتنا العربية الخالدة لغة القرآن الكريم والشكر موصول لصاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل - مستشار خادم الحرمين الشريفين أمير منطقة مكة المكرمة - الرئيس الفخري لوقف لغة القرآن الكريم على رعايته الكريمة لهذه الندوة، وهو ما يعكس ما تحظى به اللغة العربية من اهتمام بالغ من سموه الكريم كما نشمّ دعم معالي وزير التعليم، الذي كان له عظيم الأثر في تيسير انعقاد هذه الندوة العلمية.

والشكر ممتد لمجمع الملك سلمان العالمي للغة العربية الشريك العلمي والداعم لمبادرات لغتنا العربية ومشاريعها العلمية وعلى رأسها هذه الندوة المباركة.

إن ما سطره هذا السجل العلمي الذي زاد على خمسمائة صفحة يعد ثمرة تعاون ناجح بين مؤسسات علمية ووطنية مؤمنة بأن لغتنا العربية لا تُصان إلا بالعلم، ولا تزدهر إلا بالبحث، ولا تنتصر إلا بأهلها المخلصين في خدمتها.

نسأل الله تعالى أن يُبارك هذه الجهود، وأن تستمر مثل هذه المبادرات في
تعميق الوعي اللغوي، وتعزيز الدور الحضاري والمعرفي للغتنا العربية الخالدة في
عالم متعدد اللغات والثقافات.

والله ولي التوفيق.

رئيس جامعة الملك عبدالعزيز
رئيس مجلس نظارة وقف لغة القرآن الكريم
د. طريف بن يوسف الأعمى

"شجاعة العربية" عن تماثل اللغة والعالم

أ.د. محمد المختار مشبال
كلية الآداب - تطوان، المغرب

تقديم

لم يكن نظرابن جني اللغوي، الذي بدا - في معظم كتبه - منشغلاً بتفسير نسق اللغة العربية، بعيداً عن تأمل علاقة هذا النسق بالحاجات التعبيرية والتواصلية عند المتكلم العربي، ولا بعيداً عن تأمل علاقة هذا النسق بالأنساق الطبيعية والإنسانية والثقافية والأدبية والفقهية والكلامية وغيرها من الأنساق التي تصوغ نظره وتبني مفهوماته؛ من هنا انبثق انشغاله بمفهوم "شجاعة العربية" الذي وصف به مجموعة من الظواهر اللغوية. وهو وصف استعاري يسند للعربية صفة قيمة تتصف بها في الأصل الكائنات الحية التي تملك إرادة التصرف، ولعل هذا الوصف الاستعاري أن ينطوي على دلالات نظرية يمكننا أن نبني عليها تصور ابن جني لنسق اللغة العربية وأنساق استخداماتها في مقامات تواصلية مختلفة. ومن هذه الدلالات نظره إلى اللغة باعتبارها نسقاً حياً يقوم على الحركة والإبداع لا على الجمود والاتباع.

١- عن مفهوم "شجاعة العربية":

قال ابن جني في "باب في شجاعة العربية"^(١): "اعلم أن معظم ذلك إنما هو الحذف، والزيادة، والتقديم، والتأخير، والحمل على المعنى، والتحريف". ويقول أيضاً: "ومن

(١) الخصائص، ابن جني، تحقيق محمد علي النجار، ج٢، الطبعة ٢، مصورة عن نسخة دار الكتب المصرية، ص. ٣٦٠.

المجاز كثير من باب الشجاعة في اللغة: من الحذوف، والزيادات، والتقديم، والتأخير، والحمل على المعنى، والتحريف. ^(١) يفيد قول ابن جني أن "أجناس" شجاعة العربية " تتسع لوجوه المجاز ولم تكن محصورة في مجموعة محددة من الظواهر اللغوية التي قد تضيق عند غيره وقد تتسع؛ فابن الأثير وقف على "شجاعة العربية" في كتابه: "المثل السائر" في باب الالتفات مفسراً هذه التسمية بقوله: "الشجاعة هي الإقدام وذاك أن الرجل الشجاع يركب ما لا يستطيعه غيره، ويتورد ما لا يتورده سواه. وكذلك هذا الالتفات في الكلام فإن اللغة العربية تختص به دون غيرها من اللغات". ^(٢) يفسر ابن الأثير تسمية الالتفات بالشجاعة، باختصاص العربية به؛ وكأن المعيار في تسمية هذا الوجه البلاغي يتمثل في أنه غير موجود في اللغات الأخرى أو هي غير قادرة على توليده. هذا التفسير لم يقل به ابن جني الذي لم يكن شغفه بالعربية ^(٣) ووصفها بصفات تعلي من قدرها ليجعلها يراها تختص بالالتفات دون سواها من اللغات.

ووقف ابن الأثير على باب: "شجاعة العربية" مرة أخرى في كتابه: "الجامع الكبير" قائلاً: "وهو نوع من علم البيان تتكاثر لطائفه، وتتوفر محاسنه، لأن معظم البلاغة مندرجة في أثناءه، ومنطوية تحت ضروبه، إلا أني لم أجد شيئاً منه عند أرباب هذه الصناعة، ولا وجدته في كتاب مصنف في هذا الفن، سوى أني رأيت أبا الفتح عثمان بن جني قد ذكر في كتابه الموسوم بالخصائص، شيئاً من التقديم والتأخير، والحمل على المعنى لا غير، وقد ذكرنا نحن في هذا النوع أشياء عجيبة، ونكتاً طريفة، عثرنا عليها في أثناء القرآن الكريم" ^(٤)؛ وعلى الرغم من قوله إن هذا المفهوم يشمل معظم وجوه البلاغة، إلا

(١) نفسه، ص. ٤٤٦.

(٢) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين بن الأثير، قدمه وعلق عليه أحمد الحوفي وبدوي طبانة، القسم الثاني، الطبعة ٢، دار نهضة مصر، ص. ١٦٨.

(٣) يقول: "والمروي عنهم في شغفهم بلغتهم وتعظيمهم لها واعتقادهم أجمل الجميل فيها أكثر من أن يورد"، راجع: الخصائص، ابن جني، ج ١، تحقيق محمد علي النجار، الطبعة ٣، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٦، ص. ٢٤٣.

(٤) الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور، ضياء الدين بن الأثير، تحقيق مصطفى جواد وجميل سعيد، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٩٥٦، ص. ٩٨.

أنه حصره في "ستة أقسام" أو وجوه بلاغية؛ وهي: الالتفات، والإخبار بالفعل المضارع عن الفعل الماضي والإخبار بالفعل الماضي عن الفعل المضارع^(١)، وعكس الظاهر، والحمل على المعنى، والتقديم والتأخير، والاعتراض^(٢).

وقد وقف نجم الدين بن الأثير الحلبي (ت ٧٣٧هـ)^(٣) على باب "شجاعة العربية"؛ فقال: "هذا الباب أول من سماه من علماء البيان بهذه التسمية أبو الفتح ابن جني وصاحب الجامع الكبير نقله عنه، ثم تداوله الناس بعد ذلك. وهو عبارة عن أنواع شتى من البديع والمقصود به إظهار ما دار بين العرب في لغاتهم الفصيحة عند النطق بها من تقديم معنى أو تأخير أو تشبيه جمع [...] وإتيانهم بذلك كله فصيحةً مستوفياً لأنواع البلاغة. وبهذا الباب يحصل الاطلاع على إعجاز القرآن العزيز وإظهار دقائقه وخفايا أسرارهِ وإيضاح طرق بلاغته. وإنما سمي "شجاعة العربية" لأنه لما كان كلاماً فيه قوة يتصرف بها في المخاطبات من غيبة إلى حضور، ومن حضور إلى غيبة، ومن تشبيه إلى جمع، ومن جمع إلى تشبيه وتقديم وتأخير كما تقدم ذكره، ومع ذلك كله لا يخرج من حدّ الفصاحة والبلاغة، لا ينسب إلى خلل ولا تقصير في استيفاء المعاني صار في نفسه شجاعاً بالنسبة إلى العربية، تشبيهاً بالرجل الذي تكون فيه شجاعة تحمله في الحرب على التقديم والتأخير والقرب والبعد، والإقبال والإدبار. وقل ما يكون أخذاً في موقف الحرب إلى جهة اليمين حتى يأخذ جانب الشمال وبالعكس. أو مواجهاً بالقتال حتى يلتفت وراءه، مناوشاً من يقاتله، فحسنت تسمية الكلام المحتوي على ما قدمناه من التقسيم الذي شرحناه بهذه التسمية، لأن الشجاعة في مثل هذا الكلام تحمله على الجولان في جوانب المعاني كيف شاء."

(١) هذا القسم الثاني أورده ابن الأثير في كتاب "المثل السائر" ضمن القسم الثالث من أقسام الالتفات؛ مذكور، ص ١٨١-١٨٦.
(٢) الجامع الكبير، ص ٩٨-١٢١.
(٣) جوهر الكنز: تلخيص كنز البراعة في أدوات ذوي البراعة، نجم الدين بن الأثير الحلبي، تحقيق محمد زغلول سلام، منشأة المعارف بالإسكندرية، ص ١١٨-١١٩.

يتضمن باب "شجاعة العربية" وجوهاً بلاغية عديدة تضمنها تقسيم صاحب "المثل السائر" المذكور: الالتفات، وعكس الظاهر، وتأنيث المذكر، وتذكير المؤنث، وتصور معنى الواحد للجماعة، وتقدم المفعول على الفعل، وتقديم الظرف على المظروف، وتقديم الخبر على المبتدأ، ونوع الاستفهام، وتقديم الظلمات على النور، والتقديم بالذات وتقديم السببية، وتقديم الرتبة، والتقديم بالشرف، وتقديم الأكثر على الأقل^(١).

لكن التفسير الذي قدمه صاحب جوهر الكنز للفظ "شجاعة العربية" ذو أهمية بالغة في تحديد هذا المفهوم؛ فقد أشار إلى أنه يفيد القوة التي تتصف بها العربية والمتمثلة في القدرة التي يحوزها المتكلم بها على التصرف بوجوهها والجولان في جوانبها دون أن ينتهك قواعد العربية أو يلحق بها خللاً أو تقصيراً يضعف فصاحتها وبلاغتها؛ وهذا هو المدلول الذي حدده ابن جني لـ "شجاعة العربية" في نص سنقف عليه لاحقاً.

ولعل النظر في مجموعة من المفهومات التي استخدمها ابن جني في وصفه للعربية أن يقربنا من مفهومه لـ "شجاعة العربية"؛ إذ يمكننا أن نرى في "العدول" أحد المفهومات التي تحدد لنا هذا المفهوم؛ والعدول أو "العَدْلُ ضرب من التصرف، وفيه إخراج للأصل عن بابه إلى الفرع"^(٢). والأصل عنده "الحال المعتاد" أو "الباب المطرد". وهو يميز بين العدول بالزيادة في اللفظ مثل وصفهم الرجل الوضيء على سبيل المبالغة بقولهم "وُضَاءٌ" على وزن (فُعَال)،^(٣) والعدول بالانحراف مثل وصفهم الرجل الطويل على سبيل المبالغة بقولهم طَوَالٌ على وزن (فُعَال) "والمعنى الجامع بينهما خروج كل واحد منهما عن أصله. أما فُعَالٌ فبالزيادة، وأما فُعَالٌ فبالانحراف به عن فعيل"^(٤). ويلتقي لفظ "العدول" بالأفاظ أخرى استخدمها ابن جني تجسد جميعها ما يجري من عدول

(١) نفسه، ص. ١١٩-١٢٤.

(٢) الخصائص، ج ١، ص. ٥٣.

(٣) الخصائص، ج ٣، ص. ٢٦٦.

(٤) نفسه، ص. ٢٦٨.

في اللفظ؛ يقول عن استخدام أسماء الأعلام في غير دلالتها على العَلَمية: "أفلا تراك كيف انتزعت من العَلَم الذي هو (أبو المنهال) معنى الصفة والفعلية"^(١). ويقول عن استخدام حروف الاستفهام في غير دلالتها: "ومما خلعت عنه دلالة الاستفهام.." ^(٢). ويقول عن التحول في دلالة حرف النداء في بعض الأماكن إنه قد جُرد من معنى النداء وخلص تنبيهاً^(٣).

إن "الانتزاع" أو "الخلع" أو "التجريد" ألفاظ استخدمت في وصف مجموعة من الظواهر المعدولة عن أصلها ومن بينها أجناس الشجاعة، وهو ما يكشف أن "العدول عن الأصل" يشكل مبدأ يجسد جوهر مفهوم "شجاعة العربية". والأصل المقصود هنا هو ما حدده تمام حسان في قوله: "إن اللغة لا تتسم بالاطراد المطلق ومن هنا جرد النحاة أصل وضع الحرف وأصل وضع الكلمة وأصل وضع الجملة وكذلك جردوا أصل القاعدة ليميزوا بين القواعد الأصلية والفرعية. إن أصول القواعد هي القواعد التي لا تقيد بها الشروط كرفع الفاعل والمبتدأ، أو تقديم الفعل على الفاعل، وكون الفاعل اسماً وكون المبتدأ معرفة إلخ. والقواعد الفرعية عدول عن هذه القواعد"^(٤).

يتمثل نسق العربية في قواعد أصلية، غير أن هذا النسق يتسع لقواعد فرعية تحولت من القواعد الأصلية بوساطة مجموعة من المسالك الموصوفة بالشجاعة؛ وقد يكون هذا التحول مطرداً فيقاس عليه، وقد يكون غير مطرد فلا يقاس عليه مثل ظواهر الضرورة الشعرية. ففكرة "الأصل" تكشف لنا مظاهر العدول التي تجري في اللغة، وهي المظاهر التي تنم على ما تمتلكه اللغة من قوة وشجاعة في تجاوز القواعد

(١) نفسه، ص. ٢٧١.

(٢) الخصائص، ج ٢، ص. ١٨٤.

(٣) نفسه، ص. ٢٧٩.

(٤) التراث اللغوي العربي، تمام حسان، مجلة فصول، عدد ١، ١٩٩٠، القاهرة، ص. ٩١. وراجع كتابه: الأصول: دراسة ابيستمولوجية للفكر اللغوي عند العرب - النحو. فقه اللغة. البلاغة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٢. ص. ١٣٥-١٤٧.

الأصلية لتحقيق أغراضها. وقد تصل هذه الشجاعة إلى التصرف في اللغة على غير قياس ومن دون علة تسوغ هذا التصرف سوى استحسان^(١) المتكلم له، لكنه يقيد هذا الحكم المفتقر للدليل بسلطة المتكلم الذي تخول له فصاحته وسمو طبعه التصرف في اللغة من دون علة قوية أو عادة مستحكمة.

إن مفهوم الاستحسان وثيق الصلة بـ "شجاعة العربية"؛ فهما يكشفان معاً عن قوة العربية في توليد الإمكانيات اللغوية التي يلوذ بها المتكلمون للتعبير عن أغراضهم. والسمة المميزة لهذه الإمكانيات اللغوية المستحسنة، أنها تجري على غير قياس؛ إنها تجافي القواعد الأصلية من غير علة تسوغها سوى استحسان المتكلمين الفصحاء لها من قبيل إلحاق الشاعر لنون التوكيد باسم الفاعل تشبيهاً له بالفعل المضارع: "أقائلنَّ أحضروا الشهودا". فنحن لا نقول "أقائمَنَّ يا زيدون، ولا أمنطلقنَّ يا رجال.."^(٢).

وقد لا تجد الظواهر اللغوية المعدولة عن أصلها ما يسوغها سوى خضوعها لمبدأ "التدرج"؛ ويفيد هذا المفهوم أن العدول اللغوي المحكوم بقرينة في استعمال سابق، يصبح معياراً يستند إليه المتكلم في تسويغ استعماله في سياق مختلف دون قرينة. يقول ابن جني عن التدرج: "وذلك أن يشبه شيء شيئاً من موضع، فيُمنى حكمه على حكم الأول، ثم يُرَفَّق منه إلى غيره. فمن ذلك قولهم: جالس الحسن أو ابن سيرين، (ولو) جالسهما جميعاً لكان مصيباً مطيعاً لا مخالفاً. وإن كانت (أو) إنما هي في أصل وضعها لأحد الشئيين. وإنما جاز ذلك في هذا الموضع، لالشيء رجع إلى نفس (أو) بل لقرينة انضمت من جهة المعنى إلى (أو). وذلك لأنه قد عرف أنه إنما رُغِبَ في مجالسة الحسن لما لمجالسه في ذلك من الحظ، وهذه الحال موجودة في مجالسة ابن سيرين أيضاً، وكأنه قال: جالس هذا الضرب من الناس [...] ثم إنه لما رأى (أو) في هذا الموضع

(١) الخصائص، ج ١، ص ١٣٤-١٤٥.

(٢) نفسه، ص ١٣٧.

قد جرت مجرى الواو تدرج من ذلك إلى غيره، فأجراها مجرى الواو في موضع عارٍ من هذه القرينة التي سوغته استعمال (أو) في معنى الواو؛ ألا تراه كيف قال:

وكان سِيَانُ الْأَيَسْرَحُوا نَعْمَا أُويسر حوده بها، واغبرت السَّوْحُ

وسواء وسيان لا يستعمل إلا بالواو.^(١)

يرى ابن جني هنا أن خلع الدلالة الأصلية لـ (أو) قد يستغني عن القرينة التي سوغته في سياق سابق، وعلّة ذلك أن هناك مبدأً في اللغة العربية بخوّل هذا المسلك اصطلاح عليه ابن جني بالتدرّج؛ ومفاده أن اللغة تسمح للمتكلم باستخدام (أو) بمعنى (واو) في سياق لا توجد فيه أي قرينة سوى وجود هذا الاستعمال في اللغة حتى وإن كان بقرينة.

إن مفهوم "التدرّج" و "الاستحسان" يفسران لنا أن ظواهر الشجاعة في العربية المتسمة بالعدول عن أصولها المجردة أو المتواضع عليها والمعتادة في الاستعمال، تخضع لقوانين تضبطها.

٢- "الشجاعة" والصفة الإبداعية للغة العربية:

أظهر ابن جني في مواضع كثيرة من كتابه "الخصائص" أن غرضه الأساس الكشف عن وجوه حكمة اللغة العربية وشرفها. وشغفه بالعربية وتقديره لحكمتها ليسا إلا ترجمة علمية لإعجاب أصحاب اللغة أنفسهم بلغتهم: "والمروي عنهم في شغفهم بلغتهم وتعظيمهم لها واعتقادهم أجمل الجميل فيها أكثر من أن يورد" ^(٢)؛ وما أعنيه هنا، أن ابن جني حاول الخوض في تفسير أسرار هذا الشغف والاحتراف بما تختزنه هذه اللغة من غموض ودقة ورقة؛ ^(٣) فكان تفسيره صياغة للمبادئ والأصول التي تعبر عن خصائص حكماتها ولطفها وصنعتها بحيث "لا يكاد يعلم بعدها ولا يحاط بقاصيها" ^(٤).

(١) نفسه، ص. ٣٤٨-٣٤٩.

(٢) نفسه، ص. ٢٤٣.

(٣) نفسه، ص. ٢٤٣.

(٤) الخصائص، ج ٢، ص. ١٦٦.

يترادف لفظ "الحكمة" مع ألفاظ أخرى تدل جميعها على الإتقان والصناعة؛ وإن ظل لفظ "الحكمة" يوحي بدلالات تتجاوز الأشياء المادية الملموسة إلى ما تنطوي عليه من أسرار خفية وأغراض دقيقة ذات عُلقة بقدرة الصانع. فاللغة الموصوفة بالحكمة نظام ذو صنعة دقيقة يرتبط بوجود صانع مبدع يقف خلف هذا العالم الغامض الذي يواجهه المتأمل الحاذق. ذلك أن الكشف عن مظاهر الصناعة في اللغة ليس إلا وجهاً آخر لإثبات عظمة الله وحكمته في الموجودات. ويفضي بنا النظر في مفهوم "حكمة العربية" إلى أنه مفهوم ينطوي عند ابن جني على تصور يرى أن اللغة العربية ضرب من الإبداع؛ فهي تمتلك في ذاتها خصائص تدل على "صنعتها" و"دقتها" و"غموضها"؛ وهذه الصفات تثبت أن ابن جني يسعى إلى إثبات المظهر الإبداعي للعربية: "وكلام العرب كثير الانحرافات ولطيف المقاصد والجهات، وأعذب ما فيه تلفته وتثنيه"^(١).

ولعل ثنائية الاستعمال والتقدير النحوي التي وقف عليها ابن جني في كتابه "الخصائص" في "باب في الفرق بين تقدير الإعراب وتفسير المعنى"^(٢)، أن تكشف لنا هذا الإبداع الذي تتسم به العربية؛ فقد بينت الأمثلة التي ساقها ابن جني في هذا الباب الاختلاف بين العبارة المستعملة وبين تقديرها النحوي وتفسير معناها؛ إذ تتمثل غاية الأول في ردها إلى النظام اللغوي، بينما تتمثل غاية الثاني في ردها إلى وجهها المنطقي المقبول. وهذا يعني أن مسألتَي التفسير والتقدير تتصلان بالعبارات التي تخالف الأصل النحوي قليلاً أو كثيراً من قبيل:

— العبارة المستعملة: "أهلك والليل"

معناها: "ألحق أهلك قبل الليل"،

تقديرها النحوي: "ألحق أهلك وسابق الليل".

(١) المحتسب، ابن جني، ج ٢، ص ٨٦.

(٢) الخصائص، ج ١، ص ٢٨٠-٢٨٥.

— العبارة المستعملة: "كل رجل وصنعتة"،

معناها: "كل رجل مع صنعتة"،

تقديرها النحوي: "كل رجل وصنعتة مقرونان".

— العبارة المستعملة: "أنت وشأنك"،

معناها: "أنت مع شأنك"،

تقديرها النحوي: "أنت وشأنك متروكان".

يكشف التقدير النحوي (والتفسير الدلالي) أن الاستعمال اللغوي نشاط إبداعي، الأمر الذي يفضي إلى تأكيد قول شكري عياد: إن الإبداع كامن في طبيعة اللغة العربية نفسها^(١).

لم يكن إذن القول بحكمة اللغة سوى إشارة إلى ما تحتزنه من طاقة إبداعية تجلت في مجموعة من الاستخدامات اللغوية التي تتجاوز القواعد القياسية والتقديرية النحوية؛ فقد أثبتت العربية بما تملكه من طاقة كامنة لإبداع علاقات لغوية لا تتقيد بنظام القواعد الأصلية، أن لها طبيعة تستجيب لـ "حاجة أهلها إلى التصرف فيها، والتركُّح في أثنائها، لما يلابسونه ويكثرّون استعماله من الكلام المنثور، والشعر الموزون، والخطب والسجوع"^(٢).

٣ - "شجاعة العربية" ولغة الشعر:

عَبْرَابِن جَنِي عَنْ شَجَاعَةِ لُغَةِ الشَّعْرِ فِي نَصِّ يَقُولُ فِيهِ:

"فمّتي رأيت الشاعر قد ارتكب مثل هذه الضرورات على قبحها، وانخراق الأصول بها، فاعلم أن ذلك على ما جَشِمْه منه وإن دَلَّ من وجهه على جَوْرِهِ وتعسفه فإنه من وجه آخر مؤذن بصياله وتخمُّطه، وليس بقاطع دليل على ضعف لغته، ولا قصوره عن

(١) اللغة والإبداع؛ مبادئ علم الأسلوب العربي، شكري عياد، الطبعة، انترناشيونال برس القاهرة،

١٩٨٨ص: ٩٩-١٢٢

(٢) الخصائص، ج١، ص. ٢١٦.

اختياره الوجه الناطق بفصاحته. بل مثله في ذلك عندي مثل مُجري الجَموح بلا لجام، ووارد الحرب الصُّروس حاسراً من غير احتشام. فهو وإن كان ملوماً في عنفه وتهالكه، فإنه مشهود له بشجاعته وفيض مُنته، ألا تراه لا يجهل أن لو تكفَّر في سلاحه، أو أعصم بلجام جواده، لكان أقرب إلى النجاة، وأبعد عن الملحاة؛ لكنه جشم ما جشمه على علمه بما يعقب اقتحام مثله، إذ لا بقوة طبعه، ودلالة على شهامة نفسه، ومثله سواء ما يحكى عن بعض الأجواد أنه قال: يُرى البخلاء أننا لا نجد بأموالنا ما يجدون بأموالهم، لكننا نرى أن في الثناء بإنفاقها عوضاً من حفظها (بإمساكها)، ونحو منه قولهم: تجوع الحرّة ولا تأكل بشدييها، وقول الآخر:

لا خيرَ في طَمَع يُدني إلى طَبَع وَغُفّة من قِوام العيش تكفيَني

فاعرف بما ذكرناه حال ما يرد في معناه، وأن الشاعر إذا أورد منه شيئاً فكانه لأنسه بعلم غرضه وسُفور مراده لم يركب صعباً، ولا جشم إلاّ أمماً، وافق بذلك قابلاً له، أو صادف غير آنس به، إلا أنه قد استرسل واثقاً، وبنى الأمر على أن ليس ملتبساً^(١).

إذا كنا قد ربطنا بين مفهوم الشجاعة والقوة الإبداعية الكامنة في نسق اللغة العربية، فإن لهذا المفهوم أوثق الصلة ببلاغة الشعر الذي يتميز نسقه اللغوي بهذه الطاقة الإبداعية المتمثلة في الصراع بين النظام اللغوي بقواعده الأصلية المجردة والشعر بمكوناته النوعية. وإسناد صفة الشجاعة للشاعر، يفيد اجترأه على تفسير قيود النظام اللغوي المجرد؛ والشجاعة هنا مشروطة بالمعرفة وحرية الاختيار. وقد جسد المتنبي في نظر ابن جني هذه الشجاعة التي تقوم على المعرفة وحرية الاختيار؛ فهو "وإن كان في بعض ألفاظه تعسف عن القصد في صناعة الإعراب من ارتكاب شاذه وحمل على نادره، فعن غير جهل كان منه ولا قصور عن اختيار الوجه الأعرف له. من هنا تشبث قوم لا دراية لهم بالعربية بأشياء من ظاهر لفظه، إذ لم تكن لهم خبرة بدخيلة أمره"^(٢).

(١) الخصائص، ج٢، ص. ٣٩٢-٣٩٣.

(٢) ديوان أبي الطيب المتنبي المسمى بالفسر، ابن جني، ج١، تحقيق صفاء خلوصي، المؤسسة العامة للصحافة والطباعة، بغداد، ١٩٧٠، ص. ٢٠.

تسمح العربية للمتكلم-الشاعر بحرية الاختيار. ويوصف الاختيار بالشجاعة عندما يلجأ المتكلم إلى صيغة لغوية يكون غيرها أقوى في القياس وأكثر موافقة لظاهر الكلام؛ فأسلوب الالتفات يمثل عدوًّا عن الصيغة التي يقتضيها ظاهر الكلام إلى صيغة مخالفة للنسق، كما أن الحذف لا يوصف بالشجاعة إلا إذا كان اختياراً مخالفاً لمقتضيات الظاهر؛ أي أن يحذف المتكلم ما لا يتم الكلام إلا به بحيث يحصل تعارض وتصادم بين نسق الكلام وحرية المتكلم. إن "الشجاعة" نوع من الاختيار اللغوي المخالف للقاعدة اللغوية الأصلية، ولكنه ليس "خرقاً" أو "انتهاكاً" لقواعد العربية، ذلك أن "الشعر موضع اضطراب، وموقف اعتذار، وكثيراً ما يحرف فيه الكلم عن أبنيته، وتحال فيه المثل عن أنواع صيغها لأجله"^(١). إن الشعر في منظور ابن جني "موقف فسحة وعذر" وهو يتسع للقياس والتصرف والإقدام والارتجال.^(٢)

يجسد مفهوم الشجاعة تصور ابن جني لماهية لغة الشعر على نحو ما يجسد تصوره لماهية مجموعة من الظواهر اللغوية الضعيفة في الأقيسة النحوية المجردة، ومع ذلك فقد وضع مجموعة من المبادئ لتسويغ الظواهر اللغوية الموصوفة بالشجاعة، وتتمثل في:

١- سلطة المتكلم (الشاعر هنا) أو فصاحته واقتداره اللغوي؛ أي إن وصف اللغة بالشجاعة يقتضي الثقة في المتكلم بها؛ فلا شجاعة مقبولة من متكلم غير ثقة؛ فالخطاب يستمد قوته من قوة المتلفظ به وصورة كفايته اللغوية عند المتلقي: "إن الأعرابي إذا قويت فصاحته، وسميت طبيعته تصرف وارتجل ما لم يسبقه أحد قبله به؛ فقد حكى عن رؤية وأبيه أنهما كانا يرتجلان ألفاظاً لم يسمعاها ولا سبقا إليها"^(٣). في مقابل ذلك لا يسوغ قبول ظواهر التصرف في اللغة

(١) الخصائص، ج ٣، ص ١٨٨.

(٢) الخصائص، ج ١، ص ٣٧٠.

(٣) الخصائص، ج ٢، ص ٢٥.

من قاصر: "لكن لو جاء شيء من ذلك عن ظنين أو متهم أو من لم ترق منه فصاحته، ولا سبقت إلى الأنفس ثقته كان مردوداً غير متقبَّل" ^(١). وهذه السلطة نفسها أشار إليها تلميذه الشريف الرضي (ت ٤٠٦هـ) بقوله، في تسويغ وصف العربية بالشجاعة وهو يطلق عليها "شجاعة الفصاحة"، إن "الفصيح لا يكاد يستعمله إلا وفصاحته جريئة الجنان، غزيرة المواد" ^(٢).

٢- القدرة الكامنة في نسق العربية على منح المتكلم إمكانات عديدة للاختيار، ويوصف الاختيار بالشجاعة عندما يوسم بالعدول عن أصل ما؛ قد يتمثل هذا الأصل في المعتاد المطرد أو فيما يقتضيه ظاهر الكلام. والعدول عن الأصل ليس إلا مظهرًا للمبدأ العام الذي يتحكم في أجناس "شجاعة العربية" وهو التنازع بين القاعدة والاستعمال.

٣- يقر ابن جني أن للمعنى سلطة في بناء أجناس الشجاعة من خلال قوله: "والمعاني تتلعب بالألفاظ" ^(٣)؛ إنه يرى أن أهل العربية "كانوا يعتبرون المعاني، ويخلدون إليها، فإذا حصلوها وحصنوها سامحوا أنفسهم في العبارات عنها" ^(٤) ويقول أيضاً: "العرب قد تحمل على ألفاظها لمعانيها حتى تفسد الإعراب لصحة المعنى" ^(٥)؛ فالتوتر بين المعنى والقاعدة يشكل أساساً تقوم عليه "شجاعة العربية" سواء في "محاورات الناس" أو في القرآن والشعر الذي

(١) نفسه، ج ٢، ص ٢٥.

(٢) المجازات النبوية، الشريف الرضي، ص ٣٤، نقلا عن: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، أحمد مطلوب، مكتبة لبنان ناشرون، ٢٠٠٧، ص ٥١٦.

(٣) المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، ابن جني، ج ٢، تحقيق علي النجدي ناصف وعبد الفتاح إسماعيل شلبي، الجمهورية العربية المتحدة - المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث، القاهرة ١٩٦٩، ص ٢١١.

(٤) نفسه، ص ٣٣٦.

(٥) نفسه، ص ٢١١.

تحضر فيه بشكل أوسع^(١). ويمكننا أن نستدل بشواهد عديدة ساقها ابن جني لتفسير هذا التوتر أو التجاذب بين المعاني البلاغية والقواعد النحوية؛ من قبيل قول الشاعر: "يا بؤس للجهل ضرارا لأقوام"، فتجشم الفصل بين المضاف والمضاف إليه بلام الجار، لما يعقبه من توكيد معنى الإضافة، فهذا ونظائره يؤكد أن المعاني تتلعب بالألفاظ، تارة كذا، وأخرى كذا"^(٢). ومن قبيل أيضاً الوصف بالمصدر: "نحو قولك: هذا رجل دَنَف، وقوم رضا، ورجل عدل. فإن وصفته بالصفة الصريحة قلت: رجل دَنَف، وقوم مرضيون، ورجل عدل، هذا هو الأصل. وإنما انصرفت العرب عنه في بعض الأحوال إلى أن وصفت بالمصدر لأمرين: أحدهما صناعي والآخر معنوي. أما الصناعي فليز يدك أنساً بشبه المصدر للصفة التي أوقعته موقعها [..] وأما المعنوي، فلأنه إذا وصف بالمصدر صار الموصوف كأنه في الحقيقة مخلوق من ذلك الفعل. وذلك لكثرة تعاطيه له واعتباره إياه [..] فقولك إذا: رجل دَنَف - بكسر النون - أقوى إعراباً؛ لأنه هو الصفة المحضة غير المتجوزة. وقولك دَنَف أقوى معنى، لما ذكرناه: من كونه كأنه مخلوق من ذلك الفعل. وهذا معنى لا تجده، ولا تتمكن منه مع الصفة الصريحة. فهذا وجه تجاذب الإعراب والمعنى"^(٣).

لا تمثل القاعدة القياسية سوى اختيار من بين اختيارات أخرى يوفرها نسق العربية للمتكلم لتوصيل معانيه. وهذا يعني أن الشجاعة التي توصف بها التراكيب المخالفة للقياس، تقوم على المعرفة الواسعة والدقيقة بأسرار العربية؛ هذه الشجاعة التي تبدو لغير أهل الخبرة والدراية أنها تعسف أو جهل باللغة الصحيحة، بينما هي اختيار تحكمه أغراض رامها المتكلم. ولأجل ذلك كان التقدير الإعرابي وسيلة لرفع الخطأ عن هذه التراكيب واحتوائها داخل النسق اللغوي.

(١) الخصائص، ج ٣، ص. ٢٥٦ و ٢٥٨.

(٢) المحتسب، ج ٢، ص. ٢١١.

(٣) الخصائص، ج ٣، ص. ٢٥٩ - ٢٦٠.

٤- لقد أشار عبد الحكيم راضي^(١) إلى أن التماثل الذي يكشف عنه نص ابن جني بين الشعر والفروسية، ترجع أصوله إلى نصوص شعرية ونقدية سعى إلى الكشف عنها وإعادة بنائها على نحو سمح له بتشكيل سياق نقدي أدبي تشكل في إطاره مدلول "شجاعة العربية" بوصفه مفهومًا لغويًا (وبلاغيًا) أسهم به ابن جني في تفسير بناء اللغة العربية وبناء الشعر. ومن بين النصوص التي وقف عليها الباحث نص للجاحظ يذكر فيه مفهوم "الإقدام" في تعقيبه على مجموعة من الاستعمالات الخاصة في اللغة بقوله: "وللعرب إقدام على الكلام ثقة بفهم أصحابهم عنهم"، ولعل هذا المفهوم أن يلتقي بمفهوم "الشجاعة" عند ابن جني في رصدتهما ووصفهما لصور لغوية قائمة على المجازفة ومخالفة المألوف الجاري في الاستعمال. وكأن التواصل اللغوي عندهما مائل في فعلي الشجاعة والتجوز بما يقتضيان من ترك الاحتراس وإطراح التوقي بصرف النظر عن معيار صوابهما، وهو ما وقف عليه عبد الحكيم راضي في نص نقدي لقدامة بن جعفر يعقب فيه على خبر أورده في سياق انتصاره للمبالغة في المدح؛ فقد أجاب الشاعر كثير عزة الخليفة عبد الملك بن مروان عند تفضيله قول الأعشى لقيس بن معدى يكرب على قوله فيه: "يا أمير المؤمنين: وصفتك بالحزم والعزم، ووصف الأعشى صاحبه بالطيش والخرق". قال قدامة: "والذي عندي في ذلك أن عبد الملك أصبح نظرًا من كثير، إلا أن يكون كثير غالط واعتذر بما يعتقد خلافه، لأنه قد تقدم من قولنا في أن المبالغة أحسن من الاقتصار على الحد الأوسط ما فيه كفاية، والأعشى بالغ في وصف الشجاعة، حيث جعل الشجاع شديد الإقدام بغير جنة، على أنه وإن كان لبس الجنة أولى بالحزم وأحق بالصواب، ففي وصف الأعشى دليل قوي على شدة شجاعة صاحبه، وقول كثير يقصر عن الوصف".^(٢)

(١) الفكر البلاغي في كتاب الخصائص مقدمة عبد الحكيم راضي للجزء الثاني من كتاب الخصائص، ابن جني، ج٢، تحقيق محمد علي النجار، الهيئة العامة لقصور الثقافة، سلسلة الذخائر، ٢٠٠٦، ص ١٠-٢٥.

(٢) نفسه، ص ١٨.

أدرك عبد الحكيم راضي أن بناء مفهوم "شجاعة العربية" اعتمد وعياً سائداً في النظر البلاغي العربي القديم يقيم تماثلاً بين مفهومات لغوية وبلاغية وبين مظاهر العالم: "إننا أمام صفة في القول -أي في المقول- وصفة في الفعل، أو بعبارة أقرب: أمام عملية مماثلة بين صفة في القول -أي في المقول- وصفة في الفعل والسلوك".^(١) ثمّة مماثلة بين "مسلك الشاعر المتفنن ومسلك الشجاع المغامر، أو بين طبيعة اللغة الشعرية في تأييدها على القواعد المعيارية وجنوحها إلى الخروج عليها وطبيعة تصرفات الفارس الشجاع المغامر المتهاون بقواعد السلامة واحتياطات التوقي".^(٢)

يقترح الباحث مدخلين لتفسير المسوغات التي حملت ابن جني على إقامة هذه المماثلة بين الشاعر والفارس:

أولاً؛ يستند ابن جني إلى تراث ثقافي (شعري ونقدي) غني يقرن بين حقلي الإبداع اللغوي (قوانين الخطاب) وبين حقل الاستبسال في القتال على سبيل المثال (مظاهر العالم أو الحياة).

ثانياً؛ يستند ابن جني في هذه المماثلة إلى تصوره للغة ونظرته إلى قوانينها باعتبارها مماثلة لقوانين العالم الطبيعي والإنساني؛ "تقاس اللغة على أحوال العالم وسنن الكون وحركة الكائنات فيه، طباعها ومواقفها وأفعالها"^(٣). فليس غريباً أن يماثل المتكلم الفارس مادامت اللغة نسقاً لا يختلف عن أنساق الطبيعة والحياة والإنسان.

٤- "شجاعة العربية": تماثل اللغة والعالم:

إن العلاقة بين مفهومات اللغة والبلاغة والأدب من جهة، وبين مبادئ العالم والوجود الإنساني والحياة الاجتماعية والخُلُقِيّة من جهة ثانية، حقيقة لم تغب عن بال

(١) نفسه، ص. ٢٠.

(٢) نفسه، ص. ١١-١٢.

(٣) نظرية اللغة في النقد العربي، عبد الحكيم راضي، الطبعة ١، مكتبة الخانجي مصر، ١٩٨٠، ص. ٣٨١.

القدامى الذين درجوا على الإشارة إلى التماثل بين اللغة والخطاب وبين مظاهر العالم في حديثهم عن القصيدة والخطبة. آية ذلك التماثل الذي أقامه الجاحظ بين معيار بلاغي يحدد استعمال الناس للألفاظ والأشعار والأمثال وبين معيار اجتماعي يحدد قيمة الفرسان والخطباء، فكما أن الناس يؤثرون أحياناً استعمال الألفاظ والخطابات الأقل قيمة، فإنهم ينوّهون ويرفعون ذكر أقل الفرسان والخطباء مكانة^(١). ولقد سبق أن تنبه عبد الفتاح كيليطو^(٢) إلى هذا التماثل بين حقلي الخطاب والعالم، عندما أشار إلى أن مفهومي الابتداء والمحاكاة لا يقتصران على مجال الكتابة، بل يجريان أيضاً على مجال الحياة؛ فالبخيل الذي يعرف أن البخل خلق مستهجن، يسعى جاهداً إلى أن ينسب إلى نفسه أفعالاً وأقوالاً لا تلائم طبيعته؛ أي إنه يحاكي أسلوباً في الحياة غريباً عنه.

إن عديداً من المفهومات^(٣) التي قام عليها الخطاب البلاغي في كتابات الجاحظ مثل الاعتدال والطبع والتكلف والاختلال والترئيد والسلطة والاستكراه والغربة والألفة وغيرها، ليست سوى قيم في الحياة؛ فالتكلف لم يكن قضية بلاغية أو نقدية تتصل بالخطاب، كالألفاظ المسخوطة والمعاني المدخولة، والتشادق والترئيد في "جهاز الصوت وانتحال سعة الأشداق، ورُحِب الغلاصم وهذل الشفاه.." ^(٤)، بل مثل معياراً يجري في أمور مختلفة؛ يقول الجاحظ: "لم أرهم يذمون المتكلف للبلاغة فقط، بل كذلك يرون المتظرف والمتكلف للغناء" ^(٥). على هذا النحو أقرّ الجاحظ أن الاعتدال أحد المفهومات والمعايير التي استند إليها التفكير الديني والخلقي والاجتماعي والفني؛

(١) البيان والتبيين، الجاحظ أبو عثمان، ج١، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي القاهرة. ص ٢٠٠-٢١.

(2) La langue d'Adam, Abdelfattah Kilito, Editions Toubkal, Casablanca, 1995, pp. 9798.

(٣) البلاغة والسرد: جدل التصوير والحجاج في أخبار الجاحظ، محمد مشبال، منشورات كلية آداب تطوان-المغرب، ٢٠١٠.

(٤) البيان والتبيين، ج١، ص ١٣.

(٥) البيان والتبيين، ج٢، ص ١٨.

فهو صفة محمودة في كل الأمور " وإنما وقع النهي على كل شيء جاوز المقدار " ^(١) " حتى في الدين والحكمة اللذين هما أفضل الأمور " ^(٢) . فقد قال أعرابي للحسن " علمني ديناً وسوطاً، لا ذاهباً شطوطاً، ولا هابطاً هبوطاً . فقال له الحسن : لئن قلت ذلك إن خير الأمور أوسطها " ^(٣) . ولم تحمد القيم الخلقية كالحياء والجود والشجاعة والاقتصاد إلا لأنها أصابت المقدار ولم تخرج عن الاعتدال، كما أن الطعام لم يستطب لكثرة الإنفاق أو جودة التوابل، بل لأنه أصاب القدر ^(٤) ، والقدر الجميل هو القدر المبروع ^(٥) ، والمرأة الجميلة المفضلة هي المجدولة " التي تكون في منزلة بين السمينية والممشوقة " ^(٦) والعشق لا يحصل إلا لمن كان بين حالتي الفقر المدقع والمُلْك الضخم والرياسة الكبرى، ^(٧) واعتدال البدن هو الذي يجعل الرجل الشجاع قادراً على القتال ؛ فقد كان نباتة الأقطع " من أشداء الفتيان وكانت يده قطعت من دوين المنكب، وكان ذلك في شقه الأيسر يمسكه ويثقله حتى يعتدل بدنه " ^(٨) ، كما أن الطائر لا يقوى على الطيران إلا باعتدال جناحيه : " لأنه إذا كان مقصوصاً من شق واحد أختلف خلقه، ولم يعتدل وزنه، وصار أحدهما هوائياً والآخر أرضياً، فإذا قص الجناحان جميعاً طار، وإن كان مقصوصاً فقد بلغ بذلك التعديل من جناحيه أكثر مما يبلغ بهما إذا كان أحدهما وافياً والآخر مبتوراً " ^(٩)

ويعدّ الشعر بأساليبه ومعانيه مرجعاً توسل به ابن جني لصياغة مبادئ اللغة وبناء قواعدها . فالشعر بما ينطوي عليه من معانٍ وأساليب تمكنت من الأذهان حتى

(١) البيان والتبيين، ج١، ص ٢٠٢.

(٢) رسائل الجاحظ، ج٢، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي بمصر. ص ١٦٢-١٦٣.

(٣) البيان والتبيين، ج١، ص ٢٥٥.

(٤) نفسه، ص ٢٢٧.

(٥) رسائل الجاحظ، ج٣، ص ٥٩-٦٠.

(٦) نفسه، ص ١٥٨-١٥٩.

(٧) نفسه، ص ١٥٤.

(٨) الحيوان، ج٣، تحقيق عبد السلام هارون، مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر. ص ٢٣١.

(٩) نفسه، ص ٢٣٠.

صارت أحوالاً يقيس عليها النحاة مبادئهم اللغوية وأصولاً يرجعون إليها في صياغة مفهوماتهم؛ يقول عبد الحكيم راضي: "إن ابن جني العالم المبدع كان مغرماً بالتقاط الكثير من شوارد الفكر التي تحملها إبداعات الشعراء ليعقد المشابهة بينها وبين البعض من مسائل اللغة، أكثر من ذلك أنه لم يكن يجد غضاضة في أن يستنبط من هذه الأفكار بعض الأصول التي يتحمس لها ويشيعها أو تشيع عنه في محيط درسه اللغوي." (١)

ولعل هذا السلوك أن يختلف عما جرت عليه العادة عندهم من الاستشهاد بالشعر على الظواهر النحوية؛ فبينما يكون القول الشعري في هذه الحال شاهداً لاحقاً على القاعدة المقررة يوضحها ويحتج لها ويقوي حضورها في الأذهان، أي النظر إليه بوصفه شاهداً محسوساً illustration لفكرة عامة مجردة، فإن القول الشعري في الحال الأخرى ليس استشهاداً بل هو مثال exemple أو مرجع يستلهم منه العالم مبدأه أو مفهومه، إنه حالة خاصة في عالم الشعر تقاس عليها حالة خاصة أخرى في النظر اللغوي على سبيل الاستقراء. فالفرق هنا بين صيغتين وتقنيتين من تقنيات الاستدلال في الخطاب اللغوي؛ تقضي تقنية الاستشهاد الانطلاق من القاعدة إلى الشاهد، بينما تقضي تقنية المثال الانطلاق من المثال إلى القاعدة. في الحال الأولى يضطلع الاستشهاد بتوضيح قاعدة، وفي الحال الثانية يضطلع المثال ببنائها (٢).

وهنا يغدو الشعر عالماً من المعاني والصيغ الأسلوبية التي يلوذ بها العالم في بناء مفهوماته ومبادئه وقواعده. هكذا نجد في مواضع عديدة من كتابات ابن جني إشارات واضحة إلى سبل إسهام الشعر في صياغة مبادئ اللغة والنحو؛ أعني الانطلاق من معاني الشعر وأساليبه لبناء تماثل بينها وبين عديد من المبادئ والقوانين في تفسير نسق اللغة العربية.

(١) الفكر البلاغي في كتاب الخصائص: مقدمة عبد الحكيم راضي للجزء الثاني من كتاب الخصائص، ص ٢٠.

(٢) ميزبرلمان بين الشاهد والمثال في كتابه:

Chaim Perelman et Lucie-Olbrecht-Tytica, Traité de l'argumentation- La nouvelle rhétorique, 5° édition, Editions de l'université de Bruxelles, 1992. P.471488-

ومن الشواهد الشعرية الممثلة لهذه الظاهرة، قول المتنبي:

وكان ابناً عدوًّا كَأَنَّهُ لَهْ يَأِي حُرُوفُ أُتَيْسِيَانِ

ثمة صلة بين المعنى التخيلي الشعري في قول المتنبي مهوَّنا من شأن عدو ممدوحه الذي تكبر بولدين له فلم يزيده إلا نقصاً مثل النقص الذي ترتب على دخول الياءين في لفظ الإنسان، وبين الباب الذي عقده ابن جني في كتابه: "الخصائص" بعنوان: "باب في التام يزداد عليه فيعود ناقصاً"^(١).

كما أن ثمة صلة بين المعنى التخيلي الشعري في قول المتنبي أيضاً مادحاً بالإفراط في الجود:

ولجدت حتى كدت تبخل حائلاً للментهى، ومن السرور ربكاء

وبين حديث ابن جني في "باب في التراجع عند التناهي"^(٢).

وابن جني لا يخفي هذا التماثل بين معاني الشعرويين الأصول والمفهومات اللغوية؛ يقول في باب "مشابهة معاني الإعراب معاني الشعر": "من ذلك قولهم في (لا) النافية للكرة: إنها تبني معها، فتصير كجزء من الاسم، نحو "لا رجل في الدار، ولا بأس عليك"، هذا المبدأ النحوي له نظير في معاني الشعر مثل قوله:

خِطَّ عَلَى زَفْرَةٍ فَتَمَّ وَلَمْ يَرْجِعْ إِلَى دَقَّةٍ وَلَا هَضَمَ

"وتأويل ذلك أن هذا الفرس لسعة جوفه وإجفار محزمه كأنه زفر فلماً اغترق نفسه بني على ذلك، فلزمته تلك الزفرة فصيح عليها لا يفارقها [كما أن الاسم بني مع لا حتى خلط بها لا تفارقه ولا يفارقها] وهذا موضع متناه في حسنه، أخذ بغاية الصنعة من مستخرجه"^(٣).

(١) الخصائص، ج ٢، ص ٢٧٢-٢٧٣.

(٢) الخصائص، ج ٣، ص ٢٤١-٢٤٥.

(٣) الخصائص، ج ٢، ص ١٦٨.

لاشك إذن أن المعاني التخيلية التي يبدعها الشعراء قد شكّلت أمثلة يبني عليها اللغويون قواعدهم ويستلهمونها في صياغة مفهوماتهم؛ فاختيار أعمال الفعل الثاني لأنه العامل الأقرب في نحو قولهم: "ضربت وضربني زيد"، قاعدة تماثلها في معاني الشعر؛ قول الهذلي:

بلى إنها تعفو الكلوم وإنما نوكل بالأدنى وإن جلاً ما يمضي

وقول المتنبي:

خذ ما تراه ودع شيئاً سمعت به في طلعة الشمس ما يغنيك عن رُحُل^(١)

وقد يكون أهم مبدأ نحوي استدل عليه ابن جني من معاني الشعر وأساليبه، "غلبة الفروع على الأصول" الذي تجلّى عند الشعراء فيما أطلق عليه البلاغيون "التشبيه المعكوس" وهو وجه من وجوه التعبير البلاغي القصد منه إحداث المبالغة في الموضوع الموصوف:

"قال ذو الرمة:

ورمّل كأوراق العذارى قطعته إذا لبسته المظلمات الحنادس

"أفلا ترى ذا الرمة كيف جعل الأصل فرعاً والفرع أصلاً. وذلك أن العادة والعرف في نحو هذا أن تشبّه أعجاز النساء بكثبان الأنقاء [..] فقلب ذو الرمة العادة والعرف في هذا، فشبّه كثبان الأنقاء بأعجاز النساء"^(٢).

إن أسلوب حمل الأصل على الفرع الذي شاع في الشعر، سيصبح مبدأً نحوياً مقراً: "وهذا المعنى عينه قد استعمله النحويون في صناعتهم، فشبهوا الأصل بالفرع في المعنى الذي أفاده ذلك الفرع من ذلك الأصل..^(٣)".

(١) الخصائص، ج٢، ص. ١٧٠-١٧١.

(٢) الخصائص، ج١، ص: ٣٠١ - ٣٠٣.

(٣) نفسه، ص: ٣٠٤.

عود على بدء

لقد حاول الباحثون المعاصرون مقارنة مفهوم "شجاعة العربية" بالاستفادة من بعض مناهج النظرية الأسلوبية المعاصرة التي أقامت صورها للغة الأدبية أو للوجوه الأسلوبية على أساس انحرافها عن اللغة العادية أو المعيارية. فقد انطلق عبد الحكيم راضي من مفهوم "الانحراف" عند الأسلوبيين في سعيهم لاكتشاف قانون عام ضابط للغة الشعرية، لأجل البحث عن طبيعة تصور القدامى لهذه اللغة؛ وانتهى به الأمر إلى أن هؤلاء كانوا يميزون بين مستويين من الاستخدام اللغوي؛ مستوى عام وعادي وشائع واصطلاحي يجري على القواعد، ومستوى بليغ فردي ينحرف عن هذه القواعد. وهذا المستوى المنحرف هو الذي وصفه ابن جني بـ "شجاعة العربية"، وهو في تصور عبد الحكيم راضي مجموعة من الأساليب المتسمة بالجرأة و "الإقدام على الكلام" بتعبير الجاحظ. وإذا كان الأسلوبيون المعاصرون قد واجهوا مشكلة تحديد معيار الانحراف^(١)، مادام أنه لا يوجد في الواقع مستوى لغوي يخلو من أشكال الانحراف، فقد كان عبد الحكيم راضي متفطناً لهذه المشكلة عندما أشار إلى أن المستوى المعياري المثالي الكامل للغة تقديريٌّ ذهنيٌّ وصوريٌّ لا وجود له في الحقيقة ولا صلة له بالاستعمال^(٢). وبصرف النظر عن القيمة العلمية التي ترتبت على هذه القراءة، فإنها اكتفت برصد مصطلح "شجاعة العربية" ووصفه دون تفسيره على نحو ما صنع في مقام آخر؛ حيث أظهر أن مفهوم "شجاعة العربية" ذو أصول في الخطاب الثقافي العربي نقداً وشعراً. وهنا يمكننا القول إن قراءة عبد الحكيم راضي لمفهوم "شجاعة العربية" مرت بطورين ورؤيتين؛ الطور الأول عندما تناول أفكار ابن جني اللغوية والبلاغية ضمن رؤية وصفية شاملة لأفكار القدامى وتصورهم لطبيعة اللغة الأدبية في كتابه "نظرية اللغة" المشار إليه^(٣).

(1) Marc Bonhomme, *Pragmatique des figures du discours*, Editions Champion, Paris.2005. p :1527-.

(٢) نفسه، ص. ٥٠٣.

(٣) مذكور.

والطور الثاني عندما تناول هذه الأفكار في تقديمه لكتاب "الخصائص"^(١)، ضمن رؤية تفسيرية للسياق الثقافي الذي تولد فيه مفهوم "شجاعة العربية". ولعل أهم سمة عامة تطبع قراءته هنا بعد قراءته الأولى، هي حرصه على مقارنته في سياقاته النقدية والثقافية القديمة، وتفسيره على نحو يصل بينه وبين السياق الذي تولّد فيه. فلهذا المصطلح جذور في نصوص نقدية وشعرية تجعل منه مفهوماً يختزل جوهر اللغة بوصفها تجسيدا للعالم ولبادئ الوجود والحياة والطبيعة.

لقد نظرنا في هذه الدراسة إلى "شجاعة العربية" باعتبارها مفهوماً يشير إلى سمة بنيوية تكوينية تتسم بها اللغة؛ وهي القوة الذاتية التي تجعل المتكلمين بها من الفصحاء والبلغاء يستثمرونها في تواصلهم العادي أو الأدبي. وبناء على هذا، نتجاوز التصورات الأسلوبية والبلاغية التي يؤدي اعتمادها إلى النظر إلى ظواهر "شجاعة العربية" باعتبارها ظواهر "منحرفة" وليست ظواهر طبيعية تفرزها اللغة، مثلما تفرز الطبيعة والحياة ظواهرها القوية مهما تكن غير مألوفة وغير اعتيادية.

يمثل وصف مجموعة من الظواهر اللغوية والبلاغية بالشجاعة، استعارة تصويرية تكشف أن النظر إلى اللغة في موروثنا اللغوي والبلاغي لم ينفصل عن وعي القدماء بالعالم الذي يعيشون فيه، وعن القيم الأخلاقية والاجتماعية والمبادئ الفكرية التي تحدد وجودهم وعلاقاتهم. فهذه الاستعارة التي تماثل بين مفهوم لغوي وبلاغي وبين قيمة إنسانية وأخلاقية وثقافية تجري في العالم، يؤكد أنها الخطاب النقدي والبلاغي العربي الذي مائل بين مفهومات نقد الأدب (شعر وخطابة ورسالة) وبين مفهومات الجسد والحياة والسلوك على نحو ما أثبتنا ذلك في مؤلفات الجاحظ على سبيل الحصر. فعدد من مفهومات اللغة والبلاغة لا تعدو أن تكون في الأصل إعادة صياغة للعالم، أو هي نوع من التنظيم الفكري المجرد لمبادئ الحياة الطبيعية والإنسانية. وقد أعاد ابن جني من خلال مفهوم "شجاعة العربية" صياغة علاقة العربي بلغته

(١) المذكور.

وسعيه إلى الوعي بأسرارها وبدائعها، بناء على نسق القيم التي حددت وجوده الإنساني؛ فاستعارة الشجاعة للعربية، لا تجسد شغفه وشغف العرب بلغتهم فقط، ولكنها من جهة أخرى تجسد رؤيته للعالم المشبعة بقيم الفروسية والإقدام والقوة والحركة وغيرها من القيم التي ارتكزت عليها الثقافة العربية. من هنا نستطيع القول إن التفكير في اللغة هو جزء من الوعي الثقافي العربي، وجزء من وجدانه وقيمه؛ فاللغة العربية - على نحو ما يجسدها مفهوم الشجاعة - تتجاوز كونها وسيلة تواصل يعبر بها القوم عن أغراضهم، إلى أن تكون مرآة تنقل لنا شغفهم بلغتهم واحتفاءهم بسحرها، مثلما تنقل لنا رؤيتهم للعالم التي تشكل اللغة جزءاً منه.

المصادر والمراجع

المصادر

- البيان والتبيين، الجاحظ (أبو عثمان) تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي القاهرة.
- الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور، ضياء الدين بن الأثير، تحقيق مصطفى جواد وجميل سعيد، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٩٥٦.
- جواهر الكنز: تلخيص كنز البراعة في أدوات ذوي البراعة، نجم الدين بن الأثير الحلبي، تحقيق محمد زغلول سلام، منشأة المعارف بالإسكندرية.
- الخصائص، ابن جني، تحقيق محمد علي النجار، ج ١، الطبعة ٣، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٦.
- الخصائص، ابن جني، تحقيق محمد علي النجار، الجزء ٢، الطبعة ٢، مصوران عن نسخة دار الكتب المصرية.
- الحيوان، الجاحظ (أبو عثمان)، تحقيق عبد السلام هارون، مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر.
- ديوان أبي الطيب المتنبي المسمى بالفسر، ابن جني، ج ١، تحقيق صفاء خلوصي، المؤسسة العامة للصحافة والطباعة، بغداد، ١٩٧٠.
- رسائل الجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي بمصر.
- الفكر البلاغي في كتاب الخصائص مقدمة عبد الحكيم راضي للجزء الثاني من كتاب الخصائص، ابن جني، ج ٢، تحقيق محمد علي النجار، الهيئة العامة لقصور الثقافة، سلسلة الذخائر، ٢٠٠٦.

المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، ابن جني، ج ٢، تحقيق علي النجدي ناصف وعبد الفتاح إسماعيل شلبي، الجمهورية العربية المتحدة - المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث، القاهرة ١٩٦٩.

المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين بن الأثير، قدمه وعلق عليه أحمد الحوفي وبدوي طبانة، القسم الثاني، الطبعة ٢، دارنهضة مصر.

معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، أحمد مطلوب، مكتبة لبنان ناشرون، ٢٠٠٧.

المراجع

١- باللغة العربية

الأصول: دراسة ابيستمولوجية للفكر اللغوي عند العرب - النحو. فقه اللغة. البلاغة، تمام حسان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٢.

التراث اللغوي العربي، تمام حسان، مجلة فصول، القاهرة، عدد ١، ١٩٩٠.

اللغة والإبداع، شكري عياد، مبادئ علم الأسلوب العربي، الطبعة ١، انترناشيونال برس القاهرة، ١٩٨٨.

نظرية اللغة في النقد العربي، عبد الحكيم راضي، الطبعة ١، مكتبة الخانجي مصر، ١٩٨٠.

٢- باللغة الأجنبية

Chaim Perelman et Lucie Olbrechts-Tyteca, Traité de l'argumentation, éditions de l'université de Bruxelles, 2000.

La langue d'Adam, Abdelfattah Kilito, Editions Toubkal, Casablanca, 1995.

Marc Bonhomme, Pragmatique des figures du discours, Editions Champion, Paris, 2005.

تكييف إبستمولوجي لـ "التوصيفات اللغوية الكلية": "شجاعة العربية" نموذجاً

أ.د. عبدالله عبدالرحمن البريدي
أستاذ غير متفرغ بجامعة القصيم

المخلص:

يتقوم هذا البحث على أن ثمة أوصافاً كلية مطلقة متجاوزة للغة الإنسانية، وذلك راجع إلى حقيقة أن اللغة في أصلها ملكة فطرية لدى الإنسان الكلي، لها: جوهرها ووظيفتها ونسقتها وفواعلها، وهو ما يجعلنا نقرر باطمئنان كافٍ بأن: اللغة بنيةٌ كليةٌ، إذ تمتلك اللغة كياناً داخلياً متماسكاً مكوناً من أجزاء تتفاعل فيما بينها؛ وفق وظائف ومسارات وسياقات محددة، ضمن إطار غائي كلي. والتوصيفات الكلية المطلقة المتجاوزة للغة بعموم أو لعائلة لغوية بخصوص أو للغة معينة، لها أهميتها البالغة في الدرس اللساني الحديث، حيث تُعيد شحذ بطارية التأمل البحثي في الظاهرة اللغوية في إهابها البنيوي الكلي، مما يخضّب النظر اللساني، وينأى به عن المنهج الذري التفكيكي للغة، الذي لا يخلو هو الآخر من فوائد، إن أحسن استخدامه في مواضعه وسياقاته باعتدال وتوازن، وهذا وذاك يقضيان معاً بالجمع بين: التوصيفات والمقاربات الكلية الإجمالية، والجزئية التفصيلية.

هذا البحث يتغيا بلورة تكييف إبستمولوجي معاصر للتوصيفات الكلية للغة بعموم، وللعربية بخصوص، عبر التطبيق على توصيف ابن جني "شجاعة العربية"، مع السعي لتجلية شيء من الفوائد الإبستمولوجية والمنهجية والمفاهيمية لمثل هذه التوصيفات، بما في ذلك إمكانية تأسيس نظريات علمية وبناء نماذج تفسيرية للظاهرة اللغوية وأبعادها التداولية، وبلورة مقاربات لمعالجة إشكاليات في الأدبيات اللغوية كمسألة تفاضل

اللغات، بجانب السعي لتبيان بعض سبل تثمير تلك التوصيفات في الدرس اللساني؛ مع إطلالة بانورامية على انعكاسات تكييفنا المنهجي المتوخى على التكوين التعليمي، بما عساه يحسّن الحصائل اللغوية لدى الطلبة والدراسين للعربية في مختلف المراحل. ولقد تضمن هذا التكييف الإبستمولوجي إيضاحاً للتوصيف اللغوي الكلي، مع وضع الضوابط الإبستمولوجية له، وشمل أيضاً توصيف الوصف الشذري (شجاعة العربية) وتوصيف الواصف (ابن جني) من زاوية إبستمولوجية، مع إدراج جانب تطبيقي في البحث، تمثل في تطبيق الوصف الشذري على المستويات الخمسة لنظام اللغة: المعجمي، والنحوي، والصرفي، والبلاغي، والصوتي، وتجليه هذه المستويات بقوالب تطبيقية تثميرية في المسارين: البحثي والتعليمي. وختم البحث بتوصيات بحثية وتطبيقية.

مدخل

تتصف أي لغة بـ "الرمزية"، لغة الإنسان ولغة الحيوان، وتتأكد في لغة الإنسان، وذلك أن الله تعالى أودع خليفته أسرار تسمية الأشياء عبر رموز لغوية راقية: "وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا" (البقرة: ٣١)، وما طبعه عليه من ملكة لغوية عالية للتعبير عن الأفكار المعقدة والأوضاع المركبة. واللغة من أعقد الظواهر وأكثرها تركيباً وأشدّها غموضاً، مع أنها قريبة المنال من حيث وجودها في طبائعنا، وجريانها على ألسنتنا منذ نعومة أظفارنا، فنحن نلهج بلغتنا الأم بكل سهولة وتلقائية؛ نتعلمها شيئاً فشيئاً، نخطئ ونصيب، نُبين ونُغمض، بيد أننا مع ذلك كله نفلح جميعاً في استخدامها في التواصل اليومي فيما بيننا، والتعبير عما يجول في عقولنا من تصورات، وقلوبنا من إحساسات، وأرواحنا من خطرات. ومما يجعل اللغة ظاهرة معقدة مركبة غامضة ارتباطها بالوجود، وذلك أن الوجود لا يحضر إلا بها، أي أن اللغة هي التي تدعو الوجود للحضور عبر بنائها وتراكيبها، وذلك أننا لا نطيق البتة أن نفكر في الوجود أو نعبر عنه إلا باللغة، أليس كذلك؟

وعليه، فيمكننا القول: إن اللغة - وفق معناها الواسع - تثقبُ جدارَ الوجود بطريقة ما وسعة ما وزاوية ما، لتنظر عبر ثقبها إلى نوع من الحقائق، ولتستجلب قدراً من الوقائع؛ وفق ما يتيح ثقبها، شكلاً وسعة وزاوية، وهذا ملمح يؤكد أهمية الفهم

الشامل لبنية اللغة ونظامها الداخلي وطرائق تعبيرها وأفانين بلاغتها، ونقاط قوتها وعوامل تفوقها، بجانب ما يعتورها من نقص أو ضعف في جانب أو آخر^(١). وكل هذا واقع في صميم هدفنا في هذه البحث المختصر.

ويجهد هذا البحث في بلورة تكييف إبستمولوجي معاصر للتوصيف اللغوي الكلي بشكل عام، مع التطبيق على توصيف "شجاعة العربية"، في محاولة لتحليل هذا التوصيف الشذري العبقري وتفصيله إبستمولوجياً من بعض النواحي، وتبين بعض ما فيه من الأصول والفوائد في مساري: البحث العلمي، والتعليم اللغوي.

وهذا البحث في الحقيقة عسير في ذاته، وعسير علي أيضاً في ذاتي، من الناحية المفاهيمية والإبستمولوجية واللغوية، ولست أدعي فيه شيئاً البتة، غير الاجتهاد والخلوص إلى نتائج أولية والتفكير في بعض زواياه ومناحيه، وما قد يحمله ذلك من تنبيه لبعض قضاياها وإشكالياتها ومسارب تثميره بحثياً وتعليمياً، وبخاصة أن في "شجاعة العربية" من "الرمز والإيماء والإشارة في خفاء" كما في العبارة الجرجانية الشهيرة، ولعل القارئ في هذا البحث يجد فيه شيئاً من "التنبيه على مكان الخبيئ ليطلب، وموضع الدفين ليبحث عنه فيخرج"^(٢). وتوصيف شجاعة العربية من المسكوت عنه في تراثنا، وكان ابن جني قد استخدم وصف "المسهو عنه" لقرب العهد بما يراه مسهواً عنه من القضايا والمسائل البحثية، وأما في حالنا فهو مسكوت عنه لبعد العهد، كما نبه إلى ذلك محمد محمد أبو موسى^(٣).

(١) هذا يعني أننا نخسر كثيراً أن نحن نظرنا إلى الوجود عبر ثقب صغير، وهو ثقب اللغة الأجنبية التي قد نتعلم أو نفكر بها، في قالب اللغة الثانية، مما يحيلها لغة ضعيفة في بنائها وتركيبها ومفرداتها وقوالبها التفكيرية والتعبيرية. للمزيد انظر: ماذا يخسر العالم إذا رطن بالإنجليزية؟، عبدالله البريدي، الرياض: مجمع الملك سلمان العالمي للغة العربية، مؤتمر اللغة العربية في المنظمات الدولية، ٦-٧ ديسمبر، ٢٠٢٢.

(٢) دلائل الإعجاز، عبدالقاهر الجرجاني، تحقيق: محمود شاكر، ط ٣، المدني، القاهرة، ١٩٩٢، مج ١، ص ٣٤.

(٣) المسكوت عنه في التراث البلاغي، محمد محمد أبو موسى، ط ٢، وهبة، القاهرة، ٢٠١٩، ص ٢١.

ولعلنا في هذا البحث من جهة القصد على أقل تقدير^(١)، أن نعيد ما ضمّر في ساحتنا المعرفية المعاصرة، من جهة إذكاء فكرة التراكمية وتفعيلها، إذ ضعفت جهودنا الرامية لمراكمة الأبحاث بطريقة راسية إثرائية إنضاجية تسديدية تعاقبية، مع أن "المعرفة مارثون متعدد المراحل"^(٢)، وقد كان تراثنا العربي الإسلامي حافلاً بهذه التراكمية ومذكياً لها، فكل يسير ما وسعه السير، ثم يأتي بعده طالب أو زميل أو مهتم ليكمل ما بدأه أو شيئاً منه، وهنا تتخلق الثمرة المعرفية والمجتمعية للعلم. وهنا نتذكر ما قاله الجرجاني حين أفضى إلى إكمال مبحث أسرار الإعجاز القرآني، حيث يقول: "ولا يكفي أن تقولوا: إنّه خصوصية في كيفية النظم، وطريقة مخصوصة في نسق الكلم بعضها على بعض"، حتى تصفوا تلك الخصوصية وتبينوها، وتذكروها لها أمثلة، وتقولوا: "مثل كيت وكيت"، كما يذكر من تستوصفه عمل الديباج المنقش ما تعلم به وجه دقة الصنعة، أو يعملها بين يديك، حتى ترى عياناً كيف تذهب تلك الخيوط وتجيء؟ وماذا يذهب منها طويلاً وماذا يذهب منها عرضاً؟ وبم يبدأ وبم يثنى وبم يثلث؟ وتبصر من الحساب الدقيق ومن عجيب تصرف اليد، ما تعلم معه مكان الجذق وموضع الأستاذية"^(٣).

١- إطار مفاهيمي تأسيسي:

١-١- ماهية اللغة:

بخصوص تعريف أو توصيف أو تحديد ماهية اللغة، نحن إزاء مئات التعريفات المتناثرة في بطون الكتب والأبحاث، سواء كانت تعريفات أو توصيفات قديمة أو وسيطة

(١) مراكمة المعرفة تبدأ بنية معرفية صادقة حيال قضية معرفية عميقة، ولعل في هذه الندوة ما يؤكد على هذا، حيث إنني كنت قد قرأت كتاب الخصائص لابن جني، وأخذت بفكرة شجاعة العربية ورأيت أنها فكرة "ملهمة مهمة"، وحدث أن التقيت الصديق الأستاذ الدكتور عبدالرحمن السلمي قبل نحو عام ونصف في جدة، وطرحتم عليه فكرة تنظيم ندوة حولها، فما كان منه إلا بشري بانعقادها وتفضل باستكتابي بها، فالحمد لله، وله منا الشكر الجزيل.

(٢) البحث النماذجي - منهجية علمية لبناء النماذج التفسيرية، عبدالله البريدي، ط ٢، أدب، الرياض، ٢٠٢٥، مقدمة الطبعة الأولى.

(٣) الجرجاني، دلائل الإعجاز، مج ١، ص ٣٦.

أو حديثة. ولن نتبع هذه التعريفات أو التوصيفات في مظانها حيث يخرج ذلك عن اشتغالنا، وإنما سنكتفي بالإشارة إلى بعضها مما يغني النظر في موضوعنا المبحوث من جهة مفاهيمية. يقرر **علي القاسمي** بأن علماء اللغة يعتبرون وظيفة اللغة ركناً محورياً في تعريفها، بدءاً من التعريفات القديمة كتعريف **ابن جني** (متوفى ٣٩٢ هـ / ١٠٠٢ م) الشهير "أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم"^(١)، وتعريف **ابن سنان الخفاجي** (٤٦٦ هـ / ١٠٧٣ م) "عبارة عما يتواضع القوم عليه من الكلام"، مروراً بالتعريفات الحديثة كتعريف **فرديناند دوسوسير** (١٨٥٧-١٩١٣) "نظام من الدلائل يعبر عما للإنسان من أفكار"، وتعريف **تشومسكي** (مولود ١٩٢٨) "ملكة فطرية عند المتكلمين بلغة ما، لتكوين وفهم جمل نحوية"، وتعريف **سيمون بوتر** "نظام عرفي من الرموز الصوتية تستخدمه جماعة لغوية معينة بهدف الاتصال"^(٢).

المقاربات السابقة انحازت لفكرة أن اللغة هي أداة تواصل، مع وجود نقاش بين اتجاهات لسانية متعددة حول أولوية التواصل أو أولوية الفكر في وظيفة اللغة الرئيسة، وتخلق هذه المقاربات لنا إشكالية تمييع ماهية اللغة لدى الإنسان، وذلك أن لغته أجل من أن تكون كلغة الطير والحيوان الهادفة فقط إلى إحداث التواصل بشأن طعام أو خطر أو تزواج أو ارتحال، فالإنسان يمتلك روحاً وإرادة تصيرانه كائناً ذا هوية. وهذا ما دفع جملة من الباحثين والمفكرين العرب لتأييد أن اللغة "هوية" وليست مجرد أداة تواصل^(٣). وثمة مقولات مكبسة ذات دلالة باذخة في هذا السياق، من قبيل "هوية

(١) علم المصطلح، علي القاسمي، ط١، بيروت: مكتبة لبنان، ٢٠٠٨، ص ٥٤.

(٢) اللغة هوية ناطقة، عبدالله البريدي، ط١، الرياض: المجلة العربية، ٢٠١٣، ص ٢٠-١٩.

(٣) انظر مثلاً: الفصحى ونظرية الفكر العامي، مرزوق ابن تنيك، ط١، جامعة الملك سعود، مركز البحوث بكلية الآداب، الرياض، ١٩٨٦؛ في الأسباب والآثار لاغتراب العلاقة بين المجتمع ولغته، محمود الذوايدي، مجلس النشر العلمي، مجلة العلوم الاجتماعية، الكويت، مج ٣٣، ٢٠٠٥، ص ٥٥-٨٣؛ العرب والانتحار اللغوي، عبدالسلام المسدي، ط١، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ٢٠١١.

كل مجتمع تتأسس على لغته^(١)، و"اللغة هي أم الرموز الثقافية" المشكّلة لهوية الإنسان^(٢)، "اللغة هوية ناطقة"^(٣).

١-٢- توصيف اللغة:

قد لا يكفي تحديد ماهية اللغة أو تعريفها للإلمام بكل جوانب اللغة ووظائفها وأسرارها وفعاليتها، مما يلجئنا إلى ردد التعريف بالتوصيف. وهنالك أنواع للتوصيفات للغة، فمنها: توصيفات كلية متجاوزة للغات المعينة لتصل إلى توصيف اللغة الإنسانية بعموم كوصفها بأنها "رمزية" أو "صوتية" أو "تواصلية" أو "تركيبية" أو "إسنادية"، إذ يصح ذلك على جميع اللغات الإنسانية دون استثناء. ومنها توصيفات كلية متجاوزة لعائلة لغوية معينة كوصف اللغات اللاتينية بأنها ذات نسق ثابت (لغات موقعية لا إعرابية)، ووصف اللغات السامية بأنها ذات نسق حر (لغات إعرابية بأقدار متفاوتة)، أو كون أصول كلماتها تتألف غالباً من ثلاثة أصوات (مثل: ك ت ب)، وثمة توصيفات كلية للغة بعينها، كوصف اللغة العربية بأنها لغة إعرابية بامتياز مما يزيد من نسق حريتها في التعبير والتركيب^(٤)، كما في قول ابن فارس: "فأما الإعراب فبه تميز المعاني، ويُوقف على أغراض المتكلمين. وذلك أن قائلًا لوقال "ما أحسن زيد" غير معرب، أو "ضرب عمر زيد" غير معرب، لم يوقف على مراده، فإذا قال "ما أحسن زيداً" أو "ما أحسن زيد" أو "ما أحسن زيد" أبان بالإعراب عن المعنى الذي أراد. وللعرب في ذلك ما ليس لغيرها: فهم يفرّقون بالحركات وغيرها بين المعاني"^(٥). ومن طينة هذا يأتي وصف ابن جني للغة العربية بـ"الشجاعة" كما في سفره العظيم "الخصائص"، وهذا التوصيف الشذري هو مدار بحثنا.

(١) إعادة إنتاج الهوية أحمد حيدر، ط١، دار الحصاد للنشر والتوزيع، دمشق، ١٩٩٧، ص ١٣٦.

(٢) الذوايدي، في الأسباب والآثار لاغتراب العلاقة بين المجتمع ولغته، ص ٥٦.

(٣) البريدي، اللغة هوية ناطقة، ص ١٩-٣٣.

(٤) انظر مثلاً: دراسات في فقه اللغة، صبحي الصالح، ط ١٨، دار العلم للملايين، بيروت، ٢٠٠٧، ص ١١٧-١٤٠.

(٥) الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، أحمد ابن فارس، ط١، دار الكتب

العلمية، بيروت، ١٩٩٧، ص ١٤٣.

٣-١- أهمية التوصيف اللغوي الكلي:

للتوصيف اللغوي الكلي أهميته البالغة في عديد المسارات الإستمولوجية والمنهجية والمفاهيمية، ولعلنا نجمل هذه المسارات كما يلي:

١-٣-١- الأهمية النظرية:

يمكن للتوصيف اللغوي الكلي أن يعين الجماعة المعرفية اللغوية على تأسيس نظريات علمية وبناء نماذج تفسيرية للظاهرة اللغوية وأبعادها التداولية، وربما يفيد هذا التنظير في بلورة مقاربات لمعالجة إشكاليات ضخمة في الأدبيات اللغوية كمسألة تفاضل اللغات على سبيل المثال، حيث يوقفنا التوصيف اللغوي الكلي على: بَيَّ وسمات وأسرار ووظائف لهذه اللغة أو تلك، مما قد يمهد سبيلاً لوضع معايير موضوعية دقيقة للحكم على هذه المسألة، عوض ترك المسألة للأيديولوجيا، أو حتى للعوام كما فعل روبرت ديسكون حيث طرح بعض المعايير والمحكات والمقارنات، ثم أسند الحكم إلى القارئ^(١).

١-٣-٢- الأهمية البحثية:

يفيد التوصيف اللغوي الكلي البحث اللساني الحديث، حيث يُعيد شحن بطارية التأمل البحثي في الظاهرة اللغوية في إهابها البنيوي الكلي، مما يخضّب النظر اللساني، وينأى به عن المنهج الذري التفكيكي للغة، الذي لا يخلو هو الآخر من فوائد، إن أحسن استخدامه في مواضعه وسياقاته باعتدال وتوازن، وهذا وذاك يقضيان معاً بالجمع بين: التوصيفات والمقاربات الكلية الإجمالية، والجزئية التفصيلية.

(١) هل بعض اللغات أفضل من بعض؟، روبرت ديسكون، ترجمة: حمزة المزيني، ط١، كنوز المعرفة، عمان، ٢٠١٨، ص ٣٠٧-٣٠٨.

٣-٣-١- الأهمية التعليمية:

يمكن للتوصيف اللغوي الكلي أن يساهم في تطوير النموذج التعليمي للغة العربية بشكل مباشر أو غير مباشر، بما عساه ييسر عمليات فهم اللغة ومهاراتها وكفاياتها وأساليبها، ويحسن الحصائل اللغوية لدى الطلبة والدارسين للعربية في مختلف المراحل التعليمية.

٣-٣-٤- الأهمية التنموية:

بات من الضروري ربط اللغة بالحياة والتنمية، إذ لا يسوغ حشر اللغة في نطاقها المتخصص، وكأن اللغة لا علاقة لها البتة بالتنمية، مع أنها تعد ركناً ضرورياً لها، وذلك من جوانب وأبعاد يصعب ذكرها تفصيلاً في هذا السياق، على أنه يمكن الإشارة إلى بعض ما يتعلق بتوصيفنا الشذري، فمثلاً باب الحذف يغذي جانب "الاقتصاد اللغوي"، و"اللسان الاقتصادي والدقيق هو لسان العلم والمعرفة، وأخرى بالعربية أن تكون لسان العلم والمعرفة"^(١)، وهي مرشحة أيضاً لأن تكون لسان الابتكار والتنمية، ومن ذلك أنها تجعل الحوسبة اللغوية قائمة على عدد أقل من الجمل والكلمات والحروف والحركات، وفي ذلك تيسير وتوفير، وربما فتح ومرونة وإلهام، يتبينه المتخصصون، فماذا عن باب التقديم والتأخير وباب الحمل على المعنى ونحوه؟

ولكي نغنم كل ما سبق، فإنه يتوجب علينا بلورة تكييف إبستمولوجي معاصر لـ التوصيفات الكلية للغة بعموم، وللعربية بخصوص. وسنجعل هذا التكييف الإبستمولوجي في محاور متسلسلة.

٤-١- توصيف الوصف والواصف:

٤-١-١- توصيف الوصف:

في كتابه "الخصائص"، أورد ابن جني وصفاً شذرياً عبقرياً للغة العربية، حيث عقد باباً بعنوان: شجاعة العربية، ولم يُرد لسبب لم تتبينه إيضاح هذا الوصف بشرح

(١) اللسان العربي، تاريخاً وأسراراً، محمد الجلاي، ط١، صامد، صفاقس، ٢٠١٦، ص ١٢١.

يجلي لنا أبعاده ومرامييه، وإنما قام فقط بتجلية مسارات تحقق هذه الشجاعة بقوله: "اعلم أن معظم ذلك إنما هو الحذف والزيادة والتقديم والتأخير، والحمل على المعنى، والتحريف"^(١). ومن مزايا هذا التوصيف أنه واقع في دائرة العلم المفتوح، حيث لم يغلق ابن جني توصيفه بما أتى عليه من المسارات والحالات والمواضع، حيث قال: "اعلم أن معظم ذلك"، فهو استقراء غير كامل، مما يغري الباحثين على طلب ما هو من بابه، واستكمال ما هو من طينه.

ومما يكشف لنا جانباً من هذه الأبعاد والمرامي أن هذا الباب جاء في سياق رام فيه ابن جني بلورة أهم خصائص اللغة العربية، ومن ذلك ما يمت بصلة إلى: النسق التركيبي الحر، والقدرات التوليدية الاشتقاقية، والدقة التواصلية التعبيرية، والاحتفاء بالمعاني وخدمتها، ومرونة العربية في ضوء معيارية صارمة، حيث جاء بعد أبواب من قبيل: باب في المثليين: كيف حالهما في الأصلية والزيادة وإذا كان أحدهما زائداً فأيهما هو، باب في الأصلين يتقاربان في التركيب بالتقديم والتأخير، باب في الاشتقاق الأكبر، باب في تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني، باب في زيادة الحروف وحذفها، باب في استعمال الحروف بعضها مكان بعض، باب فيما يراجع من الأصول مما لا يراجع، باب في حمل الأصول على الفروع.

ومن سبل إبانة ابن جني عن مرامي هذا التوصيف الشذري وأبعاده، ما اختطه للسير في أنهج تحقق هذه الشجاعة، ومن ذلك ما قرره في باب الحذف، حيث يقول: "قد حذفت العرب الجملة، والمفرد، والحرف، والحركة، وليس شيء من ذلك إلا عن دليل عليه"^(٢)، وفي مثل هذه الاستقراءات والتوصيفات فوائد جمّة لنا، ولعل منها فكرة يمكننا صلبها في "نسبية الشجاعة"، فكما أن ثمة شجاعاً مقداماً بأسلاً صلباً، فثمة شجاع دون

(١) الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني، تحقيق: محمد النجار، ط١، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٥٢، مج ٢، ص ٣٦٢.

(٢) ابن جني، الخصائص، مج ٢، ص ٣٦٢.

ذلك، فالتوضيحية بالجملة دون التوضيحية بالكلمة، ودون ذلك الحرف والحركة، ومن الأمثلة على ذلك: إياك، إذا حذرتَه، فالحذف هنا يجعل المعنى أوقع والتحذير أخوف، لكونه مفتوحاً على احتمالات وجبهات!

وإننا لعلی درجة كبيرة من الدقة التوصيفية، حينما نقرر بأن شجاعة العربية هي من طينة التعبير العربي الذي يقوم على ركيزة محورية في البلاغة العربية: العناية الفائقة بالمعنى بقصد إحداث التأثير من جهة إيصال المعنى بأدق وأعمق ما يكون، إذ "لا يكون لإحدى العبارتين مزيةً على الأخرى، حتى يكون لها في المعنى تأثيراً لا يكون لصاحبتهما"، ثم يواصل الجرجاني تحليله المعق فيقول: "فإن قلت: فإذا أفادت هذه ما لا تُفيد تلك، فليست عبارتين عن معنى واحد، بل هما عبارتان عن معنيين اثنين. قيل لك: إن قولنا "المعنى" في مثل هذا، يُرادُ به الغرض، والذي أراد المتكلم أن يُثبتَه أو يُنفِيه، نحو إن تُقصد تشبيه الرجل بالأسد فتقول "زيد كالأسد"، ثم تريد هذا المعنى بعينه فتقول: "كأن زيدا الأسد"، فتُفيد تشبيهه أيضاً بالأسد، إلا أنك تريد في معنى تشبيهه به زيادة لم تكن في الأول، وهي أن تجعله من فرط شجاعته وقوة قلبه، وأنه لا يروعه شيء، بحيث لا يتميّز عن الأسد، ولا يقصّر عنه، حتى يتوهم أنه أسد في صورة آدمي"^(١).

ونظراً لترسخ حقيقة أن الفضيلة وسط بين رذيلتين، فشجاعة العربية تتوسط بين: "التهور اللغوي" و"الجبين اللغوي"؛ لا سيما أن المروم تحقّقه من هذه الشجاعة إنما هو الظفر بغنيمة المعنى بأعلى درجات الدقة والعمق مع الوضوح الكافي، فمثلاً في باب التقديم والتأخير وهو أشبه ما يكون بمحالات الكر (التقديم) والفر (التأخير) في باحات الوغى، نجد أن اللغة العربية جعلت من التقديم ما هو واجب كوجوب تقديم المبتدأ في مواضع كما في الأسماء التي لها مواضع الصدارة كأسماء الشرط والاستفهام أو تقديم الخبر إذا كان الخبر ظرفاً أو جاراً ومجروراً والمبتدأ نكرة، وما هو جائز كتقديم الخبر على المبتدأ في مواضع عديدة، وما هو ممنوع كعدم جواز تقديم المفعول معه على

(١) الجرجاني، دلائل الإعجاز، مج ١، ص ٢٥٨.

الفعل، فليس كل المكونات اللغوية إذن بقادرة على أن تمتطي جواد التعبير لتكون في مقدمة الكلام، إذ إن طبيعتها تقتضي انخراطها ضمن ساقية الكلام. وهذا ما يجعلنا نقرر بكل جزم بأن شجاعة العربية هي شجاعة حكيمة رصينة، ومغامرة محمودة محسوبة.

وتأكيداً لما قررناه من وجود منافع تعليمية للتوصيف اللغوي الكلي، يمكن القول إن توصيفنا الشذري يقع ضمن مدخل تعليمي تجديدي أسميناه -في نص سابق - بـ **تعلم اللغة بتذوقها - من البناء إلى الانبناء اللغوي**^(١)، وهو يُعنى بالمعنى، حيث يقدم نصوصاً تعليمية تحتفي بالمعنى وتتأسس عليه (=نحو المعاني)، بوصفه ركيزة للتعلم والفهم والتفعيل للملكة اللغوية والذائقة البيانية، وهذا المدخل يمثل نخبه من كبار "المنظرين اللغويين" في تسلسل تراكمي، ولعل من أبرزهم: **سيبويه** (ت ١٨٠هـ)، و**المُبرّد** (ت ٢٨٦هـ)، و**السيرافي** (ت ٣٦٨هـ)، و**ابن جني** (ت ٣٩٢هـ)، و**الجرجاني** (ت ٤٧١هـ). ومن شواهد ذلك ما نجده لدى **سيبويه** في معالجته مسألة الرتبة في مكونات الجملة، إذ هو يقول: "هذا باب الفاعل الذي يتعده فعله إلى مفعول. وذلك قولك ضرب عبد الله زيدا، فعبد الله ارتفع ههنا، كما ارتفع في ذهب وشغلت ضرب به، كما شغلت به ذهب، وانتصب زيد لأنه مفعول تعدى إليه فعل الفاعل، فإن قدمت المفعول وأخرت الفاعل، جرى اللفظ كما جرى في الأول، وذلك قولك ضرب زيدا عبد الله، لأنك إنما أردت به مؤخراً ما أردت به مقدماً، ولم ترد أن تشغل الفعل بأول منه، وإن كان مؤخراً في اللفظ، فمن ثمَّ كان حد اللفظ أن يكون فيه مقدماً، وهو عربيٌّ جيدٌ كثيرٌ، كأنهم إنما يقدمون الذي بيانه أهم لهم، وهم ببيانه أعنى، وإن كانا جميعاً يهمانهم ويعنيانهم"^(٢).

ومن شواهد الإمام **أبي سعيد السيرافي** في توحيه مدخل المعنى في تحليله النحوي، ما ذكره في مسألة الحركية والمرونة بين أجزاء الجملة الفعلية، والرتبة بين الفاعل

(١) لهذه الأجزاء حول هذا المدخل، انظر كتابنا المشترك: **تعلم اللغة بتذوقها - من البناء إلى الانبناء اللغوي**، عبد الله البريدي، معاذ الدخيل، ط١، أدب، الرياض، ٢٠٢٣، أجزاء متفرقة من الكتاب.

(٢) كتاب **سيبويه**، **سيبويه** عمرو بن عثمان بن قنبر، تحقيق: عبد السلام هارون، ط١، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٧، ٣٤/١.

والمفعول، وما يمكن أن تعبّر عنه تلك الحركيّة من مقاصد المتكلّم، وتوحيه أغراضه التواصليّة، إذ هو يقول: "ثم قال (يعني سيبويه): "إن قدّمت المفعول وأخرت الفاعل، جرى اللفظ كما جرى في الأوّل، وذلك قولك: ضرب زيداً عبد الله؛ لأنك إنما أردت به مؤخّراً ما أردت به مقدّماً، ولم ترد أن تشغل الفعل بأوّل منه، وإن كان مؤخّراً في اللفظ، فمن ثمّ كان حد اللفظ أن يكون فيه مقدّماً، وهو عربيّ جيّد كثير، كأنهم يقدمون الذي بيانه أهمّ لهم، وهم ببيانه أعني، وإن كانا جميعاً يهّمّانهم ويعنيانهم". قال أبو سعيد: أمّا قولهم: "ضرب زيداً عبد الله"، فإنهم قدّموا المفعول على الفاعل لدلالة الإعراب عليه، فلم يضرّ من جهة المعنى تقديمه، واكتسبوا بتقديمه ضرباً من التوسّع في الكلام؛ لأن في كلامهم الشّعرا المقصّي والكلام المسجّع، وربما اتفق أن يكون السجع في الفاعل فيؤخّرونه. فإذا وقع في الكلام ما لا يتبين فيه الإعراب في فاعل ولا مفعول، قدّم الفاعل لا غير، كقولهم: "ضرب عيسى موسى"، فعيسى هو الفاعل لا غير، وإن بان الإعراب في أحدهما جاز التقديم والتأخير، كقولك: "ضرب زيداً عيسى" و"ضرب عيسى زيداً". والفاعل كيفما تصرفت فيه الحال، فهو الذي يبنى له الفعل، والمفعول كالفضلة في الكلام؛ للاستغناء عنه، والفاعل وإن كان مؤخّراً في اللفظ فإن تقديره التقديم؛ لأن الفعل لا يستغنى عنه.^(١)

ونختم هذا الجزء بالقول إن مدخل الانبناء اللغوي مصدره جواني بلاغي سليقي، عبر ذات متعلمة؛ تمارس تذوقاً داخلياً للغة ومكوناتها وأبعادها، وتولد الأبنية اللغوية التعبيرية عبر تفكير إبداعى تركيبى ذي صبغة تكاملية، ما يجعل من الذاكرة اللغوية طويلة الأجل، حيث يصطبغ المتذوق لغته دوماً معه في قالب من المتعة والتعلم الحياتي المستمر.

هذا، وتتعين الإشارة إلى أنه لا يدخل ضمن نطاق اهتمامنا في هذا البحث التوصيف اللغوي الصرف المفصل لتوصيفنا الشذري: شجاعة العربية، وإنما الذي يعيننا بالدرجة

(١) شرح كتاب سيبويه، أبو سعيد السيرافي، ط ٢، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ٢٠٠٨، ٢٧١/٢ - ٢٧٤.

الأولى هو التكييف الإبستمولوجي. وفي هذا الاتجاه، قمنا بتحليل هذا التوصيف الشذرس، فخلصنا إلى أنه توصيف إبستمولوجي بامتياز، وذلك أنه يفي بجملة من الأبعاد الإبستمولوجية المحورية، ومنها:

١- تفعيل مبدأ الذات والموضوع، فشجاعة العربية تقتضي نفساً لغوية شجاعة (=الذات)، تُقدِّم على استخدام مادة لغوية شجاعة (=الموضوع).

٢- تفعيل مبدأ التبرير أو التسويغ لكل استخدام ممكن لوصف شجاعة العربية، مما يجعله "اعتقاداً مبرراً" Justified Belief، مع الكشف عن نوع التبرير، أهو جواني من اللغة ذاتها أم براني من مستخدمها، أم هو جواني وبراني في آن.

٣- تفعيل اشتراطات استخدام الوصف، ومن ذلك الإبانة عن مسارات تحقق شجاعة العربية، كما في التقديم والتأخير مثلاً.

٤- تفعيل البنية العميقة للغة عبر الوعي والتحكم بالبنية اللغوية في تراكيبها وأفانينها في التعبير والإفصاح عن الأفكار والدلالات، وهو ما ينتمي إلى "الميتالغوي".

٥- تفعيل حدود استخدام الوصف، ومن ذلك توضيح المواضع التي يسوغ فيها التقديم والتأخير مع كشف الأغراض المتحققة ذات العلاقة بالبنية العميقة: شجاعة العربية.

١-٤-٢- توصيف الواصف:

غرضنا من هذا التوصيف إماطة اللثام عن "الوجه الإبستمولوجي" لمفكرنا العربي الكبير أبي الفتح عثمان ابن جني (ابن جني إبستمولوجياً) رحمه الله (ت ٣٩٢هـ)، الرومي

أصلاً والموصلي مولداً والأزدي ولاء، وذلك بعد أن دُرس نحوياً ولغوياً ونقدياً^(١). تشف نصوصه بوضوح تام عن قدرات تنظيرية هائلة، تجعله ينخرط باستحقاق في عداد المنظرين اللغويين الإيستمولوجيين الأوائل، ولعلنا نتصيد تنفأً من هذه القدرات عبر الإشارة العابرة إلى بعض المعالجات الإيستمولوجية العميقة في كتابه الخصائص، على أن نجعلها في توصيفات مكبسة مع إحالات مختصرة، وذلك كما يلي:

- ١- البحث عن أصول الأشياء وغاياتها ومراميها (مثلاً: باب في مقاييس العربية).
- ٢- التفنن في استخلاص أصول جديدة (مثلاً: باب في نقض الأصول وإنشاء أصول غيرها منها).
- ٣- التفنن في بحث العلل، وقد كتبتُ على طرة "الخصائص"، واصفاً الواصف بأنه: "فيلسوف العلة الجميلة" و"فيلسوف الذهن الجميل"، لما رأيته من ميله إلى البعد الجمالي في تقييم العلة والحكم عليها (مثلاً: باب في تخصيص العلل، باب في الاستحسان).
- ٤- تعليل الأحوال/البدائل المختلفة (مثلاً: باب في التغييرين في المثال الواحد بأيهما يبدأ).
- ٥- تفعيل المناهج المختلفة، ومن ذلك المنهج التجريبي، ومنه سؤاله لعلماء العربية من أصول غير عربية لتبين مسألة لغوية ما (مثلاً: باب في أن العرب قد أردت من العلل والأغراض ما نسبناه إليها وحملناه عليها).
- ٦- التنقيب عن أسرار اللغة عبر جمع المشتت وضم المفرق (مثلاً: باب في تلاقي المعاني على اختلاف الأصول والمباني).

(١) انظر مثلاً: ابن جني النحوي، فاضل السامرائي، ط١، دار النذير، بغداد، ١٩٦٩؛ ابن جني اللغوي، عبدالغفار هلال، رسالة دكتوراه، مخطوطة بمكتبة كلية اللغة العربية بالقاهرة، ١٩٧١؛ ابن جني ناقدًا، مصطفى السواحلي، ط١، دار الآفاق العربية، القاهرة، ٢٠١٥.

٧- تنقية المعيار العلمي (مثلاً: باب في ترك الأخذ عن أهل المدر كما أخذ
عن أهل الوبر).

٨- تقرير مبدأ النسبية البحثية (مثلاً: باب في الاشتقاق الأكبر).

٩- توصيف الجماعة العلمية (مثلاً: باب القول على إجماع أهل العربية متى
يكون حجة).

١٠- العبور من السطحي (ظاهر الأمر/ صفحة القول) من أجل النفاذ إلى العميق
(الحقيقة/ حصول الحديث) (مثلاً: باب في مقاييس العربية).

وفي ضوء ما قررناه، يتبين لنا أن الوصف والوصف يضربان بسهم كبير في فقه
العلوم أو نظرية المعرفة أو الإبستمولوجيا، وفي هذه إيماءة لاستحثاث البحث المستقبلي
على التنقيب بهذه المسألة بشكل معمق مفصل. ويتضح لنا أيضاً أن توصيف شجاعة
العربية هو توصيف لغوي كلي للغة محددة، وهي اللغة العربية، ولكي يكون مثل
هذا التوصيف اللغوي الكلي مقبولاً من الناحية الإبستمولوجية، فإنه يتوجب أن يفي
بضوابط إبستمولوجية دقيقة، والمحور الموالي ينهض بهذه المهمة.

٥-١- ضوابط إبستمولوجية للتوصيف اللغوي الكلي:

بعد النظر والتحليل، توصلنا إلى أن التوصيف اللغوي الكلي يتعين عليه أن يفي
بخمسة ضوابط إبستمولوجية عامة، وهي:

- **الضابط الأول:** أن يندرج التوصيف اللغوي الكلي ضمن مستوى لغوي كلي
واحد على الأقل.
- **الضابط الثاني:** أن يندرج التوصيف اللغوي الكلي ضمن بعد بنائي لغوي كلي
واحد على الأقل.
- **الضابط الثالث:** أن يندرج التوصيف اللغوي الكلي ضمن وظيفة لغوية كلية
واحدة على الأقل.

● **الضابط الرابع:** أن يعين التوصيف اللغوي الكلي على تفعيل سمة لغوية كلية واحدة على الأقل.

● **الضابط الخامس:** أن يتسم التوصيف اللغوي الكلي بكونه توصيفاً مكثفاً.

وطلباً للاختصار، سنقوم بصياغة مكثفة لكل ضابط، ثم نتبعه بعرض تفصيلي لأهم مقتضياته، مع بيان تموضع توصيفنا الشذري: "شجاعة العربية" في خطاطة هذه الضوابط، وذلك كما يلي:

١-٥-١- الضابط الأول الاندراج ضمن مستوى كلي واحد على الأقل:

تتخذ اللغة ثلاثة مستويات كلية، وبها تحقق وظائفها ضمن قوالب أدائية كلية وجزئية، وذلك كما يلي:

١- **اللغة الإنسانية،** بإطارها العام، وهي ظاهرة إنسانية تتسم بالتجاوز والمطلقية، وهي متعلقة بالإنسان الكلي، وذلك أن كل إنسان معقود بلسانه، أي أن له حتماً لغة يعكس عبرها هويته، ويبين بها عن أغراضه، ويفهم من خلالها الوجود ويعبر عنه.

٢- **اللغة القومية،** وهي لغة إنسانية يختص بها قوم بعينهم، كالعربية التي يختص بها العرب (والمسلمون في إطار الدين والحضارة)، والإنجليزية والإسبانية والصينية والهندية والتركية والروسية لأقوامها.

٣- **اللغة المحكية،** وهي الكلام، أي استخدام إنسان ينتمي للغة ما لذخائره اللغوية للتعبير عن شيء يروم التعبير عنه وفق قوالب لغته. وهذه اللغة المحكية تنقسم إلى قسمين:

أ. **لغة محكية صائبة،** وذلك حينما يكون الكلام متطابقاً مع قواعد اللغة المحكية ومعمارها.

ب. لغة محكية خاطئة، وذلك حينما يكون الكلام على غير قواعد اللغة المحكية، وقد يكون فيه إبانة عن المقصد وقد لا يكون، ويعود ذلك إلى عوامل عديدة. لعله من الواضح أن توصيفنا "شجاعة العربية" يقع ضمن المستوى الثاني، كما أنه يلامس المستوى الثالث أيضاً في بعده: المحكي الصائب من حيث التنظير، والخاطئ من حيث احتمالية وقوع الخطأ في الاستخدام الفعلي للغة العربية في سياق أو آخر.

١-٥-٢- الضابط الثاني الاندراج ضمن بعد بنائي كلي واحد على الأقل:

لغة ثلاثة أبعاد كلية، وهي:

١- اللغة في ذاتها، ويشير هذا البعد إلى البناء اللغوي الخالص من جهة معمارها الجواني، واللغة بهذا البعد لها وجودها (أنطولوجيتها) الخاص، بعيداً عن استخدامات الإنسان وأنساق المجتمع. وهذا البعد يهتم به علماء النحو والصرف، لكون النحو والصرف متعلقين باللغة الخالصة، من جهة بنائها المثالي وقواعدها المعيارية.

٢- اللغة في استخدامها، ويعكس هذا البعد البناء اللغوي لشخص بعينه أو جماعة بعينها، وليس للغة بهذا الاعتبار وجوداً عابراً ومتعالٍ، بل هو وجود محايث يشكّله هذا الشخص أو هاته الجماعة، عبر ما يتوسلون به من أساليب تخصصهم وتراكيب يعرفون بها. وهذا البعد يهتم به علماء البلاغة والأدب، لكون البلاغة والأدب معنيين بتشكيل قوالب تعبيرية ودراسة الديباجات الجمالية المميزة في التواصل اللغوي.

٣- اللغة في سياقها، ويجسد هذا البعد ما يعتري اللغة وهي تخوض غمار الحياة المتفجرة بينابيع الجديد وجداول الفريد، وهي تجهد في هذا المسير أن تلي متطلبات معمارها الجواني وتماسكها الداخلي من جهة، ومتطلبات تفعيلها

البراني وتداولها الخارجي من جهة ثانية. وهذا البعد يعنى به المختصون في السياسات اللغوية والتخطيط اللغوي.

وعند النظر في توصيفنا "شجاعة العربية"، ندرك بأنه يتموضع في كل الأبعاد الثلاثة السابقة، فهو جزء أصيل من العربية في ذاتها، كما أنه متعلق بكيفية استخدام العربية عبر جماعة معرفية أو مجتمعية ما، كما أنه يمت بصلة وثيقة للسياق التداولي للاستخدامات الفعلية للغة.

١-٥-٣- الضابط الثالث الاندراج ضمن وظيفة كلية واحدة على الأقل:

ثمة وظائف كلية عديدة للغة، بيد أنه يسعنا وضعها في ثلاث وظائف كبار، وهي:

١- **وظيفة التعبير**، حيث تقوم اللغة بنقل الأفكار والعواطف من طرف إلى آخر، سواء عبر الكلام الشفوي أو الكتابي.

٢- **وظيفة التأثير**، وذلك أن اللغة يراد منها أحياناً إحداث تأثير ما على طرف ما، وقد يكون ذلك عبر الكلام أو الإيماءة أو حتى الصمت المدروس!

٣- **وظيفة الانتماء**، حيث تلعب اللغة دوراً في إظهار الهوية والانتماء أو الولاء عبر استخدام لغة خاصة في قوالب تعبيرية معينة.

يحقق توصيفنا الشذري "شجاعة العربية" هذه الوظائف جميعاً، حيث إنه يقوم بوظيفة التعبير، ويحمل قدرات عالية على التأثير، ويمكن له أن يعزز وظيفة الانتماء أيضاً.

١-٥-٤- الضابط الرابع الإعانة على تفعيل سمة كلية واحدة على الأقل:

لغة سمات كلية عديدة، ولعلنا نكتفي بأهم ثلاث سمات تمت بصلة مباشرة أو شبه مباشرة بتوصيفنا الكلي في هذا البحث "شجاعة العربية".

١- أن يسهم التوصيف الكلي في تفعيل سمة البنائية، حيث تفرد الإنسان بالعقل والقدرات العضوية والبيولوجية التي تمكنه من استخدام التراكيب الصرفية والقوالب النحوية بكفاءة عالية. ويتضمن البناء اللغوي نظامين: أحدهما للأصوات والآخر للمعاني، ويمكن للإنسان استخدام هذين النظامين لإنتاج ما نهاية لها من التعبيرات والأشكال الإبداعية.

٢- أن يسهم التوصيف الكلي في تفعيل سمة التعبيرية، حيث تعبر اللغة بقالبي الحقيقة والمجاز، مما يشعّع الهوامش التي تتحرك بها هذه اللغة، وذلك أن المجاز من شأنه تجويد التفكير وتعميقه، فضلاً عن إيصال دلالات وتعبيرات دقيقة جداً يتعذر إيصالها بوسيلة غيره.

٣- أن يسهم التوصيف في تفعيل سمة الرقي في ثبوتها وتغيرها، حيث تتسم هذه اللغة بقدر من الثبات من جهة البناء والقواعد، مع اتصافها بقدرة تجديدية، تمكّن الإنسان من مواكبة التغيرات والمستجدات. وتختلف اللغات من جهتي الثبات والتغير.

وعند التدقيق نجد أن توصيفنا الشذري يفى بكل هذه السمات الكلية بدرجات عالية، فاللغة العربية تتسم بهكيل بنائي على قدر من الاكتمال والنضج والتعاضد والتنوع، حيث تتضمن اللغة العربية أدوات وتراكيب تعين الإنسان على التعبير عن أفكاره وتصوراتهِ ومشاعره مما ينتمي إلى عالم الوضوح، بجانب قدرته على التعبير عن عالم الغموض، حيث تمتلك هذه اللغة قوالب للتعبير الاستفهامي والاستشكالي والاستفساري حيال كل مجهول أو مبهم، بقوالب بليغة وأساليب فصيحة. وتعد اللغة العربية من أكثر اللغات الإنسانية ثباتاً بقالب معياري وتجديدي مدهش. ومن مسارب التغيير والتجديد في اللغة ما يعرف بالاقتراس اللغوي، ويحصل ذلك حينما يكون ثمة حاجة في المجتمع لكلمة غير موجودة في اللغة الأم، فيكون ثمة استدعاء أو اقتراض لهذه الكلمة من لغة أجنبية، كما يحصل في أسماء المخترعات والمنتجات الحديثة، على أنه يتعين علينا التنبيه إلى أن علماء

اللغة العربية وضعوا شروطاً للاقتراض اللغوي الصحيح، فليس كل كلمة أجنبية يجوز نقلها إلى العربية^(١). وبهذا تتصف اللغة بقدرتها على الاحتفاظ بكل القوالب التعبيرية التي استخدمها أو أحدثها المتحدثون بهذه اللغة في السنوات والقرون الماضية، مما يحيل اللغة إلى ذاكرة حضارية ممتدة ومتجددة في الوقت ذاته.

١-٥-٥- الضابط الخامس الاتسام بكونه توصيفاً مكثفاً:

الوصف أو التوصيف مشتق من مادة (و. ص. ف.)، ويشير التوصيف في دلالته اللغوية إلى: "تحديد جوانب الشيء ومعالمه بدقة شديدة" (معجم الرياض). قد لا يكون مفهوم "التوصيف المكثف" ضمن المفاهيم الشائعة في الأدبيات اللغوية، وهو ما يبرر لنا أو يوجب علينا التوسع بعض الشيء في استكناه بعده الدلالي وتموضعه الإبستمولوجي. وفق نظرية المعرفة أو الإبستمولوجيا الحديثة، الوصف هو أحد وظائف العلم، بجانب كل من: التفسير، والتنبؤ، والتحكم^(٢):

١- الوصف، حيث يتغيا العلم تجاوز عتبة الإدراك الحياتي أو الاعتيادي، ليصل إلى مرحلة توصيف حدوث الأشياء، عبر التعرف على العوامل الرئيسة في الظاهرة المبحوثة.

٢- التفسير، حيث يروم العلم الخلوص إلى علل حدوث الأشياء على هذا النحو أو ذاك، في ظل توصيف تفسيري تحليلي تجريدي تركيبي سياقي معمق.

٣- التنبؤ، حيث يستهدف العلم الوصول إلى مرحلة استشراف ما يمكن أن يحدث في المستقبل، عبر نهج يُفَعَّل فيه مفهوم السيناريوهات المحتملة، ومنهجيات قراءة المستقبل.

(١) انظر مثلاً: حدود الاقتراض اللغوي، عبد المنعم السيد أحمد جدامي، ط١، كنوز المعرفة، عمّان، ٢٠١٦.

(٢) البريدي، البحث النماذجي

٤- **التحكم**، من الممكن أن يتوخى العلم تمكين الإنسان من التحكم بظاهرة أو ظواهر معينة وفق غايات نبيلة سامية.

ويمكن القيام بأكثر من وظيفة في وقت واحد، ومن ذلك الجمع بين: التوصيف والتفسير في مهمة علمية واحدة. والتوصيف التفسيري للظواهر المختلفة يتوسل بتعبيرات أدبية فائقة، لا تحمل اللبس أو التعمية في مراميها ودلالاتها من جهة، مع كونها تعبيرات ملهمة للقارئ والمستفيد، بحيث يطبق الانفلات إلى ميادين تفسيرية أرحب من جهة ثانية، وهو ما يُعرف بمفهوم التوصيف المكثف Thick Description.

اقتُرض هذا المفهوم من حقل الأدب، وهو يشير إلى المعنى العميق الضمني في الواقع أو النص المركّب المبهم، الذي يصعب الوصول إليه أو الإحاطة به تمام الإحاطة، مما يُلجئ الباحث إلى التوسل بلغة ثرية إطارية ملهمة، بغية تمكين القارئ أو المستفيد من التوصيف التفسيري (=فرد أو مؤسسة) على استخلاص دلالات معمقة خفية، يفشل الإطار التفسيري التقليدي في عكسها بهيكل مباشر أو صريح أو واضح^(١). وبهذا، يكون التوصيف المكثف متجاوزاً للنموذج التفسيري دون أن يلغيه، ويتحداه دون أن يرفضه، ويعدله دون أن يقوضه. وهو ما يجعل التفسير مفتوحاً لا مغلقاً^(٢).

التوصيف المكثف يمكن إنجازه عبر أساليب متعددة، ومنها "التفكير بالمجاز"، وهو أسلوب ناجع للتعبير عن الأفكار العميقة بطريقة مبسطة ملهمة، وذلك أن المجاز يفتح كوة في جدار الوجود، وهذه سمة في اللغة، حيث تعد اللغة في رأيي مثقاباً لجدار الوجود، بما يتيح لنا معاينة الواقع أو الحقائق أو الوجود.

"المجاز" مأخوذ من فعل "جاز"، وجاز الشيء، أي: تعده، واللغة عموماً تحوي قالبين لغويين: قالباً حقيقياً (=مثال: خالد عالم)، وقالباً مجازياً (=مثال: خالد بحر)،

(١) البريدي، البحث النماذجي.

(٢) موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية - نموذج تفسيري جديد، عبدالوهاب المسيري، ط١، الشروق: القاهرة، ١٩٩٩.

ويحدث القالب المجازي حينما يُستخدم اللفظ لأداء معنى آخر (=غير الأصلي)، بشرط وجود قرينة تثبت هذا المعنى في السياق التداولي. والمجاز في حقيقته هو جزء من الإدراك والتفكير الإنساني والتفسير ونسيج الخطاب، ولا يمكن الوصول إلى: المعاني العميقة أو الجديدة في كثير من الحالات دون إدراك العلاقات الكامنة وتضميناتها الخفية عبر "لعبة المجاز". وكل رؤية كلية تتضمن صورة مجازية ما في قالب كامن غالباً، وهي تعكس البعد المعرفي الكامن في النموذج، وعينا ذلك أو لم نعه. ويمكن تفعيل مفهوم الوصف المجازي في دراسة الظواهر المعقدة المركبة المبهمة، عبر العديد من المسارات، ومن ذلك: مسارات تابع الصور المجازية وتنايلها وتحولاتها في حضارة أو لغة ما.

دعونا نطبق الأسلوب الوصفي المجازي على مفهوم مركب أو معقد أو غير واضح أو غير مكتمل، وليكن تطبيقنا على: مفهوم "اللغة"، فهو مفهوم مكتنز ومركب ومعقد وغامض أيضاً من وجوه عديدة. هنا، يمكننا مثلاً انتزاع صفة ما للإنسان، وخلعها على "اللغة"، لنقل مثلاً: "لغة درداء". ولتوضيح هذه الصورة المجازية يمكن القول^(١):

— درداء مؤنث أدرد. أدرد ودرد: من سقطت أسنانه وتحاتت أو تكسرت إلى أصولها، لكبر سنه عادة.

— وفي هذا التعبير إشارة مجازية، بأن اللغة قد تكون:

- ممن لا يُطعم ذاته، فنقوم نحن بإطعام اللغة والاعتناء بها وإنمائها.
- ممن تقدم بهم السن، فلا تصلح اللغة من ثم لإقحامها في سباق اللغات الحيوية النشطة.
- ممن قد يصلح حاله، إذا رُكب لها أسنانٌ، فقد تحتاج اللغة إلى أسنان كي تتجمل أو تدافع بها عن نفسها.
- وهكذا من هذه الدلالات التي تُمطرنا بها الصور المجازية الغنية عبر توصيفات مكثفة ملهمة.

(١) البريدي، البحث النماذجي.

ولنا أن نجرب هذا الأسلوب التوصيفي المكثف عبر التطبيق على هذه الصور المجازية:

- لغة شجاعة (شجاعة العربية).
- لغة جبانة.
- لغة كسول.
- لغة نشطة.
- لغة نزقة.
- لغة مرحة.
- لغة صموت.
- لغة مهذار.
- لغة تتلمظ.
- لغة تستيقظ باكراً.

٢- إطار تطبيقي تثيري:

بعد تحديد ضوابط التوصيف اللغوي الكلي المكثف، وتأكيدنا من انطباق هذه الضوابط بدرجة عالية على مفهومنا الشذري، نسعى في هذا الجزء إلى تغذية البعد التطبيقي التثيري لهذا التوصيف في سياقين متكاملين: السياق البحثي والسياق التعليمي. ومثل هذا التثمين يفتقر إلى مقارنة ناجعة ملائمة، ولعل "مقارنة مستويات نظام اللغة" هي الأنسب والأفيد لتحصيل ثمرات عملية في هذين السياقين. من المعلوم أن نظام اللغة تنتظم عدة مستويات، وقد أشبعت بحثاً من نواح بحثية عديدة، وثمة آراء بخصوص عددها أو مسميات بعضها^(١)، غير أن هذا لا يدخل في نطاق بحثنا،

(١) انظر مثلاً: العربية وعلم اللغة الحديث، محمد داود، ط١، دار غريب، القاهرة، ٢٠٠١، ص ١٠٢-١٠٨؛ علم اللغة العام، محمد حماد، ط١، أشبيلية، الرياض، ٢٠٠٣، ص ١٦٥-١٨٩.

مما يجعلنا نطرح مقاربتنا بناء على خمسة من هذه المستويات، وهي: المستوى الدلالي (المعجمي)، المستوى التصويري (البلاغي)، المستوى الصرفي، المستوى النحوي، المستوى الصوتي، على أننا سنرتبها وفق ما نظنه مُيسِّراً لفهم المقاربة وانتظامها وتثميرها.

١-٢- المستوى الدلالي (المعجمي):

١-١-٢- تحليل دلالي:

الكلمة المفتاحية في مفهومنا الشذري إنما هي "الشجاعة"، وهو ما يجعلنا ندير رعى تحليلنا على حباتها الذهبية، فلننظر بم نخرج من ذلك التحليل. وجود علينا المعجم العربي بدلالات متنوعة لمفردة شجاع وشجاعة، كما يفيض بدلالات متنوعة لأضدادها، سواء أكانت هذه وتلك من الدلالات المباشرة للمفردة أو من مقتضياتها بطريقة أو بآخرى، ومنها:

١-١-٢-١- بعض دلالات مفردة شجاع:

مُقَدَّام، مِغْوَار، جَرِي، جَسُور، بَاسِل، أَشْوَوس، ثَابِت، حَازِم، جَلْد، شَدِيد، صَارِم، صَلْب، بَطْل، صَنِيد، فَاتِك، قَتَاك، قَوِي، مَتِين، مُغَامِر، هَمَام، وَارِد، أَلَيْث، رَابِط، الْجَاش، سَرِيع.

١-١-٢-٢- بعض دلالات مفردة شجاعة:

إِقْدَام، اِنْدِفَاع، بَاس، بَسَالَة، بُطُولَة، قُدْرَة، قُوَّة، ثَبَات، حَزْم، أَنْفَة، حَمِيَّة، رُجُولَة، شَكِيمَة، نَحْوَة، مُرْوَة، نَجَادَة، تَحْمُس، جَاش، جَرَاءَة، جَسَارَة، شِدَّة، صَرَامَة، صَوْلَة، فَتَك، سَرْعَة.

١-١-٢-٣- بعض أضداد مفردة شجاعة:

جُبْن، ارتِعَاد، انْهْزَام، خَوْف، رَهْبَة، تَهْيُّب، خَوْر، ضَعْف، هَلَع، إِحْجَام، نُكُوص، تَرَاْجُع، تَرَدُّد، تَقَهُّقْر، تَكَاسُل، تَوَانٍ، تَقَاعُس.

٢-١-٢- تمير دلالي:

١-٢-١-٢- تمير دلالي في المسار البحثي:

الدلالات السابقة تجعلنا نصف اللغة العربية بصفات عديدة، ومنها: لغة شجاعة، مقدامة، جسورة، صلبة، رابطة الجأش، سريعة، ذات نخوة، ذات مروءة، ونحو ذلك. والشجاعة كما هو معلوم فضيلة بين رذيلتي: التهور والجبن، وهذا يعني أن العربية تتوسط في هذا النهج، فلا هي بالمتهورة ولا هي بالجبانة، ولا شك أن الوسطية محمودة في كل حال. ومن التتمير البحثي السعي لتثوير مثل هذه الدلالات، عبر أبحاث علمية تنغيا الوقوف عند دلالة أو أخرى واستكناه مراميها وأسرارها ونقاط قوتها وضعفها ووظائفها اللغوية، واستخلاص معايير موضوعية لتقييم الأداء اللغوي التعبيري أو التواصلية؛ والذي ربما يقودنا في أبحاث تالية إلى الوصول إلى معايير موضوعية عالمية، نحكم بها على اللغات المختلفة لتقييم كل لغة، ونصل إلى نتائج متماسكة حيال مسألة تفاضل اللغات ومدى صلاحيتها في مجال أو آخر.

٢-٢-١-٢- تمير دلالي في المسار التعليمي

من مسار التتمير التعليمي بناء أنشطة تعليمية قائمة على تثوير الدلالات المعجمية السابقة بطريقة لا تفعل المكون التعليمي اللغوي فقط، بل المكون التعليمي التفكيرية أيضاً، وذلك عبر تشغيل مهارات ما وراء اللغة وما وراء التفكير، ولنطرح مثلاً على ذلك. يمكن بناء نشاط تعليمي يقوم على فكرة إجراء مقارنة دلالية بين: "لغة شجاعة" و "لغة جبانة"، أو بين "لغة بأسلة" و "لغة مرتعدة"، مع محاولة طلب أمثلة تطبيقية ونحو ذلك في مستويات مختلفة، ويمكن التحكم في مستوى العمق عبر "زادة تربوية"؛ تراعي المرحلة التعليمية وفق ما هو مقرر في علم التربية وتصميم المناهج.

٢-٢- المستوى التصوري (البلاغي):

٢-٢-١- تحليل بلاغي:

توصيفنا الشذري "شجاعة العربية" توصيف بلاغي ملهم، ونظراً لرحابة البلاغة وشساعتها، فإننا نتوفر على خيارات تحليلية بلاغية مذهلة تقوم على تفعيل علوم البلاغة الثلاثة، ولعلنا نكتفي باستدراك بعض من هذه الرحابة عبر التذكير بتعريف السكاكي، رحمه الله، لعلوم البلاغة وما تنطوي عليه من إلهامات حيال التحليل البلاغي لتوصيفنا الشذري: (١) **فعلم المعاني** هو "تتبع خواص تراكيب الكلام في الإفادة وما يتصل بها من الاستحسان وغيره ليحترز بالوقوف عليها عن الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره... وأعني بخاصية التركيب ما يسبق منه على الفهم عند سماع ذلك التركيب جاريًا مجرى اللازم له لكونه صادرًا عن البليغ لا لنفس ذلك التركيب من حيث هو أو لازماً له هو وحيداً وأعني بالفهم فهم ذي الفطرة السليمة مثل ما يسبق على فهمك من تركيب إن منطلق إذا سمعته عن العارف بصياغة الكلام من أن يكون مقصوداً به نفي الشك أو رد لإنكار أو من تركيب زيد منطلق من أنه يلزم مجرد القصد على الإخبار أو من نحو منطلق بترك المسند إليه من أنه يلزم أن يكون المطلوب به وجه الاختصار مع إفادة لطيفة مما يلوح بها مقامها وكذا إذا لفظ بالمسند إليه وهكذا إذا عرف أو نكر أو قيد أو أطلق أو قدم أو أخر على ما يطلعك على جميع ذلك شيئاً فشيئاً مساق الكلام" (٢) **وعلم البيان**، هو "معرفة إيراد المعنى الواحد في طرق مختلفة بالزيادة في وضوح الدلالة عليه وبالنقصان ليحترز بالوقوف على ذلك عن الخطأ في مطابقة الكلام لتمام المراد منه وفيما ذكرنا ما ينبه على الواقف على تمام مراد الحكيم تعالى وتقدس من كلامه مفتقر على هذين العلمين كل الافتقار فالويل كل الويل لمن تعاطى التفسير وهو فيهما راجل" (٣) **وعلم البديع** هو "وجوه مخصوصة كثيراً ما يصار إليها لقصد تحسين الكلام" (٤).

(١) مفتاح العلوم، يوسف السكاكي، تحقيق: نعيم زرزور، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧، ص ١٦١-١٦٢، ٤٢٣.

70

الدلالات وكيف سيطبقها، وتحديد الدروس التعليمية المستفادة، وهكذا. وهذا النهج التعليمي مندرج ضمن ما أسميناه بـ المدخل الانبنائي، حيث يعلي من شأن الذائقة اللغوية، وفي هذا تجديد للتعليم اللغوي عبر استدماج أنشطة تفيض حيوية وتفكيراً وتذوقاً، وسيفيد منه الأستاذ والطالب، ويرتجي تعليم ذاك أن تنمو الحصائل التعليمية، وتغدو المادة اللغوية محببة لنفوس المتعلمين، وبإله من مغنم عظيم.

٢-٣- المستوى النحوي:

٢-٣-١- تحليل نحوي:

في النحورحابة ترفع من سقف تحليلنا لتوصيفنا الشذري "شجاعة العربية"، وذلك نابح من غناء التحليل النحوي واشتماله على كل مغذيات هذه الشجاعة من: حرف واسم وفعل، وقيامه على مرتكزات بنيوية من قبيل: تحديد نوع الجملة اسمية أم فعلية، وتحديد نوع الفعل تعدياً أم لزوماً، وتحديد نوع الاسم علماً أم مصدراً، وتحديد نوع الحرف عاملاً أم مهملاً، فضلاً عن النظر في الأساليب المتنوعة كالإثبات والنفي والمدح والذم، والإغراء والتحذير، والنداء، والاستثناء، والتعجب، والتفضيل. ويتسع التحليل النحوي بتحريك قدرات النحو الهائلة في استكناه الطاقات الإبداعية للنص النثري والنص الشعري وغير ذلك كثير.

٢-٣-٢- تثير نحوي:

٢-٣-١- تثير بلاغي في المسار البحثي:

من الممكن تصور مسارات تثيرية نحوية عديدة في المساق البحثي، ومن ذلك على سبيل المثال، تحديد أثر تفعيل شجاعة العربية على البنية النحوية التداولية، في محاولة لاستكشاف أي القوالب النحوية أكثر استعمالاً في المشافهة والكتابة من جهة النحو التحويلي التوليدي، ويمكن إجراء أبحاث حول أثر هذا التفعيل على البنية النحوية الشعرية على وجه التحديد، وكأننا نقرب من روح فكرة سيبويه من أن الشعر

يحتمل ما لا يحتمل غيره، ويدخل في ذلك صور الإبداع الشعري الماتحة من تراكيب نحوية مشتقة من شجاعة العربية، كما يدخل في ذلك أيضاً مبحث الضرورة الشعرية ونحو ذلك. ولعل من الجوانب البحثية الجديدة بالاهتمام أيضاً ما عساه يترتب على شجاعة العربية في مسارب الحجاج والبرهنة.

٢-٣-٢- تثمير بلاغي في المسار التعليمي:

لعل من الصور البارزة في المسار التثميري النحوي ما يتعلق بخاصية الإعراب، حيث يمكن عقد أنشطة تعليمية تقوم على إعراب جمل متغايرة من جهة التراكيب والأساليب النحوية ومن جهة المعنى، في محاولة لتبين فهم تأثير فكرة شجاعة العربية على النحو والإعراب وعلم المعاني والبيان، في سياق تعليمي تكاملي.

٢-٤-١- المستوى الصرفي:

٢-٤-١- تحليل صرفي:

الصرف معنيٌ بـ "الكلمة - في - ذاتها"، أي الكلمة وهي عارية من الجملة أو السياق، فكأنه بذلك يقدم لنا "الجزئي" بغية فهم "الكلي"، وتصور الجزئي أيسر وربما أسبق من تصور الكلي. والصرف هو ميزان اللغة ومقياسها الدقيق، ولذا فلا غنية للغة عن ميزان يضبط مقاديرها وتراكيبها، ونعرف بالصرف أصل الكلمة وزوائدها، فضلاً عن كونه يمثل المادة الخام للطاقة التوليدية الاشتقاقية للغة، فالصرف مأخوذ من التغيير والتحويل من وزن إلى آخر، كيف لا وابن جني يقرر بأن الصرف هو: أن تجيء إلى الكلمة الواحدة فتصرفها على وجوه شتى^(١)، وكل وزن له معانٍ محددة، وتعظم الفائدة من الصرف إذا كنا إزاء لغة يطرد نظام صرفها بدقة مذهلة، مع ثرائه واغتنائه بأوزان أصيلة ومتجددة في الوقت ذاته وفق معيارية مرنة صلبة كاللغة العربية.

(١) المنصف، شرح كتاب التصريف لأبي عثمان المازني، أبو الفتح عثمان ابن جني، ط١، دار إحياء التراث القديم، مج ١، ١٩٥٤، ص ٣.

٢-٤-٢- تثمير صرفي:

٢-٤-٢-١- تثمير بلاغي في المسار البحثي:

من أضرب التثمير البلاغي في مسلك البحث تفعيل فكرة "مقتضى الظاهر" وحالات الخروج إلى "مقتضى الحال"، عند تثوير مسارات شجاعة العربية من الحذف والزيادة، والتقديم والتأخير، والتحريف، والحمل على المعنى ونحوها، إذ يمكن على سبيل المثال تلمس الأساليب اللغوية في تلك المسارات التي تقتضي "أثر الظاهر"، وتلك التي تتبين "مقتضى الحال"، والتعرف على الأسباب التي تدعو إلى هذا وذاك.

٢-٤-٢-٢- تثمير بلاغي في المسار التعليمي:

تتسم الأنشطة التعليمية في مساق البلاغة بالثراء والسعة والتنوع، إذ يسعنا تكوين أنشطة تعليمية تقوم على تفعيل مهارات ما وراء اللغة وما وراء التفكير، ومن ذلك مثلاً، النظر في دلالات "شجاعة العربية"، في محاولة لاستحلاب الصفات اللغوية للعربية التي تترتب على صفة كونها لغة شجاعة، كأن نقول: "كرم العربية" أو "جود العربية"، فالأصل أن يكون الشجاع كريماً، وكيف لا يكون وقد جاد بروحه وماله ووقته وعمله، وفي هذا يقول الذهبي: "الشجاعة والسخاء أخوان، فمن لم يجد بماله فلن يجد بنفسه"^(١)، ونحن يسعنا أن نقول: من لم يجد بلفظه فلن يجد بمعناه. ولنضرب على ذلك مثلاً: "إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ"، تعقلون ماذا؟ شجاعة العربية بحذف المتعلق، تقود إلى جود العربية، وذلك أن الحذف هنا يجود علينا بتعميم المعقولات المتحصلة من تعقل الكتاب العزيز. كما أن الحذف يجود علينا بمعنى أو صفة أخرى للعربية، وهي الاحترام، إذ إنها تحترم المقابل الذكي أو الفطن، فلا تغرقه بتفاصيل لا حاجة له، أي أننا إزاء: سمو العربية، أو نبيل العربية أو فطنة العربية. كما أن مبحث الحذف يوقفنا

(١) سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي، ط ٣، الرسالة، بيروت، ١٩٨٥، مج ١٠، ص ٢٥٦.

على صفة ثالثة للعربية، وهي الاقتصاد والتدبير، وثمة مصطلح معاصر "الاقتصاد اللغوي"، والعربية أجدر به، وبخاصة أنه يمكن ربطه بقليل من التفكير التركيبي بصفه سابقة وهي الكرم، إذ قد تمارس العربية الترشيح في اللفظ والكرم في المعنى، فيالها من لغة كريمة فطنة حصيفة!

٢-٥-٥- المستوى الصوتي:

٢-٥-٥-١- تحليل صوتي:

اللغة قبل أن تكون - أو مع كونها رموزاً - هي أصوات يعبر بها قوم عن أغراضهم كما في تعريف ابن جني، وقد تفقد الرموز معناها في اللغة الأجنبية التي لا يتقنها السامع، بيد أن الصوت يبقى مع ذلك، فهو من الرواسب العنيدة في البناء اللغوي، حيث تغدو اللغة الأجنبية صوتاً لا تتبين معناه. وقد اهتم علماء اللغة في البناء الصوتي وطور علماء اللسانيات الحديثة مفاهيم عديدة لتحليل هذا البناء والخروج بنتائج ذات قيمة تفسيرية وتعليمية عالية. ومن ملامح أهمية البناء الصوتي في تراثنا أن عدد علماء التلاؤم الصوتي في القرآن الكريم وجهاً من وجوه الإعجاز اللغوي "بمعنى أن من له حس يدرك به جلال الصوت، إذا سمع القرآن وهو لا يفهم شيئاً من العربية، أدرك أن هذا الذي يسمعه خارق للعادة، وقاطع للأطماع، وقاهر للقوى والقدر"^(١).

٢-٥-٥-٢- تمييز صوتي:

٢-٥-٥-٢-١- تمييز صوتي في المسار البحثي:

لعل من المسارات البحثية في مجال "صوتيات شجاعة العربية"، التنقيب التفصيلي في ما بحثه علمائنا من مسائل ذات علاقة بالصوت من جهة الفصاحة والبلاغة، وهي مسائل متواشجة، ويصعب الإتيان عليها، ولعله تكفي الإشارة إلى ما يتصل بفصاحة

(١) أبو موسى، المسكوت عنه في التراث البلاغي، ص ١٠٢.

الكلمة وفصاحة الكلام، حيث يتوجب أن تكون الكلمة غير متنافرة الحروف من جراء تقارب مخارجها، بأن تكون "لينة سهلة النطق، تتجاور أصواتها تجاوراً ليناً هادئاً مُلساً، وأن تكون مألوفة جرت على الألسنة .. وأن تكون واردة على قواعد تصريف الكلمات .." ^(١)، وهنا ينبه محمد أبو موسى إلى مسألة لطيفة، حيث يقول قد يكون ثمة "كلمات ثقيلة على اللسان، ولكن ثقلها من أهم مظاهر فصاحتها، من حيث إن هذا الثقل يصور معناها بحق. انظر كلمة اثاقلتم في قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَثَاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ ۚ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَّعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ ^(٢).

ويدخل في هذا المسار البحثي، تلمس قوالب التناغم الصوتي في النصوص العالية، التي شهدت باحاتها شجاعة لغوية فذة، من هذا الشاعر أو الأديب أو الروائي أو الكاتب أو العالم، مع محاولة تصنيف هذه القوالب، بحيث نظفر بحالات اقتران الإقدام اللغوي بالترنيم اللغوي أو التطريب اللغوي. تخيلوا: لغة شجاعة وطرية.

٢-٥-٢-٢- تثمير صوتي في المسار التعليمي:

الأنشطة التعليمية في هذا المسار يمكن أن تتخذ عدة مسارب، فمن ذلك، تعريض المتعلم لصياغات لغوية تتسم بالشجاعة اللغوية، وانطواء بعضها على عذوبة صوتية وخلو بعضها الآخر منها، بما ينمي ذائقة المتعلم، ويرفع من حساسيته الجمالية، فيتذوق ما يروع وما يروق، ويمج ما ينبو وما يقبح من الأصوات المتناشزة في جرسها وسيلانها على اللسان، أو ما وصفناه بالترنيم أو التطريب اللغوي.

(١) خصائص التراكيب، محمد محمد أبو موسى، ط١١، وهبة، القاهرة، ٢٠٢٢، ص ص ١٠٩-١١٠.

(٢) أبو موسى، خصائص التراكيب، ص ١١٢.

خاتمة وتوصيات:

قدم هذا البحث إضاءات صغيرة حول جانب محدود من التوصيف العبقري الشذري "شجاعة العربية" لابن جني، وكان ذلك في مباحث جهدت لبسورة تكييف إبستمولوجي معاصر للتوصيف اللغوي الكلي، شاملاً لبسورة خمسة ضوابط لهذا التوصيف لكي يكون مقبولاً إبستمولوجياً، مع استفراغ الوسع في تقديم إطار تطبيقي تثيري وفق مقارنة مستويات النظام اللغوي: المعجمي، والصرفي، والنحوي، والبلاغي، والصوتي؛ مع التماس سبل للتثمين في مجالي البحث والتعليم. ولعل في هذه الإضاءات ما ينير بعض الزوايا المغفول عنها في هذا التوصيف الشذري، وفي أمثاله مما هو في مطاوي النصوص اللغوية التراثية العالية.

ولعله من المفيد وضع باقة مكثفة من التوصيات البحثية والتطبيقية، ولنجعلها في ست توصيات كبار:

١- لضمان استدامة فكرة مراكمة المعرفة وتثمينها وتقديم تجربة بحثية تطبيقية، يقترح تأسيس مجموعة بحثية بشجاعة العربية، تعنى بمتابعة الأبحاث حولها ودعمها وتسديدها، والسعي لتحديد مسارات بحثية دقيقة، محددة المدخلات معلومة المخرجات، بحيث تفضي إلى ثمرات عملية ملموسة في جانبي البحث والتعليم والإبداع والحوسبة والتنمية.

٢- تأسيس مجلة علمية محكمة تعنى بالتوصيف اللغوي الكلي ومنه شجاعة العربية، ويمكن أن تكون دولية بحيث تهئ للمراكمة لأن تحدث في سياق المستوى اللغوي الإنساني، وسيكون لمجموعة شجاعة العربية البحثية دور في التأسيس والتشغيل لهذه المجلة.

٣- إدراج فكرة شجاعة العربية في المناهج التعليمية، مع تجلية جوهر الفكرة، وتغذيتها بأمثلة تطبيقية تلائم كل مرحلة تعليمية، على أن تُصاغ هذه الفكرة



وأمثلتها وتطبيقاتها بما يقوي الذائقة اللغوية لدى المتعلم (الانبناء اللغوي)، في سياق يُصمَّم بطريقة تتكامل فيها المعارف والمهارات اللغوية: البلاغية والصرفية والنحوية والأدبية.

٤- تأسيس برامج تدريبية لغوية تقوم على فكرة شجاعة العربية، مع الاستفادة من مدخل تعلم اللغة بتذوقها وما تضمنه من أساليب وطرائق للتعليم والتفهم وبناء الذائقة اللغوية والحس الجمالي في التعاطي مع اللغة، قراءة واستخداماً وتداولاً.

٥- تعميق نتائج البحث الحالي، وتطويرها في مسارات بحثية متنوعة دقيقة، ومن ذلك استخلاص معايير موضوعية تفيد في مجال تقييم اللغات ومسألة تفاضل اللغات، والقيام بمغامرات بحثية جادة في هذا الخصوص لتكون نواة في هذا المسار البحثي الواعد.

٦- البحث عن توصيفات لغوية تراثية كلية أخرى للغة العربية لابن جني ولغيره من العلماء الرصان الأفذاذ، ومحاولة تطبيق الإطار المفاهيمي والتحليلي والتطبيقي المقدم في هذا البحث، مع السعي لتسديد هذا الإطار وإنضاجه وإكماله، فالمعرفة مارثون متعدد المراحل.



المصادر والمراجع

- ابن جني اللغوي، عبدالغفار هلال، رسالة دكتوراه، مخطوطة بمكتبة كلية اللغة العربية بالقاهرة، ١٩٧١.
- ابن جني ناقداً، مصطفى السواحلي، ط١، دار الآفاق العربية، القاهرة، ٢٠١٥.
- إعادة إنتاج الهوية أحمد حيدر، ط١، دار الحصاد للنشر والتوزيع، دمشق، ١٩٩٧.
- انظر مثلاً: ابن جني النحوي، فاضل السامرائي، ط١، دار النذير، بغداد، ١٩٦٩.
- البحث النماذجي - منهجية علمية لبناء النماذج التفسيرية، عبدالله البريدي، ط٢، أدب، الرياض، ٢٠٢٥.
- تعلم اللغة بتذوقها - من البناء إلى الانبناء اللغوي، عبدالله البريدي، معاذ الدخيّل، ط١، أدب، الرياض، ٢٠٢٣.
- حدود الاقتراض اللغوي، عبد المنعم السيد أحمد جدامي، ط١، كنوز المعرفة، عمّان، ٢٠١٦.
- خصائص التراكيب، محمد محمد أبو موسى، ط١١، وهبة، القاهرة، ٢٠٢٢.
- الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني، تحقيق: محمد النجار، ط١، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٥٢.
- دراسات في فقه اللغة، صبحي الصالح، ط ١٨، دار العلم للملايين، بيروت، ٢٠٠٧.
- دلائل الإعجاز، عبدالقاهر الجرجاني، تحقيق: محمود شاكر، ط ٣، المدني، القاهرة، ١٩٩٢.
- سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي، ط ٣، الرسالة، بيروت، ١٩٨٥.
- شرح كتاب سيبويه، أبو سعيد السيرافي، ط ٢، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ٢٠٠٨.

الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، أحمد ابن فارس، ط١،
دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧.

العرب والانتحار اللغوي، عبدالسلام المسدي، ط١، دار الكتاب الجديد المتحدة،
بيروت، ٢٠١١.

العربية وعلم اللغة الحديث، محمد داود، ط١، دار غريب، القاهرة، ٢٠٠١.

علم اللغة العام، محمد حماد، ط١، اشبيليا، الرياض، ٢٠٠٣.

علم المصطلح، علي القاسمي، ط١، بيروت: مكتبة لبنان، ٢٠٠٨.

الفصحى ونظرية الفكر العامي، مرزوق ابن تنباك، ط١، جامعة الملك سعود، مركز
البحوث بكلية الآداب، الرياض، ١٩٨٦.

في الأسباب والآثار لاغتراب العلاقة بين المجتمع ولغته، محمود الذواودي، مجلس النشر
العلمي، مجلة العلوم الاجتماعية، الكويت، مج ٣٣ (١)، ٢٠٠٥، ص ٥٥-٨٣.

كتاب سيبويه، سيبويه عمرو بن عثمان بن قنبر، تحقيق: عبد السلام هارون، ط١، دار
الجيل، بيروت، ١٩٩٧.

اللسان العربي، تاريخاً وأسراراً، محمد الجلاي، ط١، صامد، صفاقس، ٢٠١٦.

اللغة هوية ناطقة، عبدالله البريدي، ط١، الرياض: المجلة العربية، ٢٠١٣.

اللغة والمجاز - بين التوحيد ووحدة الوجود، عبدالوهاب المسيري، ط٢، الشروق،
القاهرة، ٢٠٠٦.

ماذا يخسر العالم إذا رطن بالإنجليزية؟، عبدالله البريدي، الرياض: مجمع الملك سلمان
العالمي للغة العربية، مؤتمر اللغة العربية في المنظمات الدولية، ٦-٧ ديسمبر،
٢٠٢٢.

- المسكوت عنه في التراث البلاغي، محمد محمد أبو موسى، ط٢، وهبة، القاهرة، ٢٠١٩.
- مفتاح العلوم، يوسف السكاكي، تحقيق: نعيم زرزور، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧.
- المنصف، شرح كتاب التصريف لأبي عثمان المازني، أبو الفتح عثمان ابن جني، ط١، دار إحياء التراث القديم، مج ١، ١٩٥٤، ص ٣.
- موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية - نموذج تفسيري جديد، عبد الوهاب المسيري، ط١، الشروق: القاهرة، ١٩٩٩.
- هل بعض اللغات أفضل من بعض؟، روبرت ديسكون، ترجمة: حمزة المزييني، ط١، كنوز المعرفة، عمان، ٢٠١٨.

شجاعة العربية أو شجاعة نحوها: مفهوم النقل نموذجاً

أ.د. عز الدين محمد أحمد المجدوب
أستاذ اللسانيات بالجامعة التونسية

كان ابن جني محباً للعربية شغوفاً بها مقتنعاً بفضلها على غيرها من الألسنة^(١) ومؤمناً بكونها لغة شريفة متلمساً لوجوه الحكمة فيها. وذهب به حبُّه لها إلى القول إن الحكمة التي استودعها الله في هذه الحكمة وجه من وجوه حكمة الناطقين بها بل رأى أن العرب أرادت من العلل ما أراد^(٢). ويمكن أن ننزل باب شجاعة العربية ضمن هذا المنزع التمجيدي للسان العربي ويردُّ عليه أن هذه البحوث لم تعد ذات فائدة في عصرنا بعد ظهور علم اللسانيات والفصل بين المنحى المعياري للأنحاء القديمة والمنهج الوصفي الموضوعي للسانيات.

نحن لا ننكر هذه النزعة التمجيديّة المعيارية عند ابن جني وغيره من النحاة ولكننا نقول إن العبرة بوصف العرب للسانهم وأن هذه النزعة التمجيديّة تكون موجّبة لاطراح كتب النحو القديم لو كان لها أثر سلبي على قواعدهم والأصول التي سلّموا بها. وهو ما فندناه في عمل سابق^(٣) حيث بينا ملاءمة وصف العرب للسانهم بالاعتماد على نظرية العلامة اللغوية السوسيرية مثلما طورها تروباتسكوي وهيلمليف.

(١) الخصائص، ابن جني، تحقيق: محمد علي النجار، ط ٣، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٦، ١.

(٢) المرجع نفسه، ٢٣٨/١-٢٥٢.

(٣) المنوال النحوي العربي: قراءة لسانية جديدة، المجدوب، عز الدين، ط ٢، دار التنوير للطباعة والنشر، لبنان، مصر، تونس،

وبناء عليه نرى أن نحص مضمون ما أدرجه ابن جني ضمن باب شجاعة العربية فإن كان من باب المنافحة عن العربية وتمجيدها أعرضنا عنه. وإن كان بحثاً في قواعد العربية ومبادئ وصفها احتفظنا به وأخضعناه لما تعتمده النظريات اللسانية.

يتضح من الرجوع لباب شجاعة العربية في الخصائص أن الباب مخصص لقواعد وصف العربية فمجل الفصل في ردّ الفروع إلى الأصول وإرجاع ما يبدو شاذاً إلى القياس بالحذف والزيادة والتقديم والتأخير وما يؤخذ فيه بالمعنى أكثر مما يؤخذ فيه بظاهر اللفظ. وهي كلها تتعلق بطرق وصف العربية وصياغة قواعدها بل هي آليات عمل لا يخلو منها نحو لسان سواء كان من الأنحاء القديمة أو من المناويل اللسانية الجديدة. وقد سميناهما حيل بناء المنوال لتحقيق مطمح كلّ نظرية علمية في صياغة مناويل أو نماذج (model) تتسم بعدم التناقض وشمول أكبر قدر ممكن من المعطيات وبساطة الصياغة^(١). لذلك يجوز لنا القول إن أوجه الحكمة التي وجدها ابن جني في الباب المذكور هي وصف لقوة الجهاز التفسيري للعربية وتماسك نحوها. وبناء عليه فإننا نوّّل شجاعة العربية بشجاعة النحو العربي ومتانة أسسه. لقد سبق أن بينّا فائدة آليات الوصف هذه وزادها دعماً باحثون آخرون^(٢) مما أغنى عن إعادته لذلك رأينا من المفيد أن نركّز على أصل منهجي آخر قال به النحاة وجعله مؤسس نظرية التعلق لوسيان تانيار (Tesnière Lucien) مكوّناً أساسياً من نظريته وهو مفهوم النقل.

نبدأ بالتعريف بمصطلح النقل عند تانيار ووجوه الاتفاق والاختلاف بينه وبين التراث النحوي العربي ثم ننظر في آفاق الاستفادة منه في تجويد وصف العربية.

(١) مفاهيم دلالية ولسانية لوصف العربية، المجدوب، عز الدين، جامعة القصيم، بريدة، ١٤٤٠هـ، ١٦.

(٢) النحو العربي والدرس الحديث، الراجحي، عبده، دار النهضة العربية، بيروت - لبنان، ١٩٧٩م.

١- نظرية النقل ضمن نظرية التعلق لتانيار:

أشرنا في أعمال سابقة^(١) تناولنا فيها نظرية من المعنى إلى النص لإيغور ملتشوك (Mel'čuk Igor) قرب هذه النظرية من النحو العربي وركزنا فيها على مبادئ العمل النحوي. ولئن أشرنا إلى جذور نظرية من المعنى إلى النص وروافدها المختلفة ومنها لوسيان تانيار^(٢) فإننا لم نفصل القول في مآثر هذا الرائد ولما كنّا نركّز اليوم على مفهوم خاص بتانيار لم يعتمد في نظرية من المعنى إلى النص فقد صار لزاماً علينا التركيز على نظرية تانيار لذاتها لحسن عرض هذا المفهوم الذي نعتمده ونبدأ بعرض موجز لسيرة الرجل ومراحل تطوّر نظريته.

١-١- سيرة تانيار ومراحل تطور نظريته:

ولد لوسيان تانيار في مقاطعة النورماندي في إحدى ضواحي مدينة روان (Rouen) سنة ١٨٩٣ وتوفي سنة ١٩٥٤ عن سن إحدى وستين سنة. حصل على الثانوية العامة في السابعة عشرة من عمره في اختصاص الآداب الكلاسيكية التي كانت تدرّس اللاتينية والإغريقية إلى جانب الفرنسية. نشأ في عائلة ميسورة هيأت له كلّ الفرص لتنمية شغفه الفطري بتعلّم اللغات الأجنبية وحذقها والتكلّم بها. كانت مربّيته الألمانية فتعلم منها الألمانية في صغره وسمح له رفاؤه عائلته بقضاء عطلة في شكل تربية لغوية مفيدة في بلدان مختلفة تعلّم منها ألسنتها إذ أقام في إيطاليا وإنجلترا وألمانيا. فحصلت له معرفة بستة ألسنة قبل الدخول للجامعة.

(١) نظرية التعلق في الوصف اللغوي، بولغير ألان، ملتشوك إيغور، ترجمة: عز الدين المجذوب، ومنصور الميغري، النشر العلمي والترجمة، جامعة القصيم، ٢٠١٧م. ، واللغة من المعنى إلى النص، ملتشوك إيغور، ترجمة: عقيل الشمري، مراجعة: عز الدين المجذوب، ط١، ابن النديم للنشر والتوزيع، توزيع دار الروافد ناشرون، ٧-٣٢.

(٢) بحوث معجمية ودلالية بخلفية حاسوبية، المجذوب، عز الدين، ط١، مكتبة المتنبي، الدمام، ١٤٤٤هـ/٢٠٢٣م، ٣٤-٣٥.

اختار الدراسات الأدبية الكلاسيكية في الجامعة وانتمى إلى جامعة السوربون حيث حصل سنة ١٩١٣ على الإجازة في الآداب في الألمانية بصفتها اختصاصاً أساسياً والإنجليزية بصفتها اختصاصاً ثانياً ولسان النورس القديم (Old Norse) بصفته اختصاصاً فرعياً وهو اللسان القديم للألسنة السكندنافية في عهد الفيكينغ وقد انقرض استعماله. واصل دراسته _ بين سنة ١٩١٣-١٩١٤ _ بألمانيا في لايبزيغ _ وهي عاصمة الدراسات المقارنة. فدرس الغوطية وهي اللسان القديم للألمانية وأتاحت له زيارته لفيثاناً عاصمة الإمبراطورية النمساوية واختلاطه بالطلبة اليوغسلاف الاحتكاك بالألسنة السلافية. قدّم رسالة ماجستير محررة بالألمانية حول أساطير وليم منهاردت Wilhelm Mannhardt سنة ١٩١٤.

في سن الواحدة والعشرين جُنّد في الحرب العالمية الأولى وأُسر سنة ١٩١٥ بعد أربعة أشهر من الحرب واستمرّ أسره أربعين شهراً كانت نافعة له لسانيا. فقد استغلت إدارة معسكره مهاراته اللغوية ليكون مترجماً رسمياً بينها وبين عامة الأسرى للألسنة التالية الفرنسية والألمانية والإيطالية والإنجليزية والروسية والإيطالية. وكان يمارس هذه المهمة يومياً.

في الأسر تعلم العبرية وقرأ نسخة من الكتاب المقدس بهذا اللسان. رجع لجامعة السوربون بعد انتهاء الحرب سنة ١٩١٨ وحصل على شهادة التبريز في الألمانية سنة ١٩١٩. في السنة الموالية سنة ١٩١٩-١٩٢٠ درس الروسية في معهد اللغات الشرقية بباريس ودرس مع فندرياس (Vendryes) ثم درس على يد أنطوان مايي (Meillet Antoine) الذي كان أشهر لسان جامعي فرنسي آنذاك وقد أشرف على رسالته.

دعي ليكون مدرّساً في عاصمة سلوفينيا في السنة الموالية وقد اتسعت معرفته بالألسنة إلى اثني عشر لساناً عند تعيينه في أول خطة جامعية.^(١)

(١) مقدمة الترجمة الإنجليزية لمبادئ في علم التركيب البنيوي بالإنجليزية

٢-١- تطور تأليف نظرية تانيار وظروف نشرها:

لإنصاف الرجل وتنزيل إضافته ضمن تطور علم اللسانيات يجب أن نقدم تطوّر نظرية تانيار، بدأ تانيار بتقديم عرض موجز لنظريته سنة ١٩٣٤ أي سنة بعد نشر بلومفيلد لكتابه اللغة language (١٩٣٣) في بحث عنوانه: "كيف نضع نحواً"^(١). تضمن هذا الموجز أهمّ فرضيات تانيار وهي:

- مركزية الفعل في الجملة وتبعاً لذلك أصلية الجملة الفعلية في عامّة الألسنة البشرية.
- التمييز بين الممثلين المشاركين في الحدث وما يسمّيه ظروف الحدث ومخصصاته التي ترجمناها بروادف الحدث (actants – and circumstants)^(٢) وذلك بناء على تشبيه الجملة الفعلية بمسرحية صغيرة.
- بداية التمييز بين الوصل والتعليق (connection and junction)
- اعتماد أقسام الكلم الأربعة للكلمات التي لها مضمون إحالي^(٣) وهي الفعل والاسم والصفة والرديف.
- بداية التمثيل البصري للعلاقات النحوية. وفي هذه الفترة لم يكن تانيار يعتمد التشجير بل كان يعتمد تمثيلاً مقتبساً من النظام الشمسي فجعل الفعل في المركز وجعل متعلقاته تدور حوله..
- وأخيراً مفهوم النقل المقولي ووضع المفاهيم المساعدة لتدقيق هذا المفهوم مثل الكلمة الأصل التي ينطلق منها المتكلم والكلمة التي تنتج عن عملية النقل وهي هدف هذه العملية.

(1) Tesnière Lucien, Comment construire une syntaxe, Bulletin de la faculté des lettres de strasbourg, numero 7, 1934, pp219229-.

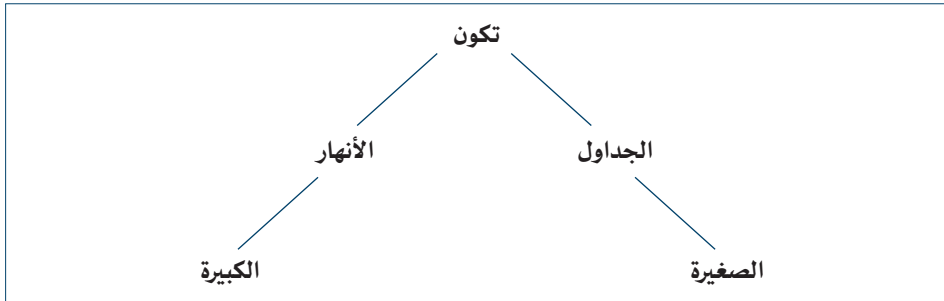
(٢) في هذه الفترة لم يرتجل المصطلح اللساني الجديد actant أي مشارك وبقي يستعمل لفظ ممثل acteur

(٣) هي التي يسميها النحاة الكلمات التي لها معنى في نفسها.

— بين سنتي ١٩٣٦ و١٩٣٨ أتمّ تحرير المائة صفحة الأولى من الكتاب الحالي مبادئ في علم التركيب البنيوي. وقد أضاف إلى المفاهيم السابقة التي وردت في بحث "كيف تضع نحواً" تنميّطاً للألسنة حسب رتبة الفعل والفاعل والمفعول به. فقد أنجزتانيار بحثاً واسعاً حول رتبة الكلمات في الألسنة شملت ١٩٠ لساناً استقرأ فيه رتبة الجار من المجرور والمضاف من المضاف إليه والفعل من الفاعل والفعل من المفعول به ورتبة الحرف من الاسم أو الفعل الذي يدخل عليه ورتبة النعت من المنعوت ثم حوصل نتائج هذا البحث في الفصل ١٤. وكان من نتائج تنميّط الألسنة إلى ألسنة ذات ترتيب صاعد وألسنة ذات ترتيب نازل^(١).

اكتملت المعالم الأساسية لنظرية تانيار سنة ١٩٣٨ ويمكن أن نجزم أنه قام باكتشاف علمي كبير في علم اللسانيات لا يقلّ قيمة عن اكتشاف نظرية الفونيم. فقد استطاع أن يرجع الجملة الفعلية وهي عنده الجملة الأصلية في عدد كبير من الألسنة إلى بنية نظرية واحدة تمثلها تفرعات التعلق. ونقدم نموذجاً منها في الجملة التالية التي صغنا مضمونها بالعربية والانجليزية والفرنسية.^(٢)

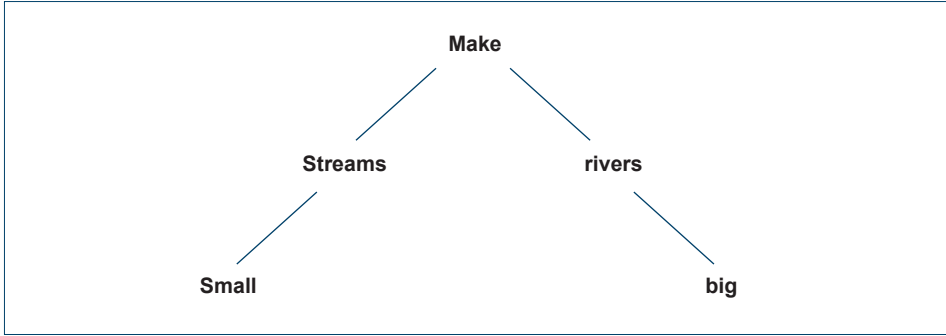
الرسم رقم (١) تكون الجداول الصغيرة الأنهار الكبيرة



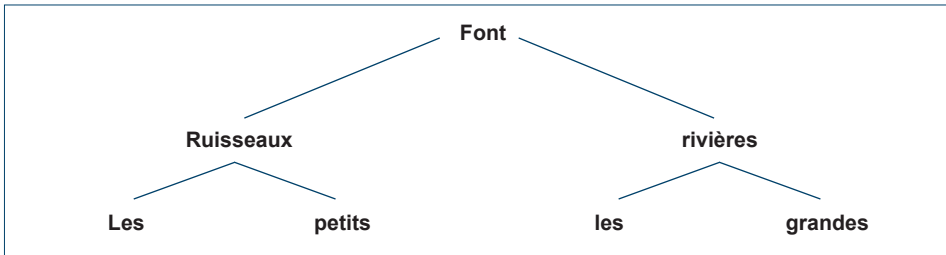
(١) الترجمة centripetal/centrifugal

(٢) لم تفصل بين لام التعريف والكلمات التي دخلت عليها بالعربية تيسيراً على القارئ. والأصل في نظرية التعلق أن يقتصر في مبيانات التعلق على العلاقات التركيبية فحسب أما ما يتعلق برتبة الكلمات وتحقق المقولات الصرفية فمجالها البنية السطحية للجملة.

الرسم رقم (٢) small streams make big rivers



الرسم رقم (٣) les petits ruisseaux make big rivers



لسوء الحظ لم تشتهر نظرية تانيار هذه ولم تنل الخطوة التي نالتها نظرية الصوتم لحلقة براغ والحال أنها كانت _ ضمن المستوى التركيبي _ أكثر تجريداً من نظرية المكونات المباشرة. لقد تضافرت عوامل كثيرة دون أن يحظى تانيار بالمنزلة التي يستحقها. أولها مرض صاحبها منذ سنة ١٩٤٧ ووفاته سنة ١٩٥٤ دون أن يشرف على نشر كتابه وقد نشر الكتاب بعد خمس سنوات من وفاته بإصرار زوجته ورعاية جامعة مونيخ التي انتمى إليها. وتزامن ظهور الكتاب مع ظهور كتاب تشومسكي البنى التركيبية سنة ١٩٥٧ الذي اكتسح الساحة العلمية العالمية بإدخال الصياغة الرياضية في بناء المناويل التركيبية. وأصبحت الصياغة الرياضية الخاصية المهيمنة على البحث اللساني منذ ١٩٥٧.

ويمكن أن نقول إن دخول الحوسبة في البحث النحوي هو الذي أعاد تانيار لصدارة المشهد العلمي^(١). فقد اعتمدت نظريات التعلق الحوسبة مفاهيم تانيار لبناء محلات نحوية ومن شواهد عودة تانيار لصدارة المشهد العلمي العالمي صدور ترجمة كتابه مبادئ في علم التركيب البنيوي. إلى الإنجليزية بعد ٥٦ من نشره وقد أشرف عليها وقدم لها تيموتي أوسبورن وسيلفان كاهان^(٢) (Timothy Osborne and Sylvain Kahane)

٣-١- نظرية النقل ضمن نظرية لوسيان تانيار :

تتكوّن نظرية تانيار من ثلاث مكونات فرعية

- المكوّن الأول هي نظرية التعلق dépendence بالمصطلح الجاري اليوم في البحث اللساني. أمّا تانيار فقد عبّر عنه بالمصطلح الفرنسي connexion وهو ما يمكن ترجمته بالارتباط. وغطى ٣٣٣ صفحة
- المكوّن الثاني هو نظرية الوصل وهو ما يوافق تقريباً مفهوم العطف بواسطة حرف أو بدون حرف ويشمل ٣٣ صفحة فحسب.
- أما المكوّن الثالث فهو نظرية النقل ويوليه تانيار أهمية كبيرة وخصّص له مساحة تقارب ما خصّصه لشرح مفهوم التعلق فقد قال عنه^(٣): وقد ورد في كتاب: "إنّ النقل أحد أهمّ الآليات التي يتحقّق بها استقلال المستوى التركيبي البنيوي عن المستوى الدلالي التي سبق توضيحها في الفصل ٢٠ الفقرة ١٧".

(١) مقدمة الترجمة الإنجليزية

Elements of Structural Syntax, Tesnière Lucien, Translated by Timothy Osborne & Sylvain Kahane, — John Benjamins B.V., • Philadelphia, pp 2015 xxxiii

(٢) المرجع نفسه

(٣) مبادئ في نظرية التركيب البنيوي ، تانيار لوسيان فصل ١٥٤ فقرة ٧

ويحسن التنويه إلى أن تانيار سبق تشومسكي في التمييز بين المستوى التركيبي والمستوى الدلالي^(١).

في مقدمة القسم الخاص بالنقل وضَّح تانيار أن النقل بجانب الوصل من أهم الآليات التي تسمح بتحويل الجملة البسيطة إلى جملة مركبة وهي تهدف إلى زيادة القدرة الخلاقة للغة وتمكين المتكلم من أن يتخطى الصعوبات التي تنشأ عن القيود التركيبية والصرفية التي تنظم تأليف أقسام الكلام. فمن المعلوم أن الفعل لا يدخل على الفعل وأن حرف الجر لا يدخل على جملة وأن الجملة الفعلية في أصل وضعها لا تصف اسماً غير أن آلية النقل تسمح للمتكلم أن يتجاوز هذه القيود وتتيح له الاتساع في الكلام.

١-٣-١- تعريف النقل:

يعرّف تانيار النقل "بكونه في جوهره نقل كلمة ذات مضمون إحالي تنتمي إلى قسم كلم محدد إلى قسم كلم آخر"^(٢) وقد يكون ذلك بنقل اسم إلى فعل أو صفة أو نقل فعل إلى اسم أو صفة أو رديف.

يحرص تانيار أن يبرز الطابع الكلي لهذا المفهوم تماماً مثل مفهوم التعلق بإعطاء شواهد لغوية من السنة مختلفة ويبين اختلاف أنحاء هذه الألسنة في تحليل نفس الظاهرة اللغوية بمفاهيم مختلفة والحال أنها ظاهرة تركيبية واحدة. وبذلك يثبت فائدة المفهوم اللساني الذي يقترحه. من ذلك أن النحو الفرنسي يدرس المركب *un livre de pierre* (كتاب لزيد) في باب الحروف لأن الحرف *de* هو الذي يعبر عن علاقة الملكية.

(١) يقول تانيار: "المستوى البنيوي والمستوى الدلالي منفصلان نظرياً انفصلاً تاماً. ويدل على ذلك أن الجملة قد تكون من الناحية الدلالية محيلة مع كونها سليمة تركيبياً. هب أننا ننتقل من الجملة التالية: تشير الإشارة الخضراء إلى أن الطريق فارغ. فإذا عوضت كل الكلمات التي لها دلالة بكلمات من نفس قسم الكلام باعتماد ألفبائية المعجم حصلت على الجملة التالية *يزعج الصمت الفقري الحجاب غير القانوني" مبادئ في علم التركيب البنيوي، تانيار لوسيان، الفصل ٢٠، الفقرة ٧.

* لاحظ الشبه مع جملة تشومسكي الشهيرة: الأفكار الخضراء تنام غاضبة

(٢) مبادئ في علم التركيب البنيوي، تانيار لوسيان، الفصل ١٥٢، الفقرة ١.

في اللاتينية يدرس النحو اللاتيني المركب الإضافي liber petri ضمن الحالات الإعرابية وتحديدًا مع حالة الجرّ. ويدرس النحو الإنجليزي المركب المفيد للملكية s book Peter ضمن ما يسمّى بالإضافة الخاصة بالألسنة الساكسونية.

يدعو تانيار إلى تجاوز الاختلاف الصرفي الظاهري بين هذه الألسنة وإرجاعها إلى نفس الظاهرة التركيبية التي تجمع بينها. للإقناع بذلك بيّن تانيار قصور معنى الملكية الذي ينسب لحرف الجر de في الفرنسية عن تفسير المعاني التي تعبر عنها كل استعمالات هذا التركيب^(١).

وبدل أن يحاول النحوي إرجاع معاني الإضافة ويعزّوها لحروف الجر يكون من الأفضل عزو ذلك إلى آلية تركيبية أعمّ. إن حرف المعنى de ينقل الاسم الذي يليه ويهيئه ليفيد معنى الوصف وهذا هو معنى النقل ويرى تانيار أنه لا يوجد فرق جوهري بين قولك un livre de pierre (كتاب لزيد) و un livre rouge (كتاب أحمر) في كون النعت والإضافة أفادا وصفًا مفيدًا للتخصيص.

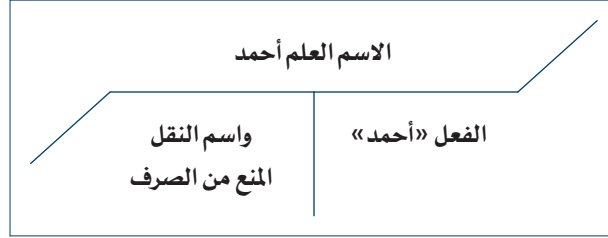
٢-٣-١- مصطلحات النقل:

دقّق تانيار نظرية النقل بمجموعة من المصطلحات فسّمى العملية translation (نقل) وارتجل مصطلح transférende لتسمية الوحدة المعجمية التي تنطلق منها العملية ويمكن أن ترجمه بمنطلق النقل وسمّى حاصل عملية النقل منقولاً transféré.

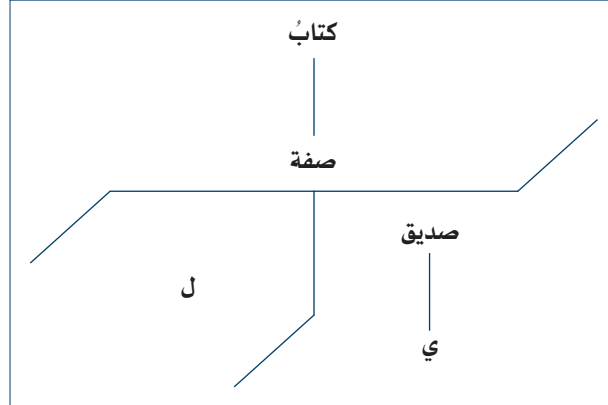
أمّد تانيار نظرية النقل بتمثيل بصري مثل نظام شجرة التفرعات واستغل حرف T اللاتيني وطوّره ليمثّل عملية النقل ويرجع شواهد لغوية من ألسنة مختلفة إلى منوال أو نموذج واحد مثلما صنع مع مفهوم التعلق.

(١) من ذلك قصور مفهوم الملكية عن استيعاب تنوع معاني الحرف de في التعبير الإضافي التالي الفرنسي les détenus de la police nazie "معتقلو البوليس النازي" فقد يفيد المقاومين ضد الاحتلال الألماني النازي وقد يفيد المعتقلين الذين اعتقلهم الألمان ويعتبرونهم مشوشين.

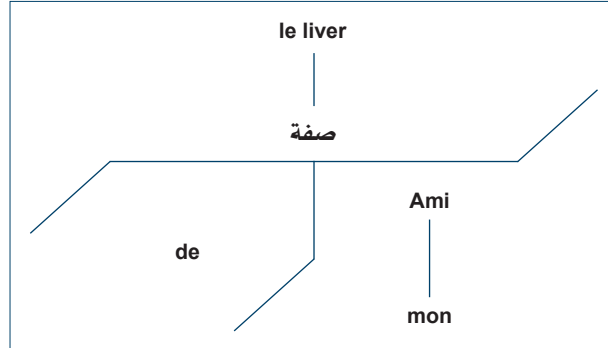
رسم (٤) الاسم العلم أحمد



رسم (٥) كتابُ صديق لي



رسم (٦) (كتاب لصديقي) le livre de mon ami



وسمّي أنواع عملية النقل باسم أقسام الكلم التامة الأربعة وهي الاسم والفعل والصفة والدريد المسمى ظرفاً في بعض الترجمات.

٢-٣-١- واسمات النقل:

قد يكون النقل^(١) بسابقة نحو حرف الجر أو الموصول الحرفي أو الاسمي حسب الألسنة أو بلاهقة نحوياء النسبة أو بالإعراب أو بالبناء ويختلف ذلك من لسان إلى آخر حسب الفصائل اللغوية. إذ توجد ألسنة^(٢) تغلب استعمال حروف تسبق الكلمة المنقولة وتوجد ألسنة يغلب فيها أن يكون النقل باللواحق مثل المجرية والتركية والقوقازية.

إذا امتزجت واسمات الوصل بالكلمات كانت من الاشتقاق. ولذلك نذكر بأن النقل قد يكون صرفياً وقد يكون تركيبياً وهو جانب الإضافة عند تانيار. لا يعني استقراء واسمات النقل أن الوسم لازم بل قد يتحقق النقل دون وسم لفظي تاماً مثل التعلّق. ومن شواهد نقل الأفعال إلى باب الاسم أو العكس^(٣) ويكون السياق الفيضل في تحديد قسم الكلم.

٣-٣-١- رواد النقل:

لم يكتشف النحو الأوروبي القديم ظاهرة النقل التركيبي، لكن لم يكن تانيار أول من اكتشف نظرية النقل فقد سبقه أوتو جاسبرسون في نظرية المراتب les rangs اكتملت نظرية جاسبرسون منذ سنة ١٩١٣ وعرضها في كتابه فلسفة اللغة^(٤) ولكن تانيار لا يحيل عليه. وقد اكتفي تانيار بالإشارة إلى بعض الرواد المعاصرين له مثل شارل بالي وغيوم، ١٩٣٣ وينفينسيت ١٩٣٣ ولوسيان تانيار ١٩٣٤ وكيروليفيكز 1936 kurylowicz

(١) مبادئ في علم التركيب البنيوي، تانيار لوسيان، ٣٧٧.

(٢) مبادئ في علم التركيب البنيوي، تانيار لوسيان، الفصل ١٦٠، الفقرة ٤.

(٣) الشاهد في العربية نقل الفعل "أحمد" إلى الاسم العلم "أحمد" وفي الإنجليزية لفظة sugar فهي قد تفيد الفعل أضاف سكرًا والاسم سكر

(٤) الوصفية مفهومها ونظامها في النظريات اللسانية، بن حمودة رفيق، كلية الآداب والعلوم الإنسانية سوسة، ٢٠٠٤، ص ٢١٤-٢٠٤

٤-٣-١- تبويب ظواهر النقل:

بالإضافة إلى تقسيم النقل حسب أقسام الكلم مِيزتانيا رعدة أنواع من النقل.

— النقل التكراري وشاهده

le cousin du fils de la femme de mon oncle

(ابن عم ابن زوجة عمي)

وهي عملية قابلة للتكرار دون حصر.

— النقل المعكوس

وفيها يتم نقل صفة إلى اسم وتضاف إلى اسم نُقِلَ إلى صفة.

شاهدها بالفرنسية: un imbécile de marmiton وتعني أحق مثل مساعد الطباخ

وبناظرها تركيباً بالعربية "مجنون بني عجل"، حيث أصبح الوصف يقوم مقام الاسم وأصبح المركب بني عجل بفضل الإضافة معادلاً دلاليّاً للنعت.

— النقل من الدرجة الأولى مقابل النقل من الدرجة الثانية:

نذكر أن النقل يتمثل في نقل كلمة من قسم كلم إلى قسم كلم ثانٍ. إذا كانت الوحدة المنطلق منها في النقل كلمة وكانت نتيجة النقل كلمة سَمِينَا ذلك نقلاً من الدرجة الأولى.

أمّا إذا كانت الوحدة المنطلق منها نواة إسنادية مع متعلقاتها المحتملة أي جملة كاملة سَمِينَا ذلك نقلاً من الدرجة الثانية. ولقد تعرّف النحو الأوروبي القديم على هذا النوع الثاني من النقل من خلال مصطلح الإتباع (subordination).

— جدول ظواهر النقل:

لخص تانبار مجمل ظواهر النقل في الجدول التالي حيث يبين الجدول العمودي إلى اليمين قسم الكلم الذي ينطلق منه النقل وهي إما اسم ورمزه عند تانبار O وإما صفة

ورمزها A وإما رديف ورمزه E وإمّا فعل ورمزه I وتبين الجداول الأفقية قسم الكلم التي آل إليه النقل وواسمات النقل مثل حرف الجرّ أو الإعراب. وهي لا تتضمن الفعل خلافاً لتقسيم النحاة الذي سنقدمه في القسم الثاني من هذا البحث:

أقسام الكلم الناتجة عن النقل				
أقسام الكلم منطلق النقل	O الاسم	O الاسم	A الصفة	E الرديف
	O الاسم		حرف الإضافة أو حالة الجر	الحرف (على) حالة المكانية LOCATIF
	A	الضمير (مثل ضمير الملكية mon)		الرديف الناتج عن لاصقة الاشتقاق MENT agrément (بسرور)
	الصفة	صفة غالبية عليها الاسم		
	E الرديف	Embonpoint (السمنة، البدانة)	un home bien (رجل طيب)	
	I الفعل	infinitif substantif verbal	participle adjectif verbal	gérondif مشتق فعلي

أما بالنسبة لأدوات النقل فقد بوبها كذلك. وهي قد تحتاج لمعايير صرفية لكنه يفضل أن يعطي الأولوية للمعايير التركيبية وألا يلجأ الباحث للثانية إلا عند الضرورة عند استنفاد المعايير التركيبية.

أهم المعايير الصرفية هي:

— إما أن تكون الوحدات أساسية أو غير أساسية .

منفصلة أو متصلة .

متصرفة أو جامدة .

— تبويب أدوات النقل:

جدول تبويب أدوات النقل			
أدوات النقل	أساسية		غير أساسية
	منفصلة		متصلة
متصرفة	أفعال ناقصة		— حروف التعيين^(١) — ضمائر الوصل^(٢)
جامدة			علامات إعرابية سابقة فعلية فارغة نحو استفاد والفعل défaire (أزال) وهو مشتق من الفعل faire (فعل)

٢- النقل في النحو العربي:

بعد أن نزلنا مفهوم النقل ضمن نظرية التعلّق عند تانيار وعرضنا تعريف المفهوم وأقسام ظاهرة النقل ننتقل لدراسة ظاهرة النقل ضمن النحو العربي. ونجمع الأبواب

(١) حروف التعريف والتنكير في الفرنسية تطابق الاسم الذي تدخل عليه في الجنس والعدد.

(٢) تعد أدوات الوصل في النحو الفرنسي ضمائر

النحوية التي يمكن أن تدخل في حيّزه. ثم نحاول استثمار هذا المفهوم في تجويد وصف العربية وعرض بعض المقترحات العلمية.

٢-١- اختلاف مفهوم النقل في النحو العربي عن تانيار:

لا ندّعي أن النحاة العرب وضعوا نظرية في النقل قبل تانيار لكن اعترضتهم هذه الظاهرة الكلية العامة في كلّ الألسنة البشرية ودرسوها ضمن نظريتهم. وبمصطلحاتهم. ونبدأ ببعض التنبيهات حول ما يفرّق بين مصطلحات تانيار ومصطلحات النحاة.

— مصطلح النقل عند النحاة العرب:

استعمل مصطلح النقل بمضامين متعدّدة في كتب النحاة. فقد استعمل في علم الصرف ضمن ظواهر الإعلال والإبدال وهو خارج عن موضوع هذا البحث. واستعمل في علم النحو بمعنى التحويلات التركيبية في باب التمييز. فقد أرجع النحاة التراكيب المفيدة للتمييز للنقل وبوّبها إلى:

— تمييز منقول عن الفاعل في الجملة الابتدائية الأصلية :

نحو الشاهد: " طاب زيد نفساً " وأصلها " طابت نفس زيد ".

نحو الآية الكريمة: (وسع كلّ شيء علماً) الأنعام: ٨٠. وأصلها وسع علم ربي كل شيء^(١)

ومنه الآية (قد شغفها حباً) يوف: ٣٠. وأصلها المقدّر قد شغف حب يوسف امرأة العزيز. وللتمييز في هذه الآية وظيفة إبلاغية حيث غُيّر المَحَدُّثُ عنه مقارنة بأصل التركيب، ولم يعد لفظ " الحب " هو المَحَدُّثُ عنه بل أصبح لفظ " يوسف " موضوع الحديث ومحوّره..

(١) تفسير البحر المحیط، أبو حیان الأندلسي، بعناية: صديقي محمد العطار، وآخرين، دار الفكر، بيروت - لبنان، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م، ٤/ ١٧٤-١٧٥.

— تمييز منقول عن المفعول به في الجملة الابتدائية الأصلية

ومنه الآية (وفجرنا الأرض عيوناً) القمر: ١٢. وهو تركيب محوّل عن الأصل المقدّر "فجرنا عيون الأرض".

ولا تدخل هذه الشواهد في النقل موضوع هذا البحث كما حدّده تانيار لأنّ هذه الظواهر تهمّ تغيير وظيفة كلمة من منزلة تركيبية إلى منزلة أخرى بسبب عناية المتكلم بعنصر من عناصر الكلام ووضعه موضع المحدث عنه لغاية إبلاغية أمّا الذي يعيننا فنقل كلمة ذات مضمون إحائي من قسم كلم إلى قسم كلم آخر. وهو ما تناوله النحاة العرب بالتفصيل في باب الأعلام وباب اسم الفعل.

٢-٢- مواضع الاتفاق بين النحو العربي وتانيار :

٢-٢-١ - النقل في الأعلام:

قسّم النحاة العلم إلى صنفين مرتجل ومنقول. واستقروا أنواعه حسب كونه منقولاً عن اسم أو فعل أو صوت.

— النقل عن الأسماء:

فأمّا الأوّل: وهو النقل عن الأسماء، فقسّموه قسمين اسم عَيْن واسم معنى.

ثم قسّموا اسم العين إلى اسم وصفة.

فالمنقول عن الاسم غير الصفة اسم الجنس نحو رجل سُمّي بـ "أسدٍ" و "فهد" أو "حَجَر" وهي في الأصل أسماء الأجناس لأنّها بإزاء حقيقته شاملة، وإنّما نُقلت إلى العلمية، فصارت لذلك تدلّ على مخصّوص بعد أن كانت تدلّ على شائع،^(١)

والمنقول عن الصفة نحو "مالكٍ"؛ و "صالح" و "الأمين" و "المأمون" و "مجاهد"

(١) شرح المفصل، ابن يعيش موفق الدين، عالم الكتب، بيروت - لبنان، ٢٩/١.

وأما ما نقل من أسماء المعاني، فنحو "الفضل"، و"إياس" و"زيد" وهي منقولة عن المصادر

ف"فَضْل" مصدر فُضِّلَ يَفُضِّلُ فضلاً، و"زيد" مصدر زاد يَزِيدُ زياداً وزيادةً، و"إِيَّاسُ" مصدرُ آسِه يُووِسُه إِيَّاسًا وَأُوْسًا إذا أَعْطَاه،^(١).

— النقل عن الأفعال:

وأما ما نقل عن الفعل وهو القسم الثاني بعد الاسم فقد بويّه النحاة حسب أقسام الفعل الثلاثة وهي الماضي والمضارع والأمر.

يستشهد النحاة باسم العلم "شَمَّر" على نقل الفعل الماضي إلى الاسم العلم ومعناه رفع إزاره. ويستشهدون بـ"يشكر" و"تغلب" و"يزيد" و"أحمد" دليلاً على نقل الفعل المضارع. وأما الأمر، فنحو قولهم في الفلاة: "إِصْمْتُ".

— النقل عن الصوت:

أشهر شاهد في باب الصوت تسمية عبد الله بن الحارث بـ"بَبَّة"؛ فيه صوتٌ كانت أُمُّه تُرَقِّصه به وهو صبيٌّ،^(٢)

٢-٢-٢- النقل في باب اسم الفعل:

الباب الثاني الذي درس فيه النحاة بشكل صريح النقل باب اسم الفعل فقد أدخلوا ضمن هذا القسم الفرعي الأسماء والمصادر والصفات والأصوات والأسماء المثناة والمركبات بالجر وشبهوا نقلها بنقل الجمل إلى الأعلام "فهي منقولة عن أصولها إلى معنى الفعل نقل الأعلام"^(٣). ويغلب عليها أن تفيد الإنشاء.

(١) المرجع نفسه،

(٢) المرجع نفسه، ٣٢.

(٣) شرح كافية ابن الحاجب، الأستراباذي، رضي الدين، تحقيق: أحمد السيد، المكتبة التوفيقية، القاهرة، ٨٧/١.

تتحقق أسماء الأفعال في أغلبها بالمصادر. وقد قسمها النحاة قسمين:

- مصادر تؤدي دور اسم الفعل لكن يمكن أن يُقدَّر لها فعل واجب الحذف. يقول الأسترابادي: "وهذه المصادر كأنها قائمة مقام الفعل، كالمصادر الأولى من حيث لم تستعمل أفعالها قبلها، لكنها ليست قائمة مقام أفعالها، إذ لو قامت مقامها لم تقدَّر قبلها فلم تكن تنتصب فبانقلابها عرفنا أن الفعل مقدَّر قبلها وبناء الأولى عرفنا قيامها مقام أفعالها"^(١).
 - مصادر "تُوغَّل في حذف فعلها بحيث لا ينوى قبلها تقدير بل يصير المصدر عوضاً منه وقائماً مقامه كالمصادر الصائرة أسماء أفعال كما يجيء في بابها نحو هيهات ورويد وشتان فتبنى لقيامها مقام المبني ولا يكون لها إذن محل من الإعراب."^(٢)
- ودرس النحاة أيضاً الكلمات الأصلية التي انطلقت منها عملية النقل إلى اسم الفعل وفيها أنواع:

- النقل عن المصادر نحو: "ويل لك وتباً لك".
- النقل عن الظروف: "دونك".
- النقل عما يشبه المصادر نحو: "هيهات ورويد وشتان" فتبنى لقيامها مقام المبني ولا يكون لها إذن محل من الإعراب."^(٣).
- ومنها صفات قائمة مقام المصدر نحو: "هنيئاً لك" أي هناة وعائداً بك أي عياداً وهي مثل قم قائماً أي قم قياماً.
- ومنها أسماء أعيان هي آلة مقامة مقام المصادر نحو: "ترباً لك" و"جندلاً" أي رميت رمياً بترب وجندل فهذا مثل ضربته صوتاً والفرق بينهما مثل الفرق بين بهراً والقهقري^(٤).

(١) المرجع نفسه، ٢٧٦/١-٢٧٧.

(٢) المرجع نفسه، ٢٧٧/١.

(٣) المرجع نفسه، ٢٨٦/١.

(٤) المرجع نفسه، ٢٧٨/١.

- ومنها ما وقع مثنى نحو: "لبيك وسعديك" ^(١).
- ومنها ما أصله جار ومجرور نحو: "إليك" و"كان الأصل ألا يقال لاسم الفعل الذي هو في الأصل جار ومجرور نحو "عليك"، إلا أنهم طردوا هذا الاسم في كل لفظ منقول إلى معنى الفعل نقلاً غير مطرد ^(٢).
- ومنها أسماء أصوات قامت مقام المصادر كـ "آها منك" أي توجعاً و"وأهالك" أي طيباً و"أفالك" أي كراهة، فيُقدَّر لجميعها أفعال بمعناها ويلزم إضمار ما كان في الأصل صوتاً وإن لم يبين بالجار نحو "إيها" أي كفا و"ويها" أي زيادة.

٢-٣- ظواهر لم يدخلها النحاة ضمن مفهوم النقل:

لعل أظهر نقاط الاختلاف بين النظرية النحوية العربية ونظرية تانيار أن النحاة لم يدرجوا ضمن النقل الاسم الموصول والمؤول بالمصدر وما كان في حكمه ونقص كل الجمل التي تحل محل المفرد وتشغل وظيفة نحوية سواء اقترنت أو لم تقترن بموصول أو بواسم لغوي يرشد إلى تغير حكمها وحلولها محل المفرد مثل الجملة الحالية المقترنة بالواو أو الجمل التي لم تقترن بواسم لغوي مثل الجمل التي تقع وصفا للنكرة فهي كلها في نظرية تانيار داخلة ضمن نظرية النقل.

غير أن تعليقات النحاة تفيد أنهم حدسوا بمفهوم النقل كما صاغه تانيار. شاهدنا لابن يعيش وقد ورد في إطار الاستدلال على أن الألف واللام في الاسم الموصول لا تفيدان التعريف. يقول: "وإذا ثبت أن الألف واللام لا يفيدان هنا التعريف، كان زيادتهما لضرب من إصلاح اللفظ. وذلك أن "الذي" وأخواته مما فيه لام إنما دخل توصلاً إلى وصف المعارف بالجمال، وذلك أن الجمل نكرات. ألا ترى أنها تجري أوصافاً على النكرات، نحو قولك: "مررتُ برجلٍ أبوه زيد"، و"نظرتُ إلى غلامٍ قام أخوه".

(١) المرجع نفسه، ٢٩٥/١.

(٢) المرجع نفسه، ٨٦/١.

وصفة النكرة نكرةٌ. ولولا أن الجمل نكراتٌ، لم يكن للمخاطب فيها فائدة؛ لأن ما تعرّف لا يُستفاد، فلما كانت تجرى أوصافاً على النكرات لتنكرها؛ أرادوا أن يكون في المعارف مثل ذلك، فلم يسّخ أن تقول: مررت بزيد أبوه كريم"، وأنت تريد النعت لزيد؛ لأنه قد ثبت أن الجمل نكراتٌ، والنكرة لا تكون وصفاً للمعرفة. ولم يمكن إدخال لام التعريف على الجملة؛ لأن هذه اللام من خواصّ الأسماء، والجملة لا تختصّ بالأسماء، بل تكون جملة اسمية، وفعلية فجاءوا حينئذ بـ "الذي" متوصّلين بها إلى وصف المعارف بالجممل، فجعلوا الجملة التي كانت صفة للنكرة صفة لـ "الذي"، وهو الصفة في اللفظ، والغرض الجملة".

لوقارنا مضمون قول ابن يعيش بتعريف تانيار لوجدنا عناصر مشتركة دون أن نغفل عن كوننا نقارن تعريفاً لسانياً صريحاً في إطار نظرية بحدس نحوي قوي. فالجملة وحدة لغوية لا تختص بالأسماء ولا يمكن أن تشغل وظيفة النعت لكن الاسم الموصول "الذي" سمح بتغيير الهوية النحوية للجملة وهيئاًها لتقوم مقام الصفة. وهي وظيفة النعت. وهو ما سماه ابن يعيش الصفة في اللفظ.

صلة الألف واللام:

من أظهر ما نستشهد به على حضور مفهوم النقل في الاسم الموصول قول الأسترباذي في صلة الألف واللام: "نقول على مذهب الجمهور إن أصل الضارب والمضروب الضَرْبَ والضَرْبَ. فكروها دخول اللام الاسمية المشابهة للحرفية لفظاً ومعنى على صورة الفعل. أما لفظاً فظاهروا أما معنى فلصيرورة اللام مع ما دخلت عليه معرفة كالحرفية مع ما تدخل عليه فصيروا الفعل في صورة الاسم: الفعل المبني للفاعل في صورة اسم الفاعل والمبني للمجهول في صورة اسم المفعول لأن المعنيين متقاربين

إذ معنى زيد ضاربٌ: (زيدٌ ضَرْبَ). أو (زيدٌ يُضْرَبُ) وزيد مضروب [معناها] (زيدٌ ضَرْبَ) أو [زيدٌ] (يُضْرَبُ)

ولكون هذه الصلة فعلاً في صورة اسم عملت بمعنى الماضي ولو كانت اسم فاعل أو مفعول حقيقة لم تعمل بمعنى الماضي كالمجرد من اللام^(١).

لقد لخص الأستراباذي جوهر النقل في عبارة إن الصلة فعل في صورة اسم. ويمكن أن نتخذ من هذا القول أصلاً نُعمِّمه بأن نتصور اشتغلاً متحرِّكاً لأقسام الكلم يجوز فيه نظرياً لكل قسم أن يغير هويته المقولية بفضل أمانة أو علامة كما يقول النحاة تكون له مثل جواز السفر الثاني أو التأشيرة التي يدخل بها مواطن من بلده الأصلي إلى بلد آخر ليقيم فيه ويشغل.

لم يكتف النحاة بالموصول الاسمي وبالموصول بالألف واللام وإنما أضافوا شواهد أخرى على النقل. منها كلمة "أي" فهي تهـاء الاسم المعرف بالألف واللام لتدخل عليه ياء النداء. والمعروف من أمر النداء أن يقال "يا رجل" ولا يقال * "يا الرجل" وتحرير ذلك أن ياء النداء تكسب المنادي تعريضاً بمقتضى الإحالة الإشارية على زمن الحال ويمتنع أن تجتمع على الاسم علامتا تعريف؛ فلذلك لا يقال * "يا الرجل"^(٢). ولكأن "أي" نقلت المنادى الذي لحقته الألف واللام من باب المعرفة إلى باب النكرة.

أما الشاهد الثاني فكلية "ذو". بمعنى صاحب. وهم يتوصلون بذلك إلى وصف الأسماء باسم الجنس فتقول "رافقني تاجر ذو مال".

— حروف وظيفتها النقل المقولي:

سنكتفي بالإشارة إلى أهم الحروف التي تؤدي هذه الوظيفة. ونقدّر أن ظاهرة النقل تحتاج بحثاً خاصاً يتجاوز حدود هذا البحث.

(١) شرح كافية ابن الحاجب، الأستراباذي، رضي الدين، ٩٥/٣.

(٢) الخصائص، ابن جني، ١٨١/٢.

— الموصولان الحرفيان أن، أن،

لم يدرج النحاة في ما نعلم الموصولات الحرفية أن وأن في باب النقل وهي منه وهما يؤديان دور النقل المقولي بالإضافة إلى معنى التأكيد الذي تفيده "أن". فأن الخفيفة تهيء الفعل ليحل محل المصدر وأما "أن" فهي تهيء الجملة أن تقع موقع المفرد.

— ما الكافة.

قسم النحاة تصرفها إلى ثلاثة أقسام:

— ما الكافة عن عمل الفعل الرفع، اشتهر منها ثلاثة أفعال "قل وكثرو طال". وفي الحقيقة فإن منع الأفعال من العمل يعني سلبها صفتها الفعلية واشتقاق وحدات معجمية جديدة في معنى حرف من الحروف الداخلة على الفعل لتغيير معناه نحو السين وسوف أوقد.

يدلك على صحة هذا التحليل أن الفعل الذي تتصل به يبقى هرم الجملة. نحو "قلما يزورنا زيد" لأن "قلما" بمنزلة حرف.

— ما الكافة عن عمل النصب وتدخل على إن وأخواتها، فتنتقل حرف "إن" المشبه بالفعل إلى حرف غير عامل مفيد للحصر. نحو الآية

﴿إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ [النساء: الآية ١٧١] أو تنقل "كأن" من حرف يختص بالاسم ولا يدخل على الفعل إلى حرف يدخل على الفعل مثل الآية

﴿يُحَدِّثُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا بَيَّنَّ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾ [الأنفال: ٦]. ويمثل تغيير الخصائص التركيبية لكلمة ما جوهر النقل المقولي. ويؤكد هذا الاستنتاج وصف النحاة لها بكونها متلوة بفعل مهيئة للدخول على ما لم تدخل عليه^(١).

(١) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام الأنصاري جمال الدين، تحقيق: محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت - لبنان، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م، ٣٠٧/١.

— ما الكافة عمل الجر:

- ربّ حرف جريفيد التقليل والأصل فيه ألا يليه غير الاسم، فإذا زيدت معه "ما" صلح أن يليه الفعل. فيحصل له بالتركيب معنى جديد مختلف عن معنى "ربّ". تقول "ربّ صديق أقرب إليك من أخ شقيق". وتقول "ربّما وجدت عملاً في بلد آخر".

وننبه إلى أن ما الكافة آلية لاشتقاق وحدات معجمية جديدة.

— ما الداخلة على حرف جر:

- "الكاف" الحرف جريفيد التشبيه لا يليه إلا الاسم ولا يدخل إلا على مفردة ولا يدخل لا على ضمير ولا على جملة فعلية فإذا أضيف له الحرف "ما" هيأه للدخول على الضمير

نحو "رأيت كما هو" وعلى الجملة الفعلية نحو الآية ﴿فَأَنَّهُمْ بِالْمَوْتِ كَمَا تَأْلُمُونَ﴾ [النساء: ١٠٤] وأو جملة اسمية نحو ﴿أَجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ [الأعراف: ١٣٨].

— ما الداخلة على الاسم أو الظرف لإفادة الجزاء:

- لا تكتفي "ما" بالدخول على الحروف والأفعال لتنقلها من قسم كلام إلى قسم كلام آخر بل تدخل كذلك على الاسم نحو "كيف" في "كيفما" والظرف نحو "إذ" و"حيث" و"أين" حيث تنقلها من الاسم إلى الحرفية فتصبح أدوات شرط جازمة.

نحو "إذما، وحيثما وكيفما وأينما وأيما":

- يقول سيبويه في حيث. "فإذا ضمنت إليها" ما "صارت بمنزلة" إن "وما أشبهها، ولم يجز فيها ما جاز فيها قبل أن تجيء بما، وصارت بمنزلة إمّا". فتقول حيثما تكن أكن. ^(١)

(١) الكتاب، سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ٥٩-٥٨/٣.

— أي:

سبق أن تناولنا "أي" أعلاه فلا داعي لإعادته.

— همزة التسوية :

تناول ابن جني كثيراً من ظواهر النقل في باب خلع الأدلة ويقصد خلع المعاني التي وضعت لبعض الحروف أو الأسماء في أصل وضعها ونقلها لتأدية معانٍ أخرى. وذلك كأي. فأصلها الدلالة على الاستفهام ولكن إذا خلعت عليها دلالة الاستفهام هيأتها لتكون وصفاً يقول ابن جني "وكذلك قولك: مررت برجل أي رجل، لما خلعت عنها دلالة الاستفهام "جرت وصفاً".^(١)

وقياساً على ذلك يقول النحاة إن همزة التسوية سلبت معنى الاستفهام وهيأت الجملة أن تقع موقع المفرد. بدليل صحة حلول المصدر محلها.

نحو الآية: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ [المنافقون: ٦٠].

والآية ﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزَعْنَا أَمْ صَبَرْنَا﴾ [إبراهيم: ٢١].

— مفهوم النقل والجملة الشرطية :

مثل مبحث الشرط موضوعاً مشكلاً اختلفت فيه آراء النحاة قديماً وحديثاً. وقد سبق أن بحثناه في كتاب مفاهيم دلالية ولسانية لوصف العربية^(٢) عندما عرضنا علاقات التعلق الهرمية الأساسية في الجملة ضمن نظرية من المعنى إلى النص وهي التعلق الدلالي بين المحمول والمشارك الدلالي والتعلق الصرفي والتعلق التركيبي. وأشرنا إلى أن هذه العلاقات الهرمية غير متوازية بالضرورة فقد تكون نفس الكلمة عاملة نحويًا لكنها تكون معمولة صرفياً لكلمة أخرى وتعرضنا لجملة الشرط والجزاء باعتبارهما نموذجاً

(١) الخصائص، ابن جني، ١٨٢/٢.

(٢) مفاهيم دلالية ولسانية لوصف العربية، المجدوب، عز الدين، ٣٤٧-٣٥١.

لاختلاف اتجاه العمل النحوي عن العمل الصرفي. وسقنا الشاهد الآية: (أيًا ما تدعو فله الأسماء الحسنی)، الإسراء: ١١. وقلنا إن اسم الشرط "أي" مفعول لمعنى الفعل في الجزاء" حسب تعبير المبرد^(١) أما الفعل وما ينوبه فهو مجزوم بمعنى الحرف "إن" المتضمن في الاسم "أي".

وعدنا لظواهر الشرط بأكثر تفصيل في بحث مقدمات دلالية لوصف العربية^(٢) ثم عدنا لموضوع الشرط ضمن بحث البنية الإبلاغية ووصف العربية: المحدث عنه والمحدث به نموذجاً^(٣) حيث كشفنا عن مستوى لغوي آخر له علاقة بالشرط ويمكن أن ينير بعض إشكالاته مثل فرضية الميغري منصور التي يقول فيها إن جملة الشرط محدث عنه وجملة الجزاء محدث به. ويمكن أن نحوصل أهم الفرضيات التي اعتمدها في مقترحاتنا في الشرط عند عرض مقترح محمد صلاح الدين الشريف وتدقيقه في الأقوال التالية:

- الجملة الشرطية مثل سائر الجمل بنية هرمية نموذجها الجملة الفعلية إن تفعل أفعل.
- جملة الجزاء هي الإسناد الأصلي وجملة الشرط قيد في الجزاء تناظر الظرف دلاليا ولكن الفرق بينهما تصدر الشرط وجوبا الكلام ونهوضه بوظيفة إبلاغية كونه المحدث عنه وقد سمت العربية عناية المتكلم بهذا المكون من الرسالة بعمل الجزم في الجملة الشرطية القياسية.
- إن جزم الفعل تابع لقواعد الصرف لا قواعد العمل النحوي التركيبي، ولذلك فإن فعل الجزاء يعمل نحويًا في أسماء الشرط المفيدة للظرف في

(١) المقتضب، المبرد محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالي الأزدي، أبو العباس، تحقيق: محمد عبد الخالق عزيمة، عالم الكتب، بيروت - لبنان، ٤٩/٢، يقول: "ولا تكون المجازة إلا بفعل أو بالفاء لأن معنى الفعل فيها".

(٢) تجديد المنوال النحوي، بحوث محكمة مهداة إلى الأستاذ عز الدين المجدوب، تحرير: فدوى العذاري، دار كنوز المعرفة، عمان، ٢٠٢١م، ٣١-٣٤.

(٣) ضمن بحوث معجمية ودلالية بخلفية حاسوبية، المجدوب، عز الدين، ٣١٥-٣١٧.

جملة الشرط ولكن اسم الشرط يعمل الجزم صرفياً في فعل الشرط وفعل الجزاء. وهو المقصود بعدم توازي اتجاه التعلق بين العلاقة الصرفية والعلاقة النحوية العاملة.

رغم اقتناعنا بصحة هذا التحليل فإننا لا ندعي أننا استوفينا تخريج كل فروع التراكيب الشرطية وفق هذه المبادئ.

من أهم عوائق طرد الفرضيات المعلنة أعلاه استيعاب كل صور التراكيب الشرطية ومن أصعب المواضيع قديماً وحديثاً فاء الشرط وسنحاول أن نختبر فائدة مفهوم النقل في ردّ صور الشرط المتعددة إلى البنية الشرطية القياسية إن تفعلُ أفعلُ.

— تحليل النحاة للشرط:

رأينا أعلاه أن النحاة حدسوا بمفهوم النقل عند تحليلهم لوظيفة الاسم الموصول واعتمدوا ما يسميه تانبار نقلاً من الدرجة الثانية في المظان التي قالوا فيها بنيابة الجملة للمفرد في شغل وظائف الاسم نحو خبر المبتدأ والفاعل والمفعول به والنعته والحال. وفي هذا الإطار قال المتأخرون من النحاة إن جواب الشرط قد يتحقق بجملة اسمية مسبوقة بالفاء أو "إذا" أو بجملة مسبوقة بفعل لا يقبل الجزم لفظاً^(١) وسمّوا هذه الجمل جملاً لها محلّ من الإعراب قياساً على الجمل التي تقع في موضع رفع أو نصب أو جر. وسمّوا صور الشرط التي يتصدّرها مفرد يظهر فيه الجزم جملاً لا محلّ لها من الإعراب لأن العامل استوفى مقتضاه. وسمّوا كذلك الجمل التي يتصدّرها فعلٌ ماضٍ جملاً لا محلّ لها من الإعراب لأن المحكوم لموضعه بالجزم الفعل [الماضي] لا الجملة بأسرها نحو "إن قمتم قمنا"^(٢).

(١) وصوره كثيرة ومنها: الأفعال الإنشائية وعسى ونعم وبئس والفعل الذي سبقته قد وسوف وهي قرائن الواجب بينما المجزوم داخل في غير الواجب.

(٢) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام الأنصاري، ٣٨٢/٢ - ٤٣٣.

وفي الحقيقة فإن تسمية جواب الشرط بالجملة التي لها محل من الإعراب بشروط محددة أمر طارئ لم يبدأ بشكل صريح ومنهجي إلا مع المرادي^(١) الذي كان أوّل من بوّب الجمل وفق جمل لها محل من الإعراب وجمل لا محل لها منه. وأما سيبويه فقد اقتصر على تسمية جملة الجزاء برأسها إذ يقول "واعلم أنه لا يكون جواب الجزاء إلا بفعل أو بالفاء"^(٢).

وكذلك فعل السيرافي ت ٣٧٧هـ وإن كان تجاوز استقراء الظاهرة إلى تحليلها يقول: "والذي أحوج إلى إدخال الفاء في جواب الجزاء أن أصل الجواب أن يكون فعلاً مستقبلاً لأنه شيء مضمون فعله إذا فعل الشرط أو وجد مجزوماً ملتبساً بما قبله من الشرط وإن" هي التي تربط أحدهما بالآخر. ثم عرض في الكلام أن يجازى بالابتداء والخبر لنيايتهما عن الجواب وإن "لا تعمل فيهما ولا يقعان موقع فعل مجزوم فأتوا بحرف يقع بعده الابتداء والخبر وجعلوه مع ما بعده في موضع الجواب واختاروا الفاء دون الواو و"ثم" لأن حق الجواب أن يكون عقيب الشرط متصلاً به"^(٣).

سارابن جني (ت ٣٩٤ هجري) على خطى أستاذه وعلل دخول الفاء في جواب الشرط على النحو التالي يقول: "فإن قيل: وما كانت الحاجة إلى الفاء في جواب الشرط؟

فالجواب أنه إنما دخلت الفاء في جواب الشرط توصلاً إلى المجازاة بالجملة المركبة من المبتدأ والخبر، أو الكلام الذي قد يجوز أن يبتدأ به، فالجملة في نحو قولك: "إن تحسن إلي فالله يكا فئك"، لولا الفاء لم يرتبط أول الكلام بآخره، وذلك أن الشرط والجزاء لا يصحان إلا بالأفعال لأنه إنما يعقد وقوع فعل بوقوع فعل غيره"^(٤).

(١) رسالة في جمل الإعراب، بدر الدين الحسن بن قاسم المرادي، تحقيق: سهير محمد خليفة، ط١،

جامعة الأزهر، القاهرة، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م.

(٢) الكتاب، سيبويه، ٦٣/٣.

(٣) شرح كتاب سيبويه، أبو سعيد السيرافي، تحقيق: أحمد حسن مهدي، علي سيد علي، ط١، دار

الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ٢٠٠٨م، ٢٦٤/٣.

(٤) سر صناعة الإعراب ابن جني، أبو الفتح عثمان، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان،

١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م، ٢٥٤/١ عن الجملة الشرطية عند النحاة العرب الشمسان، أبو أوس إبراهيم

الشمسان، ط١، مطابع الدجوي، القاهرة، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م، ١٦٢.

يفيدنا شاهد ابن جني في التقريب بين دور الاسم الموصول في وصف المعارف بالجمل ودور فاء الشرط في تهيئة الجملة الإسمية لتأدية الجزاء. فالجملة الاسمية لا يمكن إذا بقيت على أصلها أن تدل على معنى الجزاء ويدعمُ الشاهد المذكور سعيَنا لطرد مفهوم النقل على فاء الشرط.

لا يبعد تعليل دخول الفاء على الجملة الاسمية لتنبؤ الفعل المجزوم في جواب الشرط عن طريقة تعليل ابن يعيش دخول الاسم الموصول على الجملة وهي التوصل لوصف المعارف بالجمل. كما لا يبعد التعليلان عن مفهوم النقل كما ضبطه تانيار وهي نقل كلمة [أو وحدة لغوية] ذات مضمون إحالي تنتمي إلى قسم كلم آخر كان ممتنعاً عليه بواسطة وسم لغوي يغير قواعد تأليفه ويحوّل له ما كان ممتنعاً ويسمّي النحاة هذه العملية نيابة وعضاً. وبهذا المعنى لا تختلف فاء الشرط عن الاسم الموصول وعن ما الكافة وكلّ واسمات النقل التي عرضناها سابقاً غير أن وظيفتها أن تكون مع ما يليها نائباً وبديلاً لفعل الجزاء المجزوم مكافئاً له في المعنى.

وبناء على ما تقدم فلا مانع مبدئياً من تقريب جملة الشرط والجواب من الجمل التي لها محل من الإعراب والجمل التي ليس لها محل.

لا يمكن اعتماد هذه الرأي لأنه يتعارض مع فرضيتنا أن الجزم ظاهرة صرفية لا تركيبية. ويتعارض مع قول النحاة إن الإعراب غير أصيل في الأفعال.

تدفعنا هذه المعطيات إلى التساؤل عن وجهة طرد مفهوم المحل على فعل الشرط أو جوابه والتسوية بينه وبين محلات الرفع والنصب والجر في الاسم. وقد نبّهنا إلى أن النحاة المتقدمين لم يقولوا بمحل للجزم تقع فيه الجملة فيكون لها محل.

يتفق الباحث مع كل النحاة في أمرين:

— كون الأصل في جواب الجزاء أن يتحقق بفعل مضارع مجزوم لأنه غير واجب بمعنى غير واقع.

- وكون فاء الشرط وما يليها بديل مقيّد ينوب عن فعل جواب الشرط المضارع المجزوم بشروط اجتهد النحاة في ضبطها وحصرناها في ثلاثة آراء^(١):
 - القول الأول لابن جني ت ٣٩٢ وهو أن فاء الشرط تدخل قبل كل كلام يحسن الابتداء به حين يقول^(٢) (فالجواب أنه إنما دخلت الفاء في جواب الشرط توصلاً إلى المجازاة بالجملة المركبة من المبتدأ والخبر، أو الكلام الذي قد يجوز أن يبتدأ به).
 - القول الثاني رأي الجرجاني وجذوره عند السيرافي حين يقول: "وإنما جاء الجواب حيث لم يقدر على الجزم سواء كان ما بعد الفاء فعلاً أو اسماً".
 - القول الثالث ينسبه الشمسان لابن مالك وقال به رضي الدين الأستراباذي وهو أن الفاء تدخل على الجواب الذي لا يصلح أن يكون شرطاً.
- يمكن أن ندقق الخلاف النحوي في السؤال التالي: هل نشبه نيابة فاء الشرط وما يليها من الفعل والاسم بنيابة الجملة الفعلية الاسمية أو الفعلية للاسم المفرد عندما يشغل محل الفاعل أو خبر المبتدأ أو نشبهها بصور الفعل المضارع المعتل التي يتعذر فيها ظهور الضمة في الفعل المضارع المرفوع أو الفتحة في الفعل المضارع المنصوب أو السكون في الفعل المضارع المجزوم.
- الراجح عندنا أن جزم الفعل في الشرط بحث صرفي وأن لا وجود لمحل نحوي اسمه الجزم يكون صنواً لمحلات الإعراب في الاسم. ويدعم رأينا إنكار الدماميني موضع جزم لجملة الجزاء. يقول: "الذي يظهر كما تقدم أن جملة الجزاء لا محل لها من الإعراب مطلقاً سواء اقترنت بالفاء أو لم تقترن. وسواء كانت جواباً لشرط جازم أو غير جازم وذلك لأن الجملة إنما تكون ذات محلّ من الإعراب إذا صحّ وقوع المفرد محلها والجزاء لا يكون إلا جملة ولا يصحّ وقوعه مفرداً أصلاً ضرورة أن حرف الشرط لا يدخل إلا على جملتين يعقد بينهما السببية أو اللزوم. فيكون مضمون أو لهما سببا في وقوع مضمون

(١) عن الجملة الشرطية عند النحاة العرب الشمسان، أبو أوس إبراهيم الشمسان، ١٦٢-١٦٥.

الثانية أو في الإخبار بها [...] ولا أدري ما السبب الداعي إلى جعل جملة الجزاء في بعض الصور ذات محل من الإعراب؟^(١).

ومحصل رأيه أن الجملة التي تشغل وظيفة الخبر في الجملة الاسمية بديل ينوب خبراً متحققاً بلفظ مفرد والجملة الواقعة حالاً بديل عن حال متحقق بلفظ مفرد أما جملة الجزاء فلا تتحقق مطلقاً بلفظ مفرد حتى تنوبه. ولذلك كان اعتبارها ذات محل خطأ منشؤه في تقديرنا التسوية التامة بين إعراب الاسم وإعراب الفعل وتناسي أن الإعراب في الفعل فرعي. والأفضل أن نقول إن إعراب الفعل ينتمي لعلم الصرف.

— أثر الفرضيات السابقة في إعراب جملة الشرط:

تسمح فرضية النقل مع الفرضيات التي أعلننا عنها أعلاه بتدقيق وصف الجملة الشرطية في النقاط التالية:

— تدعم فرضية أن الأصل في الجملة الشرطية أن تكون جملة فعلية صورتها القياسية إن تفعل أفعل.

— يسمح التمييز بين العمل النحوي والصرفي وحصر الجزم في الصرف من تحديد وظيفة جملة الشرط المصدرة بأسماء الشرط الدالة على الظرف فهي جملة غير مستقلة وظيفتها ظرف مفيد للشرط. أما جملة الجزاء فهي الجملة الأصلية وفعلها سواء كان ملفوظاً أو مقدراً هو العامل في جملة الشرط.

— لا تخرج جملة الشرط المتحققة بأن عن القاعدة السابقة فهي جملة غير مستقلة تقع قيداً في الجزاء وهي نحويًا ظرف شرطي. أما عمل "إن" الجزم في فعل الشرط وجوابه فهو عمل صرفي لا يغني ذكره عن تعيين وظيفة جملة الشرط نحويًا وهي بالضرورة جملة غير مستقلة تتعلق بفعل الجزاء أو بما كان في معناه.

(١) الحاشية المصرية على مغني اللبيب، الدماميني بدر الدين، تحقيق: فاطمة السالمي، رسالة دكتوراه من بداية الباب الثاني إلى نهاية المخطوط، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٣٣-١٤٣٤هـ/٢٠١٣م.

— لجملة الشرط القياسية وظيفة إبلاغية تستمدّها من كون الشرط من المعاني التي يعقد عليها الكلام وتكون أدواته بالضرورة في صدر الجملة. فإن تزحزحت أدوات الشرط عن صدر الكلام لم تعد الجملة معقودة على الشرط وأصبحت جملة مثبتة أو منفية أو نحوه. وتكون جملة الشرط الواقعة في ذيل الجملة ظرفاً شرطياً.

— حرف الشرط شبيه بحرف النفي في كونه يتسلط على الكلمة التي تليه من جملة الشرط.

فإن قلنا: إن استجارك أحد من المشركين فأجره، فالشرط موجّه لفعل الشرط وكان فعل الشرط محطّ عناية المتكلم

أما إن ورد الكلام كما في الآية الكريمة ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجْرُهُ﴾ [التوبة: ٦] فالشرط مثل النفي أو الاستفهام متسلط على ما يليه، ويفيد أن عناية المتكلم توجهت للمسند إليه واهتمت به أكثر من اهتمامها بالفعل.. يدعم هذا الرأي تفسير ابن عاشور:

"وصيغ الكلام بطريقة الشرط لتأكيد حكم الجواب، ولإشارة إلى أنّ الشأن أن تقع الرغبة في الجوار من جانب المشركين.

وجيء بحرف "إن" التي شأنها أن يكون شرطها نادر الوقوع للتنبيه على أنّ هذا شرط فَرَضِي؛ لكيلا يزعم المشركون أنّهم لم يتمكّنوا من لقاء النبي ﷺ فيتخذوه عذراً للاستمرار على الشرك إذا غزاهم المسلمون [...] وجيء بلفظ أحد من المشركين دون لفظ مشرك للتنصيص على عموم الجنس، لأنّ النكرة في سياق الشرط مثلها في سياق النفي إذا لم تُبَيَّنْ على الفتح احتملت إرادة عموم الجنس واحتملت بعض الأفراد، فكان ذكر "أحد" في سياق الشرط تنصيصاً على العموم بمنزلة البناء على الفتح في سياق النفي بلا. وتقدير "أحد" على "استجارك" للاهتمام بالمسند إليه، ليكون أول ما يقرع السمع فيقع المسند بعد ذلك من نفس السامع موقع التمكن.

وساغ الابتداء بالنكرة لأن المراد النوع، أو لأن الشرط بمنزلة النفي في إفادة العموم، ولا مانع من دخول حرف الشرط على المبتدأ، لأن وقوع الخبر فعلاً مقنع لحرف الشرط في اقتضائه الجملة الفعلية، فيعلم أن الفاعل مقدّم من تأخير لغرض ما. ولذلك شاع عند النحاة أنه فاعل بفعل مقدر، وإنما هو تقدير اعتباري. ولعل المقصود من التنصيص على إفادة العموم، ومن تقديم "أحد من المشاركين" على الفعل، تأكيد بذل الأمان لمن يسأله من المشاركين^(١).

— لا يختلف حكم أسماء الشرط التي تقع مبتدأ عن حكم تقديم كلمة "أحد" في الآية المذكورة.

وبشكل عام فإن صور الشرط ظاهرة إبلاغية تنزل ضمن تقديم المتكلم لما له أهمية أكثر عنده. ويمثل الجزم في الجملة الشرطية ظاهرة صرفية تسم غايات إبلاغية. ولا يختلف تسلط حرف الشرط على الاسم الذي يليه لفظاً أو تقديرًا عن تسلط حرف النفي أو الاستفهام على ما يليه.

— تعود أغلب جمل الشرط بفضل النقل المقولي إلى الجملة الشرطية القياسية إن تفعل أفعّل.

— تعرب أسماء الشرط وجمل الشرط الفعلية ظرفاً يفيد الشرط. ويقتضي هذا القول عدم اعتماد النصب على شريطة التفسير.

أما صور الشرط التي تعرب مبتدأ وخبراً^(٢) فهي جمل اسمية لفظاً ولكنها دلائياً جمل فعلية، لا تختلف في صعوبة تحليلها عن الجملة الاسمية التي يكون خبرها فعلاً إنشائياً.

(١) تفسير التحرير والتنوير، ابن عاشور محمد الطاهر، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م، ١١٧-١١٨.

(٢) حصر رضي الدين الأسترباذي صورها. انظر: شرح الكافية، ٣/ ٣٤٢٢٤١-٣.

الخاتمة:

أبرزنا في هذا البحث أن ما سماه أبو الفتح ابن جني شجاعة العربية ينطبق في الحقيقة على نحو العربية وصحة حدوس النحاة الذين أسسوا نحو العربية. وبيننا أن تطور البحث اللساني يزيدنا فهماً للنحو القديم وتقديراً لبعض المفاهيم التي بيّنت اللسانيات صحة انطباقها على ألسنة أخرى. وعددنا النقل من هذه المفاهيم لأنه يوافق إلى حد كبير مع وجود الفارق_فرضية النقل المقولي عند مؤسس نحو التعلق لوسيان تانيار. وعرضنا تطوّر هذا المفهوم عند لوسيان تانيار وقارناه بمفهوم النقل عند النحاة وحصرنا أوجه الاتفاق وأوجه الاختلاف بينهما. ثم انطلقنا من المفهوم اللساني ومن أقوال النحاة العرب وطرّدناه على ظواهر كثيرة تستحق أن تدرج ضمن النقل المقولي مثل ما الكافة أو الموصولات الاسمية والحرفية أو فاء الشرط. وبذلك نكون قد قدمنا في دراسة الشرط بمنطلقات نظرية التعلق.

المصادر والمراجع

١- المراجع العربية

الأبنية الدالة على الشرط وعلاقتها بأشكال الجملة الاسمية مقارنة تعليمية، الشريف، محمد صلاح الدين، حوليات الجامعة التونسية، عدد ٥٤، تونس، ٢٠٠٩م.

الاشتقاق الدلالي في نظرية معنى - نص مدخل لحوسبة اللغة العربية، المجدوب، عزالدين، وآخرون، ضمن بحوث معجمية ودلالية بخلفية حاسوبية، ط١، مكتبة المتنبي، الدمام، ١٤٤٤هـ / ٢٠٢٣م.

إعادة تبويب أبواب النحو على ضوء معاني الكلام، المجدوب، عزالدين، والدخيل معاذ، ضمن بحوث معجمية ودلالية بخلفية حاسوبية، ط١، مكتبة المتنبي، الدمام، ١٤٤٤هـ / ٢٠٢٣م.

تجديد المنوال النحوي، بحوث محكمة مهداة إلى الأستاذ عزالدين المجدوب، تحرير: فدوى العذاري، دار كنوز المعرفة، عمان، ٢٠٢١م.

تحفة الغريب في الكلام على مغني اللبيب المشهور الدماميني، محمد بن أبي بكر بن عمر القرشي المخزومي، تحقيق: محمد عاطف التراس، ط١، دار السلام، مصر، ٢٠٢٢م.

تفسير البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، بعناية: صديقي محمد العطار، وآخرين، دار الفكر، بيروت - لبنان، ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م.

تفسير التحرير والتنوير، ابن عاشور محمد الطاهر، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م.

الجملة الشرطية عند النحاة العرب الشمسسان، أبو أوس إبراهيم الشمسسان، ط١، مطابع الدجوي، القاهرة، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م.

الجميل التي لا محل لها من الإعراب نقد وتوجيه، سامي بن علي بن خلفان الكندي، رسالة ماجستير، جامعة نزوى، سلطنة عمان، ١٤٣٨هـ / ٢٠١٧م.

الحاشية المصرية على مغني اللبيب، الدماميني بدر الدين، تحقيق: فاطمة السالمي، رسالة دكتوراه من بداية الباب الثاني إلى نهاية المخطوط، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٣٣-١٤٣٤هـ / ٢٠١٣م.

الخصائص، ابن جني، أبو الفتح عثمان، تحقيق: محمد علي النجار، ط ٣، الهيئة المصرية للكتاب، مصر، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م.

سر صناعة الإعراب ابن جني، أبو الفتح عثمان، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م.

شرح كافية ابن الحاجب، الأسترايازي، رضي الدين، تحقيق: أحمد السيد، المكتبة التوفيقية، القاهرة.

شرح كتاب سيبويه، أبو سعيد السيرافي، تحقيق: أحمد حسن مهدي، علي سيد علي، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ٢٠٠٨م.

شرح المفصل، ابن يعيش موفق الدين، عالم الكتب، بيروت - لبنان.

رسالتان في النحو، الحلل في الكلام على الجمل والتبيان في تعيين عطف البيان، شهاب الدين أبي العباس أحمد العنابي، دراسة وتحقيق: د. إبراهيم بن محمد أبو عباة، مكتبة العبيكان، الرياض، ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م.

رسالة في جمل الإعراب، بدر الدين الحسن بن قاسم المرادي، تحقيق: سهير محمد خليفة، ط ١، جامعة الأزهر، القاهرة، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م.

الكتاب، سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة.

اللغة من المعنى إلى النص، ملتشوك إيغور، ترجمة: عقيل الشمري، مراجعة: عزالدين
المجدوب، ط١، ابن النديم للنشر والتوزيع، توزيع دار الروافد ناشرون.

مغني اللبيب عن كتب الأعراب، ابن هشام الأنصاري جمال الدين، تحقيق: محبي
الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت - لبنان، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م.

مفاهيم دلالية ولسانية لوصف العربية، المجدوب، عزالدين، بريدة، مطبوعات جامعة
القصيم، ١٤٤٠هـ.

المقتضب، المبرد محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالي الأزدي، أبو العباس، تحقيق: محمد
عبد الخالق عظيمة، عالم الكتب، بيروت - لبنان.

المنوال النحوي العربي قراءة لسانية جديدة، المجدوب، عزالدين، ط٢، دار التنوير
للطباعة والنشر، لبنان، مصر، تونس.

النحو العربي والدرس الحديث، الراجحي، عبده، دار النهضة العربيّة، بيروت - لبنان،
١٩٧٩م.

نظرية التعلق في الوصف اللغوي، بولغير ألان، ملتشوك إيغور، ترجمة: عزالدين
المجدوب، ومنصور الميغري، النشر العلمي والترجمة، جامعة القصيم، ٢٠١٧م.

الوصفية مفهومها ونظامها في النظريات اللسانية، بن حمودة رفيق، كلية الآداب والعلوم
الإنسانية سوسة، ٢٠٠٤، ص ٢٠٤-٢١٤

٢- المراجع غير العربية

Elements of Structural Syntax, Tesnière Lucien, Translated by Timothy Osborne & Sylvain
Kahane, 2015 – John Benjamins B.V., Philadelphia, pp xxxiii

Tesnière Lucien, Comment construire une syntaxe, Bulletin de la faculté des lettres de
strasbourg, numero 7, 1934, pp219-229.

شجاعة العربية في مواجهة التغير اللغوي المتسارع في العصر الحديث

أ.د. محمد السيد سليمان العبد
عضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة

١- توطئة:

استبصار أمر التغير اللغوي في العربية المعاصرة في علاقته بمفهوم (شجاعة العربية) الذي أنشأه وارتاد عالمه الرحب في كلام العرب أبو الفتح عثمان ابن جني (ت ٣٩٢هـ) أحد نوابغ الفكر اللغوي العربي القديم، هو الغاية المستهدفة من هذه الدراسة. ولا ينبغي لعبارة "في مواجهة" أن ينصرف معناها إلى التصدي والاعتراض فحسب، فمن معاني "المواجهة" الملاقاة والاستقبال أيضاً. وسوف تبقى "المواجهة" استراتيجية مهمة في التعامل مع الصعوبات والقضايا تعاملاً فعالاً. ولعل الحاجة ماسة اليوم إلى ذلك المفهوم في ظل عالم شديد التغير في كل مظاهر الحياة اليومية والعلمية واللغوية. و(شجاعة العربية) مفهوم لا أراه يبلى بالتقادم، فهو لا يرتبط بعصر دون عصر ولا بموقف دون موقف. صار العالم - كما نعرف - قرية صغيرة، يعبر عنها بالقرية العالمية أو القرية الكوكبية، بمعنى أن جميع أنحاء العالم باتت كأنها اجتمعت في كيان واحد عبر وسائل الاتصال البينية الإلكترونية في هذا العصر الرقمي الذي صارت معه عمليات التواصل والتأثر والتأثير على المستوى الحضاري والاجتماعي والثقافي واللغوي أمراً طبيعياً ميسوراً.

ولا شك أن تحقيق تلك الغاية التي تنشدها هذه الدراسة سوف يحتاج إلى مدونة لغوية تسد الحاجة إلى الخروج برؤية بانورامية لملامح التغير اللغوي ومآلاته في واقع الاستعمال في العربية الفصحى المعاصرة. وقد وجدت هذه الدراسة ضالتها في أعمال لجنة الألفاظ والأساليب (إحدى لجان مجمع اللغة العربية بالقاهرة المعنية بعناية

خاصة بمتابعة التغيرات اللغوية العصرية ورصدها في مجلدات يقوم المجمع على إصدارها حتى بلغت ستة مجلدات فُصِّلَت ثم اختصرت في مسرد ضم ١٧١٦ بحثاً قصيراً بدءاً من الدورة الخامسة والثلاثين إلى الدورة التسعين^(١). وقد نهضت بتلك البحوث أجيال متعاقبة من علماء العربية المحدثين، لم يدخروا وسعاً في التفتيش والتنبيش والتحليل والتعليل حتى قدموا للعربية عملاً منقطع النظير.

٢- شجاعة العربية/ ملاحظات أولية:

لعل من أهم ما نلاحظه في ذلك الباب (باب في شجاعة العربية) الذي عقده ابن جني في كتابه بالغ القيمة (الخصائص) أنه لم ينشغل بتفسير هذا المفهوم وتحديد معالنه على نحو ما نرى في مفاهيم أخرى ارتبطت به كالتجريد والحال الشاهدة وتصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني وغيرها، بل استهل ذلك الباب بقوله: "ومعظم ذلك..." وراح يذكر ما يبرهن على تلك الشجاعة من ظواهر لغوية جمع بينها جامع العدول عن المألوف رعاية لمقتضي الحال، وهي: الحذف، والزيادة، والتقديم والتأخير، والحمل على المعنى، والتحريف. لم يستهل ابن جني بابه بالتحريف والتنظير، بل ترك الأمر فيهما لما أورده من ملاحظاته في الكلام عن صور كل ظاهرة من تلك الظواهر الخمس وتجلياتها في كلام العرب: شعره ونثره. ومن أهم هذه الملاحظات أيضاً أنه صَدَرَ الباب بهذه العبارة المثيرة للجدل "ومعظم ذلك..."، فضيَّق واسعاً؛ لأن شجاعة العربية أوسع من أن تحدِّد بحدود تلك الظواهر الخمس. ليست هذه الظواهر الخمس التي عرض ابن جني شجاعة العربية من خلالها إلا فئة من الظواهر الكبرى الفضفاضة الضاربة بجذورها في تراث العربية، أرادها ابن جني وسلكتها بخيط واحد حتى يعايش القارئ عبرها ذلك المفهوم؛ فالحذف مثلاً كانت له الصدارة في ذلك الباب؛ لأنه يؤدي إلى الإيجاز، والعرب يغلب عليهم الذكاء ويكفيهم في الفهم الإشارة والرمز.

(١) مسرد الألفاظ والأساليب: مجمع اللغة العربية بالقاهرة. ط١ (٢٠٢٤).

ظواهر ابن جني الخمس في ذلك الباب ليست حصريّة. وشجاعة العربية مفهوم يقبل التوسيع والتطوير. ذهب إلى هذا قدماء ومحدثون. من القدماء ضياء الدين بن الأثير (ت ٦٣٧هـ) الذي أضاف إلى هذا الباب ظواهر أخرى كالالتفات بصورة المختلفة، والانتقال من الماضي إلى المستقبل ومن المستقبل إلى الماضي، وغير ذلك مما أضافه من واقع كونه بلاغياً في مقابل ابن جني اللغوي (انظر: المثل السائر: تحقيق أحمد الحوفي وبدوي طبانة. دار نهضة مصر. القسم الثاني ص ١٦٨). والمحدثون على هذا الرأي أيضاً، ومنهم عبد الله الغدامي الذي رأى أن فكرة ابن جني عن شجاعة العربية وسرها يصدران عن مهارتها في تصريف الكلام وتحويله بين أساليب تعبيرية لا تقف عند حد، وأن أمثلته التي ذكرها ليست حصريّة^(١) كذلك الرأي عندي؛ فشجاعة العربية مفهوم يقبل دخول ظواهر أخرى عدة إلى رحابه، ومنها ما يلي:

١- تضمين الحرف معنى حرف آخر.

٢- استعمال صيغة صرفية بمعنى صيغة صرفية أخرى؛ كاستعمال (فعليل) بمعنى (فاعل) وبمعنى (مفعول).

٣- تحويل التركيب الوصفي إلى تركيب إضافي، مثل: خالص التهاني، وعظيم الامتنان في مقابل: التهاني الخالصة، والامتنان العظيم.

٤- خروج الأداة عن وظيفتها في كلام العرب، مثل خروج (لا) النافية عن هذه الوظيفة المعروفة في نحو قوله تعالى: "لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ" (القيامة: ١) أي أقسم. و (لا) قيل إنها زائدة، وقيل للتوكيد. ومثل ذلك اليوم أن تقول: "لا أوصيك على فلان" وأنت تريد: "لا أوصيك على فلان، فأنت لست بحاجة إلى أن أوصيك عليه"، فيكون النفي بـ (لا) لتوكيد الفعل مثبتاً.

(١) عبد الله الغدامي، عبد الله: شجاعة اللغة العربية وجبن حراسها. مقال منشور في جريدة الاتحاد الإماراتية، بتاريخ ٢٧/١/٢٠٢٤).

٥- التناقض الدلالي بين عنصري التركيب الإضافي أو التركيب الوصفي. من التركيب الإضافي: سعادة الحزن^(١)، وجمال القبح^(٢)، ومن التركيب الوصفي: العدل الظالم والظلم العادل^(٣)، والراحة المتعبة^(٤)، ولم يعد من الغريب في عالم مليء بالتناقضات وتشابك المفاهيم وتداخلها والتشكيك في الحقائق المطلقة وتقارب المسافات بين المجردات، أن تقرأ عبارات مثل: الحزن طريق الشعور بالسعادة، والخوف طريق الإنسان الملتبس نحو الأمان^(٥)، أو عبارات أخرى مثل: الانتخابات التشريعية: انتصار يساري بطعم الهزيمة^(٦)، انتخابات بطعم الاستفتاء^(٧)، جمهورية بطعم الملكية^(٨)، نجاح بطعم الرسوب^(٩)، هزيمة بطعم النصر^(١٠)، انتصار بطعم الهزيمة^(١١)، الغناء بطعم الحرب^(١٢)، اقتصاد بطعم السياسة^(١٣)، ضحك بطعم البكاء^(١٤)، فرح بطعم الحزن^(١٥)، حياة بطعم الموت^(١٦)، حب

(١) جريدة الوطن ٢٠١٨/١٠/١.

(٢) الشرق الأوسط ٢٠٢٤/٢/٢٨.

(٣) الشرق ٢٠٢١/١١/١٥.

(٤) جريدة مكة ٢٠٢٢/٨/٣.

(٥) إندبندنت عربية ٢٠٢١/١٢/٢٥.

(٦) مونت كارلو الدولية ٢٠٢٢/٦/٢٠.

(٧) وكالة الأناضول ٢٠١٨/١/٢٠.

(٨) الحرة ٢٠٢٠/٢/١٩.

(٩) وكالة عمون ٢٠١٣/٨/١.

(١٠) الجزيرة ٢٠١٧/٥/٧.

(١١) الحرة ٢٠٢٤/٦/٥.

(١٢) اليوم السابع ٢٠٢٤/٧/١٥.

(١٣) صدى البلد ٢٠٢٣/١/٢٨.

(١٤) العربية ٢٠٢٤/٧/٢٩.

(١٥) الحوار المتمدن ٢٠١٤/٧/١٥.

(١٦) الأهرام ٢٠١٤/٢/١٧.

بطعم الكراهية^(١)، تعادل بطعم الفوز^(٢)، فوز بطعم الهزيمة^(٣)، تعادل بطعم الهزيمة^(٤)... الخ.، هذه التعابير تصدر عن نظرة إلى الأشياء بشكل مختلف، وهي نظرة وليدة موقف يرتبط بملاسات خاصة فرضها فهم خاص. ولا يتضح السر الدلالي وراء تلك العبارات بذلك التركيب إلا من خلال النص بكامله. لا يفهم معنى كل عبارة من تلك العبارات من ألفاظها، وإنما من خلال وضعها في المحيط النصي بسياقه اللغوي والمقامي. وقد كانت العربية من الشجاعة هنا بحيث خرجت على المؤلف من أجل الإمساك بغير المؤلف واصطياده بالكلمات. وأحسب أن الشجاعة اللغوية - بوجه من الوجوه - هي الاستغلال الأمثل للإمكانيات الأسلوبية المتاحة، من حيث إن اللغة صورة العالم في تجلياته وأسواره المختلفة.

ومن الملاحظات الأولية عن ذلك المفهوم أيضاً أنه ليس ببعيد أن يكون ابن جني - في وعيه الباطن - قد رأى في شجاعة الإنسان ما يصلح أن يخلعه على شجاعة اللسان، أو كأنما أراد - رحمه الله - أن ينقل شجاعة العربي التي شهربها إلى شجاعة العربية التي هي لسانه، ومن ثم أن ينقلها من كونها قيمة أخلاقية اجتماعية إلى كونها مفهوماً لغوياً يحتل مكانه المميزين مفاهيم أخرى في خصائصه. وإذا تأملنا دوران شجاعة الإنسان في المعجمات العربية القديمة والحديثة حول معاني القوة والجرأة والإقدام ومواجهة الأمور بعزيمة وثبات، فلن نذهب بعيداً إذا قلنا: إن هذه المعاني المعجمية للشجاعة الإنسانية يمكن - في مجملها - أن تؤدي - بالنظر إلى شجاعة العربية - إلى قوة مبانيها والجرأة في توسيع معانيها والقدرة على صناعة السياقات وتنوعها.

(١) جريدة البحرين اليوم ٢٥/٨/٢٠٠٧.

(٢) فرنسا ٢٤: ٣٠/٤/٢٠٢٤.

(٣) صحيفة عناوين الإلكترونية ٢٢/٥/٢٠١٧.

(٤) اليوم السابع ٢٤/١٠/٢٠٢٢.

كانت مصادر التراث العربي قد حفلت بروايات وقصص عن الشجاعة العربية، وأنزلها الشعراء منزلتها العالية بين الصفات الإنسانية النبيلة، ودلّوا على قيمتها الأخلاقية والاجتماعية الكبرى، بل جعلوها أصل الفضائل؛ فمن اتصف بالشجاعة اتصف بالنجدة والهمة والثبات والحلم والشهامة واحتمال الكد^(١).

كانت الشجاعة إذن مما وصف به العربي. شجّع العربي، فكانت شجاعته حديث الغزوات والفتوحات، وشجعت العربية فكانت شجاعته مفهوماً لغوياً طريفاً أثبتته ودّلت عليه صور العدول في الحذف أو الزيادة أو التقديم والتأخير أو غيرها. في ضوء ذلك، نرى في مفهوم (شجاعة العربية) تأكيداً ضمنياً لمقولة: الإنسان واللسان وجهان لعملة واحدة، ونرى فيه (أنسنة)؛ لأنه صدر عن إضفاء صفة الشجاعة التي عرف بها العربي على لغته التي ظلت علاقته بها علاقة عضوية بحيث إن كلاهما يؤثر في الآخر إيجاباً وسلباً.

٣- الشجاعة والتغير اللغوي:

تعرف العربية التغير اللغوي في مستوياته المختلفة شأنها شأن سائر اللغات. وتتميز العربية في هذا المجال بميزتين رئيسيتين: القدرة على تحقيق التوازن بين الثبات والتغير من ناحية، والتغير في المجال الدلالي على نطاق أوسع مما يكون في المجالات الأخرى: الصوتية والصرفية والتركيبية من ناحية أخرى. يرجع ذلك إلى طبيعة كل مجال ووظيفته؛ فالمجال الدلالي لا تقارن مرونته بما يحكم الأنظمة الصوتية والصرفية والتركيبية من قواعد وقيد لمنع الخطأ أو اللحن. أما التغير في المجال الدلالي، فهو من النتائج المباشرة المتوقعة من العلاقات الدلالية بين الألفاظ في السياق اللغوي. ومن المعلوم في اللسانيات بالضرورة أن اللغة - أية لغة - بشقيها: المبنى والمعنى، عرضة

(١) انظر مثلاً: الفروسية المحمدية لابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ) تحقيق زايد بن أحمد النشيري. دار عالم الفرائد للنشر والتوزيع بيروت ٢٠١٩ ص ٤٩١، وتهذيب الأخلاق لابن مسكويه (ت ٤٢١هـ) المطبعة الحسينية. مصر ١٣٢٩ هـ. ص ١٨.

للتغير، ولكن التغير في المعنى هو مركز عناية علماء اللغة: القدامى والمحدثين. مما يؤكد وفرة حالات التغير في المعنى أنها بلغت نحواً من ٦٣٠ حالة كان التغير فيها قد وقع في معنى اللفظ في صورة من صور التغير الدلالي المختلفة؛ أي بنسبة بلغت ٣٧٪ تقريباً من مجمل المادة اللغوية التي قدمتها (لجنة الألفاظ والأساليب)، على حين كان التغير في المبني الصرفي ٢٣٠ حالة، بنسبة بلغت ١٣٪ تقريباً.

لم تكن ظاهرة التغير اللغوي في ذاتها محلّ جدل بين علماء اللغة؛ لأنهم يدركون أن التغير من سنن الحياة ومن سنن اللغات أيضاً، وأن الزمن - كما قال فردينان دوسوسير (١٨٥٧ - ١٩١٣) - يغير كل شيء، وليس من سبب يجعل لغة من اللغات لا تخضع لهذا القانون العام. اللغة لا حول لها في الدفاع عن نفسها في مواجهة القوى التي تغير - من لحظة إلى أخرى - العلاقة الاعتبارية بين الدال والمدلول. إن افتراض لغة لا تتغير يعني بالضرورة افتراض وجودها خارج الزمن. والملاحظ أن اللغات لا تتغير بالكم نفسه ولا بالكيف ذاته ولا بالسرعة عينها. اللغات مختلفات فيما بينها في ذلك كله. وكذلك هي الحال في العربية إذا أردنا المقارنة بين عصورها المختلفة من حيث الكم والكيف ودرجة السرعة. ويلاحظ في هذا المجال أن عصور العربية القديمة على جانب والعصر الحديث على جانب آخر وقد فاق سائر عصور العربية القديمة في مقدار التغير في المباني والمعاني وكيفيته ودرجة سرعته. يومئ هذا بالضرورة إلى عدم تخلف العربية المعاصرة عن إيقاع العصر ومستجداته. العالم اليوم في حالة حركة متسارعة تعكس هذا التغير الهائل الذي ألقى بكاھله على جميع مجالات الحياة البسيطة والمعقدة. العربية اليوم تعيش - كغيرها من لغات العالم الحية - ما أطلقوا عليه عصر السرعة، عصر التكنولوجيا والإنجازات العلمية والمعلوماتية والمنافسة في شتى ضروب الإنجاز. ومن لم يعيش عصره - بما في ذلك الشأن اللغوي الذي يموج في كل يوم - بل في كل لحظة - بالجديد، فقد كتب على نفسه حياة البقاء خارج الزمن. ولعل نظرة عامة إلى حالات التغير في المباني والمعاني من خلال المادة اللغوية التي تعتمد عليها هذه الدراسة، سوف ترجح القول بأن العربية المعاصرة تحاول جاهدة في عصر السرعة هذا تحقيق المعادلة الصعبة بين ضرورات التغير ونتائجه الإيجابية التي تفرضها سياقات الاستعمال الجديدة وبين ضرورات

المحافظة على الخصوصية الثقافية التي ينبغي للعربية مراعاتها في العصر الراهن، لا سيما ما يختص بما تتعرض له حقول الدين والأخلاق والقيم الاجتماعية الدلالية. وسوف يبرهن إمعان النظر في حقول الدلالة التي توصف عادة بالعصرية؛ كاستخدام التكنولوجيا في جميع مناحي الحياة، وانتشار وسائل التواصل الاجتماعي، والطموحات المهنية والشخصية، وثورة المعلومات والبرمجيات، والعلاقات الدولية، والمعاملات الاجتماعية، والمعاملات المالية، والشئون العسكرية، والمنافسات الرياضية، والعقوبات الاقتصادية والسياسية، والشئون الأمنية، والأوساط الفنية، والأزمات الاقتصادية والمائية، والأنشطة السياسية، والتغيرات الاجتماعية، وتفاصيل الحياة اليومية... الخ، سوف يبرهن على أن تلك الحقول وما يطرأ عليها ويقع فيها من تغيرات لم يكن غائباً عن العربية المعاصرة، لا سيما في لغة الإعلام التي تعد اليوم نافذة المجتمعات المتقدمة وغيرها على العالم. لا أراه إلا واقعياً وصائباً وصف العربية المعاصرة - في موقفها من المتغيرات اللغوية في المباني والمعاني - بأنها - إلى حد معقول - معتدلة ومتوازنة مع طبيعة الحياة وإيقاعها وحاجات الناس الأولية في المجتمعات العربية المختلفة. وغنى عن البيان أن ما يقال عن مثل هذا الاعتدال أو التوازن مبنى على أعمال اللجنة ذاتها، بيد أن تأمل الموقف خارج هذه الأعمال سوف ينبه إلى أمرين مهمين: أولهما أن ما وضعت اللجنة أيديها عليه من متغيرات في المباني والمعاني لا يمثل واقع التغير الفعلي في العربية المعاصرة، والدليل أنه بالإمكان دائماً أن نعثر على حالات للتغير مبنى أو معنى أوهما معاً في نصوص أدبية وإعلامية مضت عليها عشرات السنين. أما الأمر الآخر، فإن درأ الانتقائية والتغلب على ضالة المخرجات مقارنة بالمدخلات يدعو إلى القول بأنه قد أن الأوان لمجامعنا الاستعانة بالذخائر اللغوية الجامعة لشتى صور استعمال العربية مزودة بتاريخ الاستعمال من أجل الحصول على نتائج أفضل، لا سيما أن تلك المجامع هي - أينما وجدت في المنطقة العربية - الراعي الرسمي الأمين الأول للعربية.

من الملاحظات الأولية الإجمالية أيضاً أن هذه التغيرات اللغوية المتسارعة: مبنى ومعنى، تقوى درجة تسارعها بمرور الوقت. وللجنة اهتمام خاص بجمع المادة اللغوية

المعتمدة للبحث والتحليل من مصادر وصحف عربية شتى، مما يبعد الظن بأن هذه الملاحظة ابنة مادة لغوية ممثلة لمصادر وصحف مصرية فحسب. ومما يمكن استنتاجه من هذا التغير اللغوي المتسارع بمرور الوقت أن العربية المعاصرة تزداد صلتها - بمرور الوقت أيضاً - بأحداث الحياة المتسارعة في شتى مجالاتها، وهو ما يعنى قدرتها الفائقة على إنتاج سياقات لغوية جديدة. والحق أن هناك ما لايحصى من السياقات اللغوية في العربية المعاصرة ما زالت مغلقة على معانٍ لم نستكشفها بعد، وأن معرفتنا بهذا التغير اللغوي في المعنى سيظل رهن ما نستكشفه في تلك السياقات اللغوية يوماً بعد يوم. وهذا أمر له ما بعده من آثار إيجابية في تزويد معجم العربية بالمحدثات من المعاني التي ستحملها إليه الأيام. ولنا في المعجم الوسيط الشاهد الحي على ذلك؛ فقد صار (المعجم الوسيط) بعد تحديثه إلى ضعف محتواه تقريباً قبل التحديث.

٤- التغير في المباني:

على رغم انفتاح التغير في المعاني وسعته في العربية المعاصرة مقارنة بالتغير في المباني الذي تحكمه طبيعته النظامية القواعدية التي تجعل التغير فيه بطيئاً ومحدوداً في صوره وحالاته، فإن تأمل نصوص العربية المعاصرة: الأدبية وغير الأدبية يكشف عن صور للتغير في تلك المباني غير قليلة. ويمكننا تصنيف هذه الصور في نمطين اثنين رئيسيين: ما يمكن تسميته بـ (التغير الكمي) وما يمكن تسميته بـ (التغير الكيفي). أما التغير الكمي، فمن أهم صوره الفرعية ما يلي:

- ١- التوسع في استعمال الفعل الثلاثي المزيد بتضعيف العين أو المزيد بالهمزة. من الأول (رَبَط) - بتضعيف الباء - في مقابل (ربط) مخفف الباء. ومن ذلك: رَبَّط الشيءَ تربيطاً. والتربيطات: الاتصالات والاتفاقات المعلنة أو غير المعلنة بين طرفين أو أكثر؛ لتحقيق مكاسب شخصية. ومنه أيضاً (عهد) - بتضعيف الهاء - في مقابل (عهد) بتخفيفها. ومن ذلك المصدر (التعهد)؛ وهو أن تعهد الشركة إلى شركة أخرى بعمل بعينه.

٢- التوسع في الاشتقاق من الاسم الجامد العربي أو المعرب. من العربي (فَقَر - فقيراً)، يقال فَقَر النص تفقيراً: قَسَمَه إلى فقرات، و(لَجَن - تلجئاً) والتلجين تشكيل اللجان أو توزيع الشيء إلى لجان أو عرض الشخص أو الشيء على لجنة مختصة لإصدار قرار بشأنه. ومن المعَرَّب (فَرَز - تفريراً) يقال: فَرَز الطعام تفريراً: جمده بوضعه في (الفريزر Freezer)، و(أَدْلَج - أدلجة)، يقال أدلج الفكرة أدلجة: أخضعها لأيدولوجيا بعينها.

٣- التوسع في استعمال جموع التكسير دون التمييز بين جموع التكسير للكثرة وجموع التكسير للقلة. من ذلك مثلاً استعمال (أفعلة) التي للقلة في سياق الكثرة، كقولهم في الدعاء: اللهم أعد علينا رمضان أعواماً عديدة وأزمنة مديدة.

٤- التوسع في استعمال جمع الجمع. وقد استخرجت من نصوص متنوعة عدداً هائلاً من جمع الجمع لم يرد في نصوص تراثية، مثل: أذونات، ورهونات، وسحوبات، وبيوعات، وعروضات، وكشوفات ... الخ.

أما التغير الكيفي في البنى الصرفية في العربية المعاصرة، فمن أهم صورته ما يلي:

١- استعمال المخالفة بين صيغتين صرفيتين للتمييز بين معنى معجمي ومعنى اصطلاحي، ومن ذلك مثلاً التمييز بين (نشط) و(ناشط) فالنشط من يعمل بحيوية وخفة ومثابرة على العمل. أما الناشط، فيعني من له إسهام أو مشاركة فعالة لا سيما في المجال السياسي أو مجال حقوق الإنسان.

٢- استعمال المخالفة في الجمع تمييزاً بين استعماله في مجال دلالي واستعماله في مجال دلالي آخر. ومن ذلك مثلاً (التحليل) جمع التحليل في المجال الطبي وفي الطب النفسي، و(التحليلات) وهو الجمع الآخر للتحليل في مجال آخر؛ كالتحليلات الأسلوبية ونحوها.

٣- التمييز في المصادر الصناعية بين ما يكون بزيادة الياء المشددة المفتوحة والتاء المربوطة لإفادة المعنى المعجمي وبين ما يكون بزيادتهما مع زيادة واو أو ألف

ونون لإفادة معنى اصطلاحى مذهبي علمي. ومن ذلك مثلاً: الشعبوية في مقابل الشعبية، والإسلاموية في مقابل: الإسلامية، والتاريخانية في مقابل: التاريخية. فالشعبية مثلاً في (مرشح شعبي) تعنى من يحظى بقاعدة جماهيرية عريضة تسانده وتؤيد أفكاره. أما (المرشح الشعبوي) فهو من يتلاعب بمشاعر الجماهير، ولا يعبر عن رؤى محددة يمكن مناقشتها والإمساك بمضامينها على أرض الواقع.

٤- بناء (فَاعِلَ - مُفَاعَلَةً) من كلمة وظيفية، مثل (حَايَتْ - مُحَايَّاتٌ) من (حيث) التي تستعمل ظرفاً للمكان والزمان. و (المحايثة) تعنى: النظر إلى الشيء في ذاته ولذاته منفصلاً عما يحيط به من أشياء قد يكون لها تأثير فيه.

٥- استعمال صيغة (فَعِيل) - بفتح الفاء وتضعيف العين المكسورة - للمبالغة. ومن ذلك مثلاً: لَعِيب، وكَسَّيب، وشَرَّيب. وقد أجاز مجمع اللغة العربية بالقاهرة هذه الصيغة للمبالغة على رغم الاختلاف في الرأي بين من يراها مقبولة للتوسع في اللغة ومن لا يراها كذلك، لا سيما أنَّ حالاتها لا تحفى نسبتهما إلى العامة.

٦- استعمال الاسم المنسوب بدلاً من اسم الفاعل. وهي من الظواهر الصرفية الجديدة بالملاحظة في مجال لغة الإسلام السياسي. ومن ذلك مثلاً: (الإسلامي) في مقابل (المسلم) و (الجهادي) في مقابل (المجاهد) و (الاستشهادي) في مقابل (المستشهد) و (الانتحاري) في مقابل (المنتحر) و (التكفيري) في مقابل (المكفر) و (الإرهابي) في مقابل (المرهب) ... الخ. يدل الاسم المنسوب على من يتبنى أيديولوجياً أو موقفاً فكرياً خاصاً يوجه سلوكه وممارساته؛ فالمسلم مثلاً من آمن بالله ورسوله وأقام الصلاة وآتى الزكاة وحج البيت ما استطاع إليه سبيلاً، أما (الإسلامي) فهو اللفظ الذي أشاعه الإعلام والكتابات عن الجماعات الإسلامية التي تنطلق عناصرها من توجهات أيديولوجية سياسية دينية مثل:

بناء كيان إسلامي على أساس تطبيق الشريعة الإسلامية، وتوكيد دورها في الحياة السياسية والاجتماعية، ونظام الحكم.

تبدو مثل هذه التغيرات مقبولة ومبررة ومتوافقة مع روح النظام المصرفي للعربية. وما قد عرض من صور التغير الكمي أو الكيفي هو من باب التوسع والاستجابة القواعدية لاحتياجات التعبير في العصر الحديث. وكذلك كانت الحال مع المصادر الصناعية التي زيدت فيها على الياء المضعفة والتاء المربوطة حروف أخرى، فما زيدت تلك الحروف إلا لوظيفة التمييز بين نوعين من معنى المصدر من ذلك النوع: المعنى المعجمي والمعنى التداولي الاصطلاحي الذي اقتضاه التطور في المفاهيم والتوجهات.

0- لفظ واحد ومعانٍ عدة:

لتغير المعنى أسباب عدة: لغوية وتاريخية ونفسية وتأثير اللغات الأجنبية وحاجة المجتمع إلى أسماء جديدة وغيرها. أقتصر هنا على الوقوف على بعض الألفاظ التي تعددت معانيها بتعدد السياقات اللغوية التي استعملت فيها استعمالاً حقيقياً. وسوف أختار من تلك الألفاظ: الفعلين (لامس) و (اهتز) والاسمين (الروح) و (التلاعب) واللفظين (الرمزي) و (النظيف) المستعملين للوصف.

أما الفعل (لامس) فقد عثرت له في سياقات استعماله المختلفة في العربية المعاصرة على المعاني التالية: لأمس الأمل أحلامه: حاكاه أو كافأه أو أزاها. ولامس فلان الأهداف (أو اللقب أو الدوري أو البطولة): حققها، ولامس الاحتياجات (أو المطالب أو التطلعات): لبأها، ولامس فلان الثرياً: شمش، ولامس الجرح: أصاب موطن العلة، ولامس الحقيقة: اهتدى إليها، ولامس الخيال الواقع: آل إليه أو تحول إلى حقيقة، ولامس روح فلان: احتواه في لحظات ضعفه، ولامس طموحه السماء: بعد مداه، ولامس القلب: هزه وأثرفيه، ولامس الشيء مبلغ كذا: بلغه، ولامس المستقبل: وعى (أدرك، أو تفهم) احتياجاته، ولامس المنتخب ونحوه السماء: وصل إلى القمة، ولامس الواقع: أحس به وعبر عنه.

وأما الفعل الآخر (اهتز) فقد عثرت له على المعاني التالية: اهتزأداء الفريق (أو نتائجها): تراجع، واهتزت الأسعار: انخفضت، واهتزت أوضاعه (أو سمعته): ساءت، واهتزت الثقة في فلان: ضعفت أو تضاءلت، واهتزت الحقيقة (أو البيانات): صارت عرضة للشك، واهتزت شبك الفريق: أصيب مرماه بهدف، واهتزت شخصيته: ضعف رأيه وتبع غيره، واهتزت صورته: بات مدعاة للانتقاد والسخرية، واهتزت نفسيته: عانت من اضطراب نفسي، واهتز ضميره: شعر بهول الفاجعة. واهتزت العادات: تغيرت، ولم تهتز له شعرة: شجّع وثبت على موقفه (وفي سياق آخر: تبلّد إحساسه).

وأما (الروح) فقد عثرت فيما وقع فيه من الأساليب المعاني التالية: بالروح (في مثل: انتصر على فريق كذا بالروح): بالعزيمة والإصرار، وبروح التسعينيات (في مثل: موندريال بروح التسعينيات): بالأجواء الخاصة السائدة فيه، وبروح الفريق الواحد (في مثل: يعمل بروح الفريق الواحد): بما يحقق التفاهم والانسجام والشعور بالمسؤولية المشتركة، وبروح (في مثل: يفعل الشيء بروح كذا): بأسلوب، وبروح (في مثل: يعمل بروح شعار الشرطة في خدمة الشعب): بمضمونه أو مغزاه الجوهري، وبسبعة أرواح: لديه قدرة على النجاة كلما تعرض للخطر، وبلا روح (في مثل: كلام أو عمل): روتيني أو بروتوكولي، أو لا يبرح آذان مستمعيه، ودبت فيه الروح: عادت إليه مظاهر الحياة والنشاط، وروح الجماعة: المواقف والاعتقادات والعادات والسلوكيات التي تربط بين أفراد جماعة بعينها؛ كروح العمل والاعتماد على النفس ونحو ذلك، والروح الطيبة: المشاعر السمة الخيرة التي لا تضر سوءاً لأحد، وروح الوطن (في مثل: استحضر روح الوطن): حضارته وتاريخه، والزعيم الروحي: الشخص صاحب المكانة عند جماعة أو فئة من الناس، ويتحلى بروح جميلة: طيب النفس، مرحها، يحبه الآخرون.

وأما (التلاعب) فله في السياقات التي وقع فيها في العربية المعاصرة المعاني التالية: التلاعب (في مثل: التلاعب في حصة مصر المائية): التحايل، والتلاعب (في مثل: التلاعب بآيات القرآن): التحريف، والتلاعب (في مثل: اتهام موظف بالتلاعب في وثائق أو مستندات): التزوير، والتلاعب (في مثل: التلاعب بالماضي وكتابة التاريخ):

التزييف، والتلاعب (في مثل: التلاعب بالعقول): التضييل، والتلاعب (في مثل: التلاعب في الأسعار): التغيير بالزيادة، والتلاعب: تغيير الواقع وتزييفه بالباطل، والتلاعب (في مثل: التلاعب بالألفاظ): التفنُّن، والتلاعب (في مثل: التلاعب بالمخابرات الإسرائيلية): الخداع، والتلاعب (في مثل: تلاعب طفل بثعبان عملاق): السيطرة والتحكم، والتلاعب (في مثل: تلاعب الهواء بشعر فلان): العبث بالشيء، والتلاعب (في مثل: التلاعب في المشغولات الذهبية): الغش، والتلاعب (في مثل: التلاعب بالمدافعين): المهارة في المراوغة.

وأما اللفظان (الرمزي) و (النظيف) المستعملان في الوصف، فلأول منهما - فيما وقع فيه من سياقات لغوية - المعاني التالية: الرمزي (في مثل: مبالغ أو رسوم رمزية): الزهيد أو المنخفض، والرمزي (في مثل: محاكمة أو مقبرة رمزية): غير الحقيقي، والرمزي (في مثل: جائزة أو هدية رمزية): ما يكون من أجل تقدير شخصي معنوي، والرمزي (في مثل: تشكيلات عسكرية رمزية): محدود العدد، والرمزي (في مثل: عقوبات رمزية): المخفَّف أو غير الجوهري. وللآخر (النظيف) المعاني التالية: التنظيف (في مثل: الهدف التنظيف في المجال الرياضي): الذي يسجله أحد الفريقين دون ردِّ من الفريق الآخر، والتنظيف (في مثل: الحراك السياسي التنظيف): السلمي الوطني، والتنظيف (في مثل: السينما النظيفة): الخالية من الابتذال والإيحاءات والمشاهد الجنسية والإثارة، والتنظيف (في مثل: الطاقة النظيفة): المستمدة من غير الفحم والنفط؛ كالشمس والهواء والماء، والتنظيف (في مثل: الطيران التنظيف في المجال التكنولوجي): الطائرات التي تعمل بالطاقة الشمسية، والتنظيف (في مثل: القضاء التنظيف): الذي يتحلى بالنزاهة والاستقلالية والحرص على تطبيق القانون، والتنظيف (في مثل: اللعب التنظيف): البعيد عن إيذاء الخصم والمتحلي بالروح الرياضية، والتنظيف (في مثل: المرمى التنظيف في المجال الرياضي): الذي يظل بعيداً عن أن يسجل فيه الفريق الخصم أهدافاً.

أن تتمخض السياقات اللغوية في العربية الفصحى المعاصرة عن مثل تلك المعاني لكل لفظ من تلك الألفاظ الستة السابقة، تلك المعاني التي خلت منها المعجمات العربية القديمة والحديثة، فهذا مما يؤكد أن ما هو خارج تلك المعجمات من معاني

ألفاظ العربية وأساليبها قد لا يقل عددًا عما بداخلها، وأن ما نسميه بمعجمات العربية هي معجمات العربية حتى اليوم الذي لم تدخل إليها فيه تلك المعاني بعد. بالطبع، ستفاوت ألفاظ العربية فيما بينها فيما تحظى به من معانٍ تكشف عنها سياقات استعمالها فيها على مدار الزمن. وسوف تنماز ألفاظ عن غيرها بتعدد معانيها بشكل ملحوظ فيما تستعمل فيه من السياقات على نحو لا تحظى به ألفاظ أخرى عدة. ويمكننا أن نطلق على تلك الألفاظ التي تعرض وافراً من المعاني عبر الزمن اسم "الألفاظ الساخنة hot words"؛ وهي الألفاظ لا تموت بالتقدم، وتشترك في حقول دلالية متعددة، وهي ذات أهمية خاصة تتجاوز بها أنواع النصوص وألوان التعبير الأدبي وغير الأدبي، حتى ليتمكن تسميتها أيضاً بالألفاظ العابرة للأزمنة والأمكنة والحقول الدلالية والأنواع النصية والأجناس الأدبية. مثل هذه الألفاظ تتميز بارتفاع معدل استعمالها ومرونة استثنائية في الدخول إلى ما لا يحصى من الأساليب والتراكيب.

ومهما يكن من أمر، فسوف يظل التغير في المعنى ما بقيت العربية على قوة اتصالها بالأشياء والعالم، وتفاعلها مع الأحداث والمتغيرات، وما بقيت منتجة للسياقات اللغوية المتجددة والمعبرة عن طبيعة الحياة في كل عصر.

1- من المعنى المعجمي إلى المعنى الرمزي:

في بعض المواقف الاتصالية يرغب المتكلم عن التصريح إلى التلميح وعن الإفصاح إلى الرمز والإلماح. هذه تقنية لغوية ينتقل فيها المتكلم من المعنى المعجمي للفظ إلى معنى آخر رمزي يرتبط بثقافة بعينها. منذ الأدب الجاهلي حتى اليوم يستعمل الطير والحيوان بدلالاته الرمزية المخترنة في تجارب العربي وخبراته اليومية. وفي العربية المعاصرة كان لحقل الطير والحيوان مكانة ملحوظة في التوظيف الرمزي لبعض الطيور والحيوانات الرامزة التي صارت أسماؤها غنية بالإيحاء فيما وضعت فيه من السياقات اللغوية التي تقتصر هنا على طائفة منها في لغة الإعلام المكتوبة. يستعمل اسم الحيوان أو الطير منسوباً إليه للوصف أو عنصراً في تعبير اصطلاحي يبني معناه الكلي على الرمز.

أما الحال الأولى، فمنها مثلاً: البغائية، في نحو: "كعاداته البغائية كرر (فلان) ما أكده الرئيس ... عن خسارة أمريكا فرصة تاريخية في ... (مصر ٣٠/١/٢٠١٩)، وتعنى ترديد كلام الآخرين وتكراره عن غير فهم، والثعلبية، في مثل: الثعلبية السياسية^(١)، والقدرة الثعلبية لدى محطمي الأوطان على اجتياح الطمأنينة^(٢)، والمعارضة الثعلبية في مثل: "معارضة ثعلبية نادرة تلعب على وتر كسب الزمن لتخدر الشعب على أريكة الترقب"^(٣)، بمعنى السلوك الماكر الذي تعرف به الثعالب، والعنكبوتية في مثل: "لفلان صلات عنكبوتية بذوي النفوذ"؛ أي: متشابكة متعددة؛ وذلك أن العنكبوت معروف بما ينسجه من خيوط متشابكة يستخدمها للقبض على فرائسه، والحريائية في مثل: "يكره التصرفات الحريائية والمجاملات الكاذبة أو التزلف؛ لأنه ليس صاحب مصالح شخصية، بل صاحب مبادئ تحكمها مبادئ الإسلام"^(٤) و"الشخصية الحريائية" هي الشخصية المتلونة مع المواقف والمصالح والمناسبات؛ وذلك أن الحرياء تغير جلدتها بحسب وضعها الفيزيائي والفسولوجي، والسلحفائية، في مثل: منظمة ... مجرد منظمة بيروقراطية سلحفائية مترهلة وشائخة، لا دور لها سوى الإعراب عن الأسف وكل عبارات الاستنكار والشجب والإدانة"^(٥)؛ أي: بطيئة؛ وذلك أن السلحفاة حيوان معروف بالبطء في سيره البري، والأخطبوطية في مثل: "لم يكن الرئيس ... مخطئاً حين شدد في مؤتمر ... على ضرورة التحشيد من أجل مواجهة دولة ... وتقطيع أذرعها الأخطبوطية في المنطقة"^(٦)، و: "تهينك كلمة" بعد "نفسياً لتوقع ما يمكن أن يكون أكثر إشراقاً وأكثر أملاً، وهذا هو ما تحاول استغلاله هذه الدوائر الأخطبوطية التي تنقض على هذا العامل النفسي المهم في حياة الإنسان"^(٧) بمعنى: القدرة على امتداد السيطرة والإحكام.

(١) المجلة العربية ٢٩/٢/٢٠٢٠

(٢) صحيفة الرأي ١٧/٥/٢٠١٣

(٣) صحيفة الراكونية ٣١٥/٣/٢٠١٤

(٤) دنيا الرأي ٤/٦/٢٠١٣.

(٥) الجزيرة ٣/١٠/٢٠٠٤.

(٦) الأيام البحرينية ١٧/٤/٢٠١٨.

(٧) المصري اليوم ١١/٧/٢٠٢٠.

وأما الحال الأخرى، فهي الطير والحيوان في الاستعمال اللغوي في هيئة التعابير الاصطلاحية ذات المعاني الرمزية؛ ومن ذلك: (الذئب المنفردة) بمعنى: شخص أو أكثر يتمردون على مجتمعاتهم ويتحسّون الفرصة لإيذائها بأحداث إرهابية يرتكبونها فعلاً دون ارتباط بأي منظمة إرهابية، و(الذباب الإلكتروني) بمعنى: اللجان الإلكترونية الموجهة، و(خفافيش الظلام) بمعنى: أصحاب الدسائس، و(الصقور والحمام) بمعنى: القادة السياسيين؛ إذ ترمز الصقور إلى الميل نحو الضغط العسكري واستخدام القوة المفرطة في حل النزاعات، وتميل الحمامات السلمية البعيدة عن سياسة فرض القوة فرضاً مباشراً، و(الضفادع البشرية) التي ترمز إلى جماعة من الغطاسين الذين يقومون بمهام عسكرية أو مدنية في أعماق البحار والمحيطات وغيرها. وقد أصبحت سلاحاً خاصاً في القوات البحرية، و(أخلاق الضباع) رمزاً على الدناءة والسلوك الخسيس، و(القطط السمان) رمزاً إلى الأشخاص المترفين الفاسدين الجشعين الذين يعيشون على كد الآخرين، و(البقرة الحلوب) رمزاً إلى شخص أوشىء يستغله الجميع، و(هوامير البورصة) رمزاً إلى كبار المضاربين في البورصات الذين يرحلون على حساب المستثمرين الأقل حجماً.

على هذا النحو ذهبت لغة الإعلام بعيداً في استعمال تلك الألفاظ والتعابير الاصطلاحية السابقة بمعانيها الرمزية التي تولدت عن خبرات الناس ومعارفهم العامة بطبائع تلك الطيور والحيوانات، ووظفتها وسيلة لغوية فعالة للتعبير عن المعاني تعبيراً رمزياً موحياً لا سيما في مجالات السياسة والمال والأعمال. مضت العربية المعاصرة في شجاعتها المعهودة بالتوسع في استعمال ما يثري معجمها المعاصر بالدلالات الرمزية إلى جانب ما احتوى عليه المعجم اللغوي العام من معان معجمية.

تطول القائمة بمثل تلك الألفاظ والتعابير الاصطلاحية من هذا النوع ويستطيع البحث الاستقصائي الموسّع العثور على نماذج أخرى عدة (مثل: كبش الفداء، وحوت الأسمدة، والحصان الأبيض، والحصان الأسود، والبطّة السوداء، وفئران السفينة، وفلان المتطاوس، ولعبة القط والفأر، ويضرب عصفوريين بججرواحد... إلخ). بيد أن

مثل تلك الاستعمالات للألفاظ والتعابير بمعانيها الرمزية لا تخفى صلتها بجوهر مفهوم (شجاعة العربية) عند ابن جني؛ وهو العدول، العدول الذي يتمثل هنا في شكل العدول عن المعنى المعجمي المباشر إلى المعنى الرمزي غير المباشر.

٧- المعنى بين الفصح والمفصّح:

من الألفاظ الفصيحة ما يستعمل في العربية المعاصرة في تراكيب وصفية، تسمح فيها الصفات - لما تتسم به من معانٍ فضفاضة - بأن تدل على معنى في سياق وعلى معنى مضاد في سياق آخر. تبدو هذه الفئة من الصفات ذات المعاني المراوغة الفضفاضة مظهرًا سلبياً من مظاهر التغير اللغوي في العصر الحديث، وذلك أنها تمثل استعمالاتاً عاميةً لألفاظ فصيحة. تشيع هذه الظاهرة في ميدان التواصل الإشهاري الترويجي الذي لا تبالي فيه الصحف اليومية بالجمع بين الفصح والعامي جنباً إلى جنب. اقتصر هنا - لتوضيح هذه الظاهرة - على بعض التراكيب الوصفية التي كان فيها الموصوف الدالّ اللغوي "الأسعار". في الإعلانات التجارية الترويجية للسلع والمنتجات، توصف الأسعار بأنها: وهمية أو خرافية أو رهيبة أو جنونية أو خيالية أو فظيعة أو مجنونة أو مذهلة أو نحو ذلك. يوجه السياق اللغوي هذه الصفات جميعاً إلى معنى بعينه؛ هو أنها تعني "أسعار منخفضة جداً". تستعمل الصفة "خيالية" في الإعلان التالي مع الموصوف "الأسعار": مول الصين يعني خامات خرافية وأسعار خيالية"، وذلك أنه في سياق الترويج وجذب الجمهور الذي تكون وسيلته الخامات الجيدة والأسعار المنخفضة. ولكن الصفة ذاتها في الخبر التالي: "بيع مجوهرات الفنانة ... في مزاد بجنييف بأسعار خيالية"^(١)، تعني معنى مضاداً، وهو: مرتفعة جداً. وتستعمل الصفة "نارية" مع الموصوف "الأسعار" في الإعلان التالي: "أسعار نارية من المصنع مباشرة بأفضل خامات" بمعنى: منخفضة جداً، ولكنها تستعمل مع الموصوف ذاته في الخبر التالي: يعاني سكان حي ... من استغلال بعض التجار وأصحاب

(١) اليوم السابع ١٤/١١/٢٠٢١.

المحال التجارية من خلوّ الرقابة والأسعار النارية"^(١)، بمعنى مرتفعة جداً. وتستعمل الصفة "خرافية" في الإعلان التالي: "أسعار خرافية بانتظارك" بمعنى منخفضة جداً، ولكنها تستعمل في الخبر التالي "بأسعار خرافية... فساتين الفنانات تثير الجدل على مواقع التواصل الاجتماعي"^(٢)، بمعنى مرتفعة جداً. وتستعمل الصفة "رهيبة" في الإعلان التالي: "النداء الأخير لأقوى عروض اليوم الوطني: بأسعار رهيبة لا تفوتها" بمعنى منخفضة جداً، ولكنها تستعمل في الخبر التالي: "بالصور: نرصد أسباب ارتفاع الأسعار: أسعار رهيبة لإيجارات الشقق والفيلات في..."^(٣)، بمعنى: مرتفعة جداً.

سادت مثل تلك الصفات لغة الإعلانات التجارية، وانتقلت عداها إلى لغة الخبر الصحفي. كانت لغة الإعلانات التجارية قد جمعت بين العامي والفصيح، ومن ثم كانت لها سماتها الخاصة التي تقبل فيها تلك الصفات بمعانيها التي جرّتها المبالغة في الوصف إلى غير معانيها في معجمات العربية القديمة والحديثة، ولكن لغة الخبر الصحفي لغة فصيحة، وعلى رغم ذلك لم تسلم من تلك العدوى، فرحفت تلك الصفات إليها على نحو ما نجد مثلاً في العنوان الصحفي التالي: "واجهات مساجد إسلامية فظيعة الجمال"^(٤) أراد المحرر أن يصف هذه المساجد بشدة الجمال، فاستعملت الصفة "فظيعة" التي تعني الشناعة ونزول الأمر العظيم بالمرء؛ جاء في القاموس: "فُظِع الأمر: اشتدت شناعته، وجاوز المقدار في ذلك"^(٥).

في التراكيب الوصفية السابقة خرجت تلك الصفات في لغة الإعلانات التجارية عن معانيها التي أوردتها بها المعجمات العربية القديمة والحديثة، وليس لها - في تلك الإعلانات - إلا أن تحمل على معانيها السياقية التي تعنى فيها - على اختلاف

(١) صحيفة الرأي الكويتية ١٢/٣/٢٠٠٩.

(٢) صدى البلد ٢٤/٦/٢٠٢٤.

(٣) اليوم السابع ٢٤/٤/٢٠١٧.

(٤) موقع Pinterest: ٢٤/١٢/٢٠٢٢.

(٥) القاموس المحيط: ف ظ ع.

ألفاظها - معنىً واحداً هو الشدة، شدة انخفاض الأسعار. لقد وضعت تلك الصفات في غير مواضعها، واستعملت بغير معانيها المعجمية؛ فالأسعار الرهيبة لم يقصد بها - مستعملة في سياق الإعلان التجاري - أنها مخيفة، هي فقط صفات لتحويل انخفاض السعر من أجل تهوين المبلغ الذي سوف يدفعه المستهلك. لم توصف الأسعار بالصفات التي اعتادت اللغة أن تصفها به، ولكنها وصفت بالصفات التي اعتادت اللغة الإعلان التجاري حتى صارت تقليداً سائداً ولازمة من لوازمها الأسلوبية.

أما التفصيح بمعنى ردّ ما يظنّ بعاميته إلى أصله الفصيح، فهو من أهم وجوه خدمة العربية في العصر الحديث. وقد نشط أفراد من الهواة والباحثين اللغويين المحترفين في الإسهام في عمليات الكشف عن فصاحة بعض الألفاظ المتداولة في العاميات العربية الحديثة. بيد أن مؤسسة علمية رائدة في ذلك المجال يظل لها نشاطها المميز؛ وهي مجمع اللغة العربية بالقاهرة، قد قطعت شوطاً بعيد المدى منذ سنوات عدة في ذلك المجال. لقد وقفت (لجنة الألفاظ والأساليب) بالمجمع القاهري على أكثر من ستين لفظاً وأسلوباً (حتى عام ٢٠٢٤م) مما يشيع استعماله في العربية، وردّتها إلى أصولها الفصيحة مستعينة في ذلك بالمعجمات القديمة التي تمثل المرجعية اللغوية الأولية في هذا العمل. ولا شك أن لهذا العمل أهميته البالغة في تذويب الفوارق بين اللغة الفصحى والعاميات الحديثة، وفي فتح مجالات جديدة لاستعمال الألفاظ المفصّحة في لغة الأدب - لا سيما الروائي والقصصي والمسرحي - ولغة الإعلام المنطوقة والمكتوبة معاً. وسوف تجمع تلك الألفاظ والأساليب المفصّحة بين كونها فصيحة من ناحية، وكونها الأقرب إلى كلام الناس في الحياة اليومية من ناحية أخرى. لقد طال أمد الكلام عن الازدواجية اللغوية في العربية المعاصرة بوصفها من معوقات الأداء باللغة العربية الفصحى عند كثير من الناس، وسوف تؤدي حركة تفصيح العامية التي يوليها المجمع القاهري أهمية خاصة إلى نتائج إيجابية عدة، من أهمها: جعل الألفاظ المفصّحة - بقرارات رسمية - صالحة للاستعمال في سياقات لغوية فصيحة وإزالة الظنّ بعاميتها عند عموم الناس، وتزويد العربية الفصحى ذاتها بتلك المفصّحات كأنها بضاعتها التي

رَدَّتْ إليها. إن أفعالاً مثل: خَمَّ، ودردب، ودردش، ودلق، ورصرص، ورمح، وشبرق، وكبَّ (الماء)، وانكسف (بمعنى خجل) واستعبط، وعزَّل (بمعنى نقل أثاث بيته)، وفتفت، وقبَّ (على السطح)، ولخبط، وهاود (فلانا في الثمن)، أو أسماء مثل: الخناقة، والخوتة، والبرطمة، والهدوم وغيرها، هي جميعاً ألفاظ ذوات أصول فصيحة، طوَّرها الاستعمال المعاصر غير مُنَبِّت الصلة عن معانيها المعجمية القديمة، ورأى فيها المجمع القاهري صلاحية استعمالها في العربية على أنها ألفاظ لا تقل في فصاحتها عن غيرها من الألفاظ المتمكنة في الفصاحة. والأمر نفسه في حال الأساليب مثل: فلان لا يهش ولا ينش "بمعنى: لا إرادة له ولا قدرة على شيء، ولا يرجى منه نفع.

ولعل من أهم ما يثيره مشكل التفصيح اليوم من أسئلة: ما الذي نفصحه؟ وما الذي يجب فعله بعد التفصيح؟. نتخذ من الموازنة بين الفعلين: رشا (فلانا) وبرطله مدخلا إلى الإجابة عن السؤال الأول. يجري الظن بين عموم الناس بأن الفعل (رشا) فصيح، وأن الفعل الآخر (برطل) عامي. واقع الأمر أن كلا الفعلين فصيح. جاء في القاموس المحيط: "برطل فلاناً: رشاه" (القاموس: برطل). على رغم ذلك، يحترز كثير من الناس، فيستعملون الفعل (رشا) في كلامهم الفصيح ظناً بأن الفعل (برطل) من العامية. لكن الظنَّ بعامية اللفظ يعمق كثيراً في النفوس مع ألفاظ أخرى عدة مثل: لبَّخ (في الكلام) وبعزق (فلوسه) وزبرق (الشئ) ووضَّبه، ودكَّنه وغير ذلك من الألفاظ التي تبدو من معجم العاميات الحديثة وأماراتها. والحق أن لتلك الألفاظ وأمثالها سياقاتها اللغوية التي تقع فيها بظل معانيها في العامية خير موقع، وتدل على المقصد خير دلالة. والعبرة بتهيئة السياقات الملائمة لها في حوار مسرحي مثلاً يُحتاج فيه إلى مثل تلك الظلال التي تحتاج إليها دائماً بعض المواقف الاتصالية أشدَّ الحاجة.

أما المشكل الآخر، فهو - إن جاز القول - خدمة ما بعد التفصيح. وأعنى بها العمل على ضمان انتشار تلك المفصَّحات على نطاق جماهيري واسع ليعلم الناس بفصاحتها حتى يقلعوا عن استعمالها في اللغة المكتوبة وقد وضعوها بين قوسين أو بين علامات تنصيص لظنَّهم بعاميتها ولعزلها عن سائر الألفاظ الفصيحة. وما أكثر ما رأيت من

ألفاظ مثل: الزنقة، والدريكة، والبجبة، واللحلة، والرصصة، واللهوجة، والمخدة،
والهراشة، وقد وضعت في لغة الصحافة بين أقواس أو علامات تنصيص على ظنِّ
بعاميتها لارتباطها بالعامية وطول عهدها بها في الاستعمال، وهي من الفصاحة بمكان.

وخلاصة القول إنه ينبغي لنا عند النظر إلى مثل تلك الألفاظ أن نطمئن إلى فصاحتها
من خلال ما تفيدته المعجمات القديمة وما يكون بين معاني تلك الألفاظ اليوم من خيوط
دلالية تربطها بمعانيها في العربية قبل العصر الحديث، وألا نتسرع في غض الطرف عنها
والحكم بطردها من معجم العربية ظناً بأن تطهيره منها هو الصواب. الصواب - في
رأْي - هو أن يقضي تأصيلها بفصاحتها وارتباط معانيها اليوم بمعانيها في الماضي، وأن
ندرك أن مثل هذه الفئة من الألفاظ العربية الفصيحة التي طال بها العهد مستعملة في
العامية مجالاتها وسياقتها اللغوية المناسبة؛ كالبرامج الإذاعية والتلفزيونية الجماهيرية،
والحوارات المسرحية التي تجري على ألسنة شخصيات من مستويات اجتماعية وثقافية
أدنى إلى أن يكون استعمالها لمثل تلك الألفاظ هو الأمر الطبيعي المتوقع.

٨- المعنى بين التصريح والتلطيف:

لا أحد يخالجه شك في توفر الثقافة العربية على منظومة قيمية وأعراف اجتماعية
تحول دون ترك الحبل على الغارب لمن يخرج عليها بألفاظ وأساليب تلوث المجال العام،
أو تكدر استقراره، أو تستنفر غضب الرأي العام. يلجأ المتكلم إلى التلطيف euphemismus
تقنية لغوية لتخفيف وقع لفظ أو تعبير سيئ أو غير مقبول اجتماعياً بآخر مهذب أو
أكثر قبولاً، وذلك تجنباً للمساءلة أو الاستهجان أو نحو ذلك. وقد عرفت هذه الظاهرة
في التراث العربي بأسماء عدة، مثل: حسن التعبير، وتحسين اللفظ، وتلطيف المعنى،
والكنيات اللطيفة. وفي الدراسات الحديثة شاع لفظ "التلطيف" و "اللامساس". وقد
عنيت اللسانيات الاجتماعية بالتلطيف من حيث هو ظاهرة لغوية اجتماعية وطريقة
من طرق التعبير عن رسالة بعينها، يؤثرها المتكلم على غيرها؛ لأنه يراها أكثر تواضعاً مع
الموقف والغرض من الاتصال.

ينطوي التلطيف على جوهر شجاعة العربية؛ وهو العدول؛ وذلك أن التلطيف - في جوهره - عدول عن التعبير المباشر إلى التعبير غير المباشر بلفظ أو عبارة ملطفة تحظى بالقبول والاستحسان أكثر من غيرها، وتتمتع بالمواءمة المقامية التي تعكس وعي المتكلم بملايسات العملية الاتصالية التي لا تنفصل فيها اللغة عن قيم المجتمع الذي تستعمل فيه. وقد ضرب القرآن الكريم المثل الأعلى في التلطيف في تعبيره عن "الجماع" بالمباشرة والملازمة والرفث والتغشّي ونحو ذلك. وفي العربية دُلّ على "الموت" دلالة ملطفة بعبارات عدة، مثل: قضى نحبه، وانتقل إلى الرفيق الأعلى، ورحل عن دنيانا، ولقى ربه، والتحق بدار الجزاء، وأفضى إلى ربه (أو خالقه)، ووافاه الأجل، ووافته المنية وغيرها. ويكثر التلطف عادة في سياقات: الموت، والدين، والجنس، والسياسة.

في العربية الفصحى المعاصرة تعرف ظاهرة التلطيف في مجالات عدة، من أهمها: المجال الاجتماعي، والمجال السياسي، والمجال الفني. في المجال الاجتماعي يستعمل اللفظ "منفصلة" أحياناً بمعنى "مطلقة" على سبيل التلطيف، ويستعمل لفظ "البسطاء" لتلطيفاً لـ "على الفطرة"، ويستعمل لفظ "المنشطات" لتلطيفاً للفظ "المخدرات"، وتستعمل عبارة "تسريح العمال" لتلطيفاً لعبارة "فصل العمال" وتستعمل عبارة "محدود الدخل" لتلطيفاً للفظ "الفقير"، وتستعمل عبارة "التطهير العرقي" لتلطيفاً لعبارة "القتل الجماعي" أو "الإبادة الجماعية". وتستعمل عبارة "تخفيف الأحمال" لتلطيفاً لعبارة "قطع الكهرباء"، وتستعمل عبارة "تحريك الأسعار" لتلطيفاً لعبارة "زيادة الأسعار"، وتستعمل عبارة "الحرية الشخصية" لتلطيفاً للفظ "التسيب" ونحوه... الخ. ومن المجال السياسي، نرى مثلاً "الحليف الاستراتيجي" لتلطيفاً لـ "الساكت عن الحق"، و "النزول إلى الشارع" لتلطيفاً للفظ "التظاهر". وفي المجال الفني، تكثر تراكيب وصفية تلطيفية مناظرة لتراكيب أخرى ينأى عنها الإعلام الفني استشعاراً لحرص التعبير الصريح المباشر. من ذلك مثلاً: "مشاهد (سينمائية) ساخنة" لتلطيفاً لـ "مثيرة جنسياً"، و "أفكار جريئة" لتلطيفاً لـ "متحررة تتخطى التقاليد والحياء".

وضع اللفظ المملّط أو العبارة المملّطة في السياق اللغوي هو السبيل إلى فهم حقيقة المعنى. في الخبر التالي: "قضايا شائكة ومشاهد جريئة: مسلسلات أثارت الجدل في رمضان"^(١)، تكشف عبارة "أثارت الجدل" المعنى السلبي للجرأة، وأنها ليست الإقدام أو الشجاعة أو عدم الخوف، ولكنها عدم الخجل أو عدم الاحتشام. وفي الخبر التالي: "المتحدث باسم رئاسة مجلس الوزراء: المواطن محدود الدخل لن يتحمل سوى جزء بسيط جداً من تحريك الأسعار، موضحاً أن الشراخ الدنيا في استهلاك الكهرباء ستكون الأقل تأثراً بارتفاع الأسعار"^(٢)، يتضح أن عبارة "لن يتحمل سوى جزء بسيط جداً" سوف توجه عبارة "المواطن محدود الدخل" إلى معنى المواطن الفقير، وأن عبارة "ارتفاع الأسعار" وضعت عبارة "تحريك الأسعار" في دائرة الزيادة. ولا شك أن لوسائل الإعلام خصوصية تخاطبية؛ لأنها الوسيلة الاتصالية الجماهيرية الأولى التي يمكن للفظ أو عبارة خلت من الفطنة والكياسة وانحرفت إلى التصريح المكشوف أن تقلب الرأي العام رأساً على عقب. من ثم كانت لغة الإعلام المنطوقة والمكتوبة حقلاً خصباً لاستزراع التلطيف.

ومهما يكن من أمر، فالذي نلاحظه أن التلطيف سلاح ذو حدين، يكون التلطيف إيجابياً نافعاً، ويكون سلبياً ضاراً. أما التلطيف الإيجابي، فهو ما اتُخذ وسيلة لاحترام الذوق العام والأعراف الاجتماعية المستقرة، والقيم الاجتماعية السامية، والمفاهيم الاجتماعية والأخلاقية الصحيحة، والأحكام الشرعية الثابتة. وأما التلطيف السلبي، فهو على العكس مما سبق: إنه التلطيف المخادع الذي يصور الأشياء على غير حقيقتها، ويسمّيها بغير أسمائها، ويزيف المفاهيم والقيم لصالح أفكار فاسدة، يمجّها الذوق العام، وتنكرها الأحكام الشرعية؛ كتلطيف "الشذوذ" بـ "المثلية"، وتلطيف "البيرة" بـ "مشروب الطاقة"، وتلطيف "الرشوة" بـ "الإكرامية" ... الخ.

(١) الشرق الأوسط ٢٠٢٤/٣/١٩.

(٢) صحيفة الشروق ٢٠٢٤/٧/١٠.

٩- شجاعة العربية بين التعريب والمكافئ العربي:

لا يمكن تصور لغة حية في وضع الثبات، ولا يمكن تصور لغة حية بمعزل عن شتى صور التفاعل مع لغات أخرى من فصيلتها اللغوية أو مع لغات أخرى من غير فصيلتها. إذا كانت شجاعة العربية التي عرضها ابن جني شجاعة عدول وتصرف في أساليب استعمال العربية، فإن شجاعتها مع التعريب أو عدم التعريب بإيجاد المكافئ العربي المناسب للفظ الأجنبي هي شجاعة استقبال وتفاعل وطرق للتأثر والتأثير. يتغير توجه الشجاعة إذن وتتسع دائرتها؛ لأنها خرجت عما يمكن تسميته الاستقبال (التي تظهرها العربية في كيفية تفاعلها مع لغة أخرى جمعتها بها صلات لغوية وحضارية مؤثرة). العربية التي شجعت في الاستعمال لن تتخلى عن شجاعتها في الاستقبال؛ وذلك أن الشجاعة كل لا يتجزأ وحضور لا يغيب.

هذا، ويستعمل مصطلح (التعريب) بمعنيين، أحدهما - وهو المعنى الدقيق في اللسانيات - إدخال ألفاظ غير عربية إلى العربية في الصورة التي تناسب أوزانها وقواعدها، والآخر - وهو التعريب بالمعنى الواسع - نقل العلوم والفنون وغيرها إلى العربية أو جعلها ناطقة باللسان العربي؛ كتعريب الطب والإدارة ونحو ذلك. في هذه الدراسة، أقتصر على عرض بعض الإشكاليات المتصلة بالتعريب بالمعنى الاصطلاحي الدقيق في اللسانيات، وتسجيل بعض الملاحظات الأولية عن تجربة التعريب في العربية المعاصرة من خلال صلاتها بلغات أجنبية حديثة - لا سيما اللغة الإنجليزية - في ضوء مفهوم شجاعة العربية عند أبي الفتح. وأسوق تلك الملاحظات على النحو التالي:

- ١- تعاني المنطقة العربية من فقدان التوحيد المعياري للمصطلح، كما تعاني من التفاوت في الموقف من التعريب: يعربون هنا ويستعملون مكافئاً عربياً هناك. خذ مثلاً على ذلك من الحياة اليومية اللفظ Garage الذي يعرب في مصر إلى (جراج) ويقابل في لبنان بمكافئه العربي الأصيل (مرآب)^(١).

(١) منير بعلبكي ورمزي بعلبكي: المورد الحديث. دار العلم للملايين، ط ١، بيروت (٢٠٠٨) ص ٤٨٢، أحمد شفيق الخطيب: معجم المصطلحات العلمية والفنية والهندسية الجديد. مكتبة لبنان. ط ١ بيروت (٢٠١٨) ص ٣٢٩.

٢- كان تأخر المجمع العربية عن إيجاد المكافآت العربية المناسبة للألفاظ الأجنبية سبباً رئيساً في انتشار معرّبات لها في العربية ما يناسبها من المكافآت. من ذلك مثلاً: الهرتلة *hurtle* (بمعنى الكلام في اندفاع وتخليط ومغايرة للمنطق والواقع) والكوته *quota* (وتعني الحصة، نظام للتخصيص، يتم من خلاله توزيع المناصب أو الموارد أو المهام السياسية لضمان التوازن في التمثيل الانتخابي والمشاركة السياسية) والرتوش *Retouche* (وتعني اللمسات التي يضعها الرسام أو المصور على اللوحة أو الصورة) وغيرها من الألفاظ التي غلب استعمالها في صورها المعرّبة على مكافئاتها العربية لتأخر حضور المكافئ إلى الساحة الجماهيرية.

٣- سكنت بعض الألفاظ المعرّبة قلب الاستعمال العربي، وصارت دارجة على ألسنة الناس حتى صنعوا منها أساليب وتراكيب احتلت مكانة في ميدان الاستعمال لا تنافسها فيها أساليب وتراكيب عربية خالصة، مثل: (الفاتورة) في مثل: "من يدفع فاتورة القلق"^(١)، و"من يدفع فاتورة التطبيل لهؤلاء الفاسدين"^(٢)، بمعنى: يتحمل مسؤولية أمر ما وتبعاته. أو مثل (الأجندة) في أساليب نحو: "رئيس الرقابة الإدارية: تتبنى أجندة إصلاحات شاملة لتعزيز التحول الرقمي"^(٣)، و"رئيس الشبكة العربية للإعلام الرقمي وحقوق الإنسان: منتدى شباب العالم يتبنى أجندة إنسانية"^(٤)، بمعنى: أن لديه مصالح خاصة يسعى إلى إقناع الآخرين بها ويريد تحقيقها.

٤- مما استقرّ المجمع القاهري على تعريبه ما كان يمكن ألا يعرّب؛ وذلك أن العربية قد أوجدت بالفعل ما يكافئه ويدل على معناه. أضرب مثلاً على ذلك لفظ (الأتمتة) تعريباً للفظ الإنجليزي *Automation*، وهو مصطلح حديث

(١) صحيفة عكاظ ٢٠٠٩/٣/١٣.

(٢) صحيفة عكاظ ٢٠٠٩/٣/١٣.

(٣) اليوم السابع ٢٠٢٤/١٠/٧.

(٤) أخبار اليوم ٢٠٢٢/١/٩.

نسبياً يطلق على كل شيء يعمل ذاتياً دون تدخل بشري. ويتحدثون عن الأتمتة الصناعية وأتمتة البث التليفزيوني وأتمتة الأعمال الإدارية وغيرها. وقد اقترح لفظ عربي مكافئ للفظ الإنجليزي هو (التلقنة) منحوتاً من (تلقاء نفسه)، وهو توجه وجيه في البحث عن المكافئ العربي عن طريق النحت. لقيت (الأتمتة) اللفظ المعرب من التداول ما لم يلقه اللفظ العربي الأصيل المنحوت (التلقنة) ولكن (التشغيل الآلي) على رغم بنائه على لفظين اثنين أولي - فيما أرى - بالاستعمال لوضوحه ومقبوليته وعرويته، وإن كنت آمل أن يلقى اللفظ المنحوت حظاً من الانتشار مع مرور الوقت وترويجه في وسائل الإعلام المختلفة، فهو لفظ واحد وعربي في آن معاً.

٥- العربية للجميع. وتغيب الرأي العام عن مشهد التعريب مضیعة للوقت، وإذكاء لنيران الجدل دون طائل؛ وذلك أن المستهدف بجهود التعريب أو عدمه ينبغي له أن يكون شريكاً فاعلاً في الرأي. طرح المقترحات بالتعريب أو لمدى مقبولة المقترح قطع للطريق على أدعاء العلم. لقد اقترحت مكافئات عربية أصيلة دالة مثل (الناسوخ) مقابلاً للفظ الإنجليزي Fax، ولكن ظل اللفظ الإنجليزي هو الغالب، واقترح تعريب اللفظ الإنجليزي Trend إلى (ترند)، ولكنه استنفر الذوق اللغوي المجتمعي العام، واختلط الحابل بالنابل، وهاج بعض أدعاء العلم وماجوا. وترك الباب مفتوحاً لكل من هبّ ودبّ أن يسمع الناس فتواه. يكون الرأي العام على حق أحياناً، ويجانبه الصواب أحياناً أخرى، ولكن اختبار الاقتراحات المطروحة واجب في كل حين. لقد ركب بعضهم مركب الناصح الأمين، وراحوا يقترحون بدائل عن التعريب خشية التعريب، فكان مما اقترح: "عاجل" و "ذائع" و "رائج" و "حديث الساعة" وغير ذلك. وقد زاد هذا التعدد في المقترحات الطين بلة، وذكر بمكافئات عربية أصيلة اقترحت من قبل لألفاظ أجنبية أكثر تداولاً، مثل "المرناة" مكافئاً لـ "Television" وهو المكافئ الذي ظل حبراً على ورق، لم يجاوز مكانه، ولم يستعمله أحد قط، وبقي الوضع على ما هو عليه!

على رغم ذلك كله، فقد كشفت تجربة التعاطي مع التعريب عن أن التعريب لا يكفيه تطبيق الاشتراطات أو المعايير اللغوية، وأن عرض المعربات أو المكافئات على نطاق جماهيري واسع من المعنيين بالأمر من الأهمية بمكان؛ وذلك أن هناك أشياء أخرى تتجاوز المعايير اللغوية المعجمية على دقتها، وعلى رأسها التعريب الذي يؤدي إلى "التعريب" فضلاً عن الشعور القومي القوي بقدرة العربية على توفير البدائل اللغوية من ذخيرتها اللفظية الحية الصالحة لمواجهة الألفاظ الأجنبية بنظائرها العربية الفصيحة. وقد بات هذا حقاً لا يجادل فيه بعد أن فرغ العمل في المعجم التاريخي للغة العربية، وصدر عن اتحاد المجامع اللغوية العربية في ١٢٧ مجلداً، في عدد من الجذور بلغ ١١٤٢١ جذراً، وكلمات وصلت إلى ٧١٠٢٩ كلمة، وشواهد ضُمَّت ٣٥٦٦٣٨ شاهداً.

وربما قيل إن الكم لا يستدل به وحده على قدرة لغة من اللغات على توفير المكافئات العربية المناسبة للألفاظ الأجنبية لا سيما أن الأمر يتصل غالباً بطبيعة خاصة لتلك الألفاظ، وهي أنها من فئة المصطلحات في مجالات شتى. نعم، لكنه كم يفوق حدود التصور في لغة من اللغات، وهو - بالتأكيد - ليس كمًا مجرداً، إنما هو الكم الذي يتوقع معه أن يتنوع الكيف ويتوزع على علوم ومعارف شتى. أضف إلى هذا أن معجم العربية التاريخي ليس مرادفاً للعربية ذاتها مهما كانت تاريخيته. ستظل العربية ذاتها أوسع من كل معجماتها وأكبر.

٦- إيجاد المزيد من المكافئات العربية المناسبة ممكن، والقضاء على التعريب مستحيل. وما بين الممكن والمستحيل تتضح المزايا وتظهر المشكلات. أما مزايا الحرص على مزيد من المكافئات المناسبة، ففي مقدمتها - فضلاً عن تجنب التعريب أو الحد منه - أنه ربما كان المكافئ العربي المناسب مهجوراً في الاستعمال العربي نفسه، فيستدعيه البحث عن المكافئ، أو قليل الاستعمال فيزيد استعماله بتأثير ذلك البحث الذي يضع العربية مع أي لغة أجنبية أخرى في دائرة حوار مباشر بناءً تصل فيه العربية إلى ذلك المكافئ. وما أكثر المصطلحات الطبية التي استطاعت لجنة العلوم الطبية بالمجمع القاهري أن تجد لها مكافئاتها المناسبة عن تفتيش وتنبيش في معجمات العربية

فحركاتها من سباتها وجعلت لها حظاً من الاستعمال. أما المشكلات، فعلى رأسها أنه على رغم المشترك اللغوي والثقافي بين العربية والثقافات الأوربية في العصر الحديث، فسوف تظل هناك بعض الألفاظ التي تخص معجمها وتختص بثقافتها، ولا يكون ممكناً أن نجد لها ما يكافئها. وإذا نظرنا إلى معرّبات المجمع القاهري على قلتها، فسوف نرى أن ألفاظاً مثل: الأرشيف، والأجندة، والميليشيا، والأولبياد، والأوبرا، والسينما، والكارتون، والكواليس، وغيرها مما لم يكن ممكناً أن تحظى بما يكافئها في العربية. لكن ألفاظاً وتراكيب أخرى أجنبية استطاعت العربية أن تقابلها بما يليق بها، وصارت مقابلاتها العربية جزءاً من تاريخ التغير اللغوي الإيجابي الذي رأت فيه العربية ما يعزز قدرتها على مواكبة متغيرات الحياة في العصر الحديث. أضرب على ذلك الأمثلة التالية: الحاسوب Computer، والرابط link (في لغة البرمجة والتواصل الشبكي)، والصمت الانتخابي Silence Electoral (بمعنى الفترة التي يحددها القانون قبل الانتخابات الرئاسية أو البرلمانية) وغسيل الأموال Laundry Money (بمعنى إخفاء أو تمويه مصدر العائدات التي حصل عليها شخص أو جهة بطريقة غير مشروعة) والعلامة المائية Watar mark (بمعنى خاتم أو رمز أو توقيع يوضع على ورقة ويظهر ظلّال ألوان مختلفة الإضاءة للتحقق من صحة الوثائق الرسمية، والعملات الورقية والطابع وغيرها) والنيران الصديقة friendly fire (بمعنى الإصابة ببنيران الحلفاء وقدائفهم وليس الخصوم بسبب خطأ غير متعمد) والسوق الموازية Parallel market (بمعنى السوق التي تقوم على شركات غير مكتملة شروط الإدراج في السوق الرسمية) وغيرها مما هو شائع اليوم ويستعمله المتكلم كأنه من الأصل لا من الدخيل.

على هذا النحو، نرى أنه رب مكافئ مقترح فتح له باب التوفيق على الورق، ولم يفتح له باب القبول بين الناس، فتحول إلى بضاعة كاسدة. وخلاصة القول أنه في

الحالتين: المكافئ العربي أو التعريب، لا يكون القرار المجمعي - لأنه أمر لغوي - مجتمعي - منظورا إليه نظرنا إلى قاعدة صرفية أو نحوية تطبّق فيها الشروط والأحكام، بل يؤخذ في الاعتبار مبدأ الشراكة المجتمعية؛ وذلك أن العبرة بقبول مكافئ اللفظ الأجنبي أو تعريبه وجريانه على أسنة الناس وأقلامهم.

١٠- خاتمة:

يشهد تاريخ لغات العالم بأنه لا توجد لغة كاملة مستغنية بذاتها عن سائر اللغات. اللغات كالبشريتكامل بعضها ببعض. اللغة الكاملة غير حقيقية، واللغة الحقيقية هي اللغة غير الكاملة. اللغات من سننها التغير. والتغير اللغوي في العربية وسيلتها للتفاعل مع مستجدات العصر ومواكبة متغيراته، وإلا كانت لغة جامدة لا تعي ما يدور حولها من فعاليات الحياة في جوانبها المختلفة. فقه التغير اللغوي ورصده عمل قومي، ولكن ربط التغير اللغوي - بمفهومه الصحيح - بالانقراض خارج عن حدود المنطق اللغوي ذاته. زعمت منظمة اليونسكو في مؤتمر نظمته في عام ٢٠٠٧ أن نصف لغات العالم (التي تبلغ ٦٠٠٠ لغة) - ومنها اللغة العربية - معرض للانقراض. وتلقفت وسائل الإعلام العربية الخبر كعادتها في الترويج للغريب متجاهلة أن العربية وضعت في هذا الخبر مع لغات لا ينطق بها إلا المئات أو العشرات، وهي - أي العربية - اللغة التي تحتل المركز الرابع بين أكثر اللغات العالمية انتشارا، وأن عدد الناطقين بها يبلغ ٦,٦٪ من سكان العالم، وأنها باتت لغة معتمدة رسميا في الأمم المتحدة منذ عام ١٩٧٤م. تقبل كل العلوم - ومنها العلوم اللغوية - استشراف آفاق المستقبل وتوقع ما يؤول إليه أمر علم منها، ولكنها لا تقبل التكهّنات العارية من الأدلة العلمية المعتبرة. العربية تعني كتاباً مقدساً، وتراثاً أدبياً وفكرياً عظيماً، وإبداعاً أدبياً وإعلامياً معاصراً، وقدرة على استيعاب العلوم والفنون القديمة والحديثة، ومرونة في التغير الإيجابي المواكب للعصر. ومن شاء أن يدرك حاضر العربية - قبل أن يتجاوزها إلى مستقبلها - فليرجع البصر إلى ما تضطلع به الجامعات العربية منذ عقود من جهود رعاية اللسان العربي ونشره في أنحاء العالم إصدارات علمية ورصدًا لمتغيراته في الحياة المعاصرة.

ما زال الخلط سائداً بين العربية ذاتها ومستوى أداء المتكلمين بها، وما يصدر عن هذا الخلط من رؤى وآراء وأحكام يضع العربية ذاتها في صورة غير صحيحة. العربية تتغير، ولكنه التغير المسوّغ بضرورة التفاعل بين اللغة والحياة. والتفاعل بين اللغة والحياة من عوامل القوة التي تدفعها إلى مزيد من الثراء وتأمين البقاء على الساحة بين اللغات الحية. انتشار لغة القوى، والازدواجية اللغوية، والثنائية اللغوية، وفقدان الأبجدية المكتوبة، من أهم العوامل التي اعتمد عليها في القول بانقراض لغة من اللغات. ليس من هذه العوامل ما يؤثر بالسلب في العربية - في رأيي - إلا الازدواجية اللغوية؛ فالعربية لغة محكية ومكتوبة معاً، وليس للثنائية اللغوية أو انتشار لغة الأقوى في المنطقة العربية ما يهدد العربية في العصر الحديث إلى الدرجة التي تبلغ شيئاً من مصداقية القول بأن العربية على حافة الانقراض، أو التي تدفع إلى الدعوة إلى إنشاء لغة عربية جديدة^(١).

(١) انظر مثلاً: جريدة الراية القطرية ٢٠٠٩/١١/٣، اليوم السابع ٢٠١٧/٩/٢٢، جريدة الجزيرة ٢٠١٨/١/٧، إضاءات ٢٠٢١/٣/١٢، الإمارات اليوم ٢٠٢٢/٢/٢٠، الشرق الأوسط ٢٠٢٣/٢/٢٧.

شجاعة العربية في مواكبة الصناعة المعجمية المعاصرة

أ.د. محمود إسماعيل صالح

أستاذ اللسانيات التطبيقية - جامعة الملك سعود سابقاً

المقدمة:

العرب والريادة المعجمية:

من المعروف أن العرب قد يكونون أول شعب أعطى أهمية خاصة للصناعة المعجمية، سابقين بذلك سائر الأمم في هذا المجال. وعلى الرغم من الجهود السابقة للخليل بن أحمد الفراهيدي في العمل المعجمي (مثل كتب الغريب وكتب الموضوعات، مثل الخيل) فإن **معجم العين** يعتبر أول معجم عام للغة العربية، وقد ألفه الخليل بن أحمد الفراهيدي في القرن الثاني للهجرة (الثامن للميلاد). ولبيان هذا الإسهام المبكر في العمل المعجمي على المستوى العالمي، نشير إلى أن أول معجم للغة الإنجليزية *A Dictionary of the English Language* نشر في ١٥ أبريل من العام ١٧٥٥ في لندن، وهو من إعداد سامويل جونسون Samuel Johnson. كما أن أول معجم إنجليزي للمعاني كان "مكنز الإنجليزية English Thesaurus أعده روجيه Roget الذي يعرف المعجم باسمه *Roget's Thesaurus* في العام ١٨٠٥، وذلك بعد حوالي ثمانية قرون من من كتاب **المخصص** لابن سيده المرسى الأندلسي المتوفى في ٤٥٨هـ / ١٠٦٦م. وأول معجم للغة الفرنسية نشرته الأكاديمية الفرنسية التي أنشئت من أجله في العام ١٦٩٤.

أنواع المعاجم العربية ومصطلحاتها:

عند النظر في الأعمال التي يمكن أن نطلق عليها معاجم، نجد أنه يمكننا أن نقسم المعاجم العربية إلى فئتين رئيسيتين: معاجم الألفاظ ومعاجم المعاني، أي المعاجم التي بنيت مدخلها على أساس الكلمات (بما في ذلك النطق والوزن الصرفي والقافية والجدور والكلمات)، ونلحق بها ومعاجم التعبيرات الاصطلاحية، والمعاجم التي بنيت مدخلها على أساس المعنى (الموضوعات)، نلحق بها معاجم المترادفات والأضداد بصورها المختلفة.^(١)

المصطلحات الرئيسية:

المعجم:

يقول القاسمي: "وقد استخدمت كلمة (معجم) في وقت متأخر للدلالة على كتاب ترتب فيه المعلومات بطريقة معينة، من قبل علماء الحديث أولاً، قبل أن يستخدمها علماء اللغة. فأول عمل يحمل عنوان (معجم) هو (معجم الصحابة) لأبي يعلى أحمد بن علي التميمي الموصل (٢١٠-٣٠٧هـ). ويجمع لفظ (معجم) على معاجم ومعجمات."

ومن قراءة للمصادر المختلفة نستطيع القول: بأن المعجم كتاباً (أو عملاً أصغر) يجمع ألفاظاً أو موضوعات مرتبة وفق منهج محدد ويشرح معاني الألفاظ والموضوعات وتفرعاتها أو يذكر مرادفاتهما و/أو أضدادها. ويطلق غالباً على الأعمال أحادية اللغة.

في هذه الدراسة سنستعمل "معجم" بمعناه الشامل لجميع الأعمال المعجمية، أي التي تعالج ألفاظ اللغة العربية مع ترتيبها في مدخل وفق الألفباء العربية أو حقول دلالية (موضوعات)، سواء أكانت مطبوعة أم رقمية.

(١) مناقشة تفصيلية لأنواع الترتيب في المعاجم العربية، انظر: "ترتيب المداخل في المعجم العربي، في كتاب المعجمية العربية بين النظرية والتطبيق. القاسمي، علي. مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ٢٠٠٣

القاموس:

من المعروف أن أول من استخدم كلمة (قاموس) هو الفيروزبادي الذي أطلق على معجمه (القاموس المحيط). وقد شاع استخدام اللفظة بوصفها مرادفة لكلمة (معجم). لكن قراءتنا للمراجع المختلفة تميل إلى تخصيص (قاموس) للأعمال المعجمية ثنائية اللغة أو متعددها. فبعد مناقشة مفصلة لمصطلحي (معجم) و(قاموس) وتحليل لعدد من الأعمال المعجمية العربية يصل القاسمي إلى نتيجة مفادها: "أن مصنفي المعاجم الثنائية اللغة يميلون إلى إطلاق اسم (قاموس) عليها، تاركين اسم (المعجم) ليطلق على المعاجم أحادية اللغة التي تشمل مداخلها على تعريفات وليس مقابلات فقط..."^(١).

المسرد:

يطلق مصطلح (المسرد) على أية قائمة للألفاظ مرتبة ألفبائياً، غالباً بدون تعريفات أو شروحات للمعنى. وقد تكون أحادية اللغة أو ثنائيتها أو متعددة اللغات. وقد يطلق عليها مجازاً اسم معاجم.

معجم الألفاظ:

هو المعجم الذي يرتب مداخله وفقاً للألفاظ اللغوية (في صور مختلفة: مخارج الحروف، الأوزان الصرفية، الجذور، أو الكلمات المشتقة) وتندرج تحته فئات مختلفة تشمل التعابير الاصطلاحية (العبارات المسكوكة كما يسميها البعض) ومعاجم الأفعال المتعدية بحروف.

معجم التعابير الاصطلاحية:

يسميه البعض معجم التعابير أو التعابير الاصطلاحية، وهو معجم يشتمل لا على الألفاظ المفردة بل على عبارات كاملة (قد تكون جملاً، مثل "ضرب أخمساً في

(١) نفس المصدر ١٨

أسداس " أو غيرها مما لا يفهم معناها من معاني مكوناتها، وقد يكون أصل بعضها أمثلاً (مثل "رجع بخفي حنين").

من أمثلة ذلك : (المعجم السياقي للتعبيرات الاصطلاحية) و(معجم التعابير الاصطلاحية) وهي ترتب المداخل حسب نطق أوائلها وتشرح معاني التعابير بصور مختلفة، مثل المرادفات المفردة (مثلاً: "انتقل إلى الرفيق الأعلى" معناها توفي أو مات). ونورد لاحقاً قائمة بأشهر المعاصر منها.

ويمكننا أن نلحق بهذه المعاجم معاجم الأفعال المتعدية بحروف، حيث إن مداخلها تتكون من أكثر من كلمة كما أن معظم معانيها اصطلاحية (كما في "رغب في" و"رغب عن").

معجم المعاني:

يطلق هذا المصطلح ليشمل المعاجم المبنية على أساس الموضوعات، مثل خلق الإنسان أو الأصوات أو الظواهر الطبيعية أو التعليم أو الصناعة، وتذكر فروع كل موضوع والألفاظ المناسبة له، مثل مراحل العمر، وأصوات الحيوانات المختلفة ومسمياتها. ولعل أشهر مثال لهذا النوع من المعاجم: المخصص لابن سيده

الذي تم اختصاره في القرن الماضي بعنوان: (الإفصاح في فقه اللغة) وفقه اللغة للثعالبي.

(لبيان مفهوم معجم المعاني، نورد نموذجاً من محتوى كتاب المخصص الذي يعتبر أكبر معجم للمعاني في اللغة العربية، حيث نجد الأبواب الأولى التالية: "خلق الإنسان، نعوت النساء، اللباس، الطعام، الأمراض، النوم والنكاح..."). وعن فقه اللغة نقراً: "أما فقه اللغة، فيحوي (٣٠) باباً، جمع في كل باب مفردات لغوية لمعنى تدل على أجزائه أو أقسامه أو أطواره أو أحواله، وجمع الفصول المتقاربة في المعنى في باب واحد." ^(١)

(١) دارغراب للنشر والتوزيع <https://www.ghorabpublishing.com/2021/08/pdf-2021.html>

ويلحق هذا النوع من حيث المنهج بعض معاجم المترادفات، مثل كتاب اليازجي:
نجعة الرائد وشرعة الوارد في المترادف والمتوارد.

ونجد مثلاً من الكتاب فيما يلي:

"الباب الأول: في الخلق وذكر أحوال الفطرة وما يتصل بها.

• فصل في الخلق.

• فصل في قوة البنية وضعفها.

• فصل في حسن المنظر وقبحه.

• فصل في السمن والهزال.

• فصل في الطول والقصر.

• فصل في الأطوار والأسنان.

• فصل في البصر.

• فصل في السمع.

• فصل في الذوق.

• فصل في الشم.

• فصل في اللمس."

معاجم المترادفات والأضداد:

تعتبر هذه نوعاً من معاجم المعاني، غير أنها غالباً ما تكون مرتبة بحسب الألفاظ مع ذكر مرادفاتها (وأضدادها أحياناً). من الأمثلة الحديثة مكنز العربية المعاصر والمكنز الكبير وكنز اللغة العربية: موسوعة في المترادفات والأضداد والتعابير.

من الأمثلة المتميزة في هذا المجال: معجم المكنز الكبير: معجم شامل للمجالات والمتراذفات والمتضادات لأحمد مختار عمر وفريق من المتخصصين الذي صدر في العام ٢٠٠٠م. وهو يتميز بالمعاصرة من حيث منهجه واعتماده على "فريق عمل ضخم يضم ما يقرب من أربعين عضواً. يقول أحمد مختار عمر في المقدمة: "ولا تنحصر قيمة هذا المعجم في فكرته المبتكرة، ولكن لتشمل منهجيته وإجراءات العمل فيه، واتباعه أحدث المواصفات العالمية في صناعة المعاجم وإخراجها... وإنما هو نقطة تحول في صناعة المعجم العربي، إنه ليس تكراراً أو تقليداً لعمل معجمي سابق..."

عن محتوى المعجم نقرأ: "يحتوي المعجم على ٣٤٥٣٠ مدخلاً موزعاً على ١٨٥١ موضوعاً، أو مجاًلاً دلاليًا." (١) (ص ١١) ويلاحظ أن الألفاظ والتعابير تحت المجالات الدلالية مرتبة ألفبائياً (مثلاً: "أسماء القرآن: التنزيل، الذكر، الفرقان، القرآن، الكتاب"

وعن مصادر المعجم، يقول عمر: "...وقد وضعنا تحت أيدينا قبل البدء في العمل، وأثناء العمل كل ما احتوته المكتبة العربية من معجمات عامة وخاصة..." وبعد استعراضها، وجدناها لا تفي في الغالب بحاجة الباحث... فلم نعتمد اعتماداً كلياً على معاجم السابقين، وإنما أضفنا إليها مادة غزيرة استقيناها من تفرغ العشرات من كتب اللغة والأدب ودواوين الشعر وعينة من الصحف اليومية..." (انظر: المقدمة المعنونة: "هذا المعجم"، صص ٧ و٨).

عن خصائص المعجم نقرأ: "يتميز عن سائر معاجم المعاني والمتراذفات المختلفة أنه ميز كلمات كل مجال "بمجموعة من الأوصاف التصنيفية التي تبين مستوى الاستخدام لكل كلمة، وتحدد خصائصها ورتبتها في الاستعمال." (٢)

المعاصرة التقنية: لا شك أن قراءة فاحصة لمقدمة المعجم ومحتوى المعجم تثبت لنا هذه المعاصرة في هذا العمل الذي اعتمد في مراحل عمله على التقنية الرقمية، حيث

(١) صناعة المعجم الحديث، ط ٢، عمر، أحمد مختار. عالم الكتب، القاهرة: ٢٠٠٩، ص ١١.

(٢) انظر أحمد مختار عمر، المصدر السابق، "دليل التصنيف"، صص ١٧ و١٨.

تذكر المقدمة الاستعانة بمكتب متخصص في المعالجة الحاسوبية، والاستفادة من ٦ مدخل للبيانات. (ص ٦)، كما أنه من الجلي عدم إمكانية إنجاز مثل هذا العمل على العمل اليدوي والبشري.

المعاجم المتخصصة (المصطلحات) وبنوك المصطلحات:

لقد عرف العرب منذ قرون المعاجم التخصصية، من أمثال: (كتاب التعريفات) للجرجاني، و(مفاتيح العلوم) للخوارزمي. وفي العصر الحاضر هناك عشرات إن لم نقل مئات من هذه المعاجم المتخصصة في حقول المعرفة المختلفة، كالطب والهندسة والمحاسبة والإدارة وعلم النفس وعلم الاجتماع والفقه وغيرها، يغلب على كثير منها الثنائية اللغوية، وذلك لمساعدة المترجمين والقراء العرب في فهم المصطلحات العلمية الحديثة.

وتيسيراً للوصول إلى المصطلحات المختلفة ظهرت ما تسمى ببنوك المصطلحات الآلية التي تقدم المصطلحات وتعريفاتها ومقالاتها بلغات مختلفة في صورة محوسبة، أي في صورة قاعدة للبيانات. لعل من أشهرها: "باسم" -البنك الآلي السعودي للمصطلحات وبنك المصطلحات "معربي" في المغرب، ثم بنك المصطلحات الموحدة التابع لمكتب تنسيق التعريب التابع للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم. وأحدث بنوك المصطلحات المتخصصة في التقنية بنك "أرابتيرم" الذي يشرف عليه مكتب تنسيق التعريب وتم إنشاؤه بمعاونة الحكومة الألمانية.^(١)

مراحل إعداد المعجم:

من المعروف أن أي عمل معجمي يمر بالمراحل التالية:

— تحديد الهدف (والجمهور المستهدف).

(١) (لمزيد من التفاصيل عن بنوك المصطلحات ومكوناتها وأمثلة لها، انظر أدناه وصالح، ٢٠١٩ "بنوك المصطلحات الآلية").

- **جمع المادة** أو إعداد المدونة اللغوية التي تستخرج منها الألفاظ والتعابير المطلوبة، وفق وسائل وأساليب مختلفة^(١). في دراسته عن مصادر المدونة التي تستقى منها المعاجم، يذكر محمود صالح عدة مصادر، تشمل المدونات اللغوية، مثل مدونة اللغة العربية (من إعداد مدينة الملك عبدالعزيز للعلوم والتقنية في الرياض) التي تشتمل على أكثر من مليار كلمة، والمدونة الدولية للغة العربية التي تشتمل على مائة مليون كلمة من إعداد مكتبة الاسكندرية، وغيرها، ثم المعاجم العامة والخاصة للغة العربية، مثل معاجم المعاني والتعبيرات الاصطلاحية ومعاجم المولد والدخيل ومعاجم المصطلحات وبنوكها. ونجد في الدراسة المذكورة تفصيلاً لكيفية الاستفادة من كل من هذه المصادر في إعداد المعجم العربي الحديث.
- **اختيار الألفاظ والتعابير** المطلوب إدراجها بوصفها مداخل للمعجم. (انظر المقترحات المذكورة في الدراسة السابقة لمحمود صالح).
- **إعداد المعجم**، ويشمل:
 - (أ) القرارات الخاصة بالمداخل وطريقة ترتيبها، و(ب) المعلومات المتعلقة بكتابتها (أو نطقها) والمعلومات الصرفية، والمعلومات النحوية. ثم (ج) شرح معاني المداخل بطرق مختلفة (بما في ذلك الصور والرسومات). (د) تقديم الشواهد أحياناً لبيان المعاني المختارة. (هـ) وقد يشتمل المدخل على العبارات الاصطلاحية التي تدخل فيها الكلمة والمصاحبات اللفظية، مع أو دون شرحها. (و) كما نجد أحياناً مرادفات الكلمة وأضدادها.
- **إصدار المعجم** أو نشره في صورة ورقية أو إلكترونية.

(١) انظر: عمر، والقاسمي وصالح، ٢٠٠٨ و٢٠٢٣ في قائمة المراجع

مواكبة المعجمية العربية للتطورات الحديثة:

لا شك أن أي عمل معجمي اليوم يجب أن يستفيد من إمكانيات التقنية الرقمية (بما في ذلك الذكاء الاصطناعي) في المراحل المختلفة من إعداد المعجم^(١).

تعريف بأهم معاجم الألفاظ والمواقع المعجمية المعاصرة: أولاً المعاجم:

١- المعجم العربي التفاعلي (النسخة الثالثة):

في التعريف بالمعجم نقراً: "معجم اللغة العربية التفاعلي موجّه للناطقين بالعربية ومتعلّميها، يُفيد الطلاب وعامة المثقفين والكتاب."

خصائص المعجم:

- معجم أحادي اللغة (عربي - عربي)
- يستغرق جميع المفردات والمعاني والتركيب اللغوية والعبارات الاصطلاحية المستحدثة.
- يقدم معلومات على المستوى المعجمي والصرفي والإحصائي.
- يتيح البحث عن معاني المفردات، ويعرض خصائص كل معنى وأمثله، إضافة إلى معلومات أخرى (كالكلمات المصاحبة، والمجالات الدلالية، والعبارات الاصطلاحية، والفوائد اللغوية والصرفية والنحوية والبلاغية، والأخطاء الشائعة)
- غني بالشواهد والأمثلة الحية التي تبيّن وجوه الاستعمال الصحيح للمفردات.

(١) لمناقشة استخدامات الحاسوب وتقنية المعلومات في الصناعة المعجمية، انظر صالح، ٢٠٢٣، "الحاسوب في صناعة المعاجم" ومحاضرة "هل يستطيع الذكاء الاصطناعي صناعة معجم عربي من الألف إلى الياء؟" لعمر الجندي - <https://youtu.be/zeHB2-4luYo?si=LprEhLV8U2ElqB3>

- يورد جميع المفردات الأصلية والفرعية والقياسية، ويصرف الأفعال والأسماء في جميع حالاتها الصرفية والنحوية، وذلك عن طريق ربطه بنظام الاشتقاق والتصريف المفتوح المصدر (SARF للألكسو)
- يتيح للمتخصصين في العربية إغناء بالمفردات والمعاني والروابط الدلالية، وتحديث محتوياته.
- يوفر الواجهات البرمجية اللازمة للربط والتكامل مع تطبيقات معالجة اللغة العربية بالحاسوب.
- يقدم خدمة التدقيق الإملائي للكلمة المدخلة - في حال عدم وجودها - ويقترح البدائل.
- يعتمد في عرض المعارف اللغوية على الوسائط المتعددة (Multimedia) الأصوات، والصور، والفيديو...
- وقد عمل فريق المعالجة الآلية للغة العربية بجامعة محمد الأول، وجدة، المغرب على الرفع من كفاءة عمليات البحث في المعجم وإغناء قاعدة بياناته بمفردات ومعان جديدة^(١).

جدير بالذكر أن هذا من الأعمال العربية المشتركة أسهم في تمويله عدد كبير من المؤسسات العربية العامة والخاصة، أهمها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم في تونس ومدينة الملك عبدالعزيز للعلوم والتقنية بالرياض، وفي تنفيذه وتطويره عدد من المؤسسات الجامعية، كان آخرها فريق جامعة محمد الأول بالمغرب. وقد عقد للإعداد له ورشتان عمليتان شارك فيها عدد كبير من اللسانيين العرب، كان ثانيهما الورشة التي عقدت بالرياض بعنوان. ورشة عمل المعجم الحاسوبي العربي (٥-٧ / ٥ / ٢٠٠٨).^(٢)

(١) من مقدمة النسخة الثالثة للمعجم العربي التفاعلي.

(٢) لمزيد من التفاصيل، انظر موقع المعجم التابع للألكسو:

تطبيقات حاسوبية << المعجم الحاسوبي التفاعلي للغة العربية

المكتبة الرقمية للجان الوطنية العربية للألكسو

<https://oss1.alecso.org> >

المعاصرة في المعجم:

— المحتوى اللغوي:

هناك محاولة واضحة في مراعاة المعاصرة في المحتوى اللغوي، حتى أننا نقرأ القول بأنه "يستغرق جميع المفردات والمعاني والتراكيب اللغوية والعبارات الاصطلاحية المستحدثة." وهي مبالغة لاشك، لأنه لا يوجد معجم يستغرق جميع المفردات.

— من حيث المعاصرة التقنية، من الواضح أن الهدف من إعداد المعجم هو أن يكون تفاعلياً، أي محوسباً يتيح للباحث التفاعل معه ليس من حيث البحث فحسب، بل واقتراح مواد جديدة. نقرأ في التعريف: "يتيح للمتخصصين في العربية إغناء بالمفردات والمعاني والروابط الدلالية، وتحديث محتوياته". من ثم كان اعتماد العمل على التقنية الحاسوبية في مراحل العمل المختلفة، بما في إصداره بصورة تفاعلية.

٢- معجم الرياض:

صدرت النسخة الأولى للمعجم في العام ٢٠٢٣، وهو قيد المراجعة المستمرة، بحسب المسؤولين عن المعجم.

ونقرأ ما يلي في التعريف بالمعجم:

"ضم معجم الرياض للغة العربية المعاصرة المادة اللغوية التي يحتاج إليها جميع أبناء اللغة العربية، وتنتمي مواده إلى المستوى الفصيح المعاصر. ويتميز المعجم بتطبيق مبادئ الصناعة المعجمية الحديثة في اختيار مواده وتنظيمها وشرحها وعرضها بطريقة سهلة ومفهومة للمستخدم. ويأتي هذا المعجم امتداداً للجهود السعودية الرائدة في تمكين اللغة العربية، ومقدمة لمشروعات قادمة في مجال الصناعة المعجمية..."

"ويهدف معجم الرياض إلى :

- ١- توفير معجم يضم الألفاظ والتراكيب العربية المعاصرة.
- ٢- بناء معجم معياري وفق المنهجيات الحديثة لصناعة المعاجم الرقمية.
- ٣- تقديم معجم يخدم أبناء العربية والناطقين بغيرها باختلاف فئاتهم ومستوياتهم.
- ٤- الاستفادة من التقنيات الحديثة في إيصال المعجم إلى المستفيدين.
- ٥- إتاحة مادة معجمية مقروءة آلياً ومدعومة بالتحليلات الصرفية والنحوية والمعجمية والدلالية لنماذج الذكاء الاصطناعي.

"وقد بني معجم الرياض وفقاً للمعيار العالمي للصناعة المعجمية (LMF) ISO ٢٤٦١٣، واستند في بنائه إلى عدد من المدونات اللغوية؛ وبلغ محتوى هذه المدونات حوالي ٤٠٠ مليون كلمة. وشاركت في بناء المعجم عدة فرق علمية وفنية متخصصة في الصناعة المعجمية الحديثة، ضمن جهود مشتركة لتوفير مصدر موثوق وشامل للغة العربية المعاصرة. ويهدف معجم الرياض إلى تلبية حاجات جميع الناطقين باللغة العربية، بدءاً من المثقفين والكتاب والأدباء والباحثين والطلاب ومتعلمي اللغة العربية من الناطقين بغيرها. ويمكن استعمال المعجم من خلال الموقع الإلكتروني، أو التطبيق المخصص للأجهزة الذكية بنظامي Android و iOS، مع إمكانية استعماله من خلال أداة تضاف لمتصفحات الإنترنت.

"يجد الباحث في معجم الرياض عدداً كبيراً من المدخلات المعجمية، ويضم كل مدخل معجمي المادة المعجمية العربية ومقابلها الإنجليزي مع القسم الكلامي للكلمة. ثم تأتي دلالات الكلمة التي تتضمن عدداً من الخصائص، هي: الأمثلة والسياقات، والسمات اللغوية للمادة المعجمية، والتراكيب الخاصة بها. ويمكن أيضاً للمستخدم أن يرسل تعليقاته على أي دلالة من دلالات المدخل من خلال أزرار مخصصة لذلك. ولمزيد

من إثراء المحتوى المعجمي للمدخل الواحد؛ ربط المعجم بينه وبين المداخل الأخرى المرادفة له والمتضادة معه، مع إدراج التراكيب الشائعة له تحته. كما تضم السمات اللغوية لكل مدخل معجمي البيانات الصرفية، كالجذر والوزن، والبيانات الدلالية أيضاً، كالحقل الدلالي ومستوى الشيعوع.^(١)

ملاحظات على معجم الرياض:

- يتميز المعجم بإطار منهجي متطور، كما يوفر للمستخدمين إرسال تعليقاتهم (وهذه ميزة لا توفرها معظم المعاجم والمواقع التي راجعناها، باستثناء معجم اللغة العربية التفاعلي في نسخته الثالثة).
- من مميزات المعجم أيضاً أنه يورد المشتقات الأخرى من جذر الكلمة تحت "كلمات ذات علاقة". ويحيل الباحث إلى معنى كل مشتق بطريقة سهلة وسريعة، من خلال تقنية ما يسمى "النص الخفي hyper text".
- من ناحية أخرى، حيث إن هذه نسخة أولية، هناك ملاحظات مهمة نرى أخذ القائمين على المعجم بعين الاعتبار:

١- يذكر المعجم أنه بني على مدونة قوامها حوالي أربعمائة مليون كلمة. ولكن لا نجد تحديداً لمكونات هذه المدونة، كما لا نعرف كيف استفاد معدو المعجم من هذه المدونة.

٢- ليس من الواضح الأسس التي اختيرت معاني الألفاظ على أساسها. هل معيار شيوع المعنى والاستعمال واحد منها؟ وكيف تم ذلك؟ من ثم أيضاً كيف تم اختيار الشواهد المختلفة؟ فإذا أخذنا كلمة "مولى" على سبيل المثال، نجد أن المعنى الأول المذكور هو "عبد". وهذا خطأ، بل ويضاد كل ما نعرفه عن هذه الكلمة واستعمالاتها المعروفة، سواء في القرآن الكريم أم الاستعمال الحديث.

(١) المصدر: <https://dictionary.ksaa.gov.sa/about>

والشاهد المذكور لا يثبت ذلك المعنى. نجد في المراجع العلمية: "مولى بني فلان أي حليف بني فلان أو كان عبداً وأعتقه بنو فلان، فصار مولاهم وتابعا لهم". ومصادق ذلك في القرآن الكريم في سورة الأحزاب: "فإخوانكم في الدين أو مواليكم". ويذكر معجم الرياض معنى ثانياً: "صاحب الملك وكل من كانت طاعته واجبة" مع العلم بأن هناك معاني أكثر شيوعاً واستعمالاً مثل: "الناصر والمؤيد" كما في الحديث الشريف في أمر الرسول، صلى الله عليه وسلم، أصحابه في غزوة أحد في الرد على قريش: "قولوا: الله مولانا ولا مولى لكم". كما أن هناك استعمالاً شائعاً في القديم والحديث، وهو بمعنى: "سيد" كما في قولهم: "مولانا فلان / الملك ..."

٣- يلاحظ عدم التمييز بين مفهومي المشترك اللفظي (كلمات تشترك في الشكل مع اختلاف في معانيها، مثل العين الباصرة وعين الماء وعين للتوكيد) وتعدد المعاني (أي وجود أكثر من معنى مرتبط بالمدخل الرئيس (مثل الرأس بمعنى جزء من الإنسان أو جزء من هيئة أو جماعة، أو الأساس لشيء ما....).

٤- يذكر المعجم كثيراً من التعبيرات الاصطلاحية (يسمى "تراكيب") تحت مداخل مختلفة دون ترجمتها ودون شرح لمعاني كثير منها. والأولى أن تقدم هذه في مداخل مشروحة خاصة بها. ويحال إلى هذه المداخل عند إيراد هذه التعبيرات تحت مداخل الكلمات المفتاحية لها، مثل "ضرب بيد من حديد" تحت "ضرب" أو "يد" (كما يفعل المعجم).

٥- يحاول المعجم مساعدة غير العربي الناطق بالإنجليزية أو العارف بها بتقديم المقابل الإنجليزي للمدخل، المعنى الأول. ولكن هذا لا يكفي في حالة المشترك اللفظي وتعدد معاني الكلمة (كما هو الحال مع معظم الكلمات الشائعة في اللغة). بل في ذلك تضليل للباحث الذي قد يظن أن المعنى الإنجليزي المذكور للمدخل ينطبق على استعمال الكلمة في سياقاتها المختلفة.

- ٦- يعالج المعجم التعبيرات الاصطلاحية (يسمىها "تراكيب") غالباً معالجة سطحية، حيث يوردها في كثير من الأحيان دون شرح لمعانيها.
- ٧- هناك عدد من الألفاظ المنتشرة استعمالها في وسائل الإعلام المختلفة ولكنها غائبة في المعجم المذكور. (وهو أمر متوقع في معجم حديث قيد المراجعة المستمرة).

٣- المعجم العربي للطلاب:

يعتبر هذا العمل نموذجياً للمعاجم التي توجه للأطفال والتلاميذ في مراحل الدراسة المختلفة، من حيث الأهداف والمنهج المتبع في جمع مادته (إعداد المدونة اللغوية الخاصة به)، بل قد يكون فريداً من نوعه في العالم العربي.

نبذة تاريخية وأجزاء المعجم:

"بدأت فكرة هذا المعجم عام ١٤٢٣هـ حين كان المغفور له الدكتور محمد بن أحمد الرشيد وزيراً للتربية والتعليم، إذ تحمس للمشروع، وعرض على مدينة الملك عبدالعزيز للعلوم والتقنية المشاركة فيه في دعم المشروع. وقد صدرت الطبعة الأولى (الأولية) من المعجم في العام ١٤٣٨هـ / ٢٠١٢م.

ويتكون المعجم من خمسة أجزاء هي :

- المعجم المصور.
- معجم الصفوف الثلاثة الأولى في المرحلة الابتدائية.
- معجم كامل المرحلة الابتدائية.
- معجم المرحلتين المتوسطة والثانوية.
- معجم إلكتروني.^(١)

(١) (انظر: "المعجم الطلابي لمراحل التعليم العام. ١٤٣٢هـ / ٢٠١١م).

ونود أن نضيف إلى أنه تشكلت لجنتان للمشروع (إحدهما للمرحلة الابتدائية الأخرى للمرحلتين المتوسطة والثانوية)، كما شكلت مدينة الملك عبدالعزيز للعلوم والتقنية لجنة إشرافية عامة لمتابعة إنجاز المشروع.

أهداف المعجم:

نقرأ ما يلي في مقدمة المعجم (للمرحلتين المتوسطة والثانوية):

"أهداف المعجم:

- ١- نشر الثقافة المعجمية بين طلاب التعليم العام.
- ٢- زيادة الثروة اللغوية عند الطلاب بتعريفه على معاني الكلمات التي تمر بهم في أثناء تحصيلهم الدراسي.
- ٣- مساعدة واضعي المناهج على استعمال المفردات اللغوية التي يحسن أن يكتسبها طلاب كل مرحلة عمرية أو سنة دراسية.
- ٤- مساعدة مؤلفي كتب الطلاب على استعمال الكلمات المناسبة لأعمارهم.
- ٥- مساعدة واضعي البرامج الإعلامية والمسموعة والمرئية على استعمال الكلمات المناسبة لكل مرحلة عمرية.
- ٦- مساعدة المعلم على تعرف دلالات الألفاظ التي في المنهج المدرسي فيبحث الطلاب على الرجوع إليها في دراستهم.
- ٧- مساعدة ولي الأمر على تعرف معاني بعض المفردات الواردة في المنهج المدرسي لأبنائه أو بناته في أثناء تدريسهم.
- ٨- إبراز طاقة اللغة العربية التعبيرية بوسيلة حديثة عصرية المدخل والعرض.

٩- توضيح المصطلحات الشرعية والتاريخية والجغرافية والعلمية في حدود مستوى طلاب المرحلتين " (من مقدمة الطبعة الأولى للمعجم للمستويين المتوسط والثانوي، الصفحتان ك ول).

مصادر المعجم:

اعتمد المؤلفون في اختيار مداخل المعجم على مدونة خاصة، قوامها ثلاثة ونصف مليون كلمة. وشملت المدونة "القرآن الكريم، الحديث النبوي الشريف، بعض عيون الشعر العربي القديم والحديث، نماذج من الخطب وأقوال العرب وأمثالها، قوائم من المصطلحات العلمية الحديثة المقررات الدراسية من جميع مواد المرحلتين المتوسطة والثانوية، عدد من البرامج الإعلامية المسموعة والمرئية والمجلات والصحف التي تعنى بالشباب وحاجاتهم، ... كتابات وتسجيلات الطلاب ممثلة لجميع مناطق المملكة..."^(١). كذلك استعانت اللجنة ببعض المتخصصين في المجالات العلمية المختلفة وطلبت منهم أن يضيفوا ما استجد من مصطلحات علمية في مجالات تخصصاتهم. (انظر التخصصات وأسماء الخبراء المتخصصين فيها في مقدمة المعجم).

"وقد قام المعجم على قاعدتين أساسيتين هي أهم ما يميز هذا المعجم وهما: الأولى أنه يضم الكلمات التي يجب أن يتعلمها أو يكتسبها الأطفال في كل مرحلة عمرية. الثانية: أن التعاريف قد كتبت بلغة تناسب كل مرحلة عمرية حتى يتمكن الطالب في أي مرحلة عمرية من الوصول لمعنى الكلمة أو المصطلح اللذين يريدون الوصول إليه بسهولة ويسر."

جدير بالذكر كذلك أن ترتيب مداخل المعجم جاء بناء على نطق الكلمات، بدلاً من الجذور، حيث ثبت لنا من تجربة قمنا بها مع عينة من التلاميذ أن النظام الأول يستغرق نصف الوقت الذي تطلبه البحث في المعجم المبني على الترتيب بحسب الجذور.

(١) من مقدمة المعجم العربي للطلاب (للمرحلتين المتوسطة والثانوية)، الصفحتان ل وم.

منهجية العمل:

(انظر: "هيكلية المعجم: ترتيبه وبناءه، صص م-س من مقدمة الطبعة الأولى من المعجم العربي للطلاب، المرحلتين المتوسطة والثانوية.)

مراحل العمل في المعجم:

- ١- تحديد أهداف المعجم والتخطيط لتنفيذه.
- ٢- مرحلة جمع المادة اللغوية (المدونة): شارك مئات من المعلمين والمعلمات في مناطق المملكة العربية السعودية في جمع كتابات التلاميذ في مراحل الدراسة المختلفة. وتم تكليف باحثين لجمع المواد المكتوبة والمسموعة التي أشرنا إليها أعلاه.
- ٣- تم الاستعانة بشركة رائدة في حوسبة اللغة العربية بإجراء العمليات والتحليلات الإحصائية لاستخلاص الكلمات وتنسيقها واستخراج المترافات والسياقات، وغير ذلك وتصنيف كل ذلك وفقاً للمراحل الدراسية المختلفة.
- ٤- استعانت اللجنة بمتخصصين في مجالات العلوم المختلفة للنظر في الكلمات المقترحة للمداخل، وذلك لإضافة الكلمات المستجدة في تخصصاتهم لإضافتها إلى المعجم. (انظر قائمة بهؤلاء في مقدمة المعجم.)
- ٥- بعد تحديد مداخل الأجزاء المختلفة للمعجم، تم الاتفاق مع أكبر دار نشر عربية في حقل المعاجم للتعاون معها في إنتاج المعاجم المطلوبة.
- ٦- كلفت كل من لجنتي المرحلة الابتدائية والمرحلتين المتوسطة والثانوية أعضاء اللجنتين من المتخصصين في اللغة العربية في مراجعة كامل العمل على مدى جلسات عديدة.
- ٧- تم إجراء جميع التعديلات والتصويبات.
- ٨- أخيراً صدرت الأجزاء الخمسة في طبعة أولية في العام ١٤٢٨هـ / ٢٠١٢م.

توافر المعجم للجمهور المستهدف:

لأسباب لا نعرفها ما فتئت وزارة التعليم حتى عامنا هذا (١٤٤٦هـ) تتردد في نشر المعجم (الذي أنفق عليه مئات الآلاف من الريالات وعمل في التمهيد له وإعداده آلاف الخبراء والمعلمين والمعلمات والذي تبنت هي ومدينة الملك عبدالعزيز للعلوم والتقنية إعداده) تتردد في إصداره بأجزائه المختلفة (التي بقيت حبيس الأدراج منذ صدور الطبعة الأولى قبل أكثر من عشر سنوات) حتى يستفيد منها مئات الآلاف من التلاميذ في مراحل التعليم المختلفة، ومعلميهم وأولياء أمورهم.

٤- معجم الغني، تأليف عبدالغني أبو العزم (من المغرب). عدد مداخله: ٢٨٠١٤٤

٥- معجم الغني الزاهر، ٤ مجلدات. الناشر: مؤسسة الغني للنشر، ٢٠١٣

حيث إن معجم الغني تم تحديثه في معجم أكبر وأشمل بعنوان (المغني الزاهر) فسنحدث عن هذه النسخة المطورة.

إحصائيات المعجم:

يشتمل على ٦٥٨٨٠ مدخلا (مرتباً بحسب نطق الكلمات، بدلاً من الجذور)، كما يشتمل على ١٠٠٠ رسم، و١٠١٣٦ شاهد.

مصادر المعجم:

"اعتمد على مدونة لغوية واسعة، خلصت إلى رصيد لغوي ضخم لا وجود له في المعاجم الأخرى، ومعان جديدة ومصطلحات علمية وأدبية مستحدثة الاستناد إلى على ذخيرة من الشواهد اللغوية، ومتلازمات متداولة، بالإضافة إلى تغذية المدونة بمختلف المعاجم القديمة والحديثة، ومواد المجامع العربية (دمشق والقاهرة والعراق والأردن) ومكتب التعريب الأجنبية والمترجمة والمعاجم ثنائية اللغة " (مقدمة المعجم).

وتعلق الباحثة العنزي (٢٠١٩): "لم يشير المؤلف في مقدمته عما إذا كان المعجم من عمل فريق جماعي وعمل فردي." (٢٥٤).

نورد أدناه بعض الملاحظات التي أوردتها الباحثة العنزي في دراستها المذكورة:

- ١- عالج الترادف بإيرادها في مداخل مستقلة.
- ٢- لم يحدد المؤلف طريقة التعامل مع الكلمات متعددة المعاني.
- ٣- لم يول المؤلف "الوحدات المعجمية المتعددة (التعابير الاصطلاحية، والمتلازمات اللفظية والأسماء المركبة عناية كافية، فضلاً عن أنه لم يذكر ترتيباً معيناً لإيرادها...
- وتورد العنزي جدولاً به مقارنة جزئية (حرف الخاء) بين الغني الزاهر ومعجم اللغة العربية المعاصر، تبين فيه تفوق الأخير على الغني الزاهر من حيث عدد التعابير التي تناولها كل منهما. (انظر العنزي، ٢٠١٩: ٢٥٩-٢٦٠).
- ٤- إدراج المعجم كلمات عامة التواتر في المدونة، ... مثل البلطجية، أم الفلافل، طقطقة." (العنزي، ٢٠١٩: ٢٥٥)

المعاصرة في إعداد المعجم:

- من حيث المعاصرة اللغوية، يبدو أن المعجم فيه إضافة إلى المعاجم التقليدية من حيث الكلمات والمعاني المستحدثة والتعابير الاصطلاحية.
 - تقنياً، يبدو أن المؤلف استفاد من تقنية المعلومات (الحاسوب) على الأقل في بعض مراحل العمل لإنجاز المعجم، مثل الاستفادة من التطبيقات المتعلقة بالمدونات اللغوية في اختيار مواد المعجم.
- هناك إشارات إلى وجود المعجم المذكور في صورة حاسوبية، ومتاح على الشبكة.

٦- معجم اللغة العربية المعاصرة:

لعل هذا المعجم الذي أعده أحمد مختار عمر بمعاونة عدد كبير من الباحثين والمعاونين وصدر في العام ٢٠٠٨ / ١٤٢٩ هـ، من أفضل المعاجم العربية المعاصرة. يقول عنه الناشر أنه يعتبر "واحداً من أهم المعاجم اللغوية المعاصرة... مليئاً حاجة الناطقين بالعربية إلى معجم يستقصى جميع الكلمات الجديدة، والدلالات المستحدثة، والاستعمالات الحية." (ص ١٢) وإن نظرة فاحصة لمقدمته ومنهجه ومصادر مادته لتؤكد هذا الزعم إلى حد كبير. ويتميز المعجم بالمعاصرة من عدد من الزوايا المهمة:

أ. المنهجية المتبعة في إعداده، بما في ذلك ترتيب مكونات كل مدخل.

ب. "مصادر التحرير" التي شملت:

- مواقع الإنترنت التي اشتمل كثير منها مواقع عدد من الصحف والمجلات.
- الجرائد والمجلات العربية من دول مختلفة.
- أسطوانات مدمجة تشتمل على بيانات لغوية مختلفة.
- كتب عربية، وتشمل عدداً من المعاجم أحادية اللغة وأربعة من المعاجم ثنائية اللغة.

ج. المحتوى اللغوي الذي حاول فيه المعجم متابعة المستجدات اللغوية، بما في المصطلحات الشائعة، والدلالات المستحدثة والاستعمالات الحية، كما يقول الناشر. ويتكون المعجم من قسمين: (١) متن المعجم الذي رتبت مداخله ألفبائياً بحسب الجذور (عددها ٥٧٧٨ جذراً)، و(٢) قسم الفهارس الذي اشتمل على أربعة فهارس: "المدخل في الأمثلة"، "فهرس المعلومات الصرفية للأسماء"، و"فهرس التعبيرات السياقية" (عددها ١٧٨٨٣) و"فهرس المصطلحات" (عددها ٩٩٩٥ مصطلحاً).

المعاصرة في المعجم:

تتجلى المعاصرة في هذا العمل المعجمي في كل من منهج العمل ومن الجانبين اللغوي (المحتوى)، كما أسلفنا والحاسوبي. نقرأ ما يلي في مقدمة المعجم:

— "ففي منهجية العمل نراعي أنها تتسم بالوضوح والشفافية، إضافة إلى التأكيد على العمل الجماعي، وعدم الاكتفاء بالعمل الفردي.

— من حيث المحتوى يشتمل المعجم على الكثير من الكلمات الجديدة والمعاني المستحدثة، إضافة إلى العناية بالتعابير (أي الوحدات المعجمية متعددة الألفاظ)، وذلك بالاعتماد ليس على النصوص المكتوبة فحسب بل والمسموعة كذلك.

وتجدر الإشارة بمراعاة المعجم ليس لمعيار شيوع الكلمات وتكرارها فحسب، بل مراعاة الشيوع لمعاني الكلمات كذلك، وهو أمر يُغفله كثير من الباحثين الذين يستخدمون الحاسوب في العمل الإحصائي.

— حاسوبياً، من الواضح أن المؤلف استفاد من التطبيقات الحاسوبية في مراحل عمل المعجم المختلفة، بما في إنتاج المعجم في صورة إلكترونية تفاعلية: جمع المادة المكتوبة والمسموعة (ما أسماه المؤلف بـ "المسح اللغوي") وفي تصنيف المادة وتخريجها وتدقيقها، ثم في إعداد النسخة الإلكترونية (إضافة إلى النسخة الورقية) والتي تتسم "بالإمكانات الهائلة في استدعاء المعلومات المطلوبة بسرعة وبأنظمة بحث متطورة في كافة جزئيات المعجم".^(١)

ولعل من أهم وجوه المعاصرة في هذا المعجم العمل الجماعي واشتراك عدد كبير من الباحثين والعاملين الآخرين في إنتاجه.

المعجم المذكور متاح إلكترونياً على الشبكة.

(١) (انظر: معجم اللغة العربية المعاصرة: "التصدير" و"المقدمة"، صص ٧-٢٨).

٧- المعجم التاريخي للغة العربية (٢٠٢٤):

يعتبر هذا المعجم التاريخي للغة العربية الذي صدر في ١٢٧ مجلدًا تاريخيًا بحق في إنجازه في فترة وجيزة وعدد المؤسسات والأفراد الذين أسهموا في إنجازه. ويعتبر مفضرة للغة العربية والعرب.

نورد أدناه بعض المعلومات الأساسية عنه.

إحصائيات:

عدد الجذور: ١١٤٥٨، الكلمات: ٧١٤٦٤، الشواهد: ٣٦١٣١٤

عدد الأفعال: ٢٦٣٧١، الأسماء ٤٥٤١٨، الأدوات: ٨٨

عن فوائد المعجم نقرأ:

"أولاً- رصد تاريخ كلمات اللغة العربية بتتبع تاريخ ميلاد الألفاظ ودلالاتها الأصلية، وتاريخ استعمالها وتطور دلالاتها وتاريخ ظهور الدلالات الجديدة وما طرأ على اللغة من تغيرات.

ثانياً- رصد ما استعملته العربية من الألفاظ الدخيلة والمعرّبة والمحدثّة وتاريخ استعمالها في كل العصور.

ثالثاً- تنمية اللغة العربية وتوسيعها بالخروج عن عصور الاحتجاج الموروثة والاستشهاد بالصحيح في كل العصور.

رابعاً- تحرير العلاقة بين العربية وبقية اللغات السامية...

خامساً- فتح آفاق جديدة في الدراسات اللغوية..."^(١)

(١) (من مقدمة أ.د. مأمون عبد الحليم وجيه، المدير العلمي للمعجم التاريخي)

للتعرف على شمولية هذا المعجم من حيث الجوانب التاريخية والدلالية والاستعمال والمصادر والشواهد لجذرهما، انظر مدخل "ول ي"، حيث يذكر أن هناك ٢٨ كلمة مشتقة من هذا الجذر، ويبدأ بلمحة عن النقوش العربية والنظائر السامية، ثم يورد كل كلمة مشتقة ومعانيها ومعلومات عن تطورها.

ملاحظات على المعجم:

لا شك في أن مشروع المعجم الذي تبناه اتحاد مجامع اللغة العربية يعكس التوجهات الحديثة في الصناعة المعجمية من حيث المنهج والتنفيذ بمشاركة عدد كبير من مؤسسات وأفراد من شتى البلدان العربية.

- **من حيث المعاصرة التقنية:** نجد أن المعجم استفاد بصورة جيدة من تقنيات المعلومات وإمكانات الحاسوب الكبيرة في تنفيذ مراحل العمل المختلفة، بما في ذلك إعداد المدونة وتحليلها والاستفادة منها واختيار المداخل وترتيبها وإدراج المعاني، وفي إنتاج المعجم بصورتيه الورقية والحاسوبية.
- **من حيث المحتوى اللغوي:** لا شك أنه متميز، ولكن لاحظنا غياب كثير من الكلمات الشائعة في وسائل الإعلام الحديثة، مثل: "جائحة، موالاة، تكفيري، انتفاضة، جهادي" (علماً بأن بعض هذه الكلمات دخلت حتى المعاجم الأجنبية المشهورة).
- **من حيث مصادر المدونة:** لا شك أن المعجم اعتمد على عدد هائل من النصوص. لكن يلاحظ غياب كثير من الكتب المشهورة قديماً وحديثاً، مثل (أ) تفسير الطبري وكتاب القانون لابن سينا، وفهرست ابن النديم، والعقد الفريد، قديماً و(ب) الأيام والوعد الحق لطفه حسين والعبقریات للعقاد، والنظرات والأعمال الأخرى للمنفلوطي، حديثاً.
- **من حيث طريقة البحث في المعجم،** نقترح أن تكون هناك وسيلة ليصل الباحث إلى الكلمة مباشرة (مثلاً: مولى، موالاة...) دون الحاجة إلى الرجوع إلى الجذر والمرور على المشتقات المختلفة.

— من حيث عدد الكلمات (٧١٤٦٤) نجده متواضعاً بالنسبة لمعجم يحاول الشمول في تغطيته لألفاظ اللغة العربية.

(جدير بالذكر أن معجم وبسترالدولي الثالث *Webster's Third New International Dictionary, Unabridged*، مع ملحقاته يشتمل على ٤٧٠,٠٠٠ مدخل. كما أن الطبعة الأخيرة من معجم أكسفورد للغة الإنجليزية *Oxford English Dictionary* يشتمل على ٦٠٠,٠٠٠ مدخل. وتذكر منصة سوار للمعاجم أن مداخل معجم لسان العرب: ٩٠٩٠٤ وعدد مداخل القاموس المحيط: ٦٩٠٣٠)

بما أن هذه النسخة الأولية / الأولى للمعجم، نحن على يقين بأن اتحاد مجامع اللغة العربية يعمل على تطويره والإضافة عليه بصورة مستمرة.

٨- معاجم التعابير الاصطلاحية:

يعتبر هذا النوع من المعاجم التي تعكس تطوراً حديثاً في الصناعة المعجمية العربية، بدأ في القرن الماضي بنشر أول معجم من هذه الفئة من إعداد محمود صيني وزميليه في العام ١٩٩٦ تحت عنوان: المعجم السياقي للتعبيرات الاصطلاحية (عربي-عربي). وقد شهد القرن الحالي عدداً من هذه المعاجم، من أبرزها:

- معجم التعبير الاصطلاحي في العربية المعاصرة . تأليف: محمد محمد داود (٢٠٠٣) ، الناشر: دار غريب للطباعة والنشر - القاهرة، ٢٠٠٣
- معجم التعابير الاصطلاحية في العربية المعاصرة: عربي - عربي لوفاء كامل فايد، من نشر المؤلف (٢٠٠٧)
- معجم التعبيرات الاصطلاحية في كلام العرب . تأليف محبي الدين توفيق إبراهيم. أبو ظبي: هيئة أبوظبي للسياحة والثقافة، ٢٠٢١
- تعقيب على معجم التعابير الاصطلاحية في العربية المعاصرة: عربي - عربي لوفاء كامل فايد.

تميز المعجم بالمعاصرة من حيث جمع المادة اللغوية التي اشتملت على تعابير من الفصحى المعاصرة مع مواد عامية قليلة، كما أنه ينفرد بترتيب المعجم بطريقتين (كما يذكر الفجر، ٢٠١٢) حيث يقول:

"الترتيب:

وقد تحققت في المعجم الطريقتان: طريقة الترتيب الألفبائي، وطريقة الترتيب المنطوي، وبذلك توفرت ميزتان للمعجم وهما:

١- سرعة الوصول إلى التعبير وذلك عن طريق الترتيب الألفبائي القائم على أساس اللفظة الأولى المكونة للتعبير الاصطلاحي.

٢- الوصول إلى تعبير يرتبط بمفهوم يدور في خلد القارئ. مثلاً مفهوم السرعة: تجد تحته: التعبير الاصطلاحي التالي: استبق فلانُ الريح.^(١)

ثانياً مواقع معجمية:

نقصد بمصطلح المواقع المعجمية المواقع التي تجمع عدداً من المعاجم العربية القديمة والحديثة، مع إسهامات إضافية من معديها في العمل المعجمي العربي. ونورد أدناه نبذة عن كل منها.

١- قاموس "المعاني": <https://www.almaany.com/>

"تحتوي النسخة الحالية لقاموس المعاني على:

- ٤٦ معجماً مرقمناً من قديم الزمان إلى الآن.

(١) "معاجم التعابير الاصطلاحية" لمحمد خالد الفجر، ٢٠١٢ (انظر الرابط:

https://www.alukah.net/literature_language/ معاجم التعابير الاصطلاحية)

● حوالي ٢١١٨٨٤ مادة.

● محرك بحث متطور عن الصور.

موقع قاموس المعاني هو معجم معانٍ متعدد اللغات، ويوفر خدمة التعليم والترجمة. يحتوي على معاجم ثنائية: اللغة العربية، انجليزي، أسباني، برتغالي، فرنسي، تركي، فارسي، أندونيسي، وألماني.

الموقع:

يوفر الموقع العديد من الخدمات البحثية، حيث تم إعداد عمليات البحث بحيث يتم تصفية النتائج حسب الاستخدام والمجال.

الترجمة متعددة اللغات:

يحتوي موقع المعاني قاموس عربي إنجليزي ثنائي، وعربي فرنسي ثنائي، وعربي إسباني ثنائي، وعربي برتغالي ثنائي، وعربي تركي ثنائي، وعربي فارسي ثنائي. ويسعى المقيمون على الموقع لإضافة المزيد من اللغات.

قاموس عربي:

يُترجم القاموس العربي العربي معاني الكلمات العربية في بعض القواميس المشهورة مثل معجم الأعشاب والمعجم الوسيط ومعجم الغني ومعجم اللغة العربية المعاصرة ومعجم مختار الصحاح ومعجم المصطلحات الفقهية ومعجم معاني الأسماء ومعجم الأصوات.

كلمات القرآن

هناك صفحة مخصصة لكلمات القرآن، حيث يتم تحليل الكلمة القرآنية وإيراد معانيها بالاستعانة بمعجم كلمات القرآن للشيخ محمد حسنين مخلوف، وبعض المصادر الأخرى، بالإضافة إلى إيراد المعنى باللغة الإنكليزية وإيراد تفسير الجلالين والتفسير الميسر.

المرادفات والأضداد:

يوفر خدمة البحث في المرادفات والأضداد للكلمات المختلفة.

معاني الأسماء:

حيث يبحث في أصل الاسم وما يحمله من معنى.

تحميل قواميس:

يوفر الموقع خدمة تحميل عدد من القواميس المتعلقة بمختلف المجالات ومنها:

- قاموس المصطلحات المحاسبية عربي-إنجليزي.
 - معجم مصطلحات علم البستنة.
 - العربية للمبتدئين.
 - مسرد مصطلحات قانونية.
 - قاموس مصطلحات الوثائق والأرشيف.
 - الأزمدة في اللغة العربية.
- إلى جانب عدد من قواميس طبية وكيميائية وعلمية مختلفة.

لعبة قاموس المعاني:

يقدم موقع قاموس المعاني لعبة wordabula وتعني توقع الكلمات، وهي لعبة تحدي تعليمية لاثهار المقدرة على معرفة الكلمات في لغة معينة، وتفيد هذه اللعبة في تحفيز الذهن على تذكر الكلمات أو تعلم كلمات جديدة، وهي مرادفة للعبة Scrabble Word (خرايش) ويمارسها لاعبان أو أكثر، حيث يبدأ أحد اللاعبين بكتابة كلمة على منتصف لوحة اللعب، ويتحدى الآخرين بكتابة كلمة جديدة مستعملين أحد أحرف الكلمة التي كتبها^(١).

(١) المصادر: ويكيبيديا - معجم المعاني، وموقع العنقاء alankaa.com

٢- معجم قبس الحاسوبي: <https://sina.birzeit.edu/qabas>

نقرأ ما يلي في التعريف الرسمي للمعجم: "قبس شبكة بيانات معجمية ضخمة تربط المعاجم العربية والمدونات النصية ...

معجم قبس يتكون من ٥٨,٠٠٠ مدخلة وتم ربطه ب ١١٠ معاجم و ١٠ مدونات نصية

... تم ربط مدخلات ١١٠ معاجم بمدخلات قبس

... تم ربط مدخلات ١٠ مدونات نصية بمدخلات قبس"

في المقدمة نجد عدة جداول إحصائية:

إحصائيات حسب قسم الكلام، وإحصاء للمعاجم التي تم ربطها مع قبس،
وللمدونات التي تم ربطها مع قبس.

ولتفرد "قبس" بمواصفات خاصة، نورد اقتباساً من موقعه.

"مقدمة المعجم":

ازدادت الحاجة في السنوات الأخيرة إلى تطوير قواعد بيانات معجمية لتلبية الاحتياجات المستجدة، خصوصاً وأن المعاجم اللغوية الحالية مصممة للاستخدام الورقي وليست مخصصة لمهام معالجة اللغة الطبيعية (NLP) وتطوير تطبيقات الذكاء الاصطناعي. بالرغم من الجهود الحثيثة التي بُذلت من أجل رقمنة المعاجم، خاصة ما قامت به جامعة بيرزيت من جهود لحوسبة ١٥٠ معجماً من المعاجم التقليدية وتحويلها إلى صيغة رقمية ونشرها عبر محرك بحث معجمي على الانترنت، إلا أن هذه المعاجم غير متوفرة كمصادر مفتوحة لمطوري البرمجيات؛ وذلك بسبب قيود حقوق النشر المفروضة

ملحوظة: يبدو أن موقع العنقاء قد يكون هو المسؤول عن قاموس المعاني.

من قبل أصحاب هذه المعاجم. بالإضافة إلى ذلك، فإن المعاجم التقليدية غالباً ما تقتصر في محتواها على جوانب لغوية معينة دون إيلاء الاهتمام الكافي لتنوع الخصائص اللغوية والمعاني والاستخدامات. يعتبر قبس أول معجم عربي مفتوح المصدر ومصمم لتطبيقات معالجة اللغة الطبيعية (NLP) ويتميز بتنوع المدخلات المعجمية. حيث يحتوي على مدخلات عربية فصحي معاصرة (MSA Lemmas)، وأخرى عامية (Dialect Lemmas)، بالإضافة إلى مدخلات أجنبية مثل الإنجليزية وغيرها. يضم المعجم حوالي ٥٨ ألف مدخلة، منها ٤٤ ألف مدخلات اسمية، و١٢ ألف مدخلات فعلية، والبقية مدخلات وظيفية يبلغ مجموعها ٤٤ ألف مدخلة. الجديد في معجم قبس، من حيث الأصالة العلمية، يكمن في ربطه للعديد من الموارد المعجمية، حيث تم ربط كل مدخلة معجمية (lemma) بمعجم قبس بالمدخلات المقابلة في ١١٠ معاجم، وكذلك ربطها مع ١٢ مدونة نصوص تم توسيمها صرفياً (حوالي ٢ مليون كلمة). وبذلك، فإن قبس شبكة بيانات معجمية ضخمة تربط المعاجم العربية والمدونات النصية. تم تطوير معجم قبس بشكل شبه آلي وعبر عدة سنوات، وباستخدام منصة خاصة (web platform) تم تطويرها خصيصاً. مقارنة بالمعاجم الأخرى، فإن قبس هو أكثر معجم عربي شمولاً (يحتوي على ٥٨ ألف مدخلة)، وأول معجم يتم ربطه بمعاجم ومدونات نصية. يمكن الاطلاع على المزيد من التفاصيل والمعلومات المتعلقة بمعجم قبس من خلال قراءة الأوراق البحثية...

"مبررات تطوير المعجم:"

الهدف من بناء معجم قبس الحاسوبي هو ربط المعاجم (lexicons) والمدونات (corpora) العربية التي سبقت الإشارة إليها؛ واستخدامها في مهام وتطبيقات تتعلق في معالجة اللغة الطبيعية (NLP). أي بمعنى أنه تم جمع كافة مدخلات قبس المعجمية (Lemmas) من تلك المصادر. وبالتالي يُستخدم معجم قبس كمعجم وسيط، يربط بين المصادر المعجمية المختلفة، مكوناً بذلك شبكة بيانات معجمية ضخمة (Big Lexicographic Data Graph). وقد صُمم قبس ليكون مفتوح المصدر (open-source) وليمثل تنوعات

المفردات العربية: الفصحى المعاصرة (MSA)، واللهجات العربية (dialects)، والمفردات الأجنبية المعربة التي شاع استخدامها. كما يحتوي قيس على معلومات صرفية حول كل مدخلة، ويشمل ذلك إملاء المدخلة وتشكيلها، وجذرها (root)، وتصنيفها حسب أقسام الكلام (part-of-speech)، و جنسها (gender)، وعددها (number)، والشخص المسندة إليه (person)، وصيغتها (voice) أكانت معلوماً (active) أم مجهولاً (passive)، إضافة إلى المعلومات الدلالية كالتعريفات (glosses) والمترادفات (synonyms) والمشتقات (derivations) وغيرها.

"الدليل المعياري"

يعتمد اختيار وصياغة وتشكيل المدخلات في معجم قيس على المعايير والقواعد الإرشادية التالية:

اختيار المدخلات المعجمية: تذكر مقدمة المعجم ٢٠ أساساً / معياراً لاختيار المداخل.

"تشكيل المدخلات تم تشكيل جميع المدخلات في معجم قيس تشكيلاً كاملاً، وهذا يشمل تشكيل الحرف الأخير..." وتورد المقدمة تفاصيل التشكيل المتبعة في حوالي عشرين فقرة.

"قواعد تصنيف المدخلات حسب قسم الكلام:"

أولى معجم قيس أهمية كبيرة لتحديد قسم الكلام للمدخلات الواردة فيه، لما لذلك من أهمية كبيرة في التطبيقات الحاسوبية. ولم يكتفِ المعجم بتقسيم الكلمة على أنها اسم وفعل، بل توسع إلى أكثر من ذلك وخصص لكل منها وسوماً خاصة، فأدرج اسم العلم، واسم الفعل، والأداة، واسم العدد، والعدد، وغيرها من أقسام الكلام...^(١)

(١) (المصدر: معجم قيس Qabas Lexicon)

ملاحظات على المعجم:

١- إضافة إلى الكلمات الفصيحة يقدم المعجم كلمات عامية من لهجات مختلفة، بحسب المدونات التي استخدمتها، كما نلاحظ ذلك في الأمثلة المذكورة في جداول الأسماء والأفعال والأدوات.

٢- يقسم المعجم الكلمات العربية إلى ثلاثة أقسام رئيسية: اسم، فعل، كلمة وظيفية. وهو بذلك أدخل إلى أقسام الكلام العربية، كما فعل أحمد مختار عمر في معجمه، مصطلحاً جديداً هو "الكلمات الوظيفية"، بدلاً من "حرف" أو "أداة" كما تشير المراجع التقليدية. ويدرج تحت هذا القسم مجموعة كبيرة من الكلمات العربية تشمل ما يسمى حروف المعاني والضائرو وغيرها، مثل: أداة نفي + اسم، فعل ماضٍ + أداة ربط، شبه فعل + اسم موصول.

٣- يقدم المعجم توسيمات تفصيلية للأسماء والأفعال و"الكلمات الوظيفية" بصورة لا نجد لها في المعاجم الأخرى.

٤- قد يكون معجم قبس الموقع المعجمي الوحيد الذي يربط الباحث بمدونات للغة العربية الفصحى والعامية.

٥- من حيث معاصرة المحتوى اللغوي، نجد أن ربط المعجم بمعاجم حديثة (مثل المعجم الوسيط) ومعاصرة (مثل معجم اللغة العربية المعاصرة ومعجم الغني)، ثم ربط الموقع بمدونات لغوية معاصرة يعين في توفير المعاصرة من حيث الكلمات ومعانيها واستعمالاتها.

٦- من حيث المعاصرة الحاسوبية، لا شك أن هذا المشروع مبني بصورة كاملة على التقنية الحاسوبية من حيث المحتوى اللغوي والمعالجة والربط بالمعاجم الأخرى والمدونات اللغوية المختلفة، كما أنه يهدف بحسب معديه إلى خدمة العمل الحاسوبي والمشتغلين بالمشروعات الحاسوبية المتعلقة باللغة العربية

بصور مختلفة، بما في ذلك "التوسيمات التفصيلية للأسماء والأفعال والكلمات الوظيفية".

٣- موقع الباحث العربي: www.baheth.com

نقرأ المعلومات المختصرة التالية في الموقع:

"يقدم الموقع خدمة البحث في أهم القواميس والمراجع اللغوية العربية. يحتوي الموقع على أكثر من ٩٠,٠٠٠ مادة وأكثر من ٦,٥٠٠,٠٠٠ كلمة مجموعة من أهم المعاجم اللغوية..."
لأسباب فنية غير معروفة لم تتمكن من الحصول على مزيد من المعلومات عن هذا الموقع أو الوصول إليه للاستعلام.

٤- موقع معاجم (قاموس معاجم الجامع للألفاظ والمعاني): www.maajim.com

لعل هذا الموقع واحداً من أشمل المواقع المعجمية العربية، من حيث اشتماله ليس على معجم أحادي اللغة للعربية فحسب، بل يشتمل كذلك على معجم للمترادفات والأضداد وعلى عدة معاجم ثنائية اللغة (ثمانى لغات)، وعلى ألعاب لغوية، وحكم وأمثال، كما تشير العناوين الرئيسة في موقعه. عن المعاجم ثنائية اللغة نجد في الموقع الأزواج التالية:

عربي-فارسي، عربي-إنجليزي، عربي-فرنسي، عربي-برتغالي، عربي-أسباني، عربي-نرويجي، عربي-ألماني، عربي-تركي، عربي-دنماركي.

٥- الموسوعة اللغوية The Arabic Lexicon

<http://arabiclexicon.hawamani.com/>

نقرأ ما يلي في موقع الموسوعة:

"الموسوعة اللغوية مشروع لبناء أكبر معجم ومحرك بحث لغوي للغة العربية في العالم يحتوي على ٢٢٩٤٣٧ موضوعاً أخذ من ٥١ كتاباً من كتب المعاجم واللغة".

من نظرة على مصادر الموسوعة المذكورة أنه يعتمد العمل على واحد وخمسين معجماً وعملاً معجمياً تراثياً (مثل "العين"، و"القاموس المحيط") وبعض المراجع الحديثة ("ما وقع في القرآن من غير لغة العرب" للهلالي، و"المعجم الوسيط" لمجمع اللغة العربية بالقاهرة، "معجم اللغة العربية المعاصرة" لأحمد مختار عمر) وقد رتب صاحب الموقع هذه الأعمال في مقدمة الموقع بحسب القرون، بدءاً بالقرن السابع وحتى القرن الحادي والعشرين.

من الملاحظات المهمة بخصوص هذا العمل:

- أنه يخلط بين المراجع المعجمية العامة والمصطلحات (مثل التعريفات الفقهية للبركتي) والمتخصصة (مثل المصطلحات الأربعة في القرآن الكريم لأبي الأعلى المودودي).
- كذلك يلاحظ اختيار معدي المشروع عدداً من المؤلفين المحدثين من دول غير عربية، مثل الباكستان وبنغلادش).
- من حيث المعاصرة الحاسوبية، من الواضح أن الموقع المذكور استفاد من الإمكانيات الكبيرة للتقنية الرقمية.

٦- موقع الأنطولوجيا العربية Arabic Ontology

<http://ontology.birzet.edu>.

تم الإعلان عن الموقع المذكور في ٢٥/٩/٢٠١٩. ومن الواضح أنه عمل متمم لموقع معجم قبس الحاسوبي (٢ أعلاه) الذي طورته جامعة بيرزيت في فلسطين.

نقرأ في الموقع: "الأنطولوجيا العربية شجرة المفاهيم العربية، وهي تصنيف لمعاني الكلمات وليس الكلمات. كل مفهوم / معنى لكل كلمة عربية يتم وصفه بحدوده وبصفاته

الجوهرية المميزة وإعطائه رقماً فريداً، ثم يصنيف المفهوم الى أجناسه الأدنى، وهكذا. اهم ما يميز الانطولوجيا عن المعاجم ليس تصنيفها للمعاني فقط، حيث يتم التحقق من تعريفات وتصنيفات المفاهيم في الانطولوجيا اعتماداً على ما وصلت إليه العلوم الطبيعية، وليس على شيوع الدلالة المستخدمة بين المتحدثين، كما تفعل المعاجم.

يضم الموقع ١٥٠ معجماً عربياً متعدد اللغات التي تم رقمتها يدوياً ودمجها في قاعدة بيانات واحدة، تشتمل على التعريفات والمترادفات والترجمات والملاحم الصرفية إلخ. (مترجم من تعريف باللغة الإنجليزية في الموقع المذكور).

نفهم من هذا أن الموقع يتكون من جزئين: شجرة المفاهيم العربية وقاعدة بيانات معجمية عربية متعددة اللغات، مع محرك بحث للتعامل معها.

ملاحظات على الموقع:

- من الواضح أن الموقع يتميز بميزة أساس هي مبادرة الانطولوجيا (شجرة المفاهيم) العربية، التي لا نقرأ عنها كثيراً باللغة العربية. وهو عمل رائد من حيث أن هذا مفهوم الأنطولوجيا يتقاطع مع مفهومي المكنز ومعجم المترادفات ويختلف عنهما من زوايا متعددة. يقول مطور المشروع مصطفى جرار: "إن هذه المنهجية بفكرتها العامة، تعتبر خطوة هامة في تاريخ اللغة العربية، فهي تؤسس لطريقة جديدة لتعريف معاني ودلالات الكلمات. وعلى مستوى المحتوى، تتيح هذه المنهجية إنتاج قاموس دلالي آلي تصويري يصنف معاني الكلمات ويشجرها، بحيث تكون هذه المعاني والعلاقات فيما بينها مؤصلة فلسفياً ولغوياً وممثلة بلغة المنطق الشكل". (جرار، ٢٠١١: ١). لتفصيل ذلك يقارن جرارين "شبكة الكلمات والمكنز ومعجم المترادفات، حيث يقول: "شبكة الكلمات wordnet تزودنا بعلاقات أكثر دقة بين معاني الكلمات... كما أن المكنز لا يعرف أو يحدد المعاني المختلفة للمداخل، على العكس من شبكة الكلمات." (جرار، ٢٠٢١)

ويعتبر مثل هذا العمل تطوراً مهماً في مجال المعجمية العربية، بل ومفيداً في صناعة المصطلح العربي، حيث إن هذه الصناعة تعتمد على شبكات المفاهيم منطلقاً لها.

— كذلك يتميز العمل بالعدد الكبير من المعاجم ثنائية وثلاثية اللغة التي جمعت في قاعدة بيانات موحدة، مما يفيد في برامج الترجمة البشرية والآلية.

ثالثاً بنوك المصطلحات الآلية:

لعل من أقدم بنوك المصطلحات في العالم العربية بنكي "معربي" (كان يسمى "لكسار") التابع لمعهد الدراسات والأبحاث للتعريب المغربية (لم نجد معلومات عنه)، والبنك الآلي السعودي للمصطلحات (باسم) الذي تم إنشاؤه في منتصف ثمانينيات القرن الماضي (أنشئ في مدينة الملك عبدالعزيز للعلوم والتقنية في منتصف ثمانينيات القرن الماضي، وانتقل إلى مجمع الملك سلمان العالمي للغة العربية في العام ٢٠٢٣). وأحدثها بنك المصطلحات التابع لمكتب تنسيق التعريب (بنك المصطلحات الموحدة)، الذي يضم مصطلحات في أكثر من أربعين تخصصاً بثلاث لغات: العربية والإنجليزية والفرنسية. وتسمح للبحث في البنك بأي من هذه اللغات.^(١)

أما أحدث بنوك المصطلحات المتخصصة في التقنية فهو بنك "أرابترم arabterm" للمصطلحات التقنية الذي يشرف عليه مكتب تنسيق التعريب وتم إنشاؤه بمعاونة الحكومة الألمانية. ويمتاز باستخدامه للصور والرسومات، كما أنه رباعي اللغات: عربية، إنجليزية، فرنسية، ألمانية. ويغطي تسعة مجالات تقنية. (انظر الموقع: arabterm.org وكذلك:

^(١) <http://www.arabization.org.ma.aspx>. المصطلحات التقنية.

(١) انظر: <http://www.arabization.org.ma>

(٢) لمزيد من التفاصيل عن بنوك المصطلحات ومكوناتها وأمثلة لها، انظر صالح، ٢٠٢٣ جـ "بنوك المصطلحات الآلية" وملحقات الدراسة المذكورة.

حيث إن هذا الموضوع يحتاج إلى مناقشة مفصلة، نحيل الباحث إلى الفصل الخاص ببنوك المصطلحات الآلية في كتاب محمود صالح: **الحاسوب واللغة العربية: تطبيقات عملية في التعليم والترجمة وصناعة المعجم والبحث اللغوي**.

رابعاً المنصات المعجمية:

حسب علمنا هناك "منصة" وحيدة في العالم العربي تقدم خدمات متنوعة للباحثين ومؤلفي المعاجم كما نقرأ في التعريف أدناه بالمنصة، وهي **"منصة سوار للمعاجم (مجمع الملك سلمان العالمي للغة العربية)**.

لعل من أهم التطورات الحديثة في العمل المعجمي العربية مبادرة إنشاء منصة خاصة للعمل المعجمي العربية. نورد أدناه نبذة عنها، بحسب المنصة نفسها (علماً بأنها تعنون للمعلومات المذكورة بعبارة "إطلاق تجريبي").

"عن منصة سوار للمعاجم اللغوية:

منصة سوار للمعاجم اللغوية، منصة رقمية تهدف إلى حوسبة الصناعة المعجمية، وتتيح للمستفيد البحث في جميع المعاجم المنشورة فيها. كما تتيح للمؤلف حوسبة معجمه ونشره للمستفيدين وتحديثه بشكل دائم، مع الاستفادة من الأدوات اللغوية والحاسوبية التي توفرها المنصة.

ومنصة سوار إحدى مبادرات مجمع الملك سلمان العالمي للغة العربية، الذي تركّز رسالته على خدمة اللغة العربية، وتعزيز إسهامها الحضاري والعلمي والثقافي، وإمكاناتها بالوسائل المختلفة. وتُعنى هذه المنصة بنشر المعاجم وتأليفها وإدارتها وفقاً لأحدث المنهجيات العلمية المتبعة في صناعة المعاجم؛ لتمكين المستخدمين من البحث المتقدم في المعاجم العربية، ومساعدة صنّاع المعاجم في عمليات (التأليف، والنشر، والإدارة) لمعاجمهم؛ باستعمال تقنيات الذكاء الاصطناعي، وتيسير دراسة الظواهر

المعجمية والمصطلحية للباحثين والمهتمين. ويضيف المجمع معاجمَ جديدةً باستمرار، وكذلك أدواتَ حاسوبية للبحث؛ تلبيةً لاحتياجات المستخدمين العامة والعلمية. ويسعدُ بالتعاون مع صنّاع المعاجم والباحثين والمهتمين في مختلف المجالات؛ لتطوير المنصة، وإثرائها بالمعاجم المتنوعة، وتحسين وظائفها، ورفع القيمة العلمية والعملية لها.

وتأتي هذه المنصة امتداداً لجهود المملكة العربية السعودية الرائدة في سبيل تمكين اللغة العربية، وتواوفاً مع توجيهات سمو وزير الثقافة رئيس مجلس الأمناء الأمير بدر بن عبد الله بن فرحان آل سعود، حفظه الله، بتسخير الإمكانيات اللغوية والحاسوبية وتقنيات الذكاء الاصطناعي في خدمة اللغة العربية وتطوير أدواتها ومصادرها. وتأتي المعاجم اللغوية على رأس هذه المصادر التي يعمل عليها مجمع الملك سلمان العالمي للغة العربية، ويوليها أهمية كبرى ضمن اختصاصاته ومشاريعه.

ومن هذا المنطلق يمكن لأصحاب المعاجم الراغبين في نشر معاجمهم أن يبادروا إلى التواصل عن طريق رابط (أضف معجماً) أو (تواصل معنا) فيما يتصل بالتأليف والنشر من خلال المنصة، والاستفادة من فرصة الوصول السريعة والسهولة إلى أكبر عدد من المستخدمين، ومن إمكانية رقمنة معاجمهم الورقية وفق أحدث المعايير العالمية في الصناعة المعجمية مثل معيار LMF، ومن إمكانية تطوير المعاجم وتحديثها دورياً بما يستجد في مجالها، واستعمال تقنيات الذكاء الاصطناعي لتحسين دقتها وتعزيز جودتها، فضلاً عن توفير تجربة استخدام متميزة للمستخدمين، وبناء الجيل الجديد من المعاجم العربية التي يواكب التطورات الحديثة في عالم اللغات والتقنيات^(١).

ويعتبر إنشاء منصة سوار للمعاجم مبادرة عصرية مبتكرة نأمل أن تسهم في تطوير المعجم العربي بالإمكانيات الفنية التي توفرها للعمل المعجمي. ويوفر حالياً سبعة وعشرين معجماً عاماً ومتخصصاً وتتيح المنصة البحث المعجمي فيها، علماً بأن كثير من

(١) انظر: <https://siwar.ksaa.gov.sa/home>

هذه المعاجم ثنائية تقدم المصطلحات الإنجليزية للمصطلحات، إلى جانب العربية، مع أو بدون شرح باللغة العربية.

لكن يجدر بنا أن ننبه المشرفين على المنصة من التثبت من جودة المعاجم التي ترفع عليه وصحة المعلومات فيها قبل تثبيتها عليه، فليس كل عمل معجمي جدير بالثقة في جودته.

نظرة عامة إلى المواكبة التقنية واللغوية في المعاجم والمواقع المذكورة:

من نظرة إلى المعلومات التي قدمناها عن المعاجم والمواقع المعجمية وملاحظاتنا عليها، نجد أنها تتسم بالمعاصرة من حيث المحتوى اللغوي ومن الاستفادة من التقنيات الرقمية المتاحة، ولكن بدرجات متفاوتة، علماً بأن بعض المعاجم (مثل المعجم التاريخي للغة العربية) يؤكد على تجريبية النسخة المتاحة التي يعمل إلى تطويرها. والأمر نفسه ينطبق على معجم الرياض الذي يؤكد مجمع الملك سلمان العالمي للغة العربية على خضوعه للتطوير والمراجعة المستمرين.

أما معاصرة المواقع من حيث المحتوى اللغوي فإنه يعتمد على المعاجم التي بنيت عليها (مثل معجم اللغة العربية المعاصرة ومعجم الغني)، باستثناء المواقع التي تسعى إلى التحديث المستمر، مثل قاموس المعاني الذي يذكر أنه بصدد إضافة مراجع معجمية تتعلق باللهجات العامية إلى المعجم أحادي اللغة وإضافة لغات أخرى إلى المعاجم ثنائية اللغة.

لعل من المفيد أن نورد ما ذكرته الباحثة ريما الجرف في دراستها المذكورة في قائمة المراجع من الوحدات المعجمية التي أشارت طالبات الترجمة إلى معرفة معانيها والبحث عنها في المعاجم العربية:

تقول الباحثة المذكورة:

"قامت طالبات المستوى الأول بكلية اللغات والترجمة بجمع عينة تشمل ١١٠ مفردة من المفردات والمصطلحات التي تتردد في وسائل الاعلام ويجدن صعوبة في فهمها هي:

ابوجا، الأحادية القطبية، أحكام عرفية، استراتيجية، استشراف، الإسلام السياسي، الأسياد، اشتراكية، أصولية، أقليات، عرقية، ألوان حارة، الأمازيغ، امتياز، انتخابات تشريعية، انتخابات نيابية، إنفلونزا الطيور، أوابك، أوبك، باحث استراتيجي، البوليساريو، تأصيل، تبييض الأموال، تخصيب اليورانيوم، التخصيص، التداول، تشبع الألوان، التطبيع، تطهير عرقي، التعددية، التقنية الرقمية، التنمية المستدامة، التوحد، الجامعة المفتوحة، الجنجويد،

حجب الثقة، حادثة، حراك اجتماعي، الحسينيات، الحصانة الدبلوماسية، حقوق الإنسان،

الحكومة الإلكترونية، حكومة الظل، حكومة تكنوقراط، حلف الناتو، حماس، الحوار الوطني،

حيثيات، خارطة الطريق، الخصخصة، خطوط التماس، دراسات استراتيجية، دولة اتحادية،

دولة تعاهدية، دولة رئيس الوزراء، ديموقراطية، رؤيوية، رتل عسكري، الزواج العرفي، السارن، سفير النوايا الحسنة، شركة مضاربة، شركة قابضة، شركة ذات مسؤولية محدودة، شعوبية، شيخ عقل، صحف مستقلة، صقور الادارة الامريكية، طائفية، الطابور الخامس، الطاقة الاستيعابية، عربي خفيف، عروبيون، عصرنة، عقلنة، العولة، غسيل الأموال، الفدرالية، الفرانكوفونية، قمة الأرض، القوميات، لوجستية، الليبراليون الجدد، مؤسسات المجتمع المدني، مؤشر الأسهم، الماء الثقيل، متحدث

رسمي، المثاقفة، المجالس النيابية، مجلس الأمة، مجلس الشيوخ، مجلس العموم، مجلس تشريعي، محرك بحث، المراجعة، مساقات، المعلوماتية، الملكية الفكرية، منظمة العفو الدولية، النظام العالمي الجديد، وزير الخزانة، اليورانيوم المنضب، اليونسكو.^(١)

هذا ويمكننا الاستعانة بمثل هذه القائمة مع الزيادة عليها من واقع النصوص العربية المسموعة والمقروءة في الحكم على معاصرة المعاجم العربية للتطورات اللغوية الحديثة ولتطويرها.

يجدر بنا الإشارة إلى أن بعض دور نشر المعاجم العالمية لديها ما يسمى بـ "مدونة المراقبة أو المتابعة" monitor corpus، لمتابعة المستجدات اللفظية واستعمالاتها، من ثم إدراجها في الطباعات أو النسخ الجديدة (الورقية والمحوسبة من المعجم).

وأقترح أن تقوم بمثل هذه المهمة لجنة فرعية في مشروع المعجم التاريخي للغة العربية التابع لاتحاد مجامع اللغة العربية والمؤسسات اللغوية العربية الأخرى كمجامع اللغة العربية والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ودور نشر المعاجم العربية، مثل مكتبة لبنان وغيرها.

ونأمل أن تطور المعاجم والمواقع المعجمية العربية لغوياً للتعامل مع أمثال هذه المستجدات اللغوية التي طرأت وتطراً على اللغة العربية بصورة متسارعة، مع علمنا بأن بعضاً من هذه الوحدات المعجمية قد تكون موجودة فعلاً في المعاجم والمواقع المعجمية التي عرضنا لها في هذه الورقة.

كما أننا على ثقة بأن العاملين المخلصين على هذه المشروعات المعجمية سيواصلون تطوير إنتاجهم والاستفادة من التطور التقني الرقمي، خاصة الذكاء الاصطناعي، حتى يواصلوا مواكبتهم للعصر الحديث والتطورات التقنية فيه.

(١) (الجرف، ٢٠٢٠: ٢٧)



أخيراً:

يكثُر الجدل حول عدد كلمات اللغة العربية ومقارنتها بلغات أخرى. غير أننا لا نجد إجابة شافية عن هذا السؤال. لذلك نقترح المشروع التالي:

- توفير جميع مدونات اللغة العربية المتاحة للحاسوب، لتكون لدينا ما يسمى بالبيانات الضخمة big data.
- الاستعانة بالذكاء الاصطناعي في عمل التقليبات المشابهة لعمل الخليل بن أحمد الفراهيدي.
- تعيين الكلمات الممكنة والكلمات الحقيقية والوارد استعمالها في النصوص العربية.
- تحديد عدد الكلمات العربية في ضوء ذلك، ليكون لدينا دليل قاطع أو شبه قاطع على عدد ألفاظ اللغة العربية.



قائمة مراجع مختارة

أولاً: الدراسات:

١- المراجع العربية:

الأسس اللغوية للمعجم العربي التفاعلي " ورقة قدمت في ورشة العمل الثانية للمعجم العربي التفاعلي (الرياض) ٢٠١٤/٥/٤ - ١٤٢٩/٥/٥ هـ / ٢٠٠٨/٥/٧ - ٢٠٠٨/٥/٧ هـ، صالح، محمود إسماعيل (٢٠٠٨) أعيد نشره بعنوان "المتطلبات اللغوية للمعجم الحاسوبي للغة العربية" في صالح، محمود إسماعيل: دراسات في اللسانيات التطبيقية. مركز النشر العلمي، جامعة الملك عبدالعزيز، جدة: صص ٣٥٥-٣٧٥.

بنوك المصطلحات الآلية " صالح، محمود إسماعيل (٢٠٢٣ ج) " في صالح، ٢٠٢٣: ١٨٧-٢٠٦. تأثير الثورة الرقمية في الصناعة المعجمية. الراددي، عائض د.ن. ٢٠١٨، تاريخ الإطلاع: ٢٠٢٤/١١/١٥

التقنية في خدمة المصطلح العلمي العربي " صالح، محمود إسماعيل (٢٠٢٣ د) في: صالح، محمود إسماعيل: دراسات في اللسانيات التطبيقية. مركز النشر العلمي، جامعة الملك عبدالعزيز، جدة: صص ٣٦٩-٣٧٦.

الحاسوب واللغة العربية: تطبيقات عملية (تعليم، ترجمة، صناعة المعجم، بحث). صالح، محمود إسماعيل (٢٠٢٣ أ) مجمع الملك سلمان العالمي للغة العربية، الرياض، ٢٠٢٣.

صناعة المعاجم العامة والمتخصصة (المصطلحات) " صالح، محمود إسماعيل (٢٠٢٣ ب) في صالح، ٢٠٢٣: ١٥٩-١٨٦.

صناعة المعجم الحديث، ط ٢. عمر، أحمد مختار. عالم الكتب، القاهرة: ٢٠٠٩.

المدونات اللغوية ولسانيات المدونات". صالح، محمود إسماعيل (٢٠٢٣هـ) في صالح، محمود إسماعيل، ٢٠٢٣: ٢٠٠-٢٦٦.

"معاجم التعابير الاصطلاحية" لمحمد خالد الفجر، ٢٠١٢ (انظر الرابط: https://www.alukah.net/literature_language/ معاجم التعابير الاصطلاحية

المعاجم العربية الرقمية أحادية اللغة" في مجلة الدراسات العربية الأوراسية، ١٢ ديسمبر، ٢٠٢٠. الجرف، ريما: ١٦-٤٢.

المعجم التاريخي للغة العربية. مجمع اللغة العربية بالشارقة، الشارقة، ٢٠٢٤.

المعجم الطلابي لمراحل التعليم العام (١٤٣٢هـ / ٢٠١١م) " في موقع:

https://www.alarabiahconferences.org/wpcontent/uploads/2019/04/conference_research-139667184-1527504534-1866.pd

معجم الغني الزاهر: مقارنة لسانية تطبيقية". العنزي، بدرية بنت براك. في: مجلة العلوم الإنسانية، مجلد ٦، العدد ٢، ٢٠١٩

المعجمية العربية بين النظرية والتطبيق. القاسمي، علي. مكتبة لبنان ناشرون، بيروت. نحو تأصيل منهجي لبناء أنطولوجيا اللغة العربية" جرار، مصطفى، ٢٠١١.

هل يستطيع الذكاء الاصطناعي صناعة معجم عربي من الألف إلى الياء؟" محاضرة الجندي، عمرو (2024) <https://youtu.be/zeHB2-4luYo?si=LprEhLV8U2EIqB3>

٢- مراجع أجنبية:

Mustafa Jarrar: Building a Formal Arabic Ontology In proceedings of the Experts Meeting on Arabic Ontologies and Semantic Networks. Aleco, Arab League. Tunis, April 26-28, 2011.

Mustafa Jarrar: The Arabic Ontology – An Arabic Wordnet with Ontologically Clean Content
،Applied Ontology

ثانياً: المعاجم المطبوعة:

معجم التعبيرات الاصطلاحية في العربية المعاصرة: عربي - عربي لوفاء كامل فايد، من نشر
المؤلفة (٢٠٠٧)

معجم التعبير الاصطلاحي في العربية المعاصرة . تأليف: محمد محمد داود. دار غريب
للطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠٠٣

-معجم التعبيرات الاصطلاحية في كلام العرب . تأليف محبي الدين توفيق إبراهيم.
هيئة أبوظبي للسياحة والثقافة، أبوظبي، ٢٠٢١.

معجم الغني. أبو العزم، عبد الغني. مؤسسة الغني للنشر، الرباط (رقم الكتاب في المكتبة
الشاملة: ٣٠٨٣)

معجم الغني الزاهر. أبو العزم، عبد الغني . مؤسسة الغني للنشر، الرباط: ، ٢٠١٣.

المعجم السياقي للتعبيرات الاصطلاحية (عربي-عربي). صيني، محمود إسماعيل ومختار
حسين وسيد عوض الدوش. مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ١٩٩٦.

المعجم العربي للطلاب للمرحلتين المتوسطة والثانوية لمجموعة من المؤلفين (٢٠١١).
مكتبة لبنان ناشرون، بيروت.

معجم اللغة العربية المعاصر. عمر، أحمد مختار (وفريق من الباحثين) . عالم الكتب،
القاهرة، ٢٠٠٨.

المكنز الكبير: معجم شامل للمجالات والمترادفات والتضادات. عمر، أحمد مختار (وفريق
من الباحثين) . شركة سطور (مؤسسة التراث)، الرياض، ٢٠٠٠.



ثالثاً: عناوين المواقع المعجمية:

قاموس "المعاني": <https://www.almaany.com/>

معجم قبس الحاسوبي: <https://sina.birzeit.edu/qabas>

موقع الأنطولوجيا العربية Arabic Ontology: <http://ontology.birzeit.edu>

موقع الباحث العربي: www.baheth.com

موقع معاجم: www.maajem.com

الموسوعة اللغوية The Arabic Lexicon: <http://arabiclexicon.hawamani.com>



مفهوم "نحو النص" مقارنةً جديدةً لفهم شجاعة العربية وذكائها

أ.د. عبدالرحمن بودرع

عبدالمالك السعدي - كلية الآداب، تطوان

لا يجوز في دراسة الشعر [والنص الفصيح عامةً]

إهمال علاقات الجمّل وطرائق تكوينها، وتداخل

المعاني، ونسيج بنائها، وروابط اتصالاتها؛ لأنّ كلّ

ذلك من جوهر الشعر، وجوهر بنائه، وطرائق

تشابك معانيه، وتخلّق مكوّناته، ومذاهب إبداعه^(١)

تقديم عامّ، بالإشكال وسياقه، واقتراح البحث فيه:

١- ارتبط مفهوم شجاعة العربية بأبي الفتح ابن جني الذي وضع هذا المفهوم، مختصراً به جملةً من القيم الجمالية في اللغة العربية بلاغةً وقوّةً تعبيريةً ومرونةً في الخطاب واستجابةً لتغير المقامات وانتقالها. وقد خدم مفهوم "شجاعة العربية" العربية زمناً طويلاً، وصمّنه واضعُه دلالاتٍ ممتدةً، لا تقف في زمنه، وأجاب عن إشكالاتٍ حول فضل العربية وما تختصُّ به من توليد الألفاظ

(١) قراءة في الأدب القديم، محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٤٢٧-٢٠٠٦، ص: ٧٤.

ومناسبة المقامات^(١)، ثم خَلَفَ من بعد أبي الفتح أجيالٌ من العلماء بينوا وفصلوا وأوضحوا المسكوت عنه ونَبَّهوا على المسهوّ عنه، ممّا يدخلُ في صفة شجاعة لغة العرب، فاستخرج عبدُ القاهر من مفهوم الشجاعة مفهومَ النظم وما يدورُ حوله من قواعدَ كبرى لبناء الكلام البليغ السليم،

٢- ولا شكّ في أنّ العربية تستجيبُ لسنة التطوُّر ومواكبة الجديد والمتغيّرات، ومن سُنن التطوُّر ألا يَظَلَّ تفسيرُ شجاعة العربية محصوراً في الرؤية النحوية والبلاغية التي اقترحت سابقاً، بل يتعيّن الرجوعُ إلى وضعيّة العربية في العصور اللاحقة للبحث في مدى قدرتها على الانتظام في سلك هذه العصور.

٣- وقد أن الأوان اليوم لاستئناف مشروع استمرار اللغة العربية وتطوُّرها، في السياق العلمي والحضاري الجديد المُتجدد، واستخراج مظاهر أخرى من قوتها وشجاعته. ولم يُعلم أنها عرفت في زمن ما غياباً أو سُقوطاً تركَ هوّةً في طريق التطوُّر، فقد حرصَ علماء العربية منذ القديم وعلى مرّ العصور على صون

(١) جعلَ ابنُ جنيّ شجاعةَ العربية باباً مستقلاً وحصرَ مُعظمَ وجوهها في "الحذف، والزيادة، والتقديم، والتأخير، والحمل على المعنى، والتحريف". الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جنيّ، تح. محمد عليّ النّجار، دار الهدى للطباعة والنشر، بيروت، ط. ٢، ج. ١، ص: ٢٣٧. وزاد في موضع آخر: الاتساع والمجاز. وقد علّق عبدُ القاهر الجرجاني على جعلِ الحذفِ البليغ من شجاعة العربية، بمناسبة الحذف لموضعه: "ما من اسم أو فعل تجده قد حُذف، ثم أصيبَ به موضعه، وحُذف في الحال ينبغي أن يُحذف فيها إلا وأنت تجدُ حذفه هناك أحسنَ من ذكره، وترى إضماره في النفس أولى وأنس من النطق به". دلائل الإعجاز: أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني، تح. محمود محمد شاكر، نشر مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط. ٢، ١٤١٠-١٩٨٩، ص: ١٥٢-١٥٣

أمّا وجه الاصطلاح وتسمية الوجوه بشجاعة العربية فقد علله ابنُ الأثير بقوله - في حديثه عن الالتفات: "إنما سُمّيَ بذلك لأنَّ الشجاعةَ هي الإقدام، وذلك أن الرجلَ الشجاعَ يركبُ ما لا يَسْتَطيعُه غيره، ويَتَوَرَّدُ ما لا يَتَوَرَّدُه سواه، وكذلك هذا الالتفاتُ في الكلام، فإن اللغةَ العربيةَ تختصُّ به دونَ غيرها من اللُّغات" المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: ضياء الدين ابن الأثير، تح. أحمد الحوفي وبدوي طبانة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة - القاهرة، ص: ١٦٧-١٦٨، النوع الرابع في الالتفات.

الاتصال ودفع عوامل الانفصال، والحفاظ على الرصيد العلمي الموروث، من الاهتزاز والسقوط أمام المؤثرات التاريخية التي عصفت بالأمة؛ فكانت المُصالحة والانسجام بين المعارف والعلوم من أهم الصفات التي ضمنت للأمة استمرار الارتباط بالأصول العربية الإسلامية الراسية والنسج على منوالها ثم تجاوز ما لا يوافق العصر؛ وذلك لإعادة إنتاج الذات، بما يضمن استمرار الأفكار والمفاهيم والقيم المؤسسة، ويربط بين الماضي والحاضر والمستقبل ربطاً تفاعلياً. فإن رعاية التفاعل بين الماضي والحاضر والمستقبل في العلم والمعرفة الكونية سيجعل حركة التصنيف في اللغة العربية وبها، ذات قوة جديدة تمنح اللغة العربية القدرة على إنتاج الطاقة الإبداعية، ولن تحصل على هذا التحديث إلا بوضع قراءات جديدة واصفة ومفسرة تصل القديم بالجديد.

٤- ولا شك في أن اللغة العربية في عصرنا مدعوة لخوض غمار التفاعل مع العصر بلغاته ومعارفه ومعلوماته المتجددة وحضاراته، وللتعامل مع معضلات جديدة، كالتعدد اللغوي وضعف اللغة الفصيحة في نفوس المتكلمين بالعربية، وتحدي اللغات الحية، والسيل الثقافي الحديث الجارف، فيُثار السؤال: كيف تواجه العربية هذه المشكلات للحفاظ على ذاتها وضمان استمرارها وتحديث نفسها للاطلاع على الجديد بالترجمة المناسبة التي تسمح بالنقل الأمين للفكر الوافد، وتوليد المفردات والمصطلحات لسد الحاجة إلى المفاهيم الجديدة، بما تملكه من قدرات على التوليد والتعريب والتقريب.

وقد توالى اليوم أصوات النداء بتقوية حضور العربية على صعيد الحياة المعاصرة وتطويعها في الشؤون العامة، الاجتماعية والفكرية والاقتصادية، وتعزيز مكانتها بين أشهر لغات العالم.

ثم لا شك في أن للعربية قابلية للاستجابة للتطور الحديث في الميادين والأصعدة، وذلك مظهر بارز من مظاهر شجاعتها. وإن شجاعة العربية ذكاء ومهارة ومنطق قوي في

تصريف وظائف الدلالة والتواصل^(١). ولكن كيف السبيل إلى معرفة أن لها ذكاءً ومهارةً، لولا ما اصطنعه علماء اللغة والبلاغة من أدوات ومناهج ونظريات للكشف عن مواطن القوة في البيان وتوليد الألفاظ ومواكبة الجديد.

٥- لقد اصطنع أبو الفتح ابن جني ثم عبد القاهر الجرجاني ثم من جاء بعده وتدوَّق العربية وبرَّر فيها، مفاهيم وصفية وتفسيرية لوصف أجزاء من "صفة ذكاء العربية ومهارتها وشجاعتها"، فاستخرجوا أدوات ووسائل لوصف طرق بناء الكلام السليم البليغ وسمَّوها بالصناعة كصناعة النحو وصناعة العروض وصناعة الشعر^(٢) أو العلم بالشعر، ووضعوا أيضاً طرقاً وإجراءات لبيان مواضع الإشكال في الكلام التي تُشكّل على القارئ، ومواضع الغموض والغرابة واللَّبس، من هذه المفاهيم عزو بلاغة الكلام إلى نظمه وعلاقته النحوية التي تشد أجزاءه بعضها إلى بعض، وذلك لتجنُّب الخلل في تركيب الكلام، ومنها مفهوم "أمن اللبس" ومنها حمل الفروع على الأصول لتقريب الفهم، أي وضع قواعد للقياس على ما له نظير في كلام العرب...

وما وضع الأصول والقواعد والصناعات إلا محاولات لمحاكاة ما في أذهان المتكلمين العرب، وهو ادعاء يضعف ويقوى بحسب قوة قرب تلك القواعد من الموصوف أو بعدها، وقد اجتهد الأولون في وضع النحول لتحاء سَمَت كلام العرب ووضعوا البلاغة لاقتفاء أثرهم في النظم الحسن السليم، ولكن التطور الطبيعي للغات يقتضي اليوم أن توضع مفاهيم جديدة تصف سلوك اللغة أو توسع المفاهيم القديمة وتطور دلالاتها.

(١) ربط ذكاء اللغة بالذهن ومنطق العقل، فعل صحيح مُسوَّغ لإشكال فيه، ويمكن الاستفادة في هذه المسألة من بحث: مراجعة كتاب "تصميم اللغة وهندسة العقل مدخلا إلى فهم الطبيعة الإنسانية"، قراءة في كتاب "أي نوع من الخلاق نحن؟" لنعوم شومسكي، مراجعة رشيد بوزيان، مجلة أنساق، المجلد ٧، العدد ٢، ٢٠٢٣، ص: ١٤٥-١٦٠.

(٢) "الصنعة تختص من الشعر" باللفظ ووجه استعماله، لا باختراع المعاني: "الفتح على أبي الفتح"، أوضح مشكلات ديوان شعر أبي الطيب المتنبي، محمد بن أحمد بن فورجة البروجدي ت. في نحو ٤٥٥هـ، تحقيق: رضا رجب، دار تموز رند للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ط ١، ٢٠١١، ص: ٢٤٤.

وقد تُركت تلك المواضع التي لم يوسعوها بحثاً وتحليلاً للأجيال اللاحقة، وعُبر عن هذا المُدخّر بالخفي من كلام العلماء، والمُبهم، والمُجمل، والخبيء وراء الظاهر، والمسهُو عنه، و"المسكوت عنه"^(١).

٦- يسعى هذا البحث إلى بناء نظرية تجمع علومًا في علم واحد، فالعلوم والمعارف اللغوية والنحوية والبلاغية لم تكن مجموعة نظراً وتصريحاً، ولكنها كانت مُستخدمةً مرجوعاً إليها في الدرس والتحليل تطبيقاً، بحسب نوع النصوص المدروسة، إذ يستدعي كل نص ما يُناسب دراسته من الأدوات والمناهج.

واقترح أن تكون هذه النظرية عبارةً عن مفهوم مُستوحى من الدراسات اللسانية المعاصرة وخاصة ما يدعى بلسانيات النص، وهو "نحو النص" أي النحو الذي يُعنى بدراسة أعلى وحدة لغوية تركيبية، هي النص والخطاب. ولكن ما علاقة "نحو النص" بشجاعة العربية؟ وكيف نضع اليد على خصائص شجاعة العربية بنحو النص؟ وهل يُفترض أن العربية طوّرت صفاتٍ كانت موصوفةً من قبل بالشجاعة؟ وما حقيقة هذه الشجاعة الراهنة وما خصائصها وما حدودها؟ وهل يصح أن نعدّ شجاعة اللغة ضرباً من الذكاء والمهارات التي تملكها اللغة لكي تبلغ بالقُدرة على البيان مدى بعيداً؟

نفترض أن اللغة تملك شكلاً من أشكال الذكاء مستقلاً عن المتكلمين بها، وهذه فكرة أثارها القدماء وفصل فيها المُحدثون، وتطرق إليها اللسانيون وفلاسفة اللغة والسيميائيون:

٦-١- فقد عالَج اللسانيون مسألة تطور اللغة وتناسبها مع تطوّر حاجات المتحدثين بها ومع المتغيرات الاجتماعية والثقافية. ويمكن عدّ هذا التطور ضرباً من ضروب الشجاعة اللغوية أو الذكاء اللغوي الطبيعي، لأنه يظهر قدرة اللغات الذاتية

(١) يُنظر كتاب: المسكوت عنه في التراث البلاغي، محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، القاهرة، ٢٠١٧م.

على الاستجابة لمتغيّرات الزمان والمكان والأحوال المختلفة، وعلى الاستجابة للتطوّر العلمي والتقني^(١)، وقُدرة اللغات على الإبداع السيميائي والأدبي^(٢)

٦-٢- الأنظمة اللغوية المُضمّنة في اللغات مظهر من مظاهر ذكائها الطبيعي^(٣):

تحتوي اللغات على أنظمة نحوية وبنى معقدة تتيح لمُستعمليها التواصل الدقيق بينهم. ويمكن النظر إلى هذه البنى على أنها مظاهر لذكاء لغوي طبيعي؛ لأنها تُيسر التعبير عن الأفكار المجردة، ونقل المعرفة، وإنتاج المعنى. ويتجلى هذا الذكاء - في الكلام والكتابة - في التناسب المعجمي بين الكلمات، وفيما تُتيحها اللغات من إمكانيات التعبير، وهو نوع من المهارة في التعامل مع كلمات اللغات وجُمليها لبناء نصوصها، وذلك بحسب ميادين الاستعمال اللغوي وأغراضه، وهو ذكاء لغوي متطور^(٤). وأما اللسانيات فإنّها تُواجه هذا الذكاء اللغوي بالوصف والتفسير، فيلزم من هذه المُتابعة أنّ اللسانيات علم لا يفتأ يتطور؛ لأنّ "اللغويّ يواجه وفرة عظيمة من مادّة البحث تمتد بين ما يدرك

(1) David Crystal: Language and Internet, Cambridge University Press, 2001.

(2) Umberto Eco, The Role of the Reader: Explorations in the Semiotics of Texts, Indiana University Press, 1979

(٣) تمييزاً له عن الذكاء الاصطناعي الذي أُحدث لمعالجة اللغات الطبيعية؛ فمع ظهور الذكاء الاصطناعي، طوّرت خوارزميات ونماذج لمعالجة اللغة الطبيعية، لتحليل النصوص وفهمها. وعلى الرغم من أن هذه الأدوات اصطنَعها العقل البشري، تظلّ نوعاً من الامتداد للذكاء اللغوي الطبيعي، لأنها تستخدم البنى والقواعد اللغوية لتعمل بفعالية.

(٤) الذكاء اللغوي اللفظي هو أحد أنواع الذكاء الثمانية، في "نظرية أنواع الذكاء المتعددة" عند هوارد جاردنر، علماً بأن جاردنر يعرّف الذكاء بأنه "القدرة على حل المشكلات". واللغة نوع من القدرات على حل المشكلات بطريقتها الخاصة، والذكاء اللغوي أو الذكاء الكامن في اللغة يتحلّى به مُستعملو اللغة على نطاق متخصص كاللسانيين والأساتذة والكتّاب والمُترجمين والإعلاميين ومُستعملي اللغة على نطاق واسع ودقيق... انظر نظرية هوارد جاردنر:

Howard Gardner: Frames of Mind, The Theory of Multiple Intelligences. Published by Basic Books 1993

وانظر تفاصيل نظريته في:

Kelly, Melissa. Intelligence linguistique. ThoughtCo, 5 avril 2023, [thoughtco.com/linguistic-intelligence-8093](https://www.thoughtco.com/linguistic-intelligence-8093).

بالملاحظة من التخاطب المباشر وبين العويص من التأمّلات الرياضية والفلسفية في اللغة... فاضطّرت اللسانيات في مراحلها الأولى إلى أن تكون انتقائية واختزالية في نظرتها إلى حد بعيد^(١)؛ لأنّ اللغات أوسع من أن يحاط بها وبمواطن قوتها ودكانها.

٦-٣- من خصائص شجاعة اللغات ودكانها الطبيعي الاستعانة على استخراجها بنحو يحاكي أنساقها الداخلية^(٢).

ومن باب التذكير أنّ الخليل بن أحمد الفراهيدي رحمه الله سئل عن العلل التي يعتل بها أعراب العرب أخذها أم اخترعها من نفسه، فأجاب بأن العرب نطقت على سجيته وطباعها، وعرفت مواقع كلامها، وقام في عقولها عللها، وإن لم ينقل ذلك عنها، واعتل الخليل بما رآه عللاً لما علّله منه. فتبيّن أنّ العلل التي اعتل بها هي ما بدله من أحوالها ووظائفها بحكم تجربته ومعرفته ببنائها ومواطن قوتها وشجاعتها، والنص بتمامه وارد في كتاب "الإيضاح في علل النحو" لأبي القاسم الزجاجي^(٣).

بل اجتهد النحاة واللغويون في استخراج القواعد الذكيّة من البنى اللغويّة^(٤)، وكتاب سيبويه ينطق بقوة التحليل وينسب إلى العرب أنهم أرادوا هذا الوجه اللغوي أو

(١) دويغراندي، روبرت: النص والخطاب والإجراء، ترجمة تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط. ٢٠٠٧، ص: ٧٢.

(٢) وهذه الحاجة إلى النحو لإدراك قوة اللغة وجمالها عامّة لا تخص لغة دون أخرى، قالت الكاتبة مورييل بيربري: "أظنّ أنّ النحو طريق لولوج الجمال... عندما نشغل بالنحو يُفتح أمامنا بُعد آخر من أبعاد جمال اللغة. الاشتغال بالنحويّ يعني كشف أسرار اللغة والنظر إليها كيف أبدعت، وهنا الغرابة، لأننا نعبّر عن إعجابنا بالقول: ما أحسن هندستها وما أجمل طريقة وضعها".

Muriel Berbery: L'Élégance du Hérisson, roman. Editions Gallimard 2000

(٣) الإيضاح في علل النحو، أبو القاسم الزجاجي ت. ٣٣٧ هـ، تحقيق: مازن المبارك، نشر: دار النفائس، بيروت، ط. ٥، ١٤٠٦ هـ-١٩٨٦ م. ص: ٥.

(٤) القواعد الذكيّة والصواب والأصول والمقاييس والقيود، نُظِم لترتيب الفكر وتعديل مساره وتحسينه من شطط الميل والانحراف عن استقامة السير. وهذا شيء لمسه النحويون المتقدمون، على عهد الخليل وسيبويه ثم ابن جني وعبد القاهر. فالقواعد النحويّة معالم ذهنيّة تنظّم رؤية العالم في إطار اللغة التي استخرجت منها تلك القواعد.

ذاك، وقد كان صريحاً في إسناد الأفعال الكلامية إلى المتكلم كالإرادة والقصد^(١)؛ يقول مثلاً: "... فإن قدمت المفعول وأخرت الفاعل جرى اللفظ كما جرى في الأول... لأنك إنما أردت به مؤخراً ما أردت به مقدماً، ولم تُرد أن تشغل الفعل بأول منه... وهو جيد كثير كأنهم إنما يقدمون الذي بيانه أهم لهم وهم ببيانه أعنى وإن كانا جميعاً يهملانهم ويعنيانهم"^(٢).

وجاء أبو الفتح ابن جني ففصل مجمل كلام سيبويه، وشرح مصطلح "الإرادة"^(٣) أو الحكمة المبتغاة فعقد باباً "في أن العرب قد أرادت من العلل والأغراض ما نسبناه إليها، وحملناه عليها... لأن فيه تصحيح ما ندعيه على العرب من أنها أرادت كذا لكذا، وفعلت كذا لكذا. وهو أحزم لها، وأجمل بها، وأدل على الحكمة المنسوبة

(١) في اللسانيات واللغة العربية، قضايا ونماذج، عبد الرحمن بودرع، دار كنوز المعرفة، الأردن، ١٤٣٧-٢٠١٦. ص: ١٥٣.

(٢) الكتاب، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، سيبويه، تخ. عبد السلام محمد هارون، عالم الكتب، بيروت، ج: ١، ص: ٣٤.

(٣) للمتكلم إرادة يُعتمد عليها في تفسير وجوه الكلام؛ ويزيد في تأكيد واقعية "نحو النص" وموافقته للكفاية الاستعمالية والتداولية، أننا عندما نستقري النصوص والمقالات المبثوثة في النحو والبلاغة حول "مفهوم المتكلم"، بوصفه ركناً من أركان الكلام، نجد أن هذا المتكلم ليس مجرداً ناطقاً بالعبارات اللغوية التي وضعها الواضع العربي الفصيح؛ ولكنه إطار عام يدخل فيه مفهوم النظام المعرفي وما يترتب على هذا النظام من استعمال لغوي واختيار وإرادة، ومفهوم المشاركة في بناء الكلام داخل المقام وظروف الخطاب المختلفة. وقد عرّف أبو القاسم السهيلي ت. ٥٨١هـ صفة الفطرة الكلامية وصفة المشاركة المتكلمية بقوله: "الكلام صفة قائمة بنفس المتكلم يُعبر للمخاطب عنه بلفظ أو لحظ أو خط، ولولا المخاطب ما احتيج إلى التعبير عما في نفس المتكلم... ثم لما كان المخاطب مشاركاً للمتكلم في معنى الكلام؛ إذ كان الكلام مبتدؤه من المتكلم ومنتهاه عند المخاطب، ولولا المخاطب ما كان كلام المتكلم لفظاً مسموعاً ولا احتاج إلى التعبير عنه، فلما اشتركا في المقصود بالكلام وفائدته، اشتركا في اللفظ الدال "نتاج الفكري النحو، أبو القاسم السهيلي، تخ. محمد إبراهيم البنا، منشورات جامعة قاريونس، ١٣٩٨-١٩٨٧، ص: ٢١٨-٢١٩-٢٢٠..

وهكذا، ليس المتكلم طرفاً مقابلًا للمخاطب وحسب، ولكنه جهة في بناء الكلام ومُعد لإلقاء الكلام وتلقيه إعداداً فطرياً، ومزود بأدوات إلقاء وتلق مكرورة في نفسه في اللسانيات واللغة العربية، قضايا ونماذج، عبد الرحمن بودرع، ص: ١٤٩.

إليها، مِن أن تكونَ تَكَلَّفَتْ ما تَكَلَّفَتْه من استمرارها على وتيرة واحدة، وتَقَرَّبَها
منهجاً واحداً تراعيه وتلاحظه" (١).

ثُمَّ جاءَ أهلُ اللُّغةِ وأصولُ النُّحوِ والعِلَلِ فاستخرجوا أصولاً استدلاليةً وقواعدَ
توجيهيةً، علَّلَ بها النحويونَ أحكامهم وأعاريبهم لكلامِ العَرَبِ، وقد سجَّلَ أكثرُ هذه
القواعدِ والأصولِ أبو البركاتِ ابنُ الأنباري (٢)

٦-٤- من خصائص شجاعة اللُّغات ودكانها الطَّبِيعِي قَدْرَتُها على توليدِ المعاني
ومعالجَتِها: فالْمَباني كُلُّها أدلَّةٌ على المعاني (٣)، ابتداءً من الدَّلالةِ المُعْجِميةِ، وقد
اجتهدَ عُلَماءُ اللُّغةِ قديماً لرصدِ العلاقةِ ووضعِ قواعدَ لها، محاولةً منهم لاستكشافِ
طَبِيعَةِ العلاقةِ بين الدَّالِّ والمَدلولِ، وكذلك فَعَلَ اللسانيونَ حديثاً، مع كثيرٍ من
التَّنْظِيرِ والتفصيلِ.

(١) الخصائص: ج: ١، ص: ٢٣٧.

(٢) في كتابته: - الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، تح. محمد محبي الدين
عبد الحميد، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.

- لَمَعَ الأدلَّةُ، أبو البركات ابنُ الأنباري، تح. سعيد الأفغاني، نشر الجامعة السورية، ١٣٧٧-١٩٥٧.
(٣) تطرَّقَ علماءُ العربيَّةِ لعلاقة اللفظ بما يدلُّ عليه، أَلَفَظَ موضوعُ بإزاء الصُّورِ الذهنيةِ أم بإزاء
العينيَّاتِ الخارجيةِ؟ "وذهب فخر الدين الرازي وأتباعه إلى الأول؛ واستدلُّوا عليه بأن اللفظَ يتغيَّرُ
بحسبِ تغيُّرِ الصُّورةِ في الذَّهنِ؛ فإن مَنْ رأى شَبَحاً من بعيدٍ وظَنَّه حَجَراً أطلقَ عليه لفظَ الحجر؛
فإذا دَنَا منه وظَنَّه شَجَراً أطلقَ عليه لفظَ الشَّجرِ، فإذا دَنَا وظَنَّه فرساً أطلقَ عليه اسمَ الفرسِ؛
فإذا تحقَّقَ أنه إنسانٌ أطلقَ عليه لفظَ الإنسانِ؛ فَبَانَ بهذا أن إطلاقَ اللفظِ دائرٌ مع المعاني الذهنيةِ
دونِ الخارجيةِ؛ فدَلَّ على أن الوضعَ للمعنى الذهني لا الخارجي:"

الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية: أيوب بن موسى الكفوي، أبو البقاء المتوفى: ١٠٩٤هـ،
تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط. ١، ١٤١٢-١٩٩٢، ص: ٩٣٦.
ومما قرَّره اللسانيون الأوربيون المتقدمون، وعى راسهم فيرديناند دوسوسير، أنَّ الدَّالَّ وهو الصُّورةُ
السمعيةُ، وأنَّ المدلولَ وهو الصُّورةُ الذهنيةُ أو المفهومُ:

Alise Lehmann, Françoise Martin-Berthet: Lexicologie Sémantique, morphologie et lexicographie.
Collection Cursus. Éditeur Armand Colin. 2018. pp: 2532-

أما اللسانيون المُحدثون فقد وَضَعُوا نظرياتٍ ونماذجَ لمُقاربةِ إشكالياتِ المَعاني اللغوية، ولمعرفةِ كَيْفِيَّةِ اشتغالِ اللغاتِ ومهاراتها من حيثُ دلالة الدالِّ على المدلول والمجالاتِ التي تتدخلُ في هذه العلاقاتِ^(١).

٦-٥- وقد بلغَ من ذكاءِ اللغاتِ ومهاراتها أن افترضَ اللسانيونَ أنَّ اللغةَ تتحكَّم في الفكرِ والإدراكِ، ومن ثَمَّ تؤثرُ في المجتمعِ؛ على نحو ما أشارت إليه نظريةُ وورف-ساير النسبية، ومفادُها أن اللغةَ التي نتحدثُ بها تؤثرُ في طريقة تفكيرنا وإدراكنا للعالم^(٢). فهي من هذه الجهة تتمتع بنوع من الذكاء لأنها تُشكل أفكارنا وتبني تصوراتنا وتقسمُ العالمَ بحسبِ طَريقَةٍ كلِّ لغةٍ في التقسيم^(٣).

(١) من هذه المناهج والنظريات، النظرية السلوكية مع بلومفيلد، ونظرية السياق مع فيرث، ونظرية الحقول الدلالية، والنظرية التحليلية مع كاتز وفودور وغيرهما... يُراجَعُ التفصيل في كتاب: علم الدلالة، أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ط. ٥، ١٩٩٨م، ص: ٥٩-٦٧، ٦٨-٧٨، ٧٩-١١٣، ١١٤-١٣٨. (2) Edward Sapir, Selected Writings in Language, Culture and Personality, Berkeley and Los Angeles. University of California Press, 1963

(٣) من أهم ما يُمكن ذكره في هذا الباب ما يُدعى بـ "الاختلافات العابرة للغات"، في تصورات الأحداث وبنائها

Translinguistic Differences in the Conceptualization of Events

من الأبحاث اللسانية الحديثة دراسةٌ تدرس الأنماط الخاصة بلغة معينة في بناء الأحداث والتعبير عنها، اختلاف اللغات في بناء الأحداث وتركيبها. وتُسمى هذه التجربة المتعلقة بفحص اختلاف اللغات في تركيب الأحداث بالاختلافات العابرة للغات Translinguistic differences. وقد أُجريت دراسة مُقارنة، على ثلاث لغات هي الإنجليزية والألمانية والإسبانية، وما تضمنه ذلك من النظر في الاستراتيجيات التي استخدمها المتحدثون بتلك اللغات وهم يَسردون وقائع فيلم بطرق مختلفة، باختلاف طرق اللغات في تركيب الأحداث، ورَجَعَ الباحثون الاختلاف في التركيب إلى اختلاف اللغات نحوياً، فالمتحدث بلغة معينة قد يَنْتقي -بحكم ما يملكه من كفاية سردية- عناصرَ معينة من المشاهد ليست بالضرورة هي العناصر التي يختارها غيره في لغات أخرى. فبناء الأحداث وتركيبها يتبع الأنماط النحوية الخاصة بكل لغة. انظر الدراسة التي أنجزها الباحثون الثلاثة في هذه الموضوع، وترجعُ إلى طريقة كلِّ لغة في تصوُّر الوقائع ووصفها والتعبير عنها:

Christiane von Stutterheim, Roland Nüse et Jorge Murcia Serra: Differences Translinguistiques dans la conceptualisation des événements, Revue Française de Linguistique Appliquée 2002/2 Vol. VII, pages 99 à 115

مفهوم "نحو النص" توسيع لفهم شجاعة العربية وذكائها، والسبيل إلى ذلك^(١):

لا سبيل إلى تلمس ملامح شجاعة العربية وذكائها إلا من خلال معارف وعلوم آله وأدوات، تُعين على استكناه الخصائص، فمعرفة خصائص شجاعة العربية وذكائها وما يستحسنه الناطق بها وناظم الكلام من معدنها باب من أبواب العلم، ويكون الوصول إلى ذلك، بتعبير عبد القاهر الجرجاني، بجهة معلومة وعلة معقولة، وللعبارة عن ذلك المُستحسن سبيل وعلى صحته دليل، فهو باب من العلم يُطلع على المعاني اللطيفة، ويُصحح الفهم ويُجنب الخلل في التأويل.

مفهوم شجاعة العربية: شجاعة العربية مفهوم كلي لا يقف بالعربية عند زمان دون زمان، فهو يواكب العربية متى وجدت، وهو مفهوم ينتقي من الوسائل والأدوات، ما قدم منها وما جدد، وما أثبتت التجارب الوصفية والتفسيرية قوته ودقته.

مفهوم "النحو" في العربية علم من علوم الآلة، ولم يُعلم أنها نشأت لوصف بنية الجملة دون ما فوقها كما عُرف في الأدبيات اللسانية الحديثة^(٢)، ففي مواضع تجد النحو العربي - عند إعراب الكلم داخل الجملة وبيان روابطها - يستمد الفهم من جمل قبلها

(١) السبيل إلى توسيع مفهوم الشجاعة المنهج الذي وضعه عبد القاهر، وأجمله في عبارة، وهو منهج ما زال صالحاً ممتداً: "فانظر لتعرف كما عرفت، وراجع نفسك، واسبر وذق، لتجد مثل الذي وجدت": عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص: ٤٢.

(٢) في اللسانيات الحديثة، يرى اللسانيون أنه عندما تكون هناك قواعد ضابطة، نستطيع أن نميز بين الجمل النحوية الصحيحة والجمل اللاحنة، وهو تمييز ثنائي تقابلي، أما التمييز بين ما يُعد نصاً وما لا يُعد نصاً فلا يكون كالتمييز بين الجمل؛ أما أن النص مقبول أو غير مقبول فيكون بحسب معايير مُعقدة وليس بحسب تقابل ثنائي بسيط؛ لأن النص يُحدد على أساس واقعه التطبيقي وسياق الموقف. يُراجع بحث جورج لاكوف:

Lakoff George: Linguistic Gestalts. In Papers from the Thirteenth Regional Meeting of the Chicago Linguistics Society. 1977. pp : 236-287

أو جُمِلَ بعدها، وهذا يدلّ عل أنه لم يكن ينظرُ إلى الجملة المُفردَة في ذاتها مُنقطعةً عن سياقها النصي الذي حلّت فيه .

ومما ذُكِر في اشتراطِ النحو في تحليل النص وربطِ النحو بالمعنى، ما قاله محمد أبو موسى مُستنبطاً إياه من كلام علماء المعاني: "لا يجوز في دراسة الشعر [والنصّ الفصيح عامة] إهمال علاقات الجُمَلِ وطرائق تكوينها، وتداخل المعاني، ونسيج بنائها، وروابط اتصالاتها؛ لأنّ كلّ ذلك من جوهر الشعر، وجوهر بنائه، وطرائق تشابك معانيه، وتخلّق مكوّناته، ومذاهب إبداعه. ويجب أن نُطرح من أنفسنا الأفكار الضارّة التي تُبعد العلاقات النحويّة عن درس الشعر، بشرط أن تكون دراستنا لها نابعة من نبع المعاني، والأحوال التي تخلّقت فيها، ومنها هذه العلاقات"^(١)

أمّا مفهوم "النص" فهو مصطلح له دلالة أخرى عند علماء العربية غير الدلالة المشهورة اليوم، وقد تأثر معناه بمعنى مثيله في اللسانيات الحديثة. أمّا هل عبر عنه علماء العربية باسم غير النص، فالجواب أنه تعددت أسماؤه عندهم فقالوا: الكلام، والكلام المفيد والكلام المنظوم^(٢)، والكلم المنظوم^(٣) والكلمة (مجازاً) والقول (بأحد معنييه وهو المفيد)، وكأنّ هذا الشيء المُسمّى اليوم نصّاً لم يكن عندهم واضح المعالم والأحجام، فقد يقتصر على البيت إن استقل بنفسه، وعلى القصيدة والخطبة والمثل والكتاب والصحيفة والمحاورة والكلام الطويل الذي يجمعه غرض، فهي مظاهر لغوية

(١) قراءة في الأدب القديم، محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٤٢٧-٢٠٠٦، ص: ٧٤.

(٢) وهو المؤلّف على "وضع الاتساق وتساوي الأقسام واعتدال الفصول والأجزاء: لأنّ "الكلام قد يؤلّف مُخلطاً غير مُتناسب ولا مُقسّم". انظر: موادّ البيان، لعي بن خلف الكاتب ق.هـ، تحقيق:

حسين عبد اللطيف، منشورات جامع الفاضل، طرابلس، ١٩٨٢، ص: ٢٠٤.

(٣) وهو الذي تتوالى ألفاظه وفقّ تناسق دالاتها وتلاقي معانيها، على الوجه الذي اقتضاه العقل. انظر:

دلائل الإعجاز، ص: ٥٩-٥٠.

ليست محدودةً بحدود صارمة؛ لأن الحدود تقطع الشيء عن غيره وتفرض عليه أن يكون ذا بدءٍ وخاتمةٍ سواء أكمل معناه أم لم يكمل^(١).

ويسعى هذا البحث إلى استخراج هذا "النحو" الذي يُجاوز الجملة إلى النص، ويبان خصائصه في معالجة العلاقات بين الجمل وما يشد بعضها ببعض من روابط، ويبين أن هذا النحو يتتبع المعنى حيثما وجد وتحقق، سواء أجمع في الكلمة الواحدة أم تحقق في الجملة أو الجمل الكثيرة أم جاوز ذلك إلى كلام طويل ينتهي عند انتهاء الغرض من بنائه. نستطيع أن نتصور النحو العربي يتردد بين الجملة الواحدة والجمل المتعددة المترابطة، داخل النص الواحد، إذا احتاج الأمر إلى البحث فيها عن روابط الإحالات. فهذه المرونة تدل على أن في داخل النحو العربي نحواً للنص يتتبع مواقع الإحالات ووجوه الرّبط، وهذا الانتقال المرن وجه من وجوه شجاعة العربية، يُعين منهجياً على افتراض وجود نحو عربي للنص؛ لأن العربية - بمهارتها وذكائها وخصائصها البيانية العالية - هي التي فرّضت على الواصف المحلل منهجاً مرناً غير مباشرٍ ينتقل به بين مسائل تتصل

(١) عندما نطلق مفهوم "النص" على جملة أو جمل أو عبارات، فلا يعني ذلك أنه تعريف جامع مانع، ولكنه يُعرف لموضوع بما يبدو منه، من وحدة في الدلالة وتماص في نسيج اللغة والتركيب. فإن أهم ما قد يخفى على الناظر وهو يُعرف جسماً لغوياً بأنه نص، امتداد ذلك النص القبلي وامتداده البعدي، فمن المحتمل أن يكون مسبقاً بما يمكن أن يتنزل منزلة المقدمات الموطنة أو المداخل التاريخية أو مُمهدات التعريف بالكاتب، وأن يكون متلوّاً بما يمكن أن يُتصور تكملةً وامتداداً. والذي يزيد هذا الاحتمال تأكيداً أن سوابق النص قد تصلح مرجعاً وإحالاتٍ لمُبهماتِهِ التالية، وأن لواحقه قد تصلح تكميلاً وتأكيذاً. وقد نتحدث في هذا السياق أيضاً عن حركية النص وانفتاحه على بعدين قبلي وبعدي، أو البنية المتحركة للنص، كما سَمّاها فولفغانغ وبلدجين في مقالته:

Wolfgang Wildgen, La structure dynamique du récit. DRLAV. Documentation et Recherche en Linguistique Allemande Vincennes. Année 1989. 41. pp. 53-81

ويُضاف إلى سوابق النص ولواحقه التي تُمدد النص وتُقيده بشروط دلالية وتأويلية، ما ذهب إليه النقّاد من أن النص يتجاوز بنيته الزاهنة ويصبح علامةً إحاليةً على نصوص أخرى في النسق الثقافي العام: Roland Barthes, L'aventure Sémiologique, Editions du Seuil, 1985, p:329. وانظر شرح مذهب رولان بارت في: استراتيجية التأويل، من النصية إلى التفكيكية، محمد بوعزة، منشورات الاختلاف/دار الأمان، ط. ١، ١٤٣٢-٢٠١١، ص: ٣٤-٣٥.

بجملة أو جملتين، وأخرى تتصلُ بكيانٍ أكبر من الجملة، خاصة عندما يُبحثُ عن مراجع الضمائر، التي تقع بعيداً عن مصادرها، فيُضطرُّ الواصفُ النحويُّ إلى البحث في الكلام كله لتفسير الإحالة. وهذا النهج واضحٌ في تفسير آيات القرآن الكريم، وشرح الحديث النبوي الشريف، وشروح الشعر.

بعض خصائص مفهوم "نحو النص" المُفترض، ووجه العلاقة بينه وبين مفهوم شجاعة اللغة:

مفهوم النص في اللسانيات الحديثة يتجاوزُ حدودَ المعايير المألوفة في نحو الجملة ويتجاوز طرق التحليل المعلومة كالتقسيم إلى وحدات أو أقسام كلم، ولكنه "إبداع يتفاعل مع اللغة وينسجم معها من خلال تحرك غير مُقيّد... وغير قابل لأن توضّع له معايير من خارجه"^(١).

— ومن خصائص "نحو النص" في اللسانيات المعايير السبعة التي وضعها روبرت دويوغراندي شروطاً لتحقيق نصية النص: هي التماسك النحوي، والانسجام الدلالي، والقصد، والقبول، والإخبار، والمقام أو سياق الموقف، والتناص^(٢). ومنها معايير استعمال النص، وتتصل بالمتكلم والمُخاطب كالقصد والقبول والإخبار، وأخرى تُعدُّ معايير داخلية تتصل بالنص كالتماسك والانسجام، وأخرى تتصل بمحيط النص وعلاقته بالنصوص كسياق الموقف وأخرى تتصل بالأسلوبية كالتناص.

— أما النص نفسه فمن خصائصه أنه في الأصل بنية مجردة تتولّد منها النصوص المنجزة المتحققة التي تختلف في المقامات والتواريخ والمضامين ولكنها تتفق في البنية المجردة التي تجعل منها نصاً، وينظرُ نحو النص في بنية النص المجردة ثم يستخرجُ عناصر الاختلاف بين النصوص.

(١) نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، أحمد عفيفي، ص: ٤٨.

(٢) النص والخطاب والإجراء، دويوغراندي، روبرت، ص: ١٠٣.

غير أن نحو الجملة لم يستنفذ أغراضه عندما دخل نحو النص في مباحث اللسانيات، فما زال للجملة التماسك النحوي شرط صحة للجملة، وانتقل هذا المعيار أيضاً إلى نحو النص وسيلةً من وسائل الاستمرار الدلالي في عالم النص، وذلك لأن نحو النص له مجالٌ مُحدّد هو النصُّ المكتمل غير المُجرأ، بعناصره وأجزائه وعلاقاته الرابطة بين عناصره، و"كلُّ جملةٍ في النص لا يمكن فهمها إلا من خلال ارتباطها بأخواتها في النص" (١).

ولكن نحو النص بما هو بنية كلية لدراسة الكلام، اتخذ لنفسه صفةً من صفات الترابط الداخلي بين أجزاء النص، أقوى من ترابط أجزاء الجملة، وأهم مظاهر ترابط النص في نحو النص "مظهر تماسك النص، النحوي"، وهو متصل بالانسجام الدلالي اتصالاً استلزامياً يضمن تحقيق الترابط بين بداية النص ونهايته، ولا يتصور هذا التماسك والانسجام إلا بقدرة نحو النص على النظر الكلي "ويستلزم دقةً في تلمس العلاقات المتشابهة، ويحتاج إلى بصير بأساليب تشكيل الظواهر المشتركة" (٢). فذلك التماسك النحوي والانسجام الدلالي من أجل مظاهر شجاعة اللغة ودكانها، ولا يكشف إلا بنحو كليّ كنحو النص. ومرجع التماسك وما يستتبعه من انسجام: الأسباب التي تربط الكلمة والجملة والعبارة بإطار النص كله، فكل وحدة تستدعي أخواتها الموزعة على النص كله وتستدعي مقابلاتها ومفسراتها في حركة ذات أبعاد متعددة.

هل عرّف النحو العربي ما عرفته لسانيات النص الحديثة من انتقال من نحو الجملة إلى نحو النص؟

١- لم يُعلم أن علوم العربية ومنها النحو نشأت لوصف بنية تركيب الجملة دون ما فوقها كما عُرف في الأدبيات اللسانية الحديثة. ولم يكن النحو ضرباً من

(١) منهج في التحليل النصي للقصيدية تنظير وتطبيق، محمد حماسة عبد اللطيف: مجلة فصول مجلة النقد الأدبي، ملف الشعر العربي المعاصر، الجزء الأول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، المجلد ١٥، العدد ٢، صيف ١٩٩٦، ص: ١٢٦-١٢٧
(٢) الظواهر اللغوية في التراث النحوي، الظواهر التركيبية، علي أبو المكارم، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة ٢٠٠٧، ص: ٣٤٧

المباحث التي نشأت لتحليل الجملة ثم تجاوزت إلى نحو أعلى يناسب النصوص البليغة، فقد كان تداخل المباحث وارداً، بل عدَّ العلماء النحو آلة من علوم الآلة "لا تُوسَّع فيها الأنظار ولا تُفرَّع المسائل"^(١).

يفهم من كلام ابن خلدون أنَّ النحو العربي علم من علوم الآلة التي يتوسَّل بها لفهم الكلام وتفسير وجوهه الإعرابية وروابطه^(٢)، فهو بالنظر إلى الغاية منه، لا يوضع في مقابل نحو النص كما وُضع نحو الجملة في اللسانيات الحديثة، ونستطيع أن نتصوَّر النحو العربي يتردَّد بين الجملة الواحدة والجمل المتعددة المترابطة، داخل النص الواحد، إذا احتاج الأمر إلى البحث عن روابط الإحالات. وقد سبق أن بيَّن عبد القاهر الجرجاني أهمية الأصول النحوية في استقامة نظم الكلام، وتعليق الكلم بعضها ببعض وبناء بعضها على بعض؛ فالنظم وضع الكلام الوضع الذي يقتضيه علم النحو^(٣). فاشتراط عبد القاهر العلم بالنحو لبناء الكلام بناءً متسقاً، من غير أن يشترط أن يكون نحو جمل أو نحو نص.

(١) عبد الرحمن ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، تحقيق خليل شحادة. مراجعة سهيل زكار، دار الفكر بيروت، ١٩٨١/١٤٠١، ص: ٧٣٨-٧٣٩. "قال ابن خلدون في تقسيم العلوم، ومنها علوم الآلة: "... وأما العلوم التي هي آلة لغيرها مثل العربية والمنطق وأمثالهما، فلا ينبغي أن ينظر فيها إلا من حيث هي آلة لذلك الغير فقط. ولا يوسع فيها الكلام ولا تفرع المسائل؛ لأن ذلك يخرج بها عن المقصود، إذ المقصود منها ما هي آلة له لا غير. فكلما خرجت عن ذلك خرجت عن المقصود وصار الاشتغال بها لغواً، مع ما فيه من صعوبة الحصول على ملكتها بطولها وكثرة فروعها. وربما يكون ذلك عائقاً عن تحصيل العلوم المقصودة بالذات لطول وسائلها، مع أن شأنها أهم".

(٢) علوم الآلة الأولى نحو وصرف وإعراب وبلاغة ومعانٍ ومُعْجَم روعي في تأليف مصنفاتها ملاءمتها لمبنى الطباع ومناسبتها لفطرة المتكلم العربي الفصيحة، وعلى الدرس اللغوي العربي المعاصر أن يقصد إلى هذه الغاية، فيبني أصول العلم في النفوس حتى تستقر في القلوب؛ وذلك ظاهر في اختلاف الحركات الإعرابية والأبنية الصرفية والروابط اللفظية وأثر ذلك كله في دقة الدلالة على المعاني والأغراض، فالأوضاع اللفظية باشكالها وأنواعها مسالك دقيقة للمعاني الدقيقة المرادة.

(٣) عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص: ٨١.

٢- الإحساس بالنص وصفاته لزم منه تحليلٌ ووصفٌ يمكن تسميته بنحو النص تجوذاً:

تحليلُ النصِّ في العلوم العربية والإسلامية داخلَ كلِّ فروع المعرفة. فعلمُ النحو في مقاصده تحليلٌ للنصِّ في مرحلةٍ أولى من مراحله لا تستقلُّ بنفسها؛ وهو في هذه المرحلة نَظَرٌ في العلاقات والروابط بين الكلمات، للوقوف على بنية الكلام ونظمه، ويستعينُ به الفقهاء وعلماء الدراية والمفسرون والنقاد لضبط دلالات النصِّ ومقاصده، فإذا غابت العلاقات والروابط تفكك النصُّ وداخله الغموض والاضطراب وقد شُروط البناء اللغوي. أما البلاغة فهي أدخلُ علوم الآلة في تحليل النصِّ؛ لأنَّ "كلَّ مفردات هذا العلم في صميم علم تحليل النصِّ، ابتداءً من مقدمة الفصاحة والبلاغة، وانتهاءً بأصغر فنٍّ بديعي، كلُّ هذا وسائلٌ وأدواتٌ تُعين على استكشاف جوهر النصِّ... واعلم أنَّ كلَّ نظير في المباني لا غاية له إلاَّ النفاذ إلى المعاني"^(١)، وليسَتْ علومُ الآلة، التي هي في الحقيقة أدواتٌ وتقنياتٌ لتحليل النصوص، إلاَّ كفاءاتٌ وأحوالاً وأوعيةٌ دقيقةٌ تحملُ معاني النصِّ وعوالمه. وتدخلُ في هذه الكفاءات والأحوال^(٢) والهيئات البلاغة القرآنية التي هي الطريقة العالية في العبارة عن المقاصد. وبناءً على المنهج، يركنُ الباحثون الذين كتبوا في نحو النصِّ إلى تحليل الكلام بمنهج نصِّي واقعي يستند إلى سياق الموقف وبساط الحال ومرجعية النصِّ، ويقفون عند الإعراب ثم يتجاوزونه استعانةً بالسياق والمرجعية، ولا يلتزمون به وحده؛ لأنَّ منهجَ صناعة الإعراب وحده قاصرٌ عن التحقيق، ولا يلتزمون بمنهج التحليل بالجمال؛ لأنَّ الجمال كيانٌ لغويٌّ محدودٌ، وفيه الممكن وفيه المفترض؛ إذ يمكن تصوُّر جمليٍّ متكلفٍ، إمَّا لكونها أطولَ أو أعقدَ أو أكثرَ توابعَ أو أكثرَ ابتذالاً ممَّا

(١) محمد محمد أبو موسى، قراءة في الأدب القديم، نشر مكتبة وهبة، القاهرة، ط. ٣، ١٤٢٧هـ/

٢٠٠٦م، ص: ١٤.

(٢) عبارة الكفاءات والأحوال، أوردها ابنُ خلدون في المقدمة، في الفصل السادس والأربعين: فصل في أنَّ

اللغة ملكةٌ صناعيةٌ. مقدمة ابن خلدون، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٢م

يُمْكِنُ قَبُولُهُ، أَوْ لَكُونِهَا فَارِغَةً مِنَ الْمَعْنَى، أَوْ غَيْرَ ذَاتِ أَثَرٍ عَمَلِيٍّ فِي الْأَدَاءِ... وَلِذَلِكَ فَتَحْلِيلُ
الْخَطَابِ بِنَحْوِ الْجُمْلِ يَبْتَعِدُ بِالنَّصِّ عَنْ سِيَاقِهِ الْوَاقِعِيِّ وَأَبْعَادِهِ التَّدَاوُلِيَّةِ وَلَا يَكْتَشِفُ
كُنْهَهُ وَقُوَّتَهُ وَشَجَاعَةَ لُغَتِهِ، وَيَرَكُنُ بِهِ فِي زَاوِيَةِ التَّجْرِيدِ وَالشَّكْلِيَّةِ.

من نحو الجملة إلى نحو النص :

ذَكَرْنَا أَنَّ نَحْوَ النَّصِّ (أَوْ لِسَانِيَّاتِ النَّصِّ) نَشَأَ فِي الدَّرَاسَاتِ اللِّسَانِيَّةِ الْغَرِيبَةِ لِتَجَاوُزِ
نَحْوِ الْجُمْلِ الْمَحْدُودِ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَعُدْ كَافِيًا لَوْصِفِ بَنِيَّةِ الْكَلَامِ دَاخِلَ السِّيَاقِ مُقْتَرِنًا بِالْمَقَامِ
وَالْمَوْقِفِ الْاجْتِمَاعِيِّ، وَمَبْنِيًّا عَلَى تَفَاعُلِ الْمُتَكَلِّمِ وَالْمُخَاطَبِ^(١)، وَقَدْ ذَهَبَ هَارِيسُ
بِوصْفِهِ رَائِدًا مِنْ رَوَادِ تَحْلِيلِ الْخَطَابِ وَتَجَاوُزِ نَحْوِ الْجُمْلِ، إِلَى قُصُورِ الْاِكْتِفَاءِ بِنَحْوِ الْجُمْلِ
وَقُصْرِ الدِّرَاسَةِ عَلَى عِلَاقَةِ عُنَاصِرِهَا الدَّخْلِيَّةِ، مِنْ غَيْرِ رِبْطِ بَيْنِ اللُّغَةِ وَالسِّيَاقِ وَالْمَوْقِفِ
الْاجْتِمَاعِيِّ، وَمِنْ مَظَاهِرِ قُصُورِ نَحْوِ الْجُمْلِ إِبْعَادُ الْمَعْنَى، فَأَوْقَعَ الْإِبْعَادُ نَحْوَ الْجُمْلَةِ فِي
عَجْزِهِ عَنِ الْإِحَاطَةِ بِعُنَاصِرِ الْمَعْنَى التَّرَكِيبِيَّةِ وَالذَّلَالِيَّةِ وَالتَّدَاوُلِيَّةِ الَّتِي تُفْهَمُ مِنْ دَمَجِ
الْجُمْلِ بَعْضُهَا فِي بَعْضٍ فِي سِيَاقِ نَصِّي مُحْكَمٍ.

(١) بل اعترض بعض اللسانيين على لسانيات الجملة وشكك في جدواها، ومنهم ديل هايمز Hymes
Dell, 1982 الذي نادى بضرورة "توسيع مجال اللسانيات ليشمل مظاهر تداولية وخطابية
ونصية...". انظر: عز الدين البوشيخي: لسانيات النص في ضوء نظرية النحو الوظيفي الخطابي،
نشر هذا البحث ضمن كتاب الندوة الدولية الجماعي "لسانيات النص وتحليل الخطاب" التي
عقدت بجامعة ابن زهر بأكادير المغربية، دار كنوز المعرفة، ط. ١، ١٤٣٤-٢٠١٣، ص: ١١٩-١٣٣.

أما الباحثون اللسانيون العرب المعاصرون فقد تنبَّهوا إلى أهمية مجاوزة نحو الجُمْل أو استثماره^(١) على الأقل والنَّظَر فيما جادت به المعارف البلاغية العربية ومباحث الأصول والتفسير والكلام وعلوم القرآن وعلم المناسبات^(٢). "فلا توجد قطيعة بين لسانيات النصّ ولسانيات الجملة أو النحو التقليدي... بل هناك مبادئ تختص باللسانيات النصّية وأخرى تختص بالنحو التقليدي، وهناك مبادئ مشتركة بينهما... تستفيد لسانيات النص من الأدوات النحوية... وتعالج المعنى في الأمثلة والشواهد اللغوية المقنطعة من نصوصها باستعمال الأدوات النصّية لتحقيق التماسك الدلالي في الإسناد، وتتجاوز لسانيات النص ذلك حيث إنها تستخدم أدوات النحو ذاتها وتوظفها في تحقيق التماسك بين الجمل المتابعة في النص"^(٣).

(١) الحقيقة أن الجملة جزء من النص، والنص جزء من الكلام، والكلام إنجاز خطابي لا يُعرف إلا مقروناً بأركانه الأربعة: المتكلم والمخاطب والمضمون والسياق، أما إن كان هذا الإنجاز الكلامي مكتوباً فإنه يُنبئ من خلال وحدة محدّدة المعالم والآليات هي النصّ. وقد أنجزت في العربية كثيراً من الدراسات التي تحاول أن تؤسس نحو نصّ عربيّ استناداً إلى النظريات اللسانية النصّية الحديثة واستفادة من علوم العربية والعلوم الشرعية، ومن هذه الدراسات من نحا نحو وضع أسس لنحو نصّ عربيّ جديد، ومن هذه الدراسات:

- العربية من نحو الجملة إلى نحو النص سعد مصلوح
- علم لغة النصّ المفاهيم والاتجاهات سعيد بحيري
- أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية تأسيس نحو النص محمد الشاوش
- علم اللغة النصّ بين النظرية والتطبيق صبحي إبراهيم الفقي
- نحو النص في ضوء التحليل اللساني للخطاب مصطفى النحاس
- نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي أحمد عفيفي
- نسيج النص بحث فيما يكون به الملفوظ نصاً الأزهر الزناد
- (٢) البديع بين البلاغة واللسانيات النصية جميل عبد المجيد
- (٣) رشيد عمران: مسارات التحوّل من لسانيات الجملة إلى لسانيات النصّ، كتاب الندوة الدولية الجماعي "لسانيات النص وتحليل الخطاب" ٢٠١٣، ص: ٣٧٩-٣٩٤.

نحو النص مُركَّب من معارف مُتناسبة تُساعد على اكتشاف أسرار العربية:

العلوم والمعارف إما مُتداخلة أو مُتناسبة أو مُتباينة^(١)، ويمكن أن تتصور بناءً نحو للنص على أسس هي علوم ومعارف مختلفة متداخلة أو متناسبة^(٢). وتركيب علم من علوم أو معرفة كُبرى من معارف حاجة ماسة لتفسير النص، وكلما علا شأن النص تعددت معارف تفسيره وإدراك أسرارهِ، وعلى رأس النصوص وفي مقدّماتها القرآن الكريم الذي يحتاج تفسيره إلى علوم لا تكاد تنحصر، وقد ذهب بدر الدين الزركشي إلى أن المتقدمين فاتهم "وضع كتاب يشتمل على أنواع علومه"^(٣)، ومما يمكن أن يُقال في النصوص الفصيحة كالشعر والخطابة وغيرهما أن نحو النص المُناسب لكل جنس من هذه الأجناس، يشتمل على مُركَّب من المعارف التي قد تقتبس من علوم القرآن بعضها كالمناسبة بين أجزاء النص، ومعرفة الفواصل والوجوه والنظائر والمُبهمات ومطالع النصوص وخواتمه ومعرفة تصريفه وأحكامه النحوية والشواهد والأمثال الكائنة فيه، ومعرفة حقيقته ومجازه وكنائيه وتعريضه وأدواته وأساليبه. فالنص يستدعي جملة من المعارف تكون له بمثابة نحو مناسب له. وكلما تقدّم الزمان على النص ازداد حاجة إلى نحو يُبينه ويُفسّر معانيه، بل النص مقترن منذ نشأته على يد واضعه، بالحاجة إلى البيان. فالنص ونحوه مُقترنان.

(١) قاعدة العلاقات بين المعارف تنظّم لنا طريقة تصوّر إفادة علم من علم أو معرفة من أخرى انظر: التقرير والتحرير على التحرير في أصول الفقه. ابن أمير الحاج الحلبي، تحقيق عبد الله محمود محمد عمر. دار الكتب العلمية - بيروت، ١٩٩٩م

(٢) انظر ما قاله السكاكي في نقص النحو إذا جرد عن المعاني والبيان، وأن علوم الآلة متاخدة متعلّق بعضها ببعض: "أوردت علم النحو بتمامه، وتمامه بعلمي المعاني والبيان": مفتاح العلوم، أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر السكاكي، ضبط وتعليق: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٢، ١٤٠٧-١٩٨٧، ص: ٦.

(٣) البرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٣٣-٢٠١٢، ج: ١، ص: ٢٣.

مركزية النحو من هذه العلوم الآلية: خلاصة النحو، وأثره في نظم النص:

عندما نبحتُ في دقائق النحو ووجوه العمل في العوامل والمعمولات ووجوه التعلق في أشباه الجمل... فإننا لا نغوصُ في مجرد الهيئات النحوية والعاملية والصرفية التي لهذه الألفاظ ولكن لأن وراء كل سمة نحوية عاملية أو صرفية، معنىً غير الذي تدل عليه السمة الأخرى، فإنه لا قيمة للبحث في النحو ولا في الخلاف بين النحويين في القضايا والمسائل والأبواب، إن لم يقصد وراء الأحوال النحوية دلالاتها المرافقة. وتزداد البحوث النحوية قيمة كلما علقت بالنصوص الفصيحة من القرآن الكريم والحديث الصحيح والشعر والنثر، لتصبح هذه النصوص ميادينَ وحُقولا تطبيقيةً لرعاية البحث في القواعد.

ثم إنه لا يستقيم تأويل نحوي ولا إعراب ولا تقديم وتأخير إلا إذا أفضى إلى معنى صحيح يؤيِّده السياق ومقاصد المتكلم وحاجة المخاطب إلى الفائدة.

طريقة النحو العربي في تصور النص وأبعاده وأسراره: تقدير المحذوفات:

عندما افترض النحويون أوضاعاً أصليةً للجمل وأخرى فرعيةً، وجعلوا وسائل التفريع التقديم والتأخير، والحذف والتقدير، وتنزيل الجامد منزلةً المشتق، والحمل على الوهم أو المعنى... فإنهم إنما فعلوا ذلك بعد استغراق ذكاء العربية، باستقراء جمهرة من الشواهد المؤيدة. فتبين لهم وجه الحكمة من الحذف في وضع تركيبى والذكر في وضع آخر، مثلاً. ولكن الخروج عن الأوضاع وتفریع الفروع من الأصول لم يكن لينزل التراكيب الفرعية منزلةً دنيا ويحطها عن الأصلية درجةً في القيمة والعناية والاهتمام؛ لأن تقسيم هذه الأوضاع هذه القسمة الثنائية إنما حدث لدواعٍ تداوليةٍ ولمشاربٍ مقاميةٍ مناسبةٍ، جعلت الفروع الموسومة بسمات التفريع (كتقديم المؤخر وتأخير المقدم وحذف المذكور وغير ذلك...) أقوى الوجوه في أماكنها التي وضعت فيها وأدعى أن يعبر بها عنها، فيكون الفرع حينئذٍ أصلاً في باب الذي ورد فيه ووضع له وثبته المقام فيه. وهذا إحساس واضح بمنطق النص الذي يتعدى الجملة الواحدة ويتركب من أكثر من جملة.

وإذا نظرنا في جميع تراكيب العربية الفصيحة، والنصوص ذات التماسك والانسجام وعلى رأسها تراكيب القرآن الكريم؛ فإننا سیتعذّر علينا تصوّر الجملة مُتقدّماً فيها الخبرُ على المبتدأ، ويتعذّر علينا تقدير محذوف في الجمل، ويتعذّر علينا صرف اللفظ عن ظاهره لتيسير إعرابه. والمخرج من الحرج: أن نفترض أن كلّ وضع لفظي تركيبّي وجه أمثل وأصل في بابه غير محوّل عن أصل آخر، وأن الضابط في مخارج التراكيب والجمال هو المقاصد والنوازل ومثارات المعاني ودواعي القول التداوليّة، كما أرادها المتكلم وفهمها المخاطب وطابقت المقام^(١)؛ فهي التي تتحكّم في انتقاء البناء النحوي والتركيبّي والبلاغي الذي يناسبها، وهذا باب من العلم غير مألوف عند النحويين، والبحث فيه مدعاة إلى تصوّر نحو للنص القرآني يقوم على التناسب والتعليق والربط بالروابط المناسبة؛ فإن أكثر لطائف النصوص الفصيحة مودّع في الترتيبات والروابط، كما أن "أكثر لطائف القرآن الكريم مودعة في الترتيبات والروابط"، كما قال الإمام فخر الدين الرازي^(٢). فيصبح النص من شدة اتّساق المعاني وانتظام المباني كالكلمة الواحدة^(٣).

والخلاصة أن المراد بما سبق أن تعامل الأوضاع التركيبية كلها على أنها هيئات جاءت على أصلها وترتيبها ولا ينبغي البتة فهم تراكيب النصوص بقلب ترتيبها، أو ردّ محذوف موهوم... فإن التصرف في ألفاظ النصوص الفصيحة لفهم المعنى أو لبناء المعنى يُسيء إلى المعنى ويؤثر فيه ويتحكّم في طريقة بنائه.

-
- (١) قاعدة "لكلّ مقام مقال" وقاعدة "علم مقاصد القول"، تعني أن الغاية من إنشاء النصّ "معرفة أغراض المخاطب... ليدخل إليه من بابه... فذلك هو سر صناعة الشعر ومغزاه الذي به تفاوت الناس وبه تفاضلو": العُمدة في محاسن الشعر وآدابه، لابن رشيق القيرواني ت. ٤٥٦هـ، تحقيق محمد محبي الدين عبد الحميد، مط. السعادة بمصر، ط. ٢، ١٣٧٤-١٩٥٥. ص: ١٩٩
- (٢) البرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، ١٣٧٦-١٩٥٧. ج: ١، ص: ٣٦
- (٣) أهمّ مبحث من مباحث نحو النصّ المناسبة أو التناسب؛ وهي جعل أجزاء الكلام بعضها آخذاً بأعناق بعض، فيتقوى النصّ بذلك الارتباط ويصير كالبناء المُحكّم ويصير التأليف كحال البناء المُحكّم المتلائم الأجزاء.

نعم يُؤخذُ بقواعد النحو وأعرابه ولا يُكتفى بها في بناء المعنى، ولكن يُقرن بعلم المعاني وبالبيان والعلم بالمعجم وعلوم القرآن كافةً، عسى أن تتضافر جميعاً لإعادة بناء المعنى وكشفه وبيانها.

من خصائص "نحو النص" وضعُ بنية ذهنية على هيئة أعرابٍ وتقديرٍ وأقيسة، يُتوسَّلُ بها لبلوغ معاني النص، فالبنى الذهنية مقارنةً نظريةً في نحو النص لبلوغ أسرار العربية ومهاراتها:

أما طرائق النحويين في تقدير المحذوفات وتقدير رتب أصليّة للتراكيب، فيما يدعى أنه خرج عن القواعد الموضوعّة، فهي إجراءات منهجية تناسب المُقدّمات النظرية التي انطلقوا منها، وتقتضي منهم وضعُ بنى ذهنية مجردة لقياس العبارات والتراكيب والنصوص، بل هي افتراضات يفترضونها لاستخراج أسرار النصوص ومعانيها الدقيقة. ولا شك في أن البناء المنطقي الذي بُنيت عليه النماذج اللسانية نفسها تفترض بنى مجردة للكلام لفهم البنى اللغوية المستعملة^(١). فالبنى المُجرّدة خرائط ذهنية مُقدّرة عند نحويي العربية، وهي خرائط هندسية مُفصّلة مرسومة عند اللسانيين المعاصرين ومنهم التوليديون^(٢).

بناء على هذا المسلك المنهجي يُمكن أن نقول إن من مُقتضيات نحو النص الذي يتتبّع العلائق والإحالات والروابط بين أجزاء الكلام، أن تكون له بنية ذهنية ينطلق منها في وصف النصوص وتفسيرها ويُمكن أن يوسّع مفهوم التقدير والقياس ليعرّض على شكل بنى ذهنية، والبنية الذهنية ضربٌ من الكتابة أو العرض الشجريّ الكاشف يبسط تفاصيل النص ويظهر مفاصله؛ فقيمة التشجير في أنه سيكشف بُعداً لا

(1) Pollard, Carl: Grammaire catégorielle d'ordre supérieur. Conférence internationale sur les grammaires catégorielles, Montpellier, France. 2004.

https://www.researchgate.net/publication/249797500_Higher-Order_Categorical_Grammar

(2) Radford Andrew : transformational Grammar, a first course. Cambridge University Press; 1988.

يكشفه العرض الخطّي للعبارات، وهذا البعد البنيوي الشجري يُقدّم مفاصل النصّ ويضع أيدينا على تفرّع الفروع من الأصول، أي إنّ عناصر الكلام في مرحلتها التشكيلية تترابط عمودياً ولا يوصل إلى الفرع من فروع الشجرة إلا بالمرور بطرق التفرّع، فهي التي تدلّ على روابط كلّ فرع بالذي يعلوه من العناصر. وهنا لا عبّارة في مرحلة التشكيل التركيبي بالتجاور أو التعاقب السطري، فالتجاور مرحلة تالية تتحكّم في توزيعها قواعد الاستعمال التداولية.

تصوّر مثلاً أنّ الأمثال العربية نصوص لغوية بليغة، ناقصة في ظاهر بنائها التركيبي^(١)، ويُسوّفُ النقص بذكر المحذوف المقدّر الذي ييسّر الفهم المطابق لمورد المثل، ويصاغ لنص المثل بيان شجري يدمجه مع "عبارة المورد"، ثم يُقتصر على تفرّيع بنية المثل النحوية دون "عبارة المورد" المقدّرة. ويضاف إلى ذلك أنّ البنية التركيبية الثابتة معلومة محدّدة في النحو، أمّا البنية التداولية فلا يمكن استخراجها من التركيب إلا بمعرفة "عبارة المورد"، فتقرن العبارة الظاهرة بالمقدّرة، للتوصل إلى التقدير الصحيح الذي يوافق المقام، كقول المثل: إياكم وخضراء الدمن^(٢).

ف"إيا" كلمة تخصيص، وتقدير المثل إياكم أخصّ بنصي وأحذر كم خضراء الدمن، وأدخل الواو ليعطف الفعل المقدّر على الفعل المقدّر، أي أخصكم وأحذركم، ولهذا لا يجوز حذفها إلا في ضرورة الشعر لا تقول إياك الأسد إلا عند الضرورة كما قال: وإياك المحايين أن تحينا.

(١) تُنسب إلى المثل بلاغة مقترنة بالحذف؛ فيقال "بلاغة المثل"، وهي أن يكون اللفظ مقتضباً والحذف محتملاً والصورة محفوظة والمرمى لطيفاً والتلويح كافياً والإشارة مغنية والعبارة سائرة الإمتاع والمؤانسة، أبو حيان التّوحيد ت. ٤٠٠هـ، المكتبة العصرية، بيروت، ط. ١، ١٤٢٤، ص: ٢٥٥.

(٢) قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم ف قيل له: وما ذاك يا رسول الله؟ فقال: المرأة الحسناء في منبب السوء. قال أبو عبيد: "نراه أراد فساد النسب إذا خيف أن يكون لغير رشدة؛ وإنما جعلها خضراء الدمن وهي ما تدمنه الإبل والغنم من أبوالها وأبعارها، لأنه ربما نبت فيها النبات الحسن فيكون منظره حسناً أنيقاً ومنبته فاسداً": مَجْمَعُ الْأَمْثَالِ، أبو الفضل الميمني النيسابوري، ت. ٥١٨هـ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، نشر دار المعرفة - بيروت، رقم المثل: ١٢٦، ج: ١، ص: ٣٢.

ويصدق ذلك على تحليل الشعر بنحو النص أيضاً: لنأخذ أبياتاً لأمية بن أبي الصلت، على سبيل التمثيل^(١):

إذا اكتسب المال الفتى من وجوهه	وأحسن تدبيراً له حين يجمع
وميز في إنفاقه بين مصلح	معيشته فيما يضر وينفع
وأرضى به أهل الحقوق ولم يضرع	به الذخر زاداً للتي هي أنفع
فذاك الفتى لا جامع المال ذاخراً	لأولاد سوء حيث جاؤوا وأرضعوا

هذا نص شعري، عبارة عن تركيب شرطي مفصل في أربعة أبيات:

— الأداة وجملة الشرط والجزاء: فأما الأداة فهي شرط ظرفي مقيد بزمن، وأما جملة الشرط فهي مُثَقَلَةٌ بعدد من جمل الشرط المُقَيِّدَة، التي تنتظر جواباً، وهو تفريع على إسناد: اكتسب المال الفتى، أحسن الفتى تدبير المال، ميز الفتى في إنفاق المال، أرضى الفتى بالمال أهل الحقوق، ويتفرع عن كل جملة من جمل الشرط فروع، منها قيد اكتساب المال (من وجوهه)، وقيد تدبير المال (عند جمعه)، وقيد تمييز إنفاق المال (بين ما يصلح معيشته في الضار والنافع)، وقيد إرضاء الفتى بالمال أهل الحقوق (وهو تمديد الجملة بعطف: ولم يضرع بأذخاره نفعاً)

وأما جزاء الشرط ففيه الفاء رابطاً وفيه جملة الجواب، مؤلفة من مبتدأ هو اسم شرط للبعيد تعظيماً ورفع قدر، وخبر (هو "الفتى" مُعرِّفاً، تعريفاً يُفيد الحصر، كما في الحديث: "فذلكم الرباط")، ويتفرع عن المبتدأ تابع له منفي (لا جامع المال ذاخراً) وهذا التابع نفسه قيدت بعض مفرداته بصفة (أولاد سوء جاؤوا وأرضعوا).

(١) بهجة المجالس وأنس المجالس الذاهن والهاجس، لابن عبد البر النمري الطرطبي، باب المال حمداً وذمماً، تحقيق: محمد مرسي الخولي، دار الكتب العلمية بيروت، ج: ١، ص: ٢٠٢

فهذا نص شعريّ أو مَقْطَعُ نَصٍّ تَوَرَّعَتْ أَجْزَاؤُهُ وَفَقَّ بَنِيَّةٌ ذَهْنِيَّةٌ، إِلَى مُؤَلَّفَاتٍ رَئِيسَةِ، وَينحدرُ من كُلِّ مُؤَلَّفٍ مَعْمُولَاتٍ أَوْ تَوَابِعُ أَوْ قِيُود. فالبنيةُ الذَّهْنِيَّةُ لِلنَّصِّ يُمكن بَسْطُهَا على هيئة شجرة ذات فروع ومفاصل، وتتيحُ لنا التَّعَرُّفَ على طريقة توزيع الكلم والجمل والضَّمائِرِ والإحالات... بل تتيحُ لنا أن نعرفَ أين ترتكزُ بؤرةُ الكلام كُلِّه، وبؤرةُ الكلام هنا جُمْلَةُ الشرط التي عَطَفَتْ عَلَيْهَا مَعطوفاتٌ كثيرةٌ، وقُيِّدَتْ بمقيّداتٍ كثيرة تَزِيدُ المَعْنَى تفصيلاً وتوليداً.

وهكذا، فإذا بسطنا عناصرَ النصِّ على شبكةٍ ووضعنا كُلَّ كلمةٍ بِمُتَعَلِّقِهَا أو العاملِ المؤثِّرِ فيها أو متبوعها؛ فسيختلِفُ الإدراكُ وسنجدُ كُلَّ رأسٍ من رؤوس التركيب يتفرَّعُ إلى رؤوس صغيرةٍ يتعلَّقُ بها عددٌ من الكلمات والحروف والأدوات، وإذا أردنا أن نعرفَ علاقةَ كُلِّ عنصرٍ من عناصرِ الشبكةِ التَّركيبِيَّةِ بالرؤوسِ العُليا فإننا ينبغي أن نتبعَ خطوطَ التَّفَرُّعِ؛ فكلَّ حَظٍّ يقودُ العنصرَ إلى رأسٍ معيَّنٍ لا كُلَّ الرؤوس، بل إلى رأسٍ يَحْكُمُهُ بطريقة مباشرة أو غير مباشرة أي بالوساطة، وكلُّ رأسٍ ينحدرُ عنه فروعٌ معيَّنة لا كُلَّ الفروع.

ويُمكن تطبيقُ هذا العرض الشجريّ التفرعيّ على كُلِّ تركيبٍ أو نصٍّ فصيح، يُحسِّنُ ناظمه بناءَ الكلام على قوانين النظم والتركيب العربيّة أو ما هو فوق كُلِّ قانون ككتاب الله تعالى.

يرافقُ كُلَّ وظيفةٍ نحويّةٍ تركيبيّةٍ مُسندةٌ إلى عنصرٍ من عناصرِ التركيب، وظيفَةٌ دلاليّةٌ، ويُعيّنُ التركيبُ على صياغةِ نَسِيحِ الدَّلَالَةِ وإلقاءِ مَعْنَى على الجمل والتراكيب. ويرافقُ كُلَّ وظيفةٍ تركيبيّةٍ ودلاليّةٍ: وظيفةٌ تداوليّةٌ تُسندُ إلى كُلِّ مكوّنٍ: كوظيفة المبتدأ ووظيفة البؤرة ووظيفة الدّيل ووظيفة المنقذ ووظيفة المُتقبَّل...

يُساعدُ مقامُ الكلام وأركانُ الخطاب في دَقَّةِ تأويل التركيب دلاليّاً وتداوليّاً، فإذا غاب المقامُ عن علمِ الباحث أو المتلقّي تعذّرَ عليه فهم التركيب وفُتِحَتْ أمامه أبواب

الاحتمال والتأويل التي قد تكون بعيدةً عن مقاصد المتكلم. ولكن النص قد يكون حملاً معانٍ فيفهم المخاطب منه غير ما قصده المتكلم^(١).

من خصائص "نحو النص" اشتراطُ الخلو من خوارم النصية، أو "ما لا يكون به النص نصاً":

— من خصائص نحو النص في الكشف عن مهارات العربية ودكائها أن النص ينبغي أن يكون خلوًا من أود النظم والتأليف، وأن يؤخذ بتمامه، غير ناقص وغير مقتطع جزء منه، لأغراض التحليل أو الاستدلال، وألا يكون مبنياً بناءً مهلهلاً أو غير ملتزم بأنساق المبنى والمعنى ونظام الروابط.

إن الحديث عن خوارم النص أو "عدم النص Non-Text" في سياق عدم الالتزام بقواعد بناء النصوص، موضوع يقتضيه الحديث عن معايير نحو النص ومقاييسه، حيث يمكن تصوّر "غير النص Non-Text" على أنه أي شيء لا يدخل في حيز النص المنظم عرفاً والمطابق للأعراف الراسخة للكتابة. يشمل ذلك عدة جوانب مثل:

- التعبير غير اللغوي: كالرموز والصور والمرئيات، تُعد "غير نصية"؛ فهي تنقل المعنى ولكنها لا تخضع لقواعد النصية النظامية، ولكنها تتبع أنظمة دلالية أخرى.
- الافتقار إلى البنية أو الافتقار إلى شروط النصية: كالكتابات التي لا تنضبط إلى بنية نحوية صرفية معجمية واضحة، وهي التي بُنيت على غير قواعد،

(١) نَعَمْ إذا تَعَلَّقَ الأمرُ بمعاني الشعرِ والعباراتِ الحَمَّالةِ، وفي ذَلِكَ يقولُ شهابُ الدين النويري ناقلًا: "وليس على المستمع مُراعاةُ مُرادِ الشاعر من كلامه؛ بل لكلِّ كلامٍ وجوهٌ ولكلِّ ذى فهمٍ في اقتباس المعنى منه حظٌّ".

نهاية الأرب في فنون الأدب، شهاب الدين النويري ت. ٧٣٣هـ، نشر: دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط. ١، ١٤٢٣ هـ، سج: ٤، ص: ١٧٦.

ويمكنُ عَدُّها غيرَ متوافقة ومَعاييرِ النَّصِيَةِ Standards of Textuality^(١). في كل هذه الحالات، يمكن النظر إلى "عَدَم النص" على أنه شكل من أشكال عدم الامتثال لمعايير "النَّصِيَةِ"^(٢).

أما عُلَماءُ العَرَبِيَّة فقد نَظَرُوا إلى الخَوَارِمِ من وَجْهَةٍ أُخْرَى؛ فقد جَمَعَ الجاحِظُ في مقالته عن شعر أبي نواس خُلُوءَ النَّصِّ من أَوْدِ النِّظْمِ، ثُمَّ الخُلُوءَ من جودَةِ الطَّبْعِ والتَّفُوقِ في العلم بالشعر، ومن طول التَّجَرِبَةِ في الغرض الذي يأخذ فيه^(٣)

— ومن خَوَارِمِ النَّصِيَةِ التَّحْيِيزُ إلى الهَوَى والعَصِيَّةِ في انتقاءِ النُّصُوصِ ونَقْدِ الكلامِ الفَصِيحِ، فمن شروطِ الصَّحَّةِ سَلَامَةُ النِّقْدِ من الهَوَى؛ فإذا كان من شأنِ الناقدِ تَفْضِيلُ المَفْضُولِ وتَرْكُ الفاضِلِ فَسَدَ نظْرُهُ وفَقَدَ حَاسَّةَ التَّمْيِيزِ بين الجيدِ والرَّدِيءِ. كتَفْضِيلِ القَدِيمِ بَدَعِوى أصالته وذَمِّ الجَدِيدِ بَدَعِوى أَنَّهُ مُحَدَّثٌ. أو العَكْسُ.

— ومن خَوَارِمِ النَّصِيَةِ أيضاً الانْصِرَافُ عن المَقَامِ والانْكِفَاءُ عَنِ المَقَالِ والاكْتِفَاءُ به في تَفْسِيرِ النَّصِّ، وهذا نهْجُ النُّحُوِّ مُجَرِّداً عن عِلْمِ المعاني والمَقَامَاتِ.

— ومن خَوَارِمِ النَّصِيَةِ أَنْ يُؤْخَذَ النَّصُّ المَدْرُوسُ مُقْتَطَعاً عن سِيَاقِهِ مَنقُوصاً غيرَ تَامٍّ؛ لأنَّ من شُرُوطِ النَّصِيَةِ التَّامِّ، وسِيَاقُ الاتِّصَالِ. أي يُشْتَرَطُ في النَّصِّ أَنْ يَكُونَ تَامّاً مَكْتَمِلاً بِلَفْظِهِ وَمَعْنَاهُ؛ فَقَدْ عَلَّقَ الجاحِظُ على الرِّوَاةِ الذِّينَ ذَهَبَ كُلُّ واحدٍ مِنْهُم إلى تَفْضِيلِ نَصْفِ بَيْتٍ مِنَ الشَّعْرِ، ووصَفِهِ بأنَّه أَحْكَمُ الشَّعْرِ وأَوْجَرُهُ؛ فَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ: قول حُمَيْدِ بْنِ ثَوْرٍ: [وَحَسْبُكَ دَاءٌ أَنْ تَصَحَّ وَتَسْلَمَا]،

(1) Albert C. Drio, BSE-English : Seven Standards Of Textuality De Beaugrand and Dressler. RIZAL TECHNOLOGICAL UNIVERSITY Pasig Campus. WRITTEN REPORT. 2017

(٢) ولكن يمكن أيضاً أن نَعُدَّ "عَدَم النَّصِّ" تطَوُّراً أو ابتكاراً في طريقة تواصلنا وتعبيرنا عن فكرنا. يمكن أن تُثَرِّي هذه الأشكالُ "البَدَائِلُ"، مَفْهُومَ النَّصِّ بإضافة طبقات من المعنى أو تمكين أشكال جديدة من التعبير.

(٣) الحيوان، الجاحِظ: تحقيق عبد السلام محمد هارون: ج ٢، ص ٦٧.

ومنهم من قال: قول أبي العتاهية: [أسرع في نقص امري تمامه]، ومنهم من قال: قول أبي خرايش الهذلي: [نوكّل بالأذن وإن جَلَّ ما يمضي]، ومنهم من قال: بل قول أبي ذؤيب الهذلي: [وإذا تردُّ إلى قليل تقنّع]. فقال الجاحظ معلقاً على هذا الاقتطاع من الكلام: إنَّما كان الشرط أن يأتوا بثلاثة أصنافٍ مُستغنياتٍ بأنفسها، والنصف الذي لا يستغني بنفسه ولا يفهم السامع معنى هذا النصف حتى يكون موصولاً بالنصف الأول؛ لأنك إذا أنشدت رجلاً لم يسمع بالنصف الأول وسمع: [وإذا تردُّ إلى قليل تقنّع]؛ قال: من هذه التي تردُّ إلى قليل فتقنّع؟^(١).
فأنت ترى هنا كيف أنَّ الجاحظ عَقَّبَ على من فضَّل نصف البيت محتجاً بأن الشرط في بلاغة الكلام وبيانه اكتمال معناه وتام بنائه بذكره برمته

والجَّاحظُ على الناقد ألا يغفل عن هذه العناصر جميعاً. فإذا جفا طبع الناظر الناقد خفي عنه غرض الناطق وضلَّ عنه قصده.^(٢)

— ومن حوارم النّصيّة: الحشوّ غير المفيد، وهو اللفظ المُقحم الذي لا يؤكّد كلاماً ولا يفيد معنى زائداً^(٣). وقريب من الحشو الخطل وهو السقّط وكثرة الكلام بلا فائدة^(٤).

(١) البيان والتبيين: ١/١٥٣-١٥٤-١٥٥.

(٢) لا ينبغي خلط مفهوم "النص الناقص" بمفهوم آخر هو النصّ الأقطع أو الأبتَر، وهو الذي يلقيه صاحبه من غير استهلال ولا توطئة ولا مدخل، وأكثر ما يكون في الشعر؛ حيث يُهجم على المراد من غير مطالع فيأتي الكلام مُفتقراً إلى تقدير المبادئ التي بُدئت بها القصيدة. إذا اقترن النص بمقام قوله سدّ مسدّ مطلعه ومدخله، ولم يُعدّ عيباً أو حرماً، وأكثر ما يكون هذا النوع من القطع في الأشعار الحديثة وفي الروايات والإبداع اللغوي بعامّة. أمّا في تقاليد البلاغة النّصيّة العربيّة فالأصل عند النقاد والبلاغيين أن يأتي النصّ مُكتملاً بمطالعه ومبادئه وافتتاحاته، وقد عدّوا العلم بها علماً بصناعة التأليف ذات الفوائد، "وذلك أن يجعل مطلع الكلام من الشعر والخطب والرسائل دالاً على المعنى المقصود". انظر: الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور، ضياء الدين ابن الأثير، ص: ١٨٧.
(٣) أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني ت. ٤٧١هـ، تحقيق محمود محمد شاكر، مط. المدني، القاهرة، ط. ١، ١٩٩١، ص: ١٩.

(٤) الفصول والغايات في تمجيد الله والمواعظ، لأبي العلاء المعري ت. ٤٤٩هـ، ضبط محمود حسن زناقي، لجنة إحياء التراث العربي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ص: ٣٠٨.

ومن الخَوَارِمِ الإِخْلَالُ، وهو عيبٌ من عُيوبِ ائتلافِ اللفظِ والمعنى، كأن يتركَّ المتكلمُ من اللفظِ ما يتمُّ به المعنى^(١)، ويُقابله من العيوبِ "الإِخْلَالُ بالإِفَادَةِ" وهو أن يُؤثِّرَ في الكلامِ بزيادةٍ لفظٍ يفسدُ المعنى^(٢)

"نحو النَّصِّ" ووظيفةُ البَيَانِ:

لكنَّ هناكَ عنصراً آخرَ دخلَ في تحديدِ النَّصِّ والخطابِ عندما اقترنَ بالمتكلمِ والمُخاطَبِ وتحقيقِ مقاصدِ التَّخاطُبِ على الوجهِ الأتمِّ الأبين، وهو مفهومُ البَيَانِ، الذي كانَ يعني قديماً كلَّ ما يُحقِّقُ التَّبليغَ والتَّواصلَ والإِفَادَةَ والفهمَ والإفهامَ. ومفهومُ البَيَانِ من "بِلاغةِ المُتَكَلِّمِ"، فالمتكلمُ المُبِينُ المُصْدِرُ النَّصَّ ذو بلاغةٍ ومهارةٍ وهي "مَلَكَةٌ يُقْتَدَرُ بها على تأليفِ كلامٍ بليغٍ"^(٣).

وعندما يُصرِّحُ الجاحظُ بأنَّ البَيَانَ اسمٌ جامعٌ لكلِّ شيءٍ كَشَفَ قِنَاعَ المعنى، فإنَّه يُفيدُ بهذا التعريفِ أنَّ النَّصَّ لا يقومُ إلاَّ بمؤلِّفَاتِهِ التي يتألَّفُ منها وهي كلُّ ما من شأنه أن يكشفَ مَعْنَاهُ؛ فلا يُعَدُّ نصّاً كلُّ قولٍ لا يُبَيِّنُ ولا يدلُّ على مَعْنَى ولا يُمكنُ سامعُه من الإِفْضَاءِ إلى حَقِيقَتِهِ، فإذا أفادَ مَعْنَى وتركَّبَ من حروفٍ وكلماتٍ وجُمليٍّ ورَوَاطِيطٍ فقد استوى واستقامتْ لَهُ شُرُوطُ النَّصِيَّةِ.

(١) كقول الشاعر: أعاذلُ عاجلُ مالي أحبُّ إليَّ من الأكثَرِ الرَّاثِي.

قال قدامة: "فإنَّما أرادَ أن يقولَ: عاجلُ مالي مع القلَّة، أحبُّ إليَّ من الأكثَرِ المُبْطِئِ، فتركَّ "مع القلَّة" وبه يتمُّ المعنى "نقد الشعر، قدامة بن جعفر ت. ٣٣٧هـ، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت، ص: ٢٠٤.

(٢) كما لوقال القائل: "فإنَّ الأمر والنهيَّ لو دَقَّتْهُما طيِّبانِ"، وذلك أنَّه لو لم يَدُقُّهُما لم يكونا طيِّبينِ؛ وليس الطيبُ والكريمُ بما إذا ذاقهُما الذائقُ بل هما على هذه الحال بأنفسهما. انظر: قانون البلاغة في نقد النثر والشعر، لأبي طاهر ابن حيدر البغدادي ت. ٥١٧هـ، محسن غياض عجيل، مؤسسة الرسالة، ط. ٢، ١٩٨٩، ص: ٥١.

(٣) الإيضاح في علوم البلاغة، محمد بن عبد الرحمن جلال الدين القزويني ت. ٧٣٩هـ، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي، نشر دار الجيل - بيروت، ط. ٣، ج. ١، ص: ٤٩.

ولا نغفلُ هنا أن شروط بناء النص (كبناء الشعر) تجمع بين العلم به وبين نظمه على السواء، فلا تكفي معرفة الشعر وحدها شرطاً لقول الشعر، ولا تكفي الموهبة من غير معرفة ولا علم؛ وفي ذلك ذكر عبد القاهر الجرجاني حواراً دار بين عبيد الله بن عبد الله بن طاهر والشاعر البحتري؛ فقد سأل ابن طاهر البحتري عن مسلم وأبي نواس: أيهما أشعر، فقال البحتري: أبو نواس، فقال ابن طاهر إن أبا العباس ثعلباً لا يوافقك الرأي على هذا، فقال: ليس هذا من شأن ثعلب وذويه، من المتعاطين لعلم الشعر دون عمله، إنما يعلم ذلك من دفع في مسلك طريق الشعر إلى مضايقه وانتهى إلى ضروراته^(١). أي لا يعلم الشعر وبناءه إلا من علمه وكابده، ذلك أن النص الشعري لا يستقيم بناؤه إلا لمن أوتي حظاً كبيراً من العلم بنظمه ووهب القدرة على إنشاده، وباب الشعر لم تضق العبارة فيه ولم يقصر اللفظ ولم ينغلق الكلام فيه إلا لأنه قد تناهى في الغموض والخفاء إلى أقصى الغايات^(٢).

أسرار النصوص وبلاغاتها تكشف شجاعة العربية ومهاراتها؛ وهذه صفة لم تزل بل رافقت العربية إلى يومنا هذا، فالعربية في عصرنا هي العربية في عصر مضى، ولكن مع تغيرات كثيرة دخلت مع توليد مفردات جديدة، وصور استعارية جديدة مقتبسة، جددت بفعل التواصل بين اللغات والترجمة اليومية، فشجاعة العربية في احتفاظها ببعض الكليات البلاغية التي ما زالت تتداولها الألسنة والأقلام، وكذلك قواعد التركيب النصي الفصيح التي حافظ عليها الأسلوب العربي والدوق العربي اليوم.

المفاهيم العلاقية التي يتحقق بها التماسك والانسجام:

يُعد التعليق والربط شرطاً رئيساً في قيام النص واستقامة بنائه وإحرازه صفاتي التماسك والانسجام؛ ويتحقق مفهوم التماسك النحوي والانسجام الدلالي الفكري في جملة من المفاهيم المنشورة في المعارف اللغوية والبلاغية العربية:

(١) دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق: محمود محمد شاكر، نشر مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع بالقاهرة، مط. المدي، القاهرة، ط. ٢٠، ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م، ص: ٢٥٢ - ٢٥٣.

وص: ٢٧١ - ٢٧٢.

(٢) دلائل الإعجاز، ص: ٢٧١.

منها مفهوم المناسبة أو التناسب، وهي أهم مبحث من مباحث نحو النص؛ وهي جعل أجزاء الكلام بعضها آخذاً بأعناق بعض، فيقوى النص بذلك الارتباط ويصير كالبناء المحكم ويصير التأليف كحال البناء المحكم المتلائم الأجزاء.

ومنها مفهوم "الفصل والوصل" وهو عند أهل النقد علم بما ينبغي أن يصنع في الجمل، من عطف بعضها على بعض أو ترك العطف فيها والمجيء بها منشورة على تقدير الاستئناف، مع ما يشترط من شروط دقيقة في الوصل وفي الفصل^(١)، وأقوى وصل وأبلغه الاستئناف وهو باب من أبواب علم البيان^(٢). ومن شجاعة العربية أن البليغ يعرف متى يصل ومتى يفصل. ومن المفاهيم العلاقية النصية مفهوم المؤاخاة بين المعاني وهو ذكر المعنى مع أخيه لا مع الأجنبي^(٣)، والمؤاخاة بين المباني ويتعلق بمباني الألفاظ^(٤).

(١) من هذه الشروط أن يكون حرف الوصل، وهو الواو، يفيد الإشراك في الحكم، كقولك "مررتُ برجلٍ ثوبه حسنٌ وريحه طيبٌ". فإن لم يفد ذلك فلا بد أن يفيد معنى آخر وهو أن يكون الثاني بسبب من الأول كقولك "زيدٌ قائمٌ وعمرو قاعدٌ" والسبب هنا المناسبة بين الأول والثاني، كقولنا "زيدٌ طويلٌ والقامة وعمرو شاعرٌ" ولا يستقيم "زيدٌ طويلٌ والقامة وعمرو شاعرٌ" لأنه لا مشاكلة بين طول القامة وبين الشعر، ومما فيه تناسبٌ وانسجامٌ بين الجمل "العجبُ من أيٍّ أحسنْتُ وأساءتُ" وكقول الشاعر: لا تطمعوا أن تهينونا ونكرمكم *** وأن تكف الأذى عنكم وتؤذونا، فإن غاب الرابط اللفظي فدرابط الاستئناف المعنوي كقول الشاعر: زعم العواذل أنني في غمرة *** صدقوا، ولكن غمري لا تنجلي فيه ما يحرك السائل لأن يسأله فما جوابك عن ذلك؟ [انظر باب الفصل والوصل في كتاب: دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني، ابتداءً من ص: ٢٢٢].

(٢) الكشف، جار الله الزمخشري ت ٥٣٨ هـ، دار الكتاب العربي، بيروت، ج ٢، ص: ٢٨٩-٢٩٠

(٣) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين ابن الأثير ت ٦٣٧ هـ، تقديم وتعليق: أحمد

الحوافي وبدوي طبانة، دار النهضة، مصر، ج ٣، ص: ١٥٤

(٤) المثل السائر، ج ٣، ص: ١٥٦

ومفهوم التأليف وهو إسنادُ فعلٍ إلى اسمٍ أو اسمٍ إلى اسمٍ^(١)، أو هو إتباعُ الألفاظِ بعضها بعضاً مع تَوَخِّي معاني النحوِ وجوباً، وإلا لن يكونَ تأليفاً. وانتلاف اللَّفْظِ بِالْمَعْنَى الْمَقْصُودِ (في الغرابة أو الحداثة أو التوسط)^(٢).

ومفهومُ الإبانة من مفاهيم التعليق أيضاً؛ فقد عُرِّفَ بأنه وصفُ الشيءِ بأخصرِ الألفاظِ وأوجزها، مع ترتيبها في القولِ على مراتبها، واعتماد المتكلم أن يكونَ كلامه كالعالم لمعناه^(٣)، فالإبانة أسلوبُ صياغة النَّصِّ ومنهجُ صاحبه في بنائه. ويُعرَّفُ علمُ البَيانِ في بعض تعريفاته، بأنه "عبارةٌ عن تَوَخِّي معاني النحو في التركيب"^(٤).

ومن المفاهيم مفهومُ المُتَابَعَةِ، والمُتَابَعَةُ في الكلام أن يأتي المتكلم بالمعاني التي لا يجوزُ تقديم بعضها على بعض؛ لأنها متتاليةٌ وتنتهي إلى غاية مراد المتكلم^(٥)، ومفهوم الاستتباع، وهو ذكرُ معنى وإتيانُ بمعنى آخر مثله يستتبعه، كالمُدْحِ بشيءٍ يستتبع المدحَ بشيءٍ آخر^(٦).

ومنها مفهوم "تمام الكلام" والتَّامُّ من الكلام ما اجتمعت فيه الفضائل... فإذا اجتمع ذلك فيه، ووضعَه قائله موضعه، وأتى به في حينه وأصاب به مقصده، فهو التَّامُّ^(٧)

(١) أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني ت. ٤٧١هـ، تحقيق محمود محمد شاكر، مط. المدني بالقاهرة، ط. ١، ١٩٩١. ص: ٤٠٨

(٢) تحرير التَّحْبِيرِ في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، لابن أبي الإصبع المصري ت. ٦٥٤هـ، تحقيق: حنفي محمد شرف، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، مصر، لجنة إحياء التراث الإسلامي، ص: ١٩٤

(٣) موادُّ البَيان، ص: ٩٥

(٤) التَّبيان في علم البَيان المُطَّلَع على إعجاز القرآن، لابن الزمكاني ت. ٦٥١هـ، تحقيق: أحمد مطلوب وخديجة الحديثي، مط. العاني، بغداد، ط. ١، ١٩٦٤. ص: ٣٢

(٥) نُصْرَةُ الإِغْرِيبِصِ في نُصْرَةِ الْقُرَيْصِ، للمظفر العلوي ت. ٦٥٦هـ، تحقيق نُهي عارف الحسن، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، مط. طربين، دمشق، ١٩٧٦. ص: ١٨٣-١٨٤

(٦) مفتاح العلوم، لأبي يعقوب السَّكَّاكِي ت. ٦٢٦هـ، ضبط وشرح نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط. ١، ١٩٨٣. ص: ٤٢٨

(٧) البرهان في وجوه البَيان، لابن وهب الكاتب ت. ٤هـ، تحقيق أحمد مطلوب وخديجة الحديثي، مط. العاني بغداد، ط. ١، ١٩٦٧. ص: ٣٠٢

الذي يدلُّ لفظه على معناه ولا يتعداه^(١). والفرق بين الاستقصاء والتتميم والتكميل أن التتميم يرد على المعنى الناقص فيُتمم بعضه، والتكميل يرد على التام فيُكمل وصفه، والاستقصاء يرد على الكامل فيستوعب كل ما تقع عليه الخواطر من لوازمه^(٢).

ومن مفاهيم الربط والتعليق في النص مفهوم الاستثناء، وهو أن يقول المتكلم قولاً مطلقاً ثم يستثني منه بعضه^(٣)، أي يُخرج القليل من الكثير.

ومن المفاهيم النادرة ما سماه فخر الدين الرازي بالجمع المفرد، وهو إدخال جزأين تحت كلي واحد، مظهراً كان أو مضمراً، كقول الشاعر:

فأحوالي وضدُّك والليالي ظلامٌ في ظلامٍ في ظلامٍ^(٤)

ومن المفاهيم أيضاً المجاورة والتجاور، وهي ورود كلمتين في النص إحداها بجانب الأخرى أو قريباً منها، من غير أن تكون إحداها لغواً^(٥)

ومن المفاهيم مفهوم المجاز في دلالاته العامة، وهو "طريق القول ومأخذه... قال الأصمعي: كلام العرب إنما هو مثال شبيه بالوحي، لا سيما الشعر؛ لأنه موضع

(١) المثل السائر، ج: ١، ص: ٧٤.

(٢) بديع القرآن، لابن أبي الإصبع المصري ت. ٦٥٤هـ، تحقيق حنفي محمد شرف، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع. ص: ٢٥١

(٣) مواد البيان، لعلي بن خلف الكاتب، ص: ٣٦٣

(٤) نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، فخر الدين الرازي ت. ٦٠٦هـ، تحقيق بكري شيخ أمين، دار العلم للملايين، بيروت، ط. ١، ١٩٨٥، ص: ٢٩٤

(٥) كقول علقمة: / ومُطعمُ الغنم يومَ الغنم مُطعمُهُ *** أتى توجّه والمَحرومُ مَحرومُ /. انظر: كتاب الصناعاتين، أبو هلال العسكري ت. ٣٩٥هـ، تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٨٦، ص: ٤١٣

اضطرار...^(١)، وفي الاصطلاح: يُسمَّى الشيءُ باسم ما قاربَه أو ما كان منه بسبب^(٢)،
"وإذا عُدل باللفظ عَمَّا يوجبُه أصلُ اللغة وُصف بأنه مجاز"^(٣)

ومن المفاهيم الحذف وهو "إسقاط كلمةٍ لدلالةِ فحوى الكلام عليها"^(٤). وضده
الحشو، ومنه مذمومٌ لخلوه من الفائدة، ومنه محمودٌ وهو ما يُفيد معنى زائداً لا قيل
للسامع به^(٥).

ومن المفاهيم الخبر، قال عبد القاهر: "إن الخبرَ جميعَ الكلام معانٍ يُنشئها
الإنسان في نفسه ويُصرِّفها في فكره... وتوصَّف بأنها مقاصدٌ وأغراضٌ، وأعظمها شأنًا
الخبر"^(٦)، والاستخبار طلبٌ من المخاطب أن يُخبرَكَ^(٧).

ومن مفاهيم الربط والتعليق في المعاني مفهوم التخلُّص، وهو أن يأخذ مؤلِّف
النص في معنى من المعاني، فإذا به ينتقل إلى معنى آخر ويجعل المعنى الأول سبباً إلى
الثاني "فيكون بعضُه أخذاً برقاب بعضٍ من غير أن يقطع المؤلفُ كلامه ويستأنف كلاماً
آخر، بل يكون جميعُ كلامه كأنما أفرغ إفراغاً"^(٨)

(١) جليلة المحاضرة في صناعة الشعر، لأبي علي الحاتمي ت. ٣٨٨هـ، تحقيق جعفر الكتاني، دار الرشيد
للنشر، وزارة الثقافة والإعلام العراقية، ١٩٧٩، ج: ١، ص: ١٣١.

(٢) العمدة في محاسن الشعر وآدابه، لابن رشيق القيرواني ت. ٤٥٦هـ، تحقيق محمد قرقزان، دار المعرفة،
بيروت، ط. ١، ١٩٨٨، ج: ١، ص: ٤٥٦.

(٣) نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، فخر الدين الرازي، ص: ١٦٧.

(٤) سر الفصاحة، لابن سنان الخفاجي ت. ٤٦٦هـ، تحقيق عبد المتعال الصعيدي، مط. محمد علي
صبيح وأولاده، القاهرة، ١٩٥٣، ص: ٢٤٧.

(٥) أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني ت. ٤٧١هـ، تحقيق محمود محمد شاكر، مط. المدني، القاهرة،
ط. ١، ١٩٩١، ص: ١٩.

(٦) دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني ت. ٤٧١هـ، تحقيق محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي ومط.
المدني، القاهرة، ط. ١، ١٩٨٤، ص: ١٩.

(٧) دلائل الإعجاز، ص: ١٤٠.

(٨) الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور، ضياء الدين ابن الأثير، ص: ١٨١.

ومن المفاهيم أيضاً "التذييل" وهو أن يجعل للنص ذيلٌ مؤكّد، وهو الإتيان بعبارَةٍ تؤكّد ما قبلها وتجمّعه^(١)، ففيه ما لا يخفى من ارتباطِ عبارة الذيل بما قبلها معنًى.

ومن مفاهيم التعليق الترتيب؛ وترتيبُ كلماتِ النَّصِّ تابعٌ لقصدِ المتكلمِ إلى صورةٍ وصفيةٍ "إن لم يُقدّم فيه ما قُدّم ولم يؤخّر ما أُخّر، وبُدئَ بالذي ثني به، أو ثني بالذي ثلث به، لم تحصل لك تلك الصورة وتلك الصفة"^(٢). ويكون الكاتب إذا أراد أن يفسّر كلامه أن يُراعي في التفسير الترتيب الذي أوردّه؛ فيذكر "في كلامه معاني مختلفة، فإذا عاد إليها بالذكر ليفسرها، قدّم المُقدّم وأخّر المؤخّر، وإذا لم يُراعِ المؤلف ذلك كان مأخوذاً عليه، لأنّه يُخلّ بشطَرٍ من الصناعة في ذلك"^(٣).

ومن المفاهيم "السبك" وهو أن تتعلّق كلماتُ النَّصِّ بعضها ببعض من أوّل الكلام إلى آخره^(٤). وهو أهمّ المفاهيم التي يقوم عليها النَّصُّ وعليها يُبنى.

ومن المفاهيم مفهوم "الانسجام" وهو سهولة السبك وانسجام الألفاظ وانسياب الكلام^(٥). ومفهوم "التجانس" ويدخل فيه مفهوما المزاجيّة والمناسبة^(٦).

(١) الفرق بين التذييل والتكميل أن التكميل يردّ على المعنى المُفتقر بعد التمام إلى التكميل، أمّا التذييل فلا يُؤتى به لتكميل كلام مُفتقر. بديع القرآن، لابن أبي الإصبع، ص: ١٥٥-١٥٦. وانظر التذييل في كتب "علوم القرآن: البرهان للزركشي والإتقان للسيوطي...

(٢) دلائل الإعجاز، ص: ٣٦٤.

(٣) الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور، ضياء الدين ابن الأثير، ص: ٢١٢-٢٢٢.

(٤) البديع في نقد الشعر، أسامة بن منقذ ت. ٥٨٤هـ، تحقيق أحمد بدوي وحامد عبد المجيد، مط. الحلبي مصر، ١٩٦٠، ص: ١٦٣.

(٥) وهو تحذّر الكلام بسهولة سبك وسلامة تأليف، كما يتحدّر الماء المنسجم، وينساب انسياباً، تحرير التحرير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، لابن أبي الإصبع المصري، ص: ٦١٣. فيكون للنص وقع في النفوس وتأثير في القلوب، مع بعيده عن التصنيع.

(٦) على ما ذهب إليه أبو الحسن الرّماني ت. ٣٨٦هـ في رسالته: النكت في إعجاز القرآن، ضمن: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرّماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني، تحقيق محمد خلف الله وزغلول سلام، دار المعارف، القاهرة، ط. ٢، ١٩٦٨، سلسلة ذخائر العرب، رقم: ١٦، ص: ٩١. وتجانس النَّصِّ، كالذي يكون في الجزء، نحو قوله تعالى: "فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ" [البقرة: ١٩٤] حصلت مزاجيّة أو تجانس بما يُستحقّ على طريق العدل، واستُعير للثاني لفظ الاعتداء فاعتدوا عليه لتأكيد الدلالة على المساواة في المقدار، وفيه نوع حسن بيان.

ومفهوم "المُشاكَلَة"^(١) وهي ورود كلمتين من المُشترَك اللفظي، في موضعين من النص فصاعداً، بلفظ واحد ولكل واحدٍ منهما معنى غير الذي لصاحبه، وهو نوعٌ من التجنيس المماثل، وعرفوه أيضاً بأنه ذكرُ الشيء بغير لفظه لوقوعه في صحبته تحقيقاً أو تقديرًا^(٢).

ومفهوم "المُصاحَبَة" وهي وظيفةٌ من وظائف بعض حُرُوف المعاني، وظيفَةٌ علاقيةٌ تؤدّيها الباء مثلاً^(٣).

ومفهوم "الملاَبَسَة"، وهو تعلقُ الفعل بالمفعول به على أنحاءٍ مُختلفة حسبما تقتضيه خصوصيات الأفعال بحسب معانيها المختلفة^(٤).

(١) تحرير التَّحْبِير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، لابن أبي الإصبع المصري، ص: ٣٩٣-٣٩٥. كقول أبي سعيد المَخْزومي: خَذَقُ الْأَجَالَ أَجَالَ وَالْهَوَى لِلْمَرْءِ قَتَالَ
الْأَجَالَ الْأَوَّلَى أَسْرَابُ الْبَقَرِ الْوَحْشِيِّ، والثانيةُ مُنْتَهَى الْأَعْمَارِ. كذا قال: التَّبْرِيزِي في شرح البيت وهو نوع من التَّجْنِيسِ المماثل.

(٢) كقول أحمد بن محمد الأنطاكي: قالوا اقترح شيئاً نُجْذِلُكَ طَبْخَهُ قُلْتُ اطْبُخُوا لِي جَبَةً وَقَمِيصاً
كانه قال: خيطوا لي... الإيضاح في علوم البلاغة، للخطيب القزويني ت. ٧٣٩هـ، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط. ٤، ١٩٧٥، ج: ٢، ص: ٤٩٣-٤٩٥. وأكثر ما تكونُ المُشاكَلَة في القرآن الكريم نحو قوله تعالى: "تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ" مُعْتَرِكُ الْأَقْرَانِ فِي إعجاز القرآن، جلال الدين السيوطي ت. ٩١١هـ، تحقيق أحمد الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٨. ج: ١، ص: ٣١٤.

(٣) "ولها علامتان: إحداهما أن يحسنَ في موضعها "مع". والأخرى أن يُعَيَّنَ عنها وعن مصحوبها الحال، كقوله تعالى "قَدْ جَاءَكُمْ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ" أي: مع الحق، أو مُحِقّاً. و"يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ" أي: مع سلام، أو مُسَلِّماً عَلَيْكَ. ولصلاحيّة وقوع الحال موقَّعها، سَمَّاها كثيرُمن النُحويين بَاءَ الْحَالِ "الْحَيَّ الدَّانِي فِي حُرُوفِ الْمَعَانِي، الحسن بن قاسم المرادي ت. ٧٤٩هـ، تحقيق فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط. ٢، ١٤٠٣-١٩٨٣، ص: ٤٠.

(٤) "فإن بعض هذه الأفعال يقتضي أن يلابس المفعول مُلابسةً تامة... وبعضها يستدعي أن يلابسه أدنى مُلابسةٍ إما بالانتهاء إليه كالإعانة أو بالابتداء منه كالاستعانة مثلاً. انظر: كتاب الكليات، لأبي البقاء الكفوي، تحقيق عدنان درويش ومحمد المصري، نشر مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤١٩-١٩٩٨، ص: ١٦٣٥.

ومن المفاهيم "السرد"، وسرد الكلام متابعته، وسرد النص تتابع جملة وفقراته من أوله إلى آخره، ويقتضي لكي يكون سرداً أن ترتبط أجزاؤه ويفضي سابقها إلى لاحقها^(١).

ومن المفاهيم "الإضمار"، وهو حذف الجملة من الكلام إذا كان ما بعدها يدل عليها، وفيه من فائدة الربط والتفسير ما لا يخفى به^(٢). ويشترط أهل البلاغة أن الواجب في حكم البلاغة أن لا ينطق بمحذوف ولا يظهر إلى اللفظ؛ فلورجع فيه إلى أصله المقدّر صير إلى كلام غث يمجّه السمع^(٣).

ومن المفاهيم "التضمين"، وهو جزء من الكلام (كالبيت الشعري) يُبنى على كلام معناه في جزء يتلوه من بعده مقتضياً له ومتعلقاً به^(٤).

(١) السرد في اللغة تقديم شيء إلى شيء تأتي به متسقا بعضه في أثر بعض متتابعاً، و"سرد" الحديث ونحوه يسرده سرداً إذا تابعه. وسرد الحديث سرداً إذا كان جيد السياق له. انظر: لسان العرب، لابن منظور الأفرريقي، دار صادر-بيروت ط. ١٠، ج: ٣، ص: ٢١١، مادة سرد.

(٢) الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور، ضياء الدين ابن الأثير، ص: ١٢٥-١٢٦. واستدل ابن الأثير على هذا الضرب من الإضمار بقوله تعالى: أقمن شرع الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله أولئك في ضلال مبين" [الزمر: ٢٢]، وتقدير الآية: أقمن شرع الله صدره للإسلام كمن أفسى قلبه. ويدل على المحذوف قوله تعالى: "فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله". ومن الإضمار الإضمار على شريطة التفسير، وهو ترك ذكر اللفظ في الأول استغناء بذكره في الثاني، نحو قول البحري: لوشئت لم تُفسد سماعة حاتم كرمًا، ولم تهدم مائراً خالد والتقدير: لوشئت ألا تُفسد سماعة حاتم لم تُفسد سماعة حاتم، حذف الأول استغناء بدلالة الثاني عليه.

(٣) ذلال الإعجاز، ص: ١٦٣-١٦٤.

(٤) التضمين، كقول الشاعر:

يسعد فسانلهم والرياب وسايل عنا هوازن إذا ما
لقيناهم كيف تلوهم بواتر تفرين بيضا وهاما

الجامع في العروض والقوافي، أبو الحسن أحمد العروضي ت. ٣٤٢ هـ، تحقيق زهير غازي زاهد وهلال ناجي، دار الجليل، بيروت، ط. ١٠، ١٩٩٦. ص: ٢٨٥. والتمين عند النقاد والبلاغيين، شعر يحتاج أوله إلى ما بعده، وهو معيب عندهم.

ومنها "الضم"^(١). وهو تركيب الألفاظ بعضها إلى بعض لما بين معانيها النحوية من اتصال وتعلق.

وأهم مفاهيم الترابط النصي مفهوم "التعليق"^(٢) وهو صفة أو حالة توضع عليها الكلم لتصيرنصاً متماسكاً أو بناءً لغوياً منظوماً. وتدل العلاقات بين العوامل والمعمولات عن أسباب التعليق والنظم في الكلام، لأن الكلم يكون بعضه لبعض فاعلاً أو مفعولاً أو حالاً أو نعتاً أو توكيداً أو استثناءً أو تمييزاً، أو يدخل على الكلام من الأدوات ما يصيره نفيّاً أو استفهاماً أو تمنياً.

هذه جملة من مفاهيم الربط والتعليق، وهي أكثر من أن يحصرها بحث واحد، ويمكن تصنيفها إلى:

- مفاهيم خاصة بالعلاقات النحوية والتركيبية التي لها صلة بأصول النحو ومعانيه، ووظيفتها تثبيت التماسك النحوي للنص. - ومفاهيم ذات طابع دلالي تراعي علاقات المعاني بين ألفاظ النص وجمله، وتضمن بناء الانسجام الفكري والدلالي بين أجزاء النص. - وتركّب هذه المفاهيم العلاقية من سمات وخصائص مختلفة متداخلة، بعضها نحوي خالص وبعضها بلاغي وبعضها منطقي.

(١) دلائل الإعجاز، ص: ٣٩٤، و٤٦٧.

(٢) دلائل الإعجاز، ص: ٥٥. وقد خصص أسامة بن منقذ التعليق بالمعاني، وقرنه مع "الإدماج"، وحصره في أغراض الشعر: "باب التعليق والإدماج، اعلم أن صيغة ذلك أن تعلق مدحاً بمدح، وهجواً بهجو، ومعنى بمعنى: "البديع في نقد الشعر"، ص: ٥٨. وزاد ابن أبي الإصبع نوعاً من التعليق سماه "تعليق الشرط"، وهو أن يعلق المتكلم مقصوده على شرط يلزم من تعليقه مبالغة في ذلك المعنى تحرير التحبير، لابن أبي الإصبع، ص: ٤٤٧.

من خصائص نحو النصّ: قاعدة الإحكام والتماسك والانسجام من خلال شبكة الروابط:

وهي صفات ناتجة عن مراعاة هندسة بنائية دقيقة^(١)، يُمكن تسميتها بشبكة العلاقات أو قواعد النسيج؛ فالإحكام والتماسك والانسجام صفات ناتجة عن مراعاة هندسة تركيبية دقيقة، ومن مظاهر هذه الهندسة التركيبية شبكة الروابط وما يدخل تحتها من قواعد النسيج، ومن مظاهرها شبكة الإحالة اللغوية (الدّاخلية) والإحالة المرجعية (الخارجية) وما يترتب على الإحالتين من مطابقة النصّ للعالم الخارجي عبر واسطة الذّهن والمفاهيم الذّهنية المنظّمة. ومن مظاهرها مراعاة المتلقي عند بناء النصّ وضبط الإحالات واستلهاهم المعنى من أفق انتظاره والإجابة الافتراضية عن أسئلته المقدّرة. ومن مظاهرها جعل النصّ قابلاً للتمديد والتوسيع في إعادة قراءته وترتيبه وفهمه ونقده وتأويله قراءً ومُتلّقون آخرون. وكأنّك تجعل للنصّ -بعد دورانه على القراء والنقاد...- هوامش وحواشي واستدراكات وإضافات...

(١) تخضع اللغة العربية الفصيحة [كسائر اللغات النظامية المضبوطة بضوابط نحوية صرفية معجمية دلالية تداولية] لمبدأ التصميم الأمثل optimal design. فهي مبنية بناءً مُحكماً وعللُ تركيب صرفها ودلالاتها في المتناول يتيسر إدراكها، وهندستها تدلّ على حكمتها ودقتها، وهذا أمرٌ أدركه الخليل بن أحمد الفراهيدي وكتب عنه، وابن جني وشبّهه بالوحي أو ما يشبه الوحي الذي أوتيّه من نطق بها على سجيّته. ففي العربية تصميمٌ منطقيٌّ أمثلٌ بُني على منطق اللغات في جودة ترتيب الجمل والنصوص، يُراقب تركيب الجمل والعبارات والنصوص، ويضبط الروابط والمراتب logic controller based on linguistic، وهو مبدأ أفنى فيه علماء اللغة والنحو والبلاغة أعمارهم في القرون الطويلة لوصف هندسة اللغة وتصميمها. في مبدأ التصميم الأمثل يُنظر:

Tanya Reinhart and Kriszta Szendroi: Optimal Design in Language - A research proposal, Submitted to NWO, Holland in Sept. 2003, pp : 1-14

ويُنظر أيضاً:

Géraldine Legendre, Michael T. Putnam, Henriëtte de Swart, Erin Zaroukian: Optimality-Theoretic Syntax, Semantics, and Pragmatics: From Uni- to Bidirectional Optimization, Oxford University Press, 2016

۴۴۴

مُتَقَابِلَانِ كَمَا تَقَابَلَ مَا بَعْدُهُمَا فِي الْآيَةِ نَفْسِهَا: ﴿وَنُفِزُ مَنْ نَشَاءُ وَنُزِّلُ مَنْ نَشَاءُ﴾ ﴿فَتَقَابُلُ الْفَاعِلَيْنِ قَرِينَةً عَلَى تَقَابُلِ مَعْنَى "الملك" واختلافيهما في القصد. فعندما اختلف المعنى والقصد واتحد اللفظ امتنع الإضمار؛ وتعين التكرار، لأمن اللبس^(١).

ومثل ذلك في قوله تعالى: ﴿وَأَتَقُوا يَوْمًا لَا تَجْرَى نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ [البقرة/٤٨] وكذلك في قوله تعالى: ﴿وَأَتَقُوا يَوْمًا لَا تَجْرَى نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ [البقرة/١٢٣]

وفي قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ تُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَتُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء/١١٥]، فمن لا يلقي بالأللاقات الكلم بعضها ببعض في الآية يحسب أن الهاء في [تبين له] يعود على الرسول أو على الأقل يحتمل مرجعين هما اسم الشرط الجازم [من] والرسول، معاً. وهذا أمر منفي قطعاً لأن توزيع الضمائر ليس محكوماً بقواعد التعليق والتركييب والتنظيم فقط، ولكنها مضبوطة بضابط أكبر وهو السياق الخارجي الذي يعين على فهم دلالة النص، ويدخل في السياق الخارجي أسباب النزول وواقع الحال والمقام...

وعليه، فالضمير في [له] يعود على اسم الشرط الجازم [من] والضمير المستتر في [يتبع] يعود أيضاً على [من] وليس على الرسول لأن الرسول صلى الله عليه وسلم مبلغ الهدى وحامله والعامل به والقُدوة فيه، والإسوة الحسنة فيه، فكيف يشاقق الرسول نفسه، والهاء في [نصليه] عوداً أيضاً على [من] ويربط جواب الشرط بأداته وعلى هذا المنوال يُقاس توزيع الضمير في النصوص البليغة الفصيحة، أولها القرآن الكريم ثم الحديث النبوي الصحيح، ثم الشعر العربي الفصيح الرصين قديمه وحديثه.

(١) البيان في روائع القرآن دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني، تمام حسان، ط. عالم الكتب، ٢٠٠٣م، ص: ١٣٩.

ومما يمكن أن يُعنى به نحو النص أيضاً فكرةُ تدخّل "مساقيات الكلام" - في النص الواحد - أو الانتقال من سياقٍ إلى آخر أو من "مقامٍ" إلى "مقامٍ"، وهي مسألةٌ تحتاج إلى عنايةٍ واهتمامٍ، ولا يخلو، إمّا أنّ تكونَ تلكَ المقاماتُ المتداخلةُ أو المُنتقلةُ من بعضها إلى بعضٍ، مُتقاربةٌ أو متوالدةٌ أو مُنتسبةٌ إلى حقلي واحدٍ.

وتتخذُ العلاقاتُ بين هذه المقاماتِ أو المساقيات أشكالَ دوائرٍ متداخلةٍ أو مُضمّني بعضها في بعضٍ فيكون منها السياقُ الأصغرُ ثم الأوسطُ ثم الأكبرُ^(١)، وإدراكُ العلاقاتِ بينها يحتاجُ إلى معرفةٍ بالروابط الدلالية والمنطقية التي تربطُ بينها، وهذا متيسّرٌ جداً في النصّ القرآني الذي يُعدُّ بحقٍّ مجمَعاً من المقاماتِ المتعالقةِ التي يكملُ بعضها بعضاً ويُفسّرُ بعضها بعضاً...

(١) لا شكَّ في أنّ السياقَ الأصغرَ أو المساقَ اللغوي للكلام يؤثّرُ في معرفة مقاصد الكلام ودلالاته البعيدة: التكرار عنصرٌ لغويٌّ من عناصر بناء السياق، وله صورٌ:

١- يتكرّر اللفظُ بذاته أو بأحد مشتقاته، مع اتّحاد دلّليّهما:

- سياق الفتنة: "أحسب الناس أن يقولوا آمناً وهم لا يفتنون. ولقد فتنا الذين من قبلهم".

- سياق التذكير: "وذكّر فإن الذكرى تنفع المؤمنين".

- سياق المصيبة ومَسّ القرع: "إن يمسسكُم قرعٌ فقد مسّ القوم قرعٌ مثله".

- سياق القبلة وتولية الوجه: "قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره وإن الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم وما الله بغافل عما يعملون ولئن أنبت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك وما أنت بتابع قبلتهم وما بعضهم بتابع قبلة بعض ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم إنك إذا لمن الظالمين"

- سياق التسخير بتكرار فعل "سخر لكم"

٢- يتكرّر اللفظُ بذاته أو بأحد مشتقاته، مع تقابل دلّليّهما:

- سياق الظن واليقين: "إنهم يرونه بعيداً ونراه قريباً"

- سياق الكيد والكيد المضاد "إنهم يكيّدون كيداً وكيّد كيداً"

- سياق المكر والمكر المضاد: "ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين"

ومن التكرار الالافى للنظر تكرر آية واحدة مراتٍ كثيرة، كقوله تعالى: ﴿وَبَآئِءَ آلَاءِ رَبِّكَ أَنْ تُكَذِّبَ﴾ [سورة الرحمن]، وقوله تعالى ﴿وَلَا يُؤْمِنُ إِلَّا الْمُكْرِبِينَ﴾ أو تكرر أداة من الأدوات الدالة على معنى مثل "أم"

وتَنَوُّعُ النصوص واختلافها تابعٌ لتنوُّعِ مقاماتِ الكلام وصادراً عنه؛ فلا يلتزم المتكلم دائماً بأصل وضع اللفظ، ولكنه يَبْنِي خطابَه بحسبِ المُناسباتِ، فيأتي بالقيود التي تُخْرِجُ الكلامَ عن أصل وضعه إلى ما يُناسبُ المقامَ، وهذا من ذكاءِ العربيَّةِ وشجاعتها.

وهنا صفةٌ أخرى متصلةٌ بتنوع النصوص لاختلافِ المقاماتِ؛ وهو "النصّ وسيرورة الدلالات"؛ فالمعنى الذي يُفِيده النصّ وهو قيد الإنتاج، لا يلبثُ أن يَحْتَفِي بِمُجَرَّدِ خُرُوجِهِ إلى التداولِ الثَّقافيِّ والابتدالِ الاجتماعيِّ والسياسيِّ، فتنشأ بهذا الخُروجِ وهذا التداولِ معانٍ ودلالاتٌ مُقَيَّدَةٌ بالسِّياقِ الجديد الذي يُنزلُ فيه النصّ. ويظلُّ النصّ تتلعبُ به الظروفُ السياقيةُ والمقاماتُ فتُخْرِجُه من معنى إلى معنى... ويُصبحُ النصّ وعاءً للتأويلاتِ المُختلفة، ويُعادُ بناءُ سياقه كلما انتقلَ من يدٍ إلى أخرى.

والخلاصةُ أنَّ النصوصَ تخضعُ لحركيةٍ دلاليةٍ لا تنتهي infinite semantic mobility^(١)

"نحو النصّ" وأعراف النصّ:

ومما يَدخلُ في عناية "نحو النصّ" أيضاً ما يُمكن أن نُسَمِّيَه بأعرافِ النصّ؛ فقبلَ الدخولِ في تأويلِ النصّ يتعيَّنُ الاطلاعُ على أسرارهِ اللفظيةِ والمعنويةِ والقصديةِ، وعلى رأسِ النصوصِ العربيَّةِ الفَصِيحَةِ النصّ القرآنيُّ وما يتصلُّ به من أعرافٍ نصِّيةٍ^(٢). ونحو

(١) يُنظرُ في بحثٍ للباحث اللساني التشيكي ميلان جانكوفيتش: جمالية السيرورة الدلالية، الذي ترجمته إلى الفرنسية كاترينا درسكوفا:

Milan Jankovič L'esthétique du processus sémantique; Tr. Kateřina Drsková. La linguistique 2014 / 2 Vol. 50

(٢) قال ابن القيم في "بدائع الفوائد" مُلَخَّصاً ذلك كُلَّهُ في عبارة "عُرف القرآن": "للقرآن عَرَفٌ خَاصٌّ وَمَعَانٍ مَعهودَةٌ لا يَناسِبُهُ تفسِيرُهُ بغيرها، ولا يَجوزُ تفسِيرُهُ بغير عَرَفِهِ والمعهود من معانيه، فإنَّ نسبةَ معانيه إلى المعاني كنسبة ألفاظه إلى الألفاظ، بل أعظمُ، فكما أن ألفاظه ملوكُ الألفاظ وأجلُّها وأفصحُها، ولها من الفصاحة أعلى مراتبها التي تعجَّرُ عنها قدر العالمين، فذلك معانيه أجلُّ المعاني وأعظمُها وأفخمُها، فلا يَجوزُ تفسِيرُهُ بغيرها من المعاني التي لا تليقُ به، بل غيرها أعظمُ منها وأجلُّ وأفخمُ، فلا يَجوزُ حملُهُ على المعاني القاصرة، بِمَجَرَّدِ الاحتمالِ النُحويِّ الإعرابيِّ، فتدبَّرْ هذه القاعدة، ولتَكُنْ منك على بال، فإنك تنتفعُ بها في معرفة ضعف كثير من أقوال المفسرين وزيْفها، وتقطعُ أنها ليست مُرادَ المتكلم تعالى بكلامه". شمس الدين ابن قيم الجوزية ت. ٧٥١هـ،

بدائع الفوائد، دار الكتاب العربي، بيروت، ج: ٣، ص: ٢٧

النص مدعو إلى الكشف عن أعراف النصوص وأماراتها المميّزة وخصائصها النظميّة، ومهاراتها في البيان والدلالة. فلكل نص أسلوب وضرب من النظم واتساق البناء.

ويتصل بعرف النص ما يعارضه، وهو مفهوم "مخالفة العرف" وهو من عيوب النص ومن خوارمه؛ كالإتيان بما ليس في العادة والطبع ومعهود الشعراء، وترك الاقتفاء لأثارهم^(١)، وكل ما خرج عن العرف أصبح مادةً لما أخذ العلماء على الشعراء.

أداة من أدوات نحو النص لاستخراج المعنى والوقوف على ذكاء العربية: "شرح النص بالنص":

لعل الذين تحدّثوا عن درجات التفسير قد أدركوا هذه الحقيقة وهم يؤولون خطة الفهم والإفهام، فقالوا: أعلى درجات التفسير المأثور؛ وهو تفسير القرآن بالقرآن وتفسير القرآن بالسنة وتفسير القرآن بأقوال الصحابة ثم من أخذوا عنهم. ففي تلك الطرق اتصال بالنص الكريم أو اتصال بمن اتصل به أو أعان على الاتصال به. وبعد هذا لا يعد ما يُقال تفسيراً إلا على جهة المجاز والقول بالرأي^(٢).

(١) من ذلك قول الشاعر المزار الفقعسي:

وخالي على خديك يبدو كأنه سنا البدر في دجاء بادِ دجونها

قال النقاد في إنكار هذا المعنى: "فالمُتعارَف أن الخيلان سود أو ما قاربها في ذلك اللون، والخدود الجسان إنما هي البيض، وبذلك تنعت، فأق هذا الشاعر بقلب المعنى": "الموشح في مأخذ العلماء على الشعراء، للمرزباني ت. ٣٨٤هـ، تحقيق علي محمد البجاوي، دار نهضة مصر، مط. لجنة البيان العربي، ١٩٦٥، ص: ٣٦٢.

(٢) ونحن نعلم أن كل من يتحدّث عن القرآن الكريم لن يسلم من إسقاط تجاربه وثقافته وأحواله الشعوريّة وأعراف قومه الاجتماعيّة، وهذه أمور تُخرج القرآن من كليته وتقطع منه ما بدا للناظر وتترك ما لم يبدُ، وما أكثر جهات النظم والبلاغة والسمو والإحاطة بالعلم التي لا تنتبه إليها ونحن نتحدّث عما نزعّم أنه تفسير للقرآن. ولكن القرآن الكريم يتفلّت من قابضه ويتمنّع ويأبى إلا أن يرجع إلى منازلته في الغلو بعد محاولتنا إنزاله إلى الأرض، ويظلّ مهيمناً على كل فهم وكلّ نظم وكلّ نهج للكشف والبيان.

والنصُّ البليغُ يشرح نفسه لأنَّ له فروعاً من النصوص ذات الصلة به تُحيط به وتدلُّ عليه وتُحِيلُ إليه، وذلك كقصائد الشاعر الواحد يُقرَّبُ بعضها من بعض في فهم الأسلوب والنظم والمعنى، وكأنَّ نصوصَ شعرِ الشاعر يكمل بعضها بعضاً ويُيسِّرُ الوصولَ إليه. وهي في جملتها أشعارٌ تجري في عودها ماءً واحد وتحنو نحواً قريباً وتُبنى بناءً متشابهاً، يصدق ذلك على شعرِ امرئ القيس ولبيد وطرفة وعبد بن الطبيب وعنترة العبسي، وجريروالفرزدق وأبي تمام والبُحتري والمتنبي، وتستمرُّ القائمة في الطول، في تكاثر النماذج مُراعى فيها اختلاف الزمان والمكان والمقام وتطور دلالات الألفاظ والصور المجازية والاستعارية، وكلُّ ما يُصطلح عليه بعرف النص في زمانه ومكانه وسياقه.

كثرة القيود واستيفاء المعنى، في نحو النص:

يُسْتَوْفَى المعنى بكثرة القيود والتفريعات التي يُؤقُّ بها في الكلام؛ لأنَّ قيودَ النصِّ وسيلةٌ من وسائلِ تمديده وتشعيبه، ألفاظاً ومعاني. ومن القيود حروف الجرِّ وما تنزَّل منزلتها في الوظيفة من ظروفٍ وتوابعٍ وأحوالٍ؛ فحروف الجرِّ في اللغة العربية ذات أسرارٍ عظيمةٍ في توجيه المعاني وتشعيب المسالك وتمديد النصوص وتَفْرِيعِ جهات القول وتفصيل دقائق الكلام، فهي قيودٌ على إطلاقِ الحدث الذي في الأفعال أو ما يشبه الأفعال. ولها أهميةٌ عظيمةٌ في تصحيح دلالة التركيب، ويسقط التركيب بسقوط القيود^(١):

(١) من الأمثلة على أهمية القيد الحاسمة وروده بعد النهي:

- فقد يكون قيداً للفعل كما في قول القائل: لا تُصَلِّ إِذَا كُنْتَ مُحْدِثاً، ولا تُسَقِّ السَّيَّارَةَ إِذَا غَلَبَكَ النُّومُ.
- وقد يكون قيداً لترك الفعل، كما في قولنا: لا تُبَالِغْ في الاختصار إن أردت سهولة الإفهام
- أما قوله تعالى: "لا تقربوا الصلاة وأتمموا سكارى حتى تعلموا ما تقولون" فالخطاب فيه للمؤمنين، في مرحلة لم يُحرَّم فيها الخمر مرةً واحدةً، بل نزل التحريم متدرجاً.
- وعلى كلِّ حال لا يستقيم البتة إسقاط القيد ولو كان حالاً أو جملةً حاليةً، لأنَّ المعنى من غير قيدٍ يَنقُصُ؛ لأنَّ القيد وإن كان فضلةً وتكملةً من حيث النحو والتركيب، فهو عمدة في البناء المنطقي للمعنى

انظر على سبيل المثال قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِّنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩]: هذه آية واحدة؛ والآية الواحدة يُمكنُ عُدُّها نصاً أو مقطّعا نصياً، فقد اجتمع في هذه الآية الواحدة ثمانية حروف جرٍّ، منها ما تكرر ومنها ما لم يكرر. ولو تأملت مواضع هذه الحروف ووظائفها ودلالاتها لوجدتها أولاً قد قيّدت الأفعال وأخرجتها من إطلاقها وأحدثت فيها شعباً ومسالكاً وطُرُقاً فرعيةً بها تُدرَك دقائق المعاني، فلا شك أن بين قولك: "نُبعثُ شهيداً" وبين قوله تعالى "نُبعث في كل أمة شهيداً عليهم من أنفسهم" فرقاً واختلافاً؛ فقد أخرج الفعل "نُبعث" من إطلاقه وقيدَ بمكان اختيار المبعوث، وأخرجت الصفة المشبهة "شهيد" من إطلاقها إلى تخصيص بمن سيقع عليهم الإسهاد وتبيين من سينتقى منهم الشهداء... ثم يأتي الفعل الثاني "جئنا" لكي يُقيّد بباء التعدية... ثم الفعل "نزلنا" ثم المصدر "تبيان" و"هدى".

ومن وظائف قيود النص في نحو النص: تقييد الإسناد:

أولاً: الإسناد: بابُ المسندِ والمسندِ إليه في النحورأس أبواب التركيب وأول مظنة لعدّة بناء الكلام. وقد صدرَ أغلبُ النحاة - وعلى رأسهم سيبويه - أبواب النحويّة جامعةً ثابتة هي أصلُ وضعِ التركيب، ثم خرجوا عليها صوراً متفرعةً بالقيود على الإسناد هي الوجوه المستعملة، وذكروا شروطاً لبناء الكلام.

فأما الصورة الجامعة المجردة ففي قول سيبويه: «هذا باب المُسندِ والمُسندِ إليه، وهما ما لا يغني واحدٌ منهما عن الآخر ولا يجد المتكلم منه بداً»^(١). وأما الصور المتخرجة فبدلٌ عليها قوله: «[...] ومما يكون بمنزلة الابتداء قولك: كان عبد الله مُنطلقاً، وليت زيدا مُنطلقاً؛ لأن هذا يحتاج إلى ما بعده كاحتياج المُبتدأ إلى ما بعده [...] وأعلم أن الاسم أول أحواله الابتداء، وإنما يدخل الناصب والرافع سوى الابتداء والجار على المُبتدأ. ألا ترى أن ما كان مُبتدأً تدخل عليه هذه الأشياء حتى يكون غير مُبتدأ، ولا تصل إلى الابتداء ما دام ما ذكرت لك إلا أن تدعه»^(٢). فدل ذلك على أن جملة الابتداء بناءً عميقٌ يتركب في الأصل مُجرداً قبل أن تدخل عليه دواخل من العوامل الناسخة أو من الأدوات الدالة على معنى أو من الفيود المُشكلة للفروع^(٣).

(١) الكتاب، سيبويه: ٢٣/١. قال سيبويه: "هذا باب المُسندِ والمُسندِ إليه، وهما ما لا يغني واحد منهما عن الآخر ويجوز: ما لا يغني، ولا يجد المتكلم منه بداً. فمن ذلك الاسم المُبتدأ والمبني عليه. وهو قولك: عبد الله أخوك، وهذا أخوك. ومثل ذلك: يذهب عبد الله، فلا بد للفعل من الاسم كما لم يكن للاسم الأول بد من الآخر في الابتداء" الكتاب. وقال الخليل: "الكلام سَنَدٌ ومُسندٌ كقولك: عبد الله رجلٌ صالحٌ، فعبد الله سَنَدٌ ورجلٌ صالحٌ مُسندٌ إليه" العين: الخليل بن أحمد الفراهيدي ت. ١٧٠هـ، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، نشر دار ومكتبة الهلال، القاهرة، ج: ٧، ص: ٢٢٩.

اختلاف الاصطلاح بين الخليل وسيبويه له اعتبار، فالخليل يجعل السند مُعتمدًا أُسندَ غيره إليه وجعل له مُتكاملاً ومُلجاً ومُرجعاً، ويجعل المُسند إليه مُعتمدًا ومُسندًا إلى ذلك السند. والضمير في إليه يعود على المُسند أي على السند.

ولسيبويه طريقة أخرى في فهم مصطلح الخليل والتصرف فيه: فسيبويه يجعل المُخبر به أو الفعل مُستنداً مُعتمدًا مُفتقراً مُبنيًا على غيره، ويجعل المُخبر عنه مُعتمدًا مُخبراً عنه مُسنداً إليه الحُكم أو الفعل. أما قول الشاعر:

يَا دَارَ مَيْمَةٍ بِالْعِلْيَاءِ فَالسَّنَدُ أَقْوَتْ وَطَالَ عَلَيْهَا سَالِفُ الْأَمَدِ

فالسند اسم مكان والعلياء أيضاً.

(٢) نفسه: ج: ١، ص: ١٢٨.

(٣) بنية الإسناد إلى الفاعل في اللغة العربية، دراسة تركيبية، عبد الرحمن بودرع، بحث منشور في مجلة مجمع اللغة العربية على الشبكة العالمية، السنة ٣، العدد ٨، ذوالقعدة ١٤٣٦ / أغسطس ٢٠١٥، ص: ٤٣-٩٢.

فكلّما تفرّع المعنى وتعدّدت شُعْبُهُ ومسالْكُهُ، احتيجَ لبيان ذلك إلى قيودٍ تركيبيةٍ على الإسنادِ تكونُ مُطابِقةً للتفريع الدلالي؛ فيتفرّع الإسنادُ وتتشعّب العواملُ والمعمولاتُ في التركيب، وقد يطولُ الكلامُ ويبتعدُ صدره عن عجزه، فتتعدّد وسائل ربط آخره بأوله، وتُقاسُ قدرة التركيب على التفريع والتّمديد بقدرة العامل الرئيس أو صدر التركيب على التأثير في معمولاته.

من الشواهد على طول الجُمَلِ والتراكيب، ممّا يحتاجُ إلى عنايةٍ كبيرةٍ بالروابط ومراقبةٍ لوصول العواملِ إلى معمولاتها قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُؤًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكَفَّارَ أَوْلِيَاءَ﴾ [المائدة: ٥٧]. تُعدُّ هذه الجُملة الطويلة ذات الفروع الإسنادية الكثيرة تفصيلاً واستنفاً وتأكيذاً لمضمون معنى آية سبقتها: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ﴾ [المائدة: ٥١]. ولَمَّا كَانَ مَعْنَى الْآيَةِ تَحْذِيرَ الْمُسْلِمِينَ مِنْ مُوَالَاةِ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْكَفَّارِ فَقَدْ جَاءَتْ مُفَصَّلَةً، واقتضى تعليلٌ موجبُ النهي أن يُعَدَلَ عن اسم المحذَرِ منهم إلى ذكر صفاتهم وأفعالهم (الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُؤًا وَلَعِبًا) التي بسببها حُذِرَ المسلمون من موالاتهم وهي النّيل من دينهم الذي هو عصمة أمرهم، فعُدَلَ عن أسلوب التصريح بهم إلى أسلوب الموصول والصلة.

نَعُودُ إِلَى الْآيَةِ، للتعرف إلى مفاصلها التركيبية وعلاقات أجزائها بعضها ببعض؛ فالآية عبارة عن جملة مؤلّفة من فعل وفاعل (لَا تَتَّخِذُوا) ومفعول أول (اسم الموصول وصلته) ومفعول ثانٍ (أولياء) وقد اجتمعت الكثافة الدلالية في الموصول وصلته، ولم تمنعه المفعولية أن يكون بؤرة في الكلام مُفَصَّلًا فيه لأن فهم النهي يتوقّف على معرفة المنهَى وهو المفعول الأول المُفَصَّل، ثُمَّ المنهَى عنه وهو المفعول الثاني: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُؤًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكَفَّارَ أَوْلِيَاءَ﴾ [المائدة: ٥٧]

[ف] + [فا] + [مف ١] (صلة الموصول): ف + فا + مف ١ + مف ٢ + مُركَّب عَطْفِي + مُركَّب وَصْفِي + مُركَّب ظَرْفِي + [مف ٢]

يُعَدُّ المفعولُ الأولُ مَرَكَزَ الثقلِ الدَّلاليِّ لأنَّ عناصرَ المعنى اقتضتْ تمديدَ بنية هذا "المَرَكزِ" وذكرَ التفاصيل؛ وهذا المَرَكزُ (المفعولُ الأولُ) وإنْ كانَ في التركيبِ مُنَزَلاً منزلةَ أركانِ الجملةِ وهي الفعلُ والفاعلُ والمفعولُ الثاني، يستأثِرُ دونَ بقيةِ الأركانِ بالتفريعِ التركيبيِّ المُفَصَّلِ تبعاً لمطالبِ المعنى المُفَصَّلِ. ويُمكنُ أنْ تتصوَّرَ في ذيلِ هذا التحليلِ رسماً بيانياً شجرياً لهذه الآية الطويلة، يوضحُ مفاصلَ التركيبِ^(١).

نص ثانٍ:

مِمَّا وَرَدَ فِي الإِصْلَاحِ بَيْنَ سُبَيْعِ بْنِ الْحَارِثِ وَمِثْمِ بْنِ مُثَوِّبٍ [منذ أكثر من ثمانين سنة قبل الهجرة]، فِي مُخَاصَمَةٍ تَنَازَعَا فِيهَا الشَّرَفَ حَتَّى تَشَاحَنَا وَخِيفَ أَنْ يَقَعَ بَيْنَ حَيَّيْهِمَا شَرٌّ، وَقَدْ دَعَاهُمَا مَرْتَدُّ الْخَيْرِ إِلَى مَجْلِسِهِ لِإِصْلَاحِ ذَاتِ الْبَيْنِ، قَالَ: "...فَتَلَاَفِيَا أَمْرَكُمَا قَبْلَ اتِّكَاثِ الْعَهْدِ وَانْخِلَالِ الْعَقْدِ وَتَشَتُّبِ الْأُلْفَةِ وَتَبَايُنِ السُّهُمَةِ"

النص بتمامه (مقام الخطبة وسياقها): "سُبَيْعُ بْنُ الْحَارِثِ أَخُو عَلَيسٍ وَمِثْمُ بْنُ مُثَوِّبِ ابْنِ ذِي رَعِينٍ تَنَازَعَا الشَّرَفَ حَتَّى تَشَاحَنَا وَخِيفَ أَنْ يَقَعَ بَيْنَ حَيَّيْهِمَا شَرٌّ فَرَفِيتَانِي جَذْمَاهُمَا؛ فَبَعَثَ إِلَيْهِمَا مَرْتَدُّ فَاخْضَرَهُمَا لِيُصْلِحَ بَيْنَهُمَا، فَقَالَ لَهُمَا: "إِنَّ التَّخْبِطَ وَامْتِطَاءَ الْهَجَاجِ، وَاسْتِحْقَابَ اللَّجَاجِ، سَيَقِفُكُمَا عَلَى شَفَا هُوَةٍ فِي تَوَرُّدِهَا بَوَارِ الْأُصِيلَةِ، وَانْقِطَاعِ الْوَسِيلَةِ؛ فَتَلَاَفِيَا أَمْرَكُمَا قَبْلَ اتِّكَاثِ الْعَهْدِ، وَانْخِلَالِ الْعَقْدِ، وَتَشَتُّبِ الْأُلْفَةِ، وَتَبَايُنِ السُّهُمَةِ، وَأَنْتَمَا فِي فُسْحَةٍ رَافِهِةٍ، وَقَدَمٍ وَاطِدَةٍ، وَالْمَوَدَّةِ مُثْرِيَةٍ، وَالْبُقْيَا مُعْرِضَةٍ؛ فَقَدْ عَرَفْتُمْ أَنْبَاءَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ مِنَ الْعَرَبِ مِمَّنْ عَصَى النَّصِيحَ، وَخَالَفَ الرَّشِيدَ، وَأَصْغَى إِلَى التَّقَاطُعِ؛ وَرَأَيْتُمْ مَا آلَتْ إِلَيْهِ عَوَاقِبُ سُوءِ سَعْيِهِمْ، وَكَيْفَ كَانَ

(١) يُمكنُ تحوِيلُ بنيةِ الإسنادِ المُقَيَّدِ بالتفريعِ إلى رَسَمِ يوضحُ شبكةَ بنيةِ الجملةِ ومنزلةَ كلِّ مُؤَلِّفٍ من مؤلفاتها في الهَيْكَلِ العامِّ سواءَ أَكانَ المُؤَلِّفُ رُكْناً إسنادياً أو فرعاً على الركنِ الإسناديِّ أو فرعاً على الفرعِ أو دونَ ذلك. وهذه طريقةٌ في تصوُّرِ بنياتِ الجملِ والتراكيبِ وأبعادِها تختلفُ عن طريقةِ التَّصوُّرِ الخَطِّيِّ السطحيِّ التي لا تُظهِرُ الجُمْلَةَ إلا متواليَّةً من الكَلِمِ.

صَيُورُ أُمُورِهِمْ، فَتَلَاَفُوا الْقَرَحَةَ قَبْلَ تَفَاقُمِ الثَّأْيِ وَاسْتَفْحَالِ الدَّاءِ وَإِعْوَازِ الدَّوَاءِ، فَإِنَّهُ إِذَا سُوِّكَتِ الدَّمَاءُ اسْتَحْكَمَتِ الشَّحْنَاءُ، وَإِذَا اسْتَحْكَمَتِ الشَّحْنَاءُ تَقْضَبَتْ عُرى الإِبْقَاءِ وَشَمِلَ الْبِلَاءُ"^(١)

كلمات النصّ تنتظمها تراكيب منظومةً بنظامٍ عاملي ونسيجٍ دلاليّ، وتتوزّع ضمائر النصّ ومراجعها توزيعاً يضبطه السياق السردّي وخلفية قصد المتكلم وفهم المخاطبين، فإنهم لا تخطئهم سهام الدلالات ولا يلتبس عليهم معنى: سيقفكما: ضمير الفاعلية يجتمع في التخبُّط والامتطاء والاستحقاب، وضمير المفعولية يُخاطب به سبيّع وميثم، وهما غير مذكورين في الكلام ولكنّ مقام الخطاب ساقهما. / توردها: ضمير الغائبة يعود على متقدّم في الكلام: الهوة. / فتلافيهاها: الفاعل سبيّع وميثم، مخاطبان غير مذكورين في الكلام ولكنّ مقام الخطاب ساقهما، وضمير المفعولية سبق ذكره في مساق الكلام وهي مجتمعة في قوله: بوار الأصيلّة وانقطاع الوسيلة... وفي حركة النصّ تفصيل يُفيد عطف جملة على جملة، ولفظ على لفظ، ثمّ إجمالاً يُختصر فيه المفصل (سيقفكما - فتلافيهاها).

ويمكن أيضاً أن تصوّر هنا، في ذيل هذا التحليل المفصل إلى وسوم صرفية وتركيبية ومعجمية، رسماً بيانياً شجرياً لهذه الخطبة، يوضّح مفاصل التركيب^(٢).

(١) الأمالي، أبو علي القالي، ت. ٣٥٦هـ، عُني بوضعها وترتيبها: محمد عبد الجواد الأصمعي، نشر دار الكتب المصرية، ط. ٢، ١٣٤٤هـ - ١٩٢٦م، ج: ١، ص: ٩٢.

(٢) النصّ خزنةٌ وسوم Markers: تُوزّع الوسوم على الكلّم وفق نظام ضابطٍ يضمن توازناً بين الأصوات والأبنية المناسبة والمداخل المعجمية المناسبة، والروابط التركيبية والإسنادية المناسبة لوحدة النصّ، ويتحكّم في اختيار الكلّم ووسومها المختلفة مقاصد المتكلم وحاجة المخاطب إلى تحقيق أفق انتظاره، فالنصّ كتلة ضخمة من العلامات والوسوم الموزعة وفق هندسة بدعية. في موضوع الوسوم، وسوم الخطاب اللغوي يُنظر بحث أنسكومبر، خاصة في حديثه عن وظائف الوسم الخطابي والوسم التركيبي وغيرهما:

Jean-Claude Anscombre: Les marqueurs de discours Une catégorie linguistique ?

SCOLIA, Revue Linguistique, N°38, 2024, p:11-34

ثانياً : مفهوم "الإسناد النَّصِّي" :

يُمْكِنُ أَنْ نَسْمِيَ نَظْمَ النَّصِّ وَتَمَاسُكَ أَطْرَافِهِ وَانْسِجَامَ مَعَانِيهِ "بِالإِسْنَادِ النَّصِّيِّ" فِي مَقَابِلِ الإِسْنَادِ الْجُمْلِيِّ الَّذِي يَتَحَقَّقُ بِرُكْنَيْ المُسْنَدِ وَالْمُسْنَدِ إِلَيْهِ، غَيْرَ أَنَّ الإِسْنَادَ النَّصِّيَّ لَا يَنْحَصِرُ فِي حُدُودِ الإِسْنَادِ الْجُمْلِيِّ الْمَأْلُوفِ، وَلَكِنَّهُ تَتَعَدَّدُ أَنْوَاعُهُ بِتَعَدُّدِ عِلَاقَاتِ الإِسْنَادِ بَيْنَ جُمْلِهِ، وَيَزِيدُ الإِسْنَادُ النَّصِّيُّ عَلَى الْجُمْلِيِّ بِأَنَّ عِلَاقَاتِ الإِسْنَادِ الْمُتَعَدِّدَةِ تَجْتَمِعُ عِنْدَ نَوَاقِ دَلَالِيَّةٍ وَاحِدَةٍ هِيَ الَّتِي تَوَزَّعَ الْعِلَاقَاتُ النَّحْوِيَّةُ عَلَى النَّصِّ كُلِّهِ وَتَجْعَلُهَا تَسِيرُ نَحْوَ خُطٍّ وَاحِدٍ يَنْتَظِمُهَا وَيُضَمِّنُ لِلنَّصِّ كُلِّهِ وَحْدَتَهُ النَّحْوِيَّةَ^(١).

فَالِإِسْنَادُ النَّصِّيُّ ضَرْبٌ مِنَ الْعِلْمِ - إِذَا أَخَذْنَا بِمَقَايِيسِ عَبْدِ الْقَاهِرِ النَّظْمِيَّةِ -؛ فَقَدْ جَعَلَ نَظْمَ الْكَلِمَاتِ الَّتِي يَهَيَّئُهَا "النَّصُّ" عِلْماً وَأَصْلاً مِنَ الْأَصُولِ^(٢). فَمَبْنَى النَّصِّ عَلَى اثْتِلَافِ أَفْرَادِهِ وَأَدَوَاتِهِ وَتَضَامُّهَا عَلَى نَسَقٍ مَخْصُوصٍ، وَمَبْنَى "نَحْوِ النَّصِّ" عَلَى الْعِلْمِ بِاثْتِلَافِ أَفْرَادِ النَّصِّ وَأَدَوَاتِهِ.

أَمَّا الإِسْنَادُ فِي النَّصِّ فَهُوَ إِسْنَادٌ أَكْبَرُ؛ لَا يَقِفُ عِنْدَ عِلَاقَةٍ إِسْنَادِيَّةٍ جُمْلِيَّةٍ وَاحِدَةٍ، وَلَكِنَّ لَهُ أَبْعَاداً تَرْكِيبِيَّةً يُمْكِنُ تَسْمِيَّتُهَا بِالشَّبَكَةِ الإِسْنَادِيَّةِ. وَهَذِهِ الشَّبَكَةُ مَرْكَبَةٌ مِنْ

(١) يُلَاحَظُ تَرَدُّدُ النِّوَاةِ الدَّلَالِيَّةِ وَتَكَرُّرُهَا فِي النُّصُوصِ الْمُتَشَابِهَةِ أَوِ الَّتِي لَهَا طَرُقٌ مُتَعَدِّدَةٌ، كَكَثِيرٍ مِنَ الْأَحَادِيثِ النَّبَوِيَّةِ الَّتِي رُوِيََتْ مِنْ طَرُقٍ مُتَعَدِّدَةٍ وَبَصِيغٍ لَفْظِيَّةٍ فِيهَا اخْتِلَافٌ؛ كَحَدِيثٍ: لَوْلَا أَنَّ قَوْمَكَ حَدِيثُو عَهْدِ بَجَاهِلِيَّةٍ...:

- لَوْلَا أَنَّ قَوْمَكَ حَدِيثُو عَهْدِ بَجَاهِلِيَّةٍ لَأَمَرْتُ بِالْبَيْتِ فَهَدِمَ فَأَدْخَلْتُ فِيهِ مَا أَخْرَجَ مِنْهُ...

- لَوْلَا أَنَّ قَوْمَكَ حَدِيثُ عَهْدٍ بِكَفْرِ لَأَنْفَقْتُ كَنْزَ الْكَعْبَةِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَجَعَلْتُ بَابَهَا بِالْأَرْضِ

- لَوْلَا أَنَّ قَوْمَكَ حَدِيثُ عَهْدِهِمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَأَخَافُ أَنْ تُنْكَرَهُ قُلُوبُهُمْ لَنَظَرْتُ أَنْ أَدْخِلَ الْجَذْرَ فِي الْبَيْتِ، وَأَنْ أُلْزِقَ بَابَهُ بِالْأَرْضِ.

- لَوْلَا أَنَّ النَّاسَ حَدِيثُ عَهْدِهِمْ بِكَفْرِ، وَلَيْسَ عِنْدِي مِنَ النَّفَقَةِ مَا يَقْوِي عَلَى بَنَائِهِ، لَكُنْتُ أَدْخَلْتُ فِيهِ مِنَ الْجُحْرِ خَمْسَ أَذْنَعٍ... فَأَنَا الْيَوْمَ أَجِدُ مَا أَنْفَقْتُ، وَلَيْسَتْ أَخَافُ النَّاسَ.

(٢) "إِعْلَمُ أَنَّ هُنَا أَصْلاً... وَهُوَ أَنَّ الْأَلْفَاظَ الْمُفْرَدَةَ الَّتِي هِيَ أَوْضَاعُ اللُّغَةِ، لَمْ تَوْضَعْ لِتُعَرَّفَ مَعَانِيهَا فِي أَنْفُسِهَا، وَلَكِنْ لِأَنَّ يُضَمَّ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ، فَيُعَرَّفَ فِيمَا بَيْنَهُمَا قَوَائِدُ. وَهَذَا عِلْمٌ شَرِيفٌ، وَأَصْلٌ عَظِيمٌ" دَلَالِلُ الْإِعْجَازِ، عَبْدِ الْقَاهِرِ الْجُرْجَانِي ت. ٤٧١هـ، تَح. مُحَمَّدُ شَاكِر، مَطْبَعَةُ الْمَدِينِ بِالْقَاهِرَةِ، دَارُ الْمَدِينِ بِجَدَّة، ط. ٣، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م، ص: ٥٣٩.

"أسانيد" الجُمَل التي يتألف منها النَّص، ولكنَّ بين الجُمَل أدواتٍ وروابطٍ تفرضُها فكرةُ النصِّ ومضمونُه الجامعُ، لكنَّ الرِّبطَ بين أجزاء النصِّ شرطٌ في قيام الإسناد النصي، سواء أكانت الروابط لفظيةً تتحقق في الأدوات وحروف المعاني^(١) أم كانت ذهنيةً مُتصوِّرةً تؤدي وظيفةَ الرِّبطِ بقرينةٍ عقليةٍ معنويةٍ، ولولا الروابط اللفظية والمعنوية لما حصلنا على وحدة متماسكة منسجمة هي النص. فالإسناد النصي مُركَّبٌ من "أسانيد" الجُمَلِ ومُستخلصٌ من مجموعها المترابط. ولا تُدرِكُ العَلاقةُ الإسناديةُ النصيةُ الكبرى إلا بعد استيفاءِ تأليفِ النَّصِّ أو كتابته أو قراءته أو سماعه، فالنَّوأة التي تختصُّ فيها علاقاتُ ترابط الكلم، وعلاقاتُ تناسُقِ المعاني، وأدواتُ التعليق، مرجعٌ أكبر لتفسير "إسناد النص"، وإذا فُكَّت هذه العناصرُ المترابطةُ المؤلَّفةُ لمجموع النَّصِّ، استحالت إلى ألفاظٍ معجميةٍ وكلماتٍ نحويةٍ وروابطٍ وأدواتٍ، وشبكةٍ نسيجيةٍ تتولَّى دَقَّةُ التوزيع. وهذه صفةٌ علاقيةٌ تطبِّع مفرداتِ النَّصِّ وأحاده فلا يتخلَّفُ عنصرٌ ولا يتفرَّدُ خارجُ الشبكةِ العلاقيةِ

ومن خصائص الإسنادِ النَّصي في الكلمة المفردة: أنَّ الكلمة النصية الفصيحة كائنٌ متعدد الأبعاد:

فالكلمةُ نَوأةٌ معجميةٌ تركيبيةٌ دلاليةٌ تحملُ تركيبها في صلبها بالقوَّة، وتتضمَّنُ عناصرَ نظمها، ثُمَّ يتحقَّقُ ذلك بدخولها في سياق الكلام. وهذا بابٌ واسعُ العلم به علمُ بشجاعة العربية وذكائها، لأنَّه مبنيٌّ على أنَّ الألفاظَ المفردة التي هي أوضاعُ اللُّغة، لم توضعْ لِتُعرفَ معانيها في أنفسِها، ولكنَّ لأنَّ يَضُمَّ بعضها إلى بعض، لتُصبحَ في مجموعها نصاً قائماً بذاته.

(١) حُرُوفُ الْمَعَانِي أُمُّ الْبَابِ فِي الرِّبْطِ بَيْنَ أَجْزَاءِ النَّصِّ، وتأتي روابطُ أخرى بعد ذلك كالضمائر والإشارة والموصول والمبهمات... أحصاها أحمد الماقي فبلَّغَ بها خمسةً وتسعين حرفاً، وقال عنها: "الحُرُوفُ أَكْثَرُ دَوْرًا، وَمَعَانِي مُعْظَمُهَا أَشَدُّ غَوْرًا، وَتَرْكِيبُ أَكْثَرِ الْكَلَامِ عَلَيْهَا، وَرُجُوعُهُ فِي قَوَائِدِهِ إِلَيْهَا". انظر: رصف المباني في شرح حُرُوفِ الْمَعَانِي، تحقيق أحمد محمد الخراط، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، ص: ٢.

والكلمة النصية الفصيحة، القرآنية ثم الحديثية ثم الشعرية وغيرها... كأنْ متعدد الأبعاد تستطيع أن تراها من كلِّ جهة، إن ربطتها بكل ما يتصلُّ بها من كلمات أو جمل أو آيات في القرآن الكريم كله، توافُقاً في المعنى، أو تقابلاً وتضاداً، أو تفصيلاً إن كانت مُجملة الدلالة، أو تقييداً إن كانت مُطلقة، أو جمعاً لها مع أخواتها في الحقل الدلالي وحقل أسباب التنزيل... فكأنها ظاهرة فيزيائية تسبح في الفضاء وتدورُ ببطء فتظهرُ منها جميع النواحي.

وبهذا المنطق تأبى الكلمُ القرآنية والعباراتُ القرآنية والآياتُ والسورُ أن تستمدَّ تأويلها من خارج نَسَقها (إلا إذا تعلَّق الأمرُ بشرح كلمة مفردة بشاهد شعري من الشعر الجاهلي مثلاً)؛ فالكلمة والعبارة والآية والسورة... مشتبكةٌ مُرتبطةٌ بروابط موضوعية ولفظية، في اتجاهات أفقية وعمودية وعمقية وروابط متشعبة...

لنأخذ فعل "نَزَلَ": لنأخذ فعل "نَزَلَ" ونستعرض مَخارجَه النحويَّة والصرفيَّة والمعجميَّة:

- **الفعلُ أو الحَدَث:** أصلُ الفعل "نَزَلَ" + "إفادة تتابع الحَدَث وتكرُّره" / - **الفاعلُ المُطَاوَعُ:** "الوحي أو الغيث أو الرحمة" / - **الفاعلُ المؤثِّر:** المُنَزَّلُ / - **المفعولُ:** المُنَزَّلُ / - **المعنى:** بالتنزيل أو المُنَزَّلُ إليه / - **القصدُ من التَّنْزِيلِ** / - **مَكَانُ التَّنْزِيلِ** / - **زَمَانُ التَّنْزِيلِ** / - **صفاتُ المُنَزَّلِ أو المُنَزَّلِ إليه أو التَّنْزِيلِ** / أو الحالُ منه...

هذه السماتُ أو الخصائصُ الدلاليةُ وغيرها، تنقَدُحُ في الذَّهْنِ بمجردَ سَماعِ الفعلِ، لأنَّ الفعلَ يتضمَّنُها ويستدعيها عند نَظْمِه في تركيب؛ وفيه دليلٌ على هذه الأشياءِ، كما قال المبرِّدُ في المقتضب: "كلُّ فعلٍ تَعَدَّى أو لم يَتَعَدَّ فهو مُتَعَدِّ إلى اسم الزمان، واسم المكان والمصدر، والحال، وذلك قولك: قام عبد الله ضاحكاً يومَ الجمعة عندك قياماً حسناً؛ وذلك أن فيه دليلاً على هذه الأشياء" (١). ثم قال: "اعلم أن كلَّ فعلٍ تَعَدَّى، أو لم يَتَعَدَّ

(١) المقتضب، محمد بن يزيد المبرد ت. ٢٨٥هـ، تحقيق: محمد عبد الخالق عزيمة، نشر عالم الكتب.

فإنه متعد إلى ثلاثة أشياء: إلى المصدر؛ لأنه منه مشتق وعليه يدل، وذلك قولك قُمت قياماً وقَعَدت قعوداً لأنك... ذكرت أنك قد فعلت القيام فهو لازم للفعل. وإذا قلت قُمت لم تدل على مفعول فلذلك لم يتعد. ألا ترى أنك تقول ضربت فتدل على أن لفعلك من قد وقع به فلذلك تعدى إلى مفعول. فالفعل لا يتعدى إلا بما فيه من الدلالة عليه. فكل فعل لا يخلو من مصدره.

ويُلي المصدر الزمان؛ فكل فعل يتعدى إلى الزمان وذلك أنك إذا قلت قُمت دللت على أن فعلك فيما مضى من الدهر... فالفعل إنما هو مبني للدهر بمثلته.

والمكان لا يخلو فعل منه وهو أبعد الثلاثة لأن الفعل ليس مبني من لفظه ولا للمكان ماض ومستقبل. فإن كان المكان ممّا لا يخلو الحدث منه حصره حصر الزمان وتعدى الفعل إليه، وإن كان المكان مخصوصاً لم يتعد إلى غيره إلا كما يتعدى إلى زيد وعمر. فأما المكان الذي لا ينفك الحدث منه فنحو جلست مجلساً وقمت مكاناً صالحاً لأنه لا يقوم إلا في مكان^(١).

خلاصة البحث: إن مفهوم "نحو النص" مقارنةً جديدةً لفهم شجاعة العربية، وأداة مقترحة من بين أدوات استخراج خصائص حكماتها وذكائها، ونظرية تجمع علومها في علم واحد ومعارف في بناء واحد. فهو مركّب من معارف متناسبة تُساعد على اكتشاف أسرار العربية ومهاراتها، ولا يصح أن تنعت هذه المهارات إلا بأوصاف تُسند وعِلل تُعلّل بها الأحكام، وهي كثيرة ذات طبائع مختلفة بعضها صرفي وبعضها تركيبّي وبعضها بلاغيّ مقاميّ. وقد عرّض هذا البحث من تلك المهارات ما يستطيع "نحو النص" أن يستوعبه منها ويستخرجّه ويُحيّط به وسائله وأدواته النحويّة والبلاغيّة والمقاميّة. وإن خصائص الشجاعة والحكمة لتوجد في تأليف المتفرقات، وجمع أشتاتها، وفي عناصر التأليف وطرقه ذاتها، وهذا من اختصاص نحو شامل ذي قدرة على وصف ملكة اللغة وكفاية متكلميها الفُصحاء النحويّة والدلاليّة والتداوليّة، ولذلك سعى

(١) المقتضب، ج: ٤، ص: ٣٣٥-٣٣٦

البحثُ إلى استخراجِ خصائصِ هذا النّحو؛ لأنّه يصفُ تلكَ الكفاياتِ اللغويّةَ الذّكيّةَ ويُفسّرها، ويُستعانُ به على استكشافِ وجوهِ شجاعةِ اللّغةِ وذكاؤها الطّبيعيّ، بوصفه نَحْواً متكاملًا يحاكي أنساقَ اللّغةِ الدّاخليةِ.

ومن خصائص "نحو النصّ" المعايير السبعة المشهورة، بما هي شروطٌ لتحقيقِ نصيّةِ النصّ، ومنها قُدْرَتُهُ على صَوْغِ بنيةٍ ذهنيّةٍ على هيئةِ أَعَارِيبَ وتقديرَاتٍ وأقيسةٍ، يُتوسَّلُ بها لبلوغِ معاني النصّ، ومنها شَرْطُ الخُلُوءِ من خَوَارِمِ النصيّةِ، أو "ما لا يَكُونُ به النصُّ نصاً"، ومنها أنه قائمٌ في صُلبِهِ ومُعْظَمُ موادّه على مفاهيمٍ علاقيّةٍ بها يتحقّقُ التّماسُكُ والانسجامُ؛ منها المناسبةُ أو التّناسبُ، والفصلُ والوَصْلُ، والتّأليفُ، والإبانةُ، والمُتَابَعَةُ، والاستتباعُ، وتَمَامُ الكلامِ والاستثناءُ من إطلاقِ، والجمعُ المُفْرَدُ، والمُجاوِزَةُ والتّجاوُزُ، والمَجازُ في دلالاتهِ العامّةِ، وهو طَرِيقُ القَوْلِ ومأخُذُهُ، والحَدْفُ، والتّخْلُصُ، والتّذْيِيلُ، والتّرتيبُ، والسَّبْكُ، والانسجامُ، والتّجانُسُ، والمُشاكَلَةُ، والمُصاحَبَةُ، والملابسةُ، والسَّرْدُ، والإضمارُ، والتّضمينُ، والتّعليقُ، وغيرها من الخصائصِ ذاتِ الوظائفِ النصيّةِ المُعلّلة بعلّةِ تثبيتِ التماسُكِ النّحويِّ والانسجامِ الدلالي للنصّ.

من مظاهر شجاعة العربية: الانتظام التداولي في فكر نحاة العربية نموذجاً

د. معاذ بن سليمان الدخيل

أستاذ اللغويات المشارك في قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة القصيم

مقدمة:

امتدّت علاقة التراث اللغويّ العربيّ بالدرس اللساني الحديث قرابة قرن من الزمان، وكانت العلاقة بينهما جدليّة؛ يلتقيان حيناً، ويفترقان حيناً آخر في تصوّر الباحثين. ويقتضي كلّ موقف من المواقف جملة من النتائج التي لا تخفى؛ حيث إنّ الموقف الرافض للدرس اللسانيّ يغلق الثقافة اللغوية العربية على نفسها ويغيّبها عن علاقة التأثير والتأثير التي تقتضيها حركة العلم وتمليه علينا مسؤوليتنا تجاه العربية، وأمّا الموقف الرافض للتراث فإنّه ينزع الثقافة اللغويّة العربيّة عن امتداداتها اللسانية الغنيّة ويقدم نصوصاً لسانية منغلقة الدلالات ومنزوعة السياقات بالقدر الذي يضمن لذلك النوع من الكتابة اللسانية أن يبقى متفرداً ومحصوراً على فئة النخبة.

وتنطلق هذه الورقة من فرضيّة ملخصها أنّ ثمة مسؤولية قبلية ملقاة على عاتق الباحث، أي: قبل أن يخوض غمار بحثه، وتتمثل هذه المسؤولية في أهميّة انتقاء أدواته ومناهجه البحثيّة، ثمّ الوعي بما يستلزمه البحث اللغويّ من كليّات لغويّة وخصوصيّات لسانية؛ حتى تكون النتائج المتوخّاة التي يريد أن يصل إليها موضوعيّة وفاعلة في البحث اللسانيّ. وتختار الورقة للتدليل على هذه الفرضيّة الانطلاق من نموذج ممثّل هو الحقل التداوليّ، حيث كانت النظريات التداولية والتواصلية اللسانية تركّز في الكشف التداولي داخل بنية اللغة على الجوانب المعجميّة، ولنا أن ننظر ونراقب نظرية الأعمال اللغوية Speech acts theory في تأسيسها اللساني فسندرك

الملامح المعجمية لذلك، وسيأتي في الورقة إيضاح ذلك. ويعود هذا إلى كون النظرية تأسست في ظروف محفوفة بطبيعة اللغة الإنجليزية التي كانت منطلقاً لفلسفة اللغة واللسانيين الذين أسسوا أطرها ومبادئها، بحكم أن اللغة الإنجليزية لغة إصاقية، أي: تختلف طبيعتها عن لغات أخرى قد تكون لديها القدرة على التعبير عن المعاني الإبلاغية في مستوى البنية الإعرابية. فلاشكاً إذاً أن النظريات والمناهج أدوات فاعلة في استكشاف الظواهر المدروسة وتعميق النظر فيها، وقد تكون في الوقت نفسه قيوداً في ساحة البحث العلمي حين يكون التعامل معها تعاملاً حرفياً أعمى، فتتحوّل من كونها صانعة للإضافة العلمية إلى عوائق في طريق الوصول إليها، وذلك إذا لم نكن واعين بمقتضيات كل جهة من جهات التعامل في الدراسة؛ النظرية التفسيرية، والظاهرة المدروسة.

وانطلاقاً من هذا التصور تلهمنا فكرة عبقرية العربية أبي الفتح عثمان بن جني حول "شجاعة العربية" على أن نستكمل فكرة طرحناها في ورقة سابقة قيد النشر^(١) دعونا فيها إلى القراءة الداخلية للتراث اللغوي العربي بالتعرّف على مستجدات البحث اللساني ومواكبة تطوّراته مع الحرص على فهم التراث اللغوي العربي من حيث نظامه ومنطقه الداخلي. فتسعى هذه الورقة إلى مواصلة القضية بالانتقال من التنظير إلى التطبيق محاولين الكشف عن وجه من الوجوه التي تظهر فيها قيمة هذه الدعوة إلى الحفاظ على خصوصية العربية مع بقائها في الوقت نفسه في باحة الكليات اللسانية.

وحاولنا في هذه الورقة الإجابة عن الأسئلة الآتية:

- ١- كيف تلهمنا فكرة ابن جني حول "شجاعة العربية" في تأطير منهجي لساني؟
- ٢- كيف يمكن لنا أن نختط طريقاً صحيحةً في المقاربة اللسانية لقضايا اللغة العربية؟

(١) تأملات نقدية في علاقة التراث اللغوي العربي بالدرس اللساني الحديث، معاذ الدخيل، بحث موعود بالنشر في مجلة جامعة طيبة للأدب والعلوم الإنسانية.

٣- ما الوجوه اللسانية التي غابت فيها المواءمة بين مقتضيات النظرية اللسانية ومقتضيات اللغة العربية من جهة نظامها وقواعدها؟

٤- كيف يمكن أن تكون نظرية الأعمال اللغوية نموذجاً ممثلاً لاختلاف المقاربة العربية بين تطبيق النظرية أو استثمارها في ضوء تحليل نظام العربية؟

وأرجو أن تكون هذه الورقة قد حققت إضافة ووضعت لبنة في طريق الدراسة اللغوية العربية. ولا يفوتنا أن نتقدم بخالص الشكر لجامعة الملك عبد العزيز ممثلة بوقف لغة القرآن ولجمع الملك سلمان العالمي للغة العربية على تنظيم هذه الندوة المباركة، والعناية بالتراث اللغوي العربي الذي ما فتئ يقدم الإضافة اللغوية لكل من قصده بما يختزنه من كنوز دفينه.

١- "شجاعة العربية" من دلالة المصطلح إلى تأطير المنهج:

اختار فيلسوف العربية ابن جني أن يجمع جملة من ظواهر العربية وتعبيراتها في باب سمّاه "باب في شجاعة العربية"، ولا نريد في هذه الورقة الوقوف عند شواهد التي حشدها في بابه أو مناقشته في أقواله، وإنما نريد أن نستكشف هذا المفهوم وأن نحلّ دلالته وأبعاده ومدى الإفادة منه في البحث اللغوي المعاصر.

يعود مصطلح "شجاعة" إلى الجذر اللغوي "شجع"، قال ابن فارس: "الشين والجيم والعين أصل واحد يدل على جرأة وإقدام"^(١). وفي استعمال ابن جني لهذا المصطلح إشارة إلى القدرة التعبيرية التي تمتلكها العربية في الوصول إلى المعاني المتعددة عبر التصرف في الأنبية اللغوية بمختلف مستوياتها. ويشير الجذر اللغوي الدال على الجرأة والإقدام إلى أن العربية تمتلك عبر نظامها اللغوي مزية الاستيعاب لكثير من المعاني التي يحتاج أفراد التواصل الواحد إلى التعبير عنها. ونقصد بهذه الإشارة التركيز على أن المعاني التي قد يحتاج المتكلمون إلى التعبير عنها وإبلاغها معانٍ كثيرة ومشتتة؛

(١) مقاييس اللغة، ابن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، ١٩٧٩، ٣/٢٤٧.

لأنّ الفضاء التواصليّ متعدّد الأطراف ومعقّد التكوين بالقدر الذي يجعله في ظاهره غير ممكن الاستيعاب والحدّ. وأمّا النظام اللغويّ من جهة تكوينه الصرفيّ والنحويّ فمحدود الإمكانيات بحكم أنّ عمليّاته محصورةٌ ومحدّدة. نكون إذاً أمام معانٍ كثيرة ومشتتة وأنظمة لغويّة محدودة، فهذا هو التصرّو الذي تمنحنا إياه المعطيات اللغويّة من جهة مدلولاتها وأنظمتها الدالّة. ونكون إذاً من هذه الجهة أمام تعبيرٍ دالٍّ باستعمال ابن جيّ لـ "شجاعة العربيّة" حين يريد الانتصار لنظام لغته الواصف بقدرته على التحرك والمرونة في مستوييه النحويّ والصرفيّ للتعبير عن معانٍ متعدّدة وواسعة قد تبدو غير ممكنة الضبط والاستيعاب.

ونريد أن نزيد هذا الادّعاء الجسور الذي قدّمه ابن جيّ قيمة بمناقشة سؤال قد يخطر ببال القارئ، وملخصه: كيف يمكن أن يكون هذا الادّعاء ذا مزيّة واللغات جميعها قادرة على التعبير عن الأفكار نفسها؟ وكيفي لتبنيّ هذا السؤال أن يدعوك إلى تأمل خصيصة الترجمة من لغة إلى أخرى وتوفّر جميع اللغات على قدرة التعبير عن الأفكار لتدرك المغزى من هذا السؤال، ثمّ يكون هذا دليلاً لأصحابه على انتفاء قيمة هذا الادّعاء الذي تبناه ابن جيّ. فنلاحظ إذاً أنّ هذا السؤال يؤوّل إلى تكافؤ اللغات في قدرتها التعبيريّة بما يليّ احتياج المتكلّم تحت كلّ السياقات والظروف، وهذا ما يجعل تعبير ابن جيّ بـ "شجاعة العربيّة" تعبيراً مُفرّغاً من مضمونه بحكم أنّ للغات جميعها القدرة على إبلاغ مقاصد متحدثيها وتلبية احتياجاتهم التواصلية. ويبدو هذا الاعتراض وجيهاً لأوّل وهلة، ولكنّه عند التأمل والتمحيص يعود تعبير ابن جيّ إلى قيمته من جهة أنّ اللغات متكافئة في قدراتها التعبيريّة ولكنّها مختلفة ومتفاوتة في آليات التعبير وطرائقها. ونعني بذلك أنّ القدرة التعبيريّة التي وصفها ابن جيّ بالشجاعة والإقدام كامنّة في نظام العربيّة الواصف، أي: في مستوى نظامها النحويّ، وهذا ما لا يكون في كلّ لغة؛ حيث إنّ بعض اللغات يستطيع متكلّمها أن يبلغ ما يريد في عمليّته التواصلية عبر المستوى المعجمي من خلال ألفاظ اللغة، وليس عبر مستواها النظامي. ولا نريد بهذا أن

نقرر أفضليّة اللغات بعضها على بعض، ولكننا نكشف الجهة التي ذهب إليها في تقرير شجاعة العربيّة وجسارتها بالقدر الذي يعطي لقوله وأدعائه معنى معتبراً.

وإذا قرّنا هذه الحقيقة العلميّة التي تؤكّد تكافؤ اللغات وتفاوتها في الوقت نفسه؛ تكافؤ القدرة في التعبير عن المعاني وإبلاغ الرسالة التي يقصدها المتكلمون، وتفاوتها في آليات هذه القدرة وطرائق تحقّقها، فإننا نروم فيما يأتي من هذه الورقة مناقشة دراسة العلاقة العلميّة المفترضة بين المفاهيم اللسانية من جهة ونظرتنا إلى تراثنا اللغويّ العربيّ وكيفيّة التعاطي معه والموقف الموضوعي بينهما بالقدر الذي يحفظ للسانيات مرجعيّتها وقيمتها العلميّة وللتراث اللغويّ العربيّ قيمته وإسهامه واستقلاله وخصوصيّته دون حيف عليه بتغييب مفاهيمه جزاء الإسقاط غير العلميّ بينه وبين اللسانيات.

ونريد في هذا التوجّه أن نبلور مفهوماً تصوّرياً عن المرجعيّة اللسانية من جهة تشكّلها العلميّ مع الرابطة الوثيقة والمرجعيّة المستحقّة للنظام اللغويّ العربيّ حتّى نمكّن لهذا الالتقاء بين المجالين أن يحقّق ثمراته المرجوة بإغناء التراث بأدواتٍ ومنهجيّات بحثٍ وتحليلٍ جديدةٍ من جهة، وبالإفادة ممّا استقرّ في التراث اللغويّ العربيّ من مفاهيم واصفة قادرة على إغناء الدرس اللسانيّ ولا سيّما أنّها مفاهيم واصفة للغة إعرابيّة بقيت الدراسات اللسانية في الغالب غير متعمّقة فيها. وسنقوم بذلك عبر مقارنة نستقري فيها المستجدات اللسانية في الاهتمام بمستوى الكلام Parole ومحاولة الوصول به إلى تحليل تداوليّ ملائم من خلال نظريّة الأعمال اللغويّة، وذلك بالنظر فيما قدّمته النظرية اللسانية ومدى الإفادة منها في دراسة ظواهر العربيّة وما بين هذا وذاك من وجوه الإغناء والإضافة لكلا الاتجاهين.

ونستدعي في ذلك كلّ الحمولّة الدلاليّة التي يقتضيها اصطلاح ابن جيّ لهذا الباب حين وسمه بـ "باب في شجاعة العربيّة" يستبطن في داخله قوّة نظام العربيّة الواصف بقدراته المُفصّحة عن كثير من المعاني التواصلية، ويكشف من جهة أخرى عن نزعة اعتزاز محمودة بالهويّة اللغويّة العربيّة لها قيمتها ووجاهتها المُعينة على الوفاء للعربيّة بسبر أغوار نظامها وكشف وجوه متانتها وقوته.

٢- موجّهات الدرس اللساني: اللغة واللسان والكلام:

أصبحت التفرقة السوسيريّة المشهورة بين مفاهيم ثلاثة: اللغة، واللسان، والكلام تفرقة ذات قيمة من جهة عزلها جملة من الحقائق المرتبطة باللغة، حيث إنّها تميّز اللغة بوصفها ملكة موجودة عند كلّ البشر عن اللسان الذي يُقصد به ذلك المفهوم الذي يُعبّر عن نظام لغة خاصّة تتحدّث بها مجموعة لسانية معيّنة تستبطن قواعدها وأنظمتها، والمفهوم الثالث هو الكلام الذي يعبر عن الإنجاز الفردي للمتحدثين باللغة أيّا كانت طبيعتها.

نفهم إذاً أنّ اللغة لها ارتباط بالملكة أو القدرة اللغويّة المغروسة لدى الإنسان، وأمّا اللسان فمرتبط بنظام اللغة المجرد الذي بمقتضاه يتواصل أفراد المجموعة اللغويّة الواحدة، وأمّا الكلام فهو المستوى المتحقّق من اللغة واللسان فهو الإنجاز الفردي للغة، أي: هو جانب اللغة المادي.

كان الدرس اللساني في المرحلة البنيوية يجعل (اللسان) موضوع الدراسة اللسانية، ثم حدث تحوّل مع المدرسة التوليديّة حين أصبحت (اللغة) موضوع اللسانيات حيث صارت الملكة اللغوية أو جهاز اللغة مركز الاهتمام والبحث، ومع الاتجاه التداولي أولى اللسانيون اهتمامهم لمستوى (الكلام) محاولين ضبط شتاته ورصد مظاهر انتظامه. فنلاحظ في ضوء هذه التطوّرات الإستمولوجيّة للدرس اللساني أنّ مدار الاهتمام اللساني ينتقل من مجال إلى آخر، وكان لهذا التحوّل انعكاس وأثر ظاهر في دراسة ظواهر العربيّة والنظر إلى تراثها اللغوي. ونريد أن نبين جملة من الوجوه التي غابت فيها القراءة العلميّة المتوائمة مع طبيعة العربيّة من جهة نظامها اللغوي ومن جهة منطق لغتها الواصفة التي قعد من خلالها نخاة العربيّة. ونعدّ هذا الأمر عائناً حقيقياً في تقدّم الدراسة اللسانية العربيّة والوصول بها إلى مستويات أبعد ممّا وصلت إليه، وكانت سبباً في الوقت نفسه في غياب الإضافة اللسانية ممّا كان موجوداً في نظام العربيّة حين نغفل عن حقيقة أنّ الألسنة لها كليات كبرى تتفق فيها، ولها في الوقت نفسه خصوصيات علينا أن نهتمّ بها لتحقيق التفاعل المرجو بين اللسانيات والأنحاء الخاصّة.

٢-١- الانتظام التداولي في الدرس اللساني:

يركّز التوليديون على القدرة Competence وينفون الإنجاز Performance؛ لأنّ المستوى النظامي المقتن -بحسب رأيهم- هو مستوى القدرة، وأمّا الإنجاز فذوق قيمة لا ينكرها التوليديون، وهو لصيق العلاقة بالقدرة من جهة كونه انعكاساً وصورة تقريبية لها، غير أنّ كونه مرتبطاً بعوامل أخرى غير لغوية نفسية واجتماعية جماعية وفردية يجعل معطياته غير قادرة على أن تضمن للبحث اللساني التجريد والتعميم في وضع قواعد القدرة. ويكون النحو التوليدي إذاً معنياً بوضع نموذج تفسيري للقدرة اللغوية لا الإنجاز، وأمّا الاهتمام بنماذج تفسيرية للإنجاز فيعني ذلك أنّها نماذج تهتمّ بالمواقف التواصلية التي تنجز الأقوال فيها وبطرائق استعمال المتكلمين لقدرتهم اللغوية.^(١)

ومن دون شكّ أنّ ثمة نقاشاً واسعاً في هذه القضية بين التوليديين من جهة والوظيفيين من جهة أخرى، ولا نريد أن نستقصي هذا الاختلاف، ولكننا نكتفي منه بالإشارة إلى وجود نظريات لسانية وظيفية تقدّم مقاربات لسانية مختلفة، من ذلك ما قدّمه (هاليداي) و(سيمون ديك) و(مالتشوك) وغيرهم. ونؤكد في هذا السياق أنّ الاختلاف في المنطلقات اللسانية له أسباب من ضمنها الاختلاف في طبيعة الألسنة التي كانت منطلقاً لهذه النظرية أو تلك، ولئن كانت النظريات اللسانية جُلّها عائدة في منطلقها إلى لغات غير إعرابية فإنّ ثمة نظريات لسانية قامت أسسها على لغات إعرابية، ولا ينفي هذا الاختلاف ضرورة الانتفاع بما تقدّمه كلُّ نظرية؛ فإنّ بين اللغات -مهما تفاوتت خصائصها- من الاتفاق ما يجعل الإضافة متحققة في كلِّ نظرية. ولكننا نكون في تقارب أكثر مع النظرية التي أظهرت نجاعة تفسيرية مع اللغات الإعرابية بحكم تشابه اللغات في طبيعتها ونظامها ممّا يجعل فرص الانتفاع بها في اكتشاف نظام العربية

(١) انظر: اللسانيات التوليدية من النموذج ما قبل المعيار إلى البرنامج الأدنى: مفاهيم وأمثلة، مصطفى غلفان ومحمد الملاخ وحافظ إسماعيل علوي، عالم الكتب الحديث، الأردن، ٢٠١٠، ص ٤٦

أكثر من غيرها. ونلمح في هذا السياق إلى كون نحو التعلّق -على سبيل المثال- له وجوه من الاقتراب مع نحو العربية أكثر من غيره من الأنحاء اللسانية، وفي هذا ما يدعم قولنا إنّ على الباحث مسؤولية قبلية من جهة انتقاء مناهجه وأدواته البحثية التي تعينه في تعميق الدراسة التي يريد أن يقوم بها، فهذا ما لتشوك يورد في تقديمه الترجمة العربية لكتاب (نظرية التعلّق في الوصف اللغوي) هذا القول: "الحال أنّ كثيراً من الباحثين يرون أنّ الكتاب الذي وصلنا من سيبويه يقوم بشكل ضمنيّ على نحو التعلّق ... واللسان العربيّ والدراسات المتعلقة به القديمة والحديثة على حدّ السواء تشتمل على كثير من الظواهر الطريفة والمهمة بالنسبة إلى البحث اللساني العالمي"^(١)، ولذلك نجد أنّ مترجمي نظرية التعلّق يشيران إلى أنّ من دواعي عنايتهم بالنظرية ونقلها إلى العربية كونها نظرية أقرب إلى منطلقات النحو العربي من نحو المكونات، من ذلك كونها أقرب من حيث قاعدتها الاختبارية إلى ظواهر العربية من الناحية النمطية؛ لاعتمادها على أسنة إعرابية متعدّدة على عكس التوليدية.^(٢)

إنّنا إذاً مع المستوى التداولي أمام نظريتين متباينتين في قبوله أو رفضه، أو لنقل -حتى تكون العبارة ألصق بالحقيقة - إنّنا أمام نظريتين تختلفان في النظر إلى المستوى التداولي وإمكانية التقعيد له وانتظامه. ولا ريب أنّ الاحتكام إلى إحدهما سيكون له بالغ التأثير في توجيه الدراسات اللسانية العربية، وتقديم الإضافة العلمية المنتظرة فيها. ولا نريد أن نفترض أنّ الانحياز إلى نظرية ذات اختلاف في طبيعتها قد يؤدي إلى نتائج علمية غير مقبولة، ولكنّه قد يؤدي بنا إلى إيلاء ظواهر في العربية اهتماماً وإغفال ظواهر أخرى فيها بحكم سلطة النموذج اللساني الذي نصدر عنه في دراستنا، ولهذا ما له من قصور لا يخفى.

(١) نظرية التعلّق في الوصف اللغوي، آلان بولغير وإيغور ملتشوك، ترجمة: عز الدين المجذوب ومنصور

ميغري، جامعة القصيم، بريدة، ٢٠١٧، تقديم الترجمة العربية، زر.

(٢) انظر: المصدر السابق، مقدمة المترجمين، ق.

٢-٢- نظرية الأعمال اللغوية من (أوستين) إلى (سيرل) والارتكاز على المظهر المعجمي:

تتفق الألسنة في اختزانها أعمالاً لغوية لا تؤدي إلا باللغة من قبيل: عقود البيع، وعقد الزواج... إلخ. ونلاحظ أن هذه الخصيصة هي إحدى الكليات اللغوية، ولكن تحققها في الألسنة قد يبدو مختلفاً، ولن نكون قادرين على الوصول إلى إضافة حقيقة في دراستها على مستوى العربية ما لم نُفعل مفهوم "شجاعة العربية" من جهتين؛ جهة ذات الباحث الذي يكون قادراً على الجمع بين معطيات النظرية وأدواتها التفسيرية وخصائص العربية وطبيعة نظامها الواصف، وجهة الاعتزاز بقدرات العربية الواصفة والإيمان بغناها واثرائها المسهم في تطور الدرس اللساني وإغنائه.

بدأت نظرية الأعمال اللغوية - كما لا يخفى - من منطلقات فلسفية حين حاول رائدها جون (أوستين) دحض ما سُمي بالوهم الوصفي للغة، حيث إن ثمة اعتقاداً سائداً في الأوساط الفلسفية آنذاك ملخصه أن للغة وظيفة وصف حالة الأشياء في الخارج، وتكون بناء على ذلك إما صادقة وإما كاذبة. فقد ألقى (أوستين) محاضرات في جامعة هارفارد سنة ١٩٥٥م ثم نشرت بعد ذلك تحت عنوان:

How to do things with words?

كيف نفعل الأشياء بالكلمات؟

حيث بدأت أعماله في عزل جملة من الأقوال المثبتة التي تصف الواقع حقاً عن الأقوال المثبتة التي لا تصف واقعاً، وكان مدار اهتمامه هذا الصنف الثاني من الأقوال اللغوية. فقد اهتم بتلك العبارات اللغوية ذات الشكل الخبري التي يتزامن النطق بها إنجاز أعمال في الواقع إذا قيلت في ظروف ملائمة من قبيل:

- أقبلُ الزواج.
- أسمى مولودي محمداً.
- أقبلُ البيع.

واقترح أن يُسمَّى هذا النوع من الأقوال بـ "الأقوال الإنشائية".

واقترح (أوستين) في سياق سعيه الحثيث نحو التمييز بين الأقوال الوصفية والأقوال الإنشائية التمييز بين أعمال ثلاثة:

- العمل القولي: هو ما تتلفَّظ به حين نقول شيئاً.

- العمل المتضمَّن في القول: ما نحقِّقه حين نقول شيئاً.

- عمل التأثير بالقول: ما نحقِّقه بواسطة قولنا شيئاً.

وأشار إلى أن العمل المتضمَّن في القول له مظهر وضعي في استعمال اللغة مُعبَّرٌ عنه، حيث يكون ظاهراً في "الإنشاء الصريح" بفعل يعبِّرُ عنه، نحو:

- أمرك بالصمت.

- أعدك بالزيارة غداً.

- وقد يكون مقدَّراً في "الإنشاء الأولي" في نحو قولك:

- سأجيء غداً.

- اصمت.^(١)

فلاحظ أنه في ضوء فرضيته أن الصورة النموذجية للإنشاء الصريح هي في التعبير عنه بفعل مسندٍ إلى المتكلم المفرد في زمن الحال، قد جعل أساليب من قبيل الاستفهام أو الأمر إنشاءً أوليةً، نحو:

- هل تستطيع مناوئتي الهاتف؟

- اُكْتُب.

(١) القاموس الموسوعي للتداولية، جاك مشلروآن ريبول، ترجمة: مجموعة من الأساتذة والباحثين بإشراف عز الدين المجدوب، المركز الوطني للترجمة، تونس، ٢٠١٠، ص ٦٤-٦٦.

والسبب في ذلك أن هذه الأبنية تحمل دلالات متنوّعة لا يمكن التمييز بينها - من وجهة نظره - إلا بهذه الفرضيّة، فقد يكون الاستفهام استفهاماً حقيقياً، وقد يكون التماساً. ومثل ذلك الأمر الذي قد يكون محمولاً على معناه الأول، وقد يكون غير ذلك. وبناءً على ذلك يرى (أوستين) أن تحليل هذه الأبنية إلى صيغها النموذجيّة هو السبيل الموصلة إلى رفع هذا اللبس.

- أستفهم عن قدرتك مناولتي الهاتف.
- ألتمس منك مناولتي الهاتف.
- أترك بالكتابة.
- أرشدك إلى الكتابة.

وحين يثبت (أوستين) الوجه الإنجازي للغة يصل إلى قولٍ يوفّق بين كون الأقوال لها قوّة إنجاز الأعمال وكونها موصوفة بالصدق أو الكذب، وذلك بكون الصدق أو الكذب متوجّهاً إلى قضية القول لا إلى قوته المقصودة بالقول.

ونظراً إلى كون منطلق (أوستين) من المعجم في النظر إلى الأعمال التي يمكن أن ننجزها باللغة قدّم تصنيفاً لكلّ ما يمكن أن نفعله من خلال اللغة مكوّناً من خمسة أصناف:

- ١- **الحكميات**: توافق أفعالاً من قبيل: برّاً، وأدان، ونحوها من الأفعال القضائيّة.
- ٢- **الإنفاذيات**: توافق أفعالاً تقوم على استعمال الحقّ، نحو: عيّّن، وصوّت ونحوها.
- ٣- **الوعديات**: تلزم المتكلّم بتبني موقف أو عمل ما.
- ٤- **السلوكيات**: تستلزم موقفاً، أو ردّ فعل تجاه سلوك الآخرين، نحو: اعتذر، وشكر ونحوها.
- ٥- **التبيينيات**: توضّح علاقة أقوالنا بالمحادثة من قبيل: أنكر، وأجاب ونحوها.

وقد بنى (أوستين) عمله في تصنيف الأعمال اللغوية على استقراء الأفعال الإنشائية من المعجم؛ لافتراضه أن العمل اللغوي يُعبر عنه بالأفعال الإنشائية، ويكون العمل اللغوي بذلك واقع - في رأيه - ضمن المستوى المعجمي.^(١)

ثم رغب (سيرل) في مواصلة ما قدّمه قبله (أوستين)، وكان له - أي: لسيرل - الفضل في إدخال هذه النظرية البحث اللساني حين تساءل عن حقيقة العمل اللغوي^(٢) من جهة انتسابه إلى المستويات الثلاثة التي يفترضها (دي سوسير) للظاهرة اللغوية:

- اللغة.
- اللسان.
- الكلام.

ونبدأ بالنتيجة التي تبناها (سيرل) وهي أن العمل اللغوي منتمٍ إلى مستوى (اللسان)، ويستدلّ لذلك بأنّ ثمة فرقاً بين قوة القول والفعل الإنشائي، حيث إنّ قوة القول واقعة في مستوى مجرد يتجاوز الألسنة المخصوصة، وأمّا الأفعال الإنشائية فمتّصلة بالألسنة المخصوصة. ولا بدّ أن نلتقط هذه النتيجة التي تبناها (سيرل) من جهة أنّ القول بالأفعال الإنشائية في وسم القوى المقصودة بالقول منتمٍ إلى الألسنة المخصوصة، ويعني ذلك أنّ افتراض وجوده في كلّ لسان من الألسنة حكم قبلي غير علمي؛ إذ الواجب أن يكون الباحث منطلقاً من خصوصية كلّ لسان باحثاً عن النظام الذي تتحقّق بمقتضاه القوى المقصودة بالقول.

(١) انظر: منزلة معاني الكلام في النظرية النحوية العربية: مقارنة تداولية، معاذ الدخيل، نادي القصيم الأدبي، بريدة، ودار محمد علي الحامي، ٢٠١٤، ص ٤٣.
(٢) انظر: نظرية الأعمال اللغوية، شكري المبخوت، مسكيلياني للنشر، تونس، ٢٠٠٨، ص ٦٥.

ويذهب (سيرل) في معرض ضبطه حدود العمل اللغوي إلى ضرورة التمييز داخل العمل القولي بين:

● القوة المقصودة بالقول.

● المضمون القضوي.

حيث إنّ العمل القولي لا ينفك عن تكوّنه من هذين المستويين؛ فالأول يعبر عن المعاني التي تحملها الجمل من إثبات، ونفي، واستفهام، ونحوها. وأمّا الثاني فيعبر عن القضية داخل الجملة، فحين نقول:

● إنّ محمداً حاضراً.

● ليت محمداً حاضراً.

● هل محمداً حاضراً.

فإنّ القضية في الجمل الثلاث واحدة، هي حضور محمد. وأمّا القوة المقصودة بالقول فمتعدّدة من جهة أنّ الأولى تعبر عن معنى التوكيد، والثانية عن التمني، والثالثة عن الاستفهام. ويقترح (سيرل) انطلاقاً من هذا التمييز تفريقاً بين واسمين داخل البنية التركيبية:

● واسم القوة المقصودة بالقول.

● واسم المضمون القضوي.

وافترض أنّ القوة المقصودة بالقول تكون موسومة في الأصل بالفعل الإنشائي الذي قد يكون مذكوراً، وقد يكون مدلولاً عليه بمقام الخطاب دون أن يبرز واسم صريح له. ولجأ (سيرل) إلى "مبدأ الإبانة والتنقيص" الذي يسمح بتفسير كثير من المظاهر اللغوية المخالفة للأقوال النموذجية؛ لأننا نقول كثيراً من الجمل التي لا يكون فيها

إنشاء صريح يحدّد القوة المقصودة بالقول، ولكنّ هذا المبدأ كفيلاً بالاستدلال والوصول إلى المعنى المقصود عبر طرق أخرى من قبيل: ترتيب عناصر الجملة، وتنغيمها، ونبرها، وصيغ الفعل، وغير ذلك.

وقدّم (سيرل) تصنيفاً للأعمال اللغويّة منطلقاً فيه من مبدأ أنّ لكلّ عمل لغويّ بنية عميقة تحدّده مكوّنة من فعلٍ إنشائيّ يسم موضع القوة المقصودة بالقول، وتركيب إسناديّ يسم موضع المضمون القضويّ. وأقام تصنيفه على مقياس علاقة العمل اللغوي بالعالم الخارجي، وانتهى إلى أنّ العلاقة بينهما تتجسّد في أربع علاقات:

١- اتجاه المطابقة من القول إلى العالم: وهذا اتجاه يناسب الأخبار؛ فالحدث في العالم الخارجي سابق القول، فتكون المطابقة من القول إلى العالم.

٢- اتجاه المطابقة من العالم إلى القول: وهذا اتجاه يناسب الطلب؛ فالأحداث في العالم الخارجي تتكوّن بعد التلفظ بالأقوال.

٣- اتجاه المطابقة المزدوج: وهذا اتجاه يناسب الإنشاء الإيقاعي؛ لأنّ النجاح يتحقق في المطابقة بتغيّر العالم الخارجي لي مطابق العمل اللغويّ بتمثيل العالم على أنّه تغيّر على هذا النحو.

٤- اتجاه المطابقة الفارغ: وتختص به أعمال الانفعال ونحوها.

وبناء على هذا النمط من العلاقات المفترضة جاء تصنيفه للأعمال اللغوية في خمسة أصناف:

١- التمثيليّات: يلتزم المتكلم فيها بصدق القضية التي يعبرّ عنها، وتكون الكلمات فيها مطابقة للعالم.

٢- التوجيهيّات: يسعى المتكلم فيها إلى إحداث أثرٍ في المخاطب، واتجاه المطابقة فيها يكون من العالم إلى الكلمات.

٣- الوعديات: يهدف المتكلم إلزام نفسه بتحقيق عمل ما، ويكون اتجاه المطابقة من العالم إلى الكلمات.

٤- التعبيرات: تخلو من مطابقة بين الكلمات والعالم؛ فالمتكلم يرغب في التعبير عن حالته النفسية.

٥- الإيقاعات: يكون اتجاه المطابقة فيها مزدوجاً بين الكلمات والعالم، وتتميز بكونها تحدث صدق محتواها القضيوي.

والملاحظ أن (سيرل) لم يستطع التخلص الكامل من مأخذه على (أوستين) في مسألة التداخل بين الأصناف وعدم وضوح الحدود بينها، والسبب في ذلك ظاهر وجلي من جهة أن التقسيم مرتبط بالدلالات المعجمية للأفعال الإنشائية، حيث إن المقاييس الدلالية تؤول في الغالب إلى التداخل بين الأصناف.

٣- التراث اللغوي العربي في أنظار التداولية:

لقد كانت النظرية التداولية مفتاحاً لاكتشاف جملة من القضايا داخل التراث اللغوي العربي، وكانت في الوقت نفسه عائقاً إبستمولوجياً حين انحازت كثير من الدراسات اللسانية العربية إلى المظهر المعجمي الذي انمازت به النظرية التداولية بحكم طبيعة اللسان الإنجليزي الذي كان مُطلقاً لمنظري الاتجاه التداولي، وكان هذا الانحياز أو لنقل التأثير سبباً رئيساً في تعييب مظاهر جديرة بالاحتراف في التراث اللغوي العربي بحكم القراءة الخارجية للتراث دون غوص في عمق نظامه التفسيري، وسنحاول أن نبين جملة من مظاهر هذا الأثر فيما يأتي.

٣-١- الاكتفاء برصد مظاهرها ضمن ثنائية الإنشاء والخبر:

لا ريب أن ثنائية الإنشاء والخبر في تراثنا اللغوي والبلاغي تقاطعاً واسعاً مع المبحث التداولي متمثلاً بنظرية الأعمال اللغوية من جهة التأمل في علاقة الأقوال

بالواقع. ولقد كان للبحث اللساني العربي جهد واضح له قدره وقيمته في تعميق البحث في جهة التقاطع هذه، وكان من ثمار ذلك أن ألقى الضوء عليها عبر مؤلفات البلاغيين والنحويين والمفسرين والمناطقية وعلماء أصول الفقه والفلاسفة مع محاولة بيان الفروقات في معالجة كل حقيلٍ علميٍّ للقضية.

غير أن هذا الجانب بقي له أثر ظاهر في حصر مجال البحث التداولي العربي ضمن هذه الثنائية حتى إن جهود النحاة بقيت ضمن أطرها وحدودها العامة، وكان مجال النظر موجّهاً إلى المجالات التي تظهر فيها مراعاة النحاة لمطابقة الكلام لمقتضى الحال، ونعني بذلك أن الأساس ومركز عمل النحاة المتمثل في نظامهم التفسيري بقي خارج حدود النظر والاهتمام. ونمثل لهذا بقول مسعود صحراوي: "تقبل النحاة العرب التقسيم المشهور للكلام بأنه إما خبر وإما إنشاء، وتلقوه بالرضا والقبول ولكنهم نقلوه من تقسيم للكلام إلى تقسيم للجملة، فصنّفوا الجملة أسلوبياً إلى صنفين: الجملة الخبرية والجملة الإنشائية. ولم يخالف إجماعهم - فيما نعلم - إرضي الدين الإستراباذي الذي أورد تقسيماً ثلاثياً، ومضمونه أن الجملة غير الخبرية إما إنشائية، نحو: بعث، وطلقت، وأنت حر. وإما طلبية، كالأمر والنهي والاستفهام والتمني. وعلى هذا تكون قسمته للجملة أسلوبياً ثلاثية: جملة خبرية، وهي التي يكون الحكم فيها معلوماً للمخاطب قبل النطق بها. وجملة إنشائية، وهي التي يكون تركيبها من ألفاظ العقود وما شابهها. وجملة طلبية، وهي التي يكون تركيبها من الإنشاء الطلبي."^(١)

٣-٢- التركيز على البحث البلاغي:

أشرنا في النقطة السالفة إلى أن المقاربة التداولية عبر نظرية الأعمال اللغوية اتّجهت في الغالب إلى ثنائية الإنشاء والخبر، وكان من نتائج ذلك أن كانت الدراسة الغالبة متّجهة في المؤلفات اللغوية إلى التراث البلاغي من جهة أن المنطلق الأشهر في مقاربة النظرية

(١) التداولية عند العلماء العرب: دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي،

مسعود صحراوي، دار الطليعة، بيروت، ٢٠٠٥، ص ١٧٥-١٧٦.

في تراثنا متَّجهاً إلى تحولات الأقوال في دلالاتها من جهة علاقتها بالواقع، "كغيرها من اللغات الطبيعية تشتمل اللغة العربية على أدوات وصيغ يستعملها المتكلم للدلالة على القوة التي يريد تضمينها كلامه، فالأدوات مثل أدوات الاستفهام للدلالة على صور الاستفهام المختلفة، و"يا" للدلالة على النداء، و"ليت" للدلالة على التمني... إلخ. وقد استلزم ذلك على الدارسين لعلم النحو التعرض لهذه القوى والتفرقة بينها في سبيل تحديد الوظيفة الإعرابية للأدوات الدالة عليها. ولما كانت العربية غنية بمجموعات من التركيبات التي تعطي معنى أساسياً واحداً من إخبار وطلب وتهنئة... إلخ ومعانٍ ثانوية متفاوتة، كالتركيبات "زيدٌ قائم"، و"إن زيداً لقائم" بالنسبة للإخبار، مما يستدعي الدقة في اختيار البديل المناسب عند إرادة التعبير عن ذلك المعنى الأساسي بحسب ما يقتضيه حال المخاطبة من حالات نفسية وظروف واقعية وعلاقات اجتماعية بين أطراف المخاطبة، ولما كانت تلك المعاني الأساسية والثانوية أنماطاً من القوى المتضمنة في القول استلزم ذلك على الدارسين لعلم المعاني من البلاغة التعرض لهذه القوى بالدراسة في سبيل تحديد ما يقتضيه حال معين من الأحوال من تركيب معين من بين مجموعة التركيبات البديلة لتعبير أساسي معين. وبعبارة أخرى: تحديد الربط المناسب بين مجموعة الأحوال ومجموعة التركيبات البديلة بالنسبة لمعنى أساسي واحد"^(١) فالملحوظ إذاً أنّ ثمة تصوّراً يفصل بين النظامي والمقامي؛ فلئن كان النحو مسؤولاً عن الدلالات القارة في النظام اللغوي فإن البلاغة مسؤولة عن الدلالات المتحركة والمتأثرة بالسياق والمقام. ولا شك أنّ نظرية الأعمال اللغوية تركّز مجال اهتمامها في الأعمال التي ننجزها من خلال اللغة، ولهذا المجال علاقة وثيقة بتعدد الدلالات وتحركها بما يتواءم مع مقتضيات أحوال المتكلم والمخاطب؛ فكان الاعتقاد أنّ مجال الدلالات المتحركة كامن في الدرس البلاغي، وأنّ الدرس النحوي - بحكم التصوّر الشائع عنه أنّه مكتفٍ بتفسير العلامات الإعرابية - بعيدٌ عنه.

(١) نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب، طالب سيد هاشم الطبطبائي، جامعة الكويت، ١٩٩٤، ص ٢.

٤- نظام اللغة العربية في ضوء الأدوات التداولية؛ من التعبير المعجمي إلى الانتظام الإعرابي:

أشرنا في الفقرة السابقة إلى أن ثمة تصوّراً واضحاً في ساحة البحث اللساني العربي يربط بين التداولية وكثير من مباحثنا البلاغية، وإذا أردنا أن نصرّح بما يقتضيه هذا القول قلنا: إنّ المجال النحويّ قد بقي بعيداً عن الاهتمام في كثير من الدراسات التداولية العربية، وإذا ذهبنا إلى هذا الرأي فإننا نقصد الدراسة النحوية التي توجّه اهتمامها إلى الجانب النظامي للغة وتحاول أن توجد مسالك للنظر في نظام العربية الواصف موصلة إلى مقاصد المتكلم ودلالات الأقوال في التخاطب.

ولا يغيب عن ذهن القارئ أنّ من أهمّ المؤثرات في هذا التصوّر طبيعة النظرية التداولية في بيئتها التي نشأت فيها حين كانت تربط الدلالات المعبرة عن مقاصد المتكلم بالمعجم دون أن تجد لها مكاناً في النظام النحوي^(١)؛ فكان هذا مؤثراً في تأطير الدراسات بهذه الاتجاهات، فللمنهج إكراهاته كما لا يخفى. وإذا بقينا في حدود النظرية اللسانية وتأطيرها دون نفاذ بها إلى عمق اللغة العربية بنظامها الواصف المخصوص فإننا سنبقى في حدود الأصدا التي نسمع ارتداداتها في تراثنا دون أن نكون قادرين على التفاعل العلمي المثمر بين الأفكار اللغوية الحديثة والقديمة، ولن نصل إلى هذا الأمل أو الغاية ما لم نتعامل مع مستجدات الدرس اللساني بوصفها أدوات قراءة جديدة نعمّق بها معرفتنا اللغوية العربية ونطوّر بها مجالات تفسيرها من جهة ثم تعليمها من جهة أخرى، ولن تكون لنا هذه الغاية ما لم نتسلّح بمقتضيات "شجاعة العربية" التي أفصحنا عنها في مدخل الدراسة.

وتبدو لنا ملاحظة أولى عند تأمل الدراسات التي يمكن عدّها منضوية في الاتجاه الأول ومقارنتها بدراسات أخرى نرى أنّ فيها وجهاً من وجوه الافتراق عنها من جهة

(١) انظر: الإنشاء في العربية بين التركيب والدلالة: دراسة نحوية تداولية، خالد ميلاد، كلية الآداب، منوبة، تونس، ٢٠٠١، ص ٤٩٩ وما بعدها.

انطلاقها من سمات العربيّة ونظامها الواصف، وتتمثّل هذه الملاحظة أنّ الدراسات من الحقل الأول تبدأ من النظرية التداولية لتتجه إلى القضايا اللغوية التراثية، وأمّا دراسات الحقل الثاني فيكون منطلقها من التراث اللغوي العربيّ متّجهةً إلى النظرية التداولية، ونجد هذا بيّناً في عناوانات الدراسات في كلا الاتجاهين؛ حيث إنّ دراسات الحقل الأول تكون مُصدّرة في الغالب بمصطلحات النظرية نفسها، من قبيل:

- التداولية عند العلماء العرب.
- التراكيب النحوية من الوجهة التداولية.
- نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب.

في مقابل ذلك نجد أنّ بعض الدراسات المنضوية في الحقل الثاني تكون منطلقة من مفاهيم التراث اللغوي العربيّ نفسها من جهة عدّها مفاهيم مناظرة للمفاهيم التي تعتمد عليها النظرية التداولية، وذلك من قبيل:

- إنشاء النفي.
- الإنشاء في العربية.
- منزلة معاني الكلام في النظرية النحوية العربية.

ونذهب إلى أنّ لهذا التوجّه أثراً مهمّاً في نتائج الدراسة نفسها، حيث إنّّه يعكس توجّهاً ناجعاً في البحث العلميّ متمثّل في قراءة داخلية للتراث تنفذ إلى مفاهيمه القارّة ومصطلحاته المعبرة عنها؛ لإعادة اكتشافها وفق ما تكسبنا إياه النظريات الحديثة؛ ليكون حواراً علمياً مثمراً له قيمته من جهة التراث نفسه ومن جهة النظرية مرة أخرى.

ونحاول أن نركّز في هذا القسم على تحوّل له قيمته العلميّة الحقيقيّة بالانتقال بالمبادئ التداولية من الوجهة المعجميّة إلى البنية الإعرابيّة، وما كان لهذا التحوّل أن يحدث لو لم يؤمن الباحثون بغنى المفاهيم النحوية التراثية وثنائها واكتنازها جملة من

المفاهيم المهمة تفسيريًا، وما كان لهم أن يصلوا إلى نتائج لها قيمة معتبرة لو لم يسلموا بكليات اللغة وخصوصيات ألسنتها في الوقت نفسه؛ فلئن كانت الأعمال اللغوية إحدى الكليات الموجودة في كلّ لسان من الألسنة فإنّ تحققها في كلّ لسان يكون في الغالب تحقّقًا مخصوصًا - كما صرّح بذلك (سيرل) أحد أهمّ أقطاب النظرية - . ولا بدّ من جهة أخرى أنّ نوّكد حقيقة لسانية ملخصها أنّ القول بخصوصية الألسنة لا يلغي وجوه التشابه بين لسان وآخر في تحقّق العمل اللغويّ، وهذا ما تؤكّده فكرة "الأنماطية" اللسانية. ولكنّ ما تملّيه علينا الموضوعية واعتقاد استقلالية الألسنة بأنظمتها يجعلنا في حرص شديد على أنّ نُقبّل على كلّ ظاهرة لغوية دون إسقاط غير واعي أو بحث عن وهم ريادة زائفة، بل يكون العمل متّجّهًا إلى الظاهرة اللغوية وفق نظامها التفسيريّ الكامن فيها مع استيعاب الأدوات المنهجية الحديثة والإفادة منها في الوصول إلى النتائج المرجوة.

وللقارئ الكريم أن يتساءل عن وجه هذه الإضافة المدّعاة بالتحوّل بالنظرية من وجهها المعجمي إلى بنيتها الإعرابية، وهو تساؤل في محله بعد أن استرسلنا في التفرقة بين أنماط من قراءة التراث اللغويّ العربيّ، ولذلك نحاول فيما بقي من هذه الورقة بيان وجه من هذه الوجوه.

٤-١- إنشائية الحرف:

بقيت فكرة الفعل الإنشائيّ مسيطرة على كثير من الدراسات اللسانية بحكم أنّ النظرية التداولية تتبنّى هذا القول، ولكنّ العربية لها خصوصية في التعبير عن العمل اللغويّ من خلال وسم موضع القوة المقصودة بالقول بالحرف لا الفعل. وكان محمد صلاح الدين الشريف - بحسب ما أعرف - هو أوّل من أشار إلى إنشائية الحرف في العربية، وقد كان لهذا القول آثار في الدرس اللساني العربيّ بنقل هذه المقولة - أعني مقولة الحرف - من هامش الاهتمام إلى مركزها، فبعد أن كان الحرف منظورًا إليه بوصفه الكلمة المفتقرة إلى غيرها أصبحت بعد ذلك هي الكلمة المنشئة لمعاني الكلام، والكلمة ذات السيادة على موضع مجرّد داخل الجملة يختزل داخله مقاصد المتكلّم ومراده، وقد أحدث هذا دون شكّ في نقل مركز الاهتمام إلى الحرف وقضاياها في العربية.

وكان من نتائج هذا القول أنّ النظر إلى الجملة في العربية أصبح منظوراً إليه وفق ثلاثة محلات إعرابية: المسند، والمسند إليه، ويسبقهما الموضع الذي يستوعب مقاصد المتكلم ويكون وسمه في الأصل بواسطة الحروف. وإذا أدركنا ذلك عرفنا أنّ ثمة وجوهاً من النقد كانت موجّهة إلى نظام العربية التفسيري الذي بناه النحاة أصبحت في ضوء هذا الاكتشاف وجهاً من وجوه قوة نظامهم ومتانة تفسيرهم، من ذلك القول بصدارة الحروف المعبرة عن معاني الكلام وامتناع تقدّم ما هو في حيزها عليها، حيث إنّ الوصفين ذكروا أنّ حكم النحويين بأنّ أداة الشرط لا تعمل إلا فيما تأخر عنها قولٌ متهافٌ؛ لأنّه قولٌ مبنيٌّ عند النحويين على افتراض أنّ أداة الشرط عاملٌ ضعيفٌ، وهذا الافتراض مبنيٌّ على مقدمة فاسدة عنده؛ لأنّ تصوّر وجود العامل في اللغة باطلٌ من أساسه؛ فليس من وظيفة الفعل، أو ما يشبهه أن يعمل فيما بعده رفعاً، أو نصباً، وليس هذا من وظيفة الأدوات أيضاً، وإذا بطل القول بالعامل، وبتأثير الفعل، أو الأداة فيما بعدهما لم تبق حجة في الالتزام بتأخير جواب الشرط. وذهب المخزومي في دراسته لنظام جملة الشرط إلى أنّ نظام جملة الشرط قد يتغيّر بتقديم عبارة الجواب على أداة الشرط؛ فتبقى الدلالة، ويبقى الأسلوب. ولا احتياج - في رأيه - إلى التمسك بنظرية العامل التي من افتراضاتها منع عمل ما بعد أداة الشرط فيما قبلها؛ لأنّ أداة الشرط لها الصدارة في الكلام؛ إذ إنّ التخلي عن فلسفة العامل مُؤدّ إلى عدم تقدير جواب محذوف لدلالة ما قبل أداة الشرط من كلام عليه كما يفعل النحويون؛ لأنّه حينئذٍ ليس ثمة ما يمنع من اعتبار المتقدم نفسه جوابَ الشرط.^(١) ونجد أنّ ثمة نوعاً آخر من النقود لم يصرّح فيه أصحابه بنقد المقولة، إنما هي أطروحات علمية تؤوّل في الأخير إلى الطعن بالنتائج التي تنتهي إليها أقوال النحويين، من ذلك ما ذهب إليه المسدي، والطرابلسي إلى أنّ المتقدم في نحو: أتيتك إن تآتني، جوابٌ حقيقةً، واقعٌ في موقعه؛ لأنّ منطق اللغة يفرض هذا الرأي، وتقديم الجواب لغايات بلاغية أسلوبية لا تُغيّر من حقيقة التركيب النحوي.^(٢) نلاحظ

(١) في النحو العربي - نقد وتوجيه -، مهدي المخزومي، دار الرائد العربي، بيروت، ١٩٨٦، ص ٢٢١، ٢٩٠.

(٢) الشرط في القرآن على نهج اللسانيات الوصفية، عبد السلام المسدي ومحمد الهادي الطرابلسي، الدار العربية للكتاب، ١٩٨٥، ص ١٨.

هنا أن هذه الأقوال تستبطن في داخلها خلوة النظام النحوي من الملامح التواصلية، ونعني بذلك أن نظام العمل النحوي - بوصفه مركز نظام العربية التفسيرية - نظامٌ صوريٌ يلغي في مبادئه التفسيرية وظيفة اللغة التواصلية. وهو قول يذهب أصحابه فيه - في الغالب - إلى الاعتقاد أن الملامح التواصلية في تفسير العربية مستقرة في علم البلاغة وحده، وأن علم النحو - بحسب رأيهم - معزولٌ عنها بما أفضى إليه عمل النحاة من انصراف إلى بناء قواعد مجردة فرضت على العربية وأدت إلى تعقيدها وبُعدها عن تفسير أساليبها في أداء المعاني المتعددة.

وإذا عدنا إلى نصوص القدماء وقرأناها وفق مبدأ إنشائية الحرف وكونه شاغلاً صدارة كل جملة في الأصل ليعبر عن مقاصد المتكلم استطعنا أن نخرج بمنظور مختلف عن فكرة "العمل النحوي"، ف"بين نظام العوامل في العربية ومبادئ معاني الكلام ارتباطٌ وثيقٌ؛ إذ إن سيادة العمل النحوي للشرط - مثلاً - في إحدى الجمل رهين بناء معناها عليه من خلال تحقق ذلك وفق مبادئ معاني الكلام في العربية بوقوع أداة الشرط في صدارة الكلام".^(١) وإذا أخذنا هذا المبدأ وقايسناه بمبدأ امتناع عمل ما قبل أدوات الشرط فيما بعدها وصلنا بذلك إلى أن الحكم ناشئ عن مراعاة وحدة العمل اللغوي، أي: للتمييز بين موقفين مخاطبيين مختلفين يقتضيان بنيتين لغويتين تختلف إحداها عن الأخرى؛ ليكون النظام النحوي - بهيئته التركيبية ونظام العمل النحوي - مفصلاً عن مقصد المتكلم وغايته الإبلاغية. وحتى لا يكون تحليلنا هذا ادعاءً فاقداً الدليل الذي يعضده نورد بعض الأقوال التي حُلَّ فيها النحاة هذه التراكيب، قال ابن يعيش: "قد تقدّم قولنا: إن الشرط كالاستفهام، له صدر الكلام؛ ولذلك لا يعمل في أسماء الشرط شيء مما قبله، ولا يتقدّم عليه ما كان في حيّزه... فلا يتقدّم الجزاء على أداته، فلا تقول: أَيْكَ إن أتيتني، وأحسنُ إليك إن أكرمتني، بالجزم على الجواب؛ لأنّ الجزاء لا يتقدّم على ما ذكرناه. فإن رفعتَ وقلتَ: أَيْكَ إن أتيتني، وأحسنُ إليك إن أكرمتني، جاز. ومثله: أنت طالق إن دخلت الدار، وأنا ظالم إن فعلت. ولم يكن ما تقدّم جواباً، وإنما هو كلامٌ

(١) انظر: منزلة معاني الكلام في النظرية النحوية العربية: مقارنة تداولية، معاذ الدخيل، ٢٧٨.

مستقلٌ عُقِبَ بالشرط. والاعتماد على المبتدأ والخبر ثم عُلّقَ بالشرط كما يُعلّقُ بالظرف في نحو: آتِيكَ يَوْمَ الجمعة، وأنت طالق يوم السبت^(١) وقال ابن السراج في معرض تحليله للبنية التي يتقدّم فيها الفعل أداة الشرط: "وإنّما يُستعمل هذا على جهتين: إمّا أن يضطر إليه الشاعر فيقدّم الجزاء للضرورة وحقّه التأخير. وإمّا أن تذكر الجزاء بغير شرط ولا نيّة فيه، فتقول: أجبيئكَ، فيعدك بذلك على كلّ حال، ثم يبدوله ألا يجيئكَ بسبب، فتقول: إن جئتني، ويُسْتَغْنَى عن الجواب بما قدّم، فيشبه الاستثناء".^(٢) تكون إذاً ملابسات التخاطب في الجملة التي تقدمها الفعل وتأخرت أداة الشرط عنه مختلفة عن ملابسات التخاطب في الجملة المُصدّرة بأداة الشرط، حيث إنّنا عند تقدّم الفعل نكون أمام جملة مبنية على معنى الإثبات، والإثبات أو الإخبار يكون في العربية غير موسوم بحرف - كما هو معلوم -، ثم تأتي بعدها جملة صغرى تحمل معنى الشرط وذات ارتباط دلاليّ بالجملة الكبرى؛ لأنّها تؤديّ دور المخصّص للمعنى الذي بُنيت عليه الجملة. ويبدولنا واضحاً كون البنية النحويّة تخزّن في داخلها مقاصد المتكلّم؛ لما بين العمل النحويّ ومعنى الكلام من تلازم ظاهر، فوَقوع الحروف المعبّرة عن معاني الكلام في صدارة الجملة دليلٌ على وسمها الموضع المعبّر عن مقصد المتكلّم وغايته، وإذا تصدّر لزم إعماله، وفي هذا يقول سيبويه: "وذلك أنّه قبيحٌ أن تؤخّر حرف الجزاء إذا جزم ما بعده".^(٣)، وفي هذا القول وعيٌّ بأهميّة الصدر القويّ في بيان المعنى الذي تُبنى الجملة عليه، ووعيٌّ بالعلاقة الوثيقة بين العمل النحويّ ومعنى الكلام.^(٤)

٤ - ٢ - الحرف مقولة دلالية:

إذا قلنا إنّ القول بإنشائيّة الحرف في العربية قد أحدث نقلة له من حيث الاهتمام به في البحث اللسانيّ العربيّ من الهامش إلى المركز فإنّ هذا الاهتمام به والعناية بأدواره ووظائفه في النظام النحويّ قد انتهى - من جملة ما انتهى إليه - إلى النظر إلى الحرف

(١) شرح المفصل، ابن يعيش، عالم الكتب، بيروت، ٧/٩.

(٢) الأصول في النحو، ابن السراج، تحقيق: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٨، ٢/١٨٧.

(٣) الكتاب، سيبويه، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ٧٠/٣.

(٤) انظر: منزلة معاني الكلام في النظرية النحوية العربية: مقارنة تداولية، معاذ الدخيل، ص ٢١٣.

بوصفه مقولة دلالية مجردة جوهرها الشيع والابهام والعموم؛ فكلما اتجهت الكلمة نحو الشيع والابهام والعموم وفقدت قوتها في التعيين اقتربت من الحرفية؛ فأخذت مظاهر الحرفية من قبيل: البناء، والجمود، وسوغ لها شيئاً من خصائص الحرف من جهة وسم معاني الكلام ونحو ذلك.^(١) فنكون إذاً وفق هذا التفسير قد نقلنا - عملياً - مفهوم الأعمال اللغوية من المستوى المعجمي إلى البنية الإعرابية من خلال جملة من الفرضيات: صدارة الكلام في العربية هي موضع وسم معاني الكلام، ويوسم هذا الموضع في الأصل بواسطة الحرف، والحرف مقولة دلالية يمكن أن تتجسد تجسّدات متعدّدة بمقتضى ما لها من شيع وابهام وعموم. فتمكّن هذه الفرضيات من تمهيد السبيل للتحليل الإعرابي لمعاني الكلام في العربية.

ومن شواهد نجاعة هذه الفرضيات في تفسير الأبنية الإعرابية أن جملة من الظواهر اللغوية التي تحمل (الشكل) الإخباري تكون مفسّرةً دلاليًا وإعرابيًا بمقتضى هذه الفرضيات، من ذلك:

١- الذي يأتي في فله درهم.

٢- سلامٌ عليك.

نلاحظ أن الجملتين تركيبياً تدرجان ضمن تراكيب الجملة الاسمية، وأمّا النظرة الدلالية إليهما فنلاحظ أن في الجملة الأولى معنى الشرط، وفي الثانية معنى الدعاء، وكان حق الشرط أن يعبر عنه بحرف الشرط وفعله، وأمّا الدعاء فحقه أن يعبر عنه بالفعل. فكيف يمكن أن تكون هذه الأبنية مفسّرةً في ضوء الفرضيات التي أشرنا إليها وبيننا أنها قادرة على وسم معاني الكلام إعرابياً لا معجمياً؟

لقد اتّكأ النحاة على مبادئ معاني الكلام في تفسير الدلالة الشرطية في نحو: الذي يأتي في فله درهمان، حيث إنهم لاحظوا مجافاة هذا التركيب للجملة الاسمية في تركيبها النموذجي، حيث إن الاسمية في الأصل لا تكون دالة على معنى الشرط؛ فالشرط من

(١) انظر: منزلة الحرف في التفكير النحوي العربي بين القدماء والمحدثين، معاذ الدخيل، مركز الملك

عبدالله بن عبدالعزيز الدولي لخدمة اللغة العربية، الرياض، ٢٠١٩، ص ٣٠٢.

المعاني اللائقة بالفعل. وإنّما جاءت الجملة مُعبّرةً عن معنى الشرط بتخليها عن الشكل النموذجي للجملة الاسمية من خلال مجيء المبتدأ فيها ذا دلالة عامّة ومبهمّة؛ ليتبعدها - بإبهامه وعمومه - عن دلالة الاسمية النموذجية التي يكون المبتدأ فيها معيّناً ومعلومًا لدى المخاطب، ويقترّب من معنى الشرط، حيث إنّ الفعل نكرة في الأصل، والإبهام والعموم في الاسم الموصول يقربانه من دلالة الفعل؛ لأنّ الإبهام والعموم نقيضٌ للتعين والتعريف الخاصين بالاسم.^(١) وقد نصّ الأستراباذي على إبهامه وعمومه في قوله: "والأغلب الأعمّ في الموصول الذي يدخل في خبره الفاء أن يكون عامًّا وصلته مستقبلية، كما في أسماء الشرط وفعل الشرط... وإنّما وُصِلَ المبتدأ الذي في خبره الفاء، أو وصف بالفعل أو الظرف فقط؛ لكون الموصول والموصوف ككلمة الشرط، والخبر كالجزء الذي يدخله الفاء".^(٢)

وإذا تأملنا التركيب الثاني (سلامٌ عليك) ألفينا تحليلات المحققين من النحاة تميل إلى إبراز الخصائص الإعرابية المتكفّلة بنقله من معنى الإخبار (اللائق بالجملة الاسمية في الأصل) إلى معنى الدعاء (الطارئ فيها)، فقد ذهبوا إلى أنّ الأصل في الجملة الدالة على معنى الدعاء والمُصدّرة بمصدر أن يكون المصدر فيها منصوبًا؛ لأنّ النصب يجعل الجملة متسقة مع مبادئ معاني الكلام في العربية بكون معنى الدعاء قد جاء مُعبّرًا عنه بالجملة الفعلية، حيث إنّ المصدر المنصوب سيكون معمولًا لفعل محذوف وجوبًا، فقد استغنوا بذكر المصدر عن ذكر الفعل. وبعد أن أصّلوا هذا المبدأ جاءوا إلى الشواهد التي وردت فيها المصادر مرفوعة، نحو قول الله تعالى: ﴿فَصَبِّرْ جَمِيلًا﴾ [يوسف: ١٨] فذكروا أنّ ترك النصب إلى الرفع لزيادة المبالغة في الدوام، أي: لقصد دوام سلام الله تعالى على المدعوّ له، ولقصد دوام نزول الصبر الجميل على يعقوب - ﷺ - فيكون المتكلّم بالتحوّل من النصب إلى الرفع في المصادر الدالة على الدعاء قد أجرى القول الطلبي مجرى ما قد ثبت واستقر؛ ليصل بذلك إلى زيادة المبالغة في المعنى الذي يقصده.^(٣) وقد جاءت الجملتان

(١) انظر: منزلة معاني الكلام في النظرية النحوية العربية: مقارنة تداولية، معاذ الدخيل، ص ١٥٤-١٥٥.

(٢) شرح الرضي، ١/٢٦٨.

(٣) انظر: منزلة معاني الكلام في النظرية النحوية العربية: مقارنة تداولية، معاذ الدخيل، ص ٢١٨-٢١٩.

الاسميتان الدالة إحداهما على معنى الشرط والأخرى على معنى الدعاء مُعَبَّرَتَيْنِ عن معنيين غير أصيلين في الجملة الاسمية؛ لما لهما من دخول وتقارب في معاني الحرف والفعل، ووجه ذلك أَنَّ الجملتين فقدتا أهمَّ خصيصة من خصائص الجمل الاسمية في شكلها النموذجي، ونعني بذلك أنهما فقدتا خصيصة التعيين والتحديد الذي يكون في المبتدأ، حيث إنَّ المبتدأ في الجملتين قد جاء مبهمًا وعمًّا، فكان شيعوه في الجملتين وجهاً من وجوه الاقتراب من معاني الحرفية والفعلية.

خاتمة

يمكن أن نحصل ما وصلت إليه هذه الورقة بكون الفكرة التي عبّر عنها فيلسوف العربية ابن جني "شجاعة العربية" قادرةً على إلهام الباحثين في التفاعل الحقيقي بين الدرس اللغوي الحديث واللغة العربية من جهة نظامها وقواعدها ببناء جسر تلاقح علمي تستفيد فيه العربية من مخرجات الدرس اللغوي الحديث وتفيده من جهة كونها لغة تمتلك رصيذاً غنياً في توصيف نظامها، ومن جهة كونها لغة تمتلك سمات وخصائص قد لا تكون متوفرة في كثير من اللغات التي تصدر المشهد اللساني، ونعني بذلك أنها لغة إعرابية واشتقاقية.

وتسوقنا هذه الخصيصة إلى ضرورة الوعي بأهمية الانطلاق من طبيعة نظام العربية في دراسة القضايا اللسانية، حيث إنَّ للكليات اللغوية حضوراً متعدداً في اللغات المختلفة بمقتضى ما بينها من اختلافات في طبيعتها وأنظمتها، ولذلك ينبغي أن نكون في حذر من الوقوع في بعض الإسقاطات التي قد تكون عائقاً للدرس اللساني العربي أمام الوصول إلى نتائج علمية معتبرة؛ فنبقى في حدود كوننا صدى لما وصلت إليه النظرية اللسانية دون أن نحقق الغاية المرجوة (علمياً) بإثراء النظريات اللسانية عبر التقائها باللغات المتعددة وتحقيق مغانم منتظرة بالعلاقة المتبادلة بين النظريات واللغات، كما أن بقاءنا في حدود كوننا صدى لما وصلت إليه النظرية اللسانية يبعدُ لسانياتنا العربية عن مركز الإضافة اللائقة بها في منظومة الدرس اللساني الحديث ويجعلها واقعة في الهامش غير المؤثر.

ودلّلنا في الورقة على أهميّة هذا الوعي بواقع الدراسات التداوليّة وتحديدًا في نظريّة الأعمال اللغويّة، حيث إنّ النظريّة تقوم في التعبير عن القوى المقصودة بالقول على المستوى المعجمي من جهة اختيارها أن يكون التعبير عنها بالأفعال الإنشائيّة. وبقيت هذه النظرة التصوريّة لها آثار واضحة في الدرس اللساني العربيّ بجعل الدراسة التداوليّة تتّجه في غالبها إلى الدراسات البلاغية، وإلى ثنائيّة الإنشاء والخبر. ويعني ذلك أنّ فكرة "معاني الكلام" أصبحت مدروسة في الدرس البلاغي وحده، وأمّا الدرس النحويّ - ممثلاً بالنظام الذي افترضه النحاة مفسّراً للعربيّة - فيُعَدُّ في ضوء هذا التصوّر بعيداً عن هذه الفكرة. ولاشكّ أنّ الوصول إلى هذه النتيجة يدعم أقوالاً سادت في الدرس اللغوي العربيّ الحديث ترى أنّ النحو العربيّ نحو قائم على الافتراضات المنطقيّة التي أبعدت الدرس النحويّ عن دراسة أساليب الكلام ومعانيه، وبقي محصوراً في افتراضات عقليّة يروم النحاة من خلالها تفسير الحركة الإعرابيّة. وبمقتضى هذا الوعي بأهميّة النفاذ إلى نظام العربيّة نفسه والانطلاق منه بأدوات الدرس اللسانيّ الحديث استطاعت جملة من الدراسات أن تواصل نموّ النظريّة التداوليّة وتطوّرّها وأن تعمّق النظر اللسانيّ في الدراسات العربيّة حين نقلت التعبير عن القوى المقصودة بالقول من المستوى المعجمي إلى المستوى الإعرابيّ، وأولت العناية إلى "إنشائيّة الحرف" بوصفها المعبر الرئيس عن القوى المقصودة بالقول، وكان اكتشاف القول - أعني قول النحاة بإنشائيّة الحرف - مصدراً مهمّاً في تفسير مظاهر كثيرة في نظام النحاة المفسّر للعربيّة، وإكسابها متانة وانتظاماً يكشف عن عناية النحاة بمعاني الكلام وأساليبه.

المصادر والمراجع

الأصول في النحو، ابن السراج، تحقيق: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٨.

الإنشاء في العربية بين التركيب والدلالة: دراسة نحوية تداولية، خالد ميلاد، كلية الآداب، منوبة، تونس، ٢٠٠١.

التداولية عند العلماء العرب: دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، مسعود صحراوي، دار الطليعة، بيروت، ٢٠٠٥.

شرح المفصل، ابن يعيش، عالم الكتب، بيروت.

الشرط في القرآن على نهج اللسانيات الوصفية، عبد السلام المسدي ومحمد الهادي الطرابلسي، الدار العربية للكتاب، ١٩٨٥.

في النحو العربي - نقد وتوجيه -، مهدي المخزومي، دار الرائد العربي، بيروت، ١٩٨٦.

القاموس الموسوعي للتداولية، جاك مشلروآن ريبول، ترجمة: مجموعة من الأساتذة والباحثين بإشراف عز الدين المجدوب، المركز الوطني للترجمة، تونس، ٢٠١٠.

الكتاب، سيبويه، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت.

اللسانيات التوليدية من النموذج ما قبل المعيار إلى البرنامج الأدنى: مفاهيم وأمثلة، مصطفى غلفان ومحمد الملاح وحافظ إسماعيل علوي، عالم الكتب الحديث، الأردن، ٢٠١٠.

مقاييس اللغة، ابن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر.

منزلة الحرف في التفكير النحوي العربي بين القدماء والمحدثين، معاذ الدخيل، مركز الملك عبدالله بن عبدالعزيز الدولي لخدمة اللغة العربية، الرياض، ٢٠١٩.

- منزلة معاني الكلام في النظرية النحوية العربية: مقارنة تداولية، معاذ الدخيل، نادي
القصيم الأدبي، بريدة، ودار محمد علي الحامي، ٢٠١٤.
- نظرية الأعمال اللغوية، شكري المبخوت، مسكيلاني للنشر، تونس، ٢٠٠٨.
- نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب، طالب سيد
هاشم الطبطبائي، جامعة الكويت، ١٩٩٤.
- نظرية التعلق في الوصف اللغوي، آلان بولغير وإيغور ملتشوك، ترجمة: عز الدين
المجدوب ومنصور ميغري، جامعة القصيم، بريدة، ٢٠١٧.

"شجاعة العربية": قراءة إبستمولوجية بين الخطابين العلمي والثقافي

د. عقيل بن حامد الشمري

أستاذ اللغويات التطبيقية المشارك - جامعة القصيم

الملخص:

فكرة 'شجاعة العربية' من بين عدد من الأفكار التي استحدثتها وتفرد بها ابن جني في كتاب الخصائص. وتحاول الدراسة الحالية كما هو واضح من عنوانها استكشاف المنزلة الإبستمولوجية لهذه الفكرة في الخطاب العلمي المتعلق بدراسة اللغات قديماً وحديثاً. وتنقسم الدراسة إلى ستة أقسام رئيسية. أما القسم الأول فيمهد بالتمييز بين نوعين من الخطابات المتعلقة باللغة، وهما: الخطاب الثقافي والخطاب العلمي. ويقدم القسم الثاني مناقشة إبستمولوجية موسعة للأسس العلمية التي قامت عليها اللسانيات الحديثة باعتبارها مثلاً للخطاب العلمي، مع مقارنة موجزة بالنحو العربي. ويقدم القسم الثالث استعراضاً موجزاً لأهم النتائج التي توصلت إليها الدراسات المختلفة التي تناولت الخطاب الثقافي المتعلق باللغة، وما ينتج عنه من تصورات شعبية بالدراسة والبحث. ويستعرض القسم الرابع بعضاً من المواقف الإبستمولوجية المختلفة تجاه ما يقوم بين التصورات الشعبية والتصورات العلمية من علاقات معقدة ومتداخلة، وينتهي إلى أن الموقف الأمثل في هذا الصدد هو الموقف النقدي الذي يقوم على نظرة متوازنة ومركبة بحسب مجالات القول وأغراضه. وفي ضوء ذلك يقدم القسم الأخير من البحث تحليلاً لبعض أفكار ابن جني ضمن مسالك التحليل والتعليل في التراث النحوي إجمالاً، وفي ضوء ما تم تقديمه في الأقسام السابقة من مناقشات إبستمولوجية لأنواع الخطابات المعرفية وما بينها من تداخلات معقدة.

١- مقدمة:

كتاب الخصائص لابن جني من الكتب المهمة جداً في تأريخ التاريخ اللغوي العربي، سواء من ناحية موضوعه، أو من ناحية ما أورده فيه ابن جني من مسائل وأفكار ومناقشات ثرية. فالخصائص من أول وأوسع ما كتب في أصول النحو العربي، وساق فيه ابن جني مناقشات موسعة لكثير من المسائل المتعلقة بهذا الموضوع كالسمع والقياس والعلل. وانتهى في هذه المناقشات إلى كثير من النتائج التي ما تزال تحتفظ بقيمة علمية كبيرة، إذا ما نظر إليها من منظور 'إبستمولوجيا اللسانيات الحديثة'. ولكنه من ناحية أخرى أورد بعض الأفكار الطريفة والمشكلة، مثل: فكرة 'شجاعة العربية' و'الاشتقاق الأكبر'، و'تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني' ونحوها. وهي أفكار يمكن القول إنه قد تفرد بها، ولم يكن لها حضور لدى غيره من النحاة. ونعتقد أن المدخل الإبستمولوجي الموسع الذي ينطلق من الخطابات المعرفية المختلفة يمكن أن يوضح بعض الجوانب المهمة المتعلقة بهذه الأفكار. فسنتناول هذا الموضوع بالانطلاق من هذا المدخل، بدءاً بالتمييز بين أنواع مختلفة من الخطابات التي تجعل اللغة موضوعاً لها. ثم نحاول تبين شيء من أسس الخطاب العلمي في اللسانيات الحديث، مقارنة بالنحو العربي. ونستعرض بعد ذلك بعضاً من نتائج الدراسات المتعلقة بالخطاب الثقافي وما ينتج عنه من تصورات شعبية عن اللغة. ثم نتطرق إلى المواقف الإبستمولوجية المتعددة مما يكون بين التصورات الشعبية والعلوم من علاقة معقدة. وفي ضوء ذلك نختتم بمناقشة نقدية لبعض ما تفرد فيه ابن جني في كتاب الخصائص من أفكار في سياق الاتجاهات العامة للتحليل والتعليل في التراث النحوي العربي.

٢- النظر في اللغة بين الخطابين الثقافي والعلمي:

يمكن من خلال المدخل الإبستمولوجي، الذي ارتأينا أن يكون مدخلاً لهذا البحث، التركيز على أنواع الخطابات التي تجعل اللغة موضوعاً لها. فلقد كانت اللغة دوماً موضوعاً للتفكير والنظر لدى كل الأفراد وفي كل المجتمعات. فالوعي باللغة والتفكير

بشأنها ظاهرة كونية كلية ملازمة لوجود اللغة نفسها. فلا يتحدث الناس بلغاتهم فحسب، بل كثيراً ما يتحدثون عنها بتصورات وآراء مختلفة. وإنه ليصعب في الحقيقة عزل اللغة نفسها عن وجوه التفكير المحيطة بها إلا على نحو معين من التجريد. ويمكن إجمالاً التمييز بين خطابين في النظر إلى اللغة، أولهما الخطاب الثقافي، وثانيهما الخطاب العلمي. ولئن كان الخطاب الثقافي عامّاً لدى كل المجتمعات، فإن الخطاب العلمي له شروط معينة تجعله أكثر خصوصية. ولكن يشترك الخطaban كأَي خطاب معرفي أو رمزي آخر في محاولة تحويل عالم الانطباع المجرد إلى عالم يعبر عنه الفكر^(١). والحقيقة أن 'الثقافة' و'العلم' اللذين ينسب إليهما كل واحد من الخطابين مفهومان معقدان، يستعصيان على التحديد الصارم والدقيق. ولسنا هاهنا بحاجة إلى التعمق في التفاصيل المتعلقة بذلك، وإنما يكفينا التمييز الإجمالي بين نوعي الخطاب المنسوبين إلى هذين المفهومين، وهو ما يمكن تلخيصه في الجدول التالي.

الجدول (١) الخطaban الثقافي والعلمي وسماتهما المميزة:

نوع الخطاب	الآلية	الناتج
الخطاب الثقافي	الخبرة العفوية والتنشئة الاجتماعية	آراء شخصية وتصورات شعبية عامة
الخطاب العلمي	منهجية منضبطة في جمع البيانات وتحليلها	مفاهيم ونماذج نظرية محكمة

يمكن، كما يلخص الجدول أعلاه، التمييز بين الخطابين الثقافي والعلمي من ناحية الآليات المستعملة في إنتاجهما، وما ينتج عنهما من نواتج معرفية. فالخطاب الثقافي يكتسبه الإنسان من خلال كونه عضواً في مجتمع معين له رؤاه وتاريخه وارتباطاته وأساليبه المعيشية الخاصة. والآلية الأساسية لاكتساب الخطاب الثقافي هي 'التنشئة الاجتماعية / socialization'. وهي عملية انغماس تام يندمج بها الفرد منذ الولادة في

(١) مدخل إلى فلسفة الحضارة الإنسانية، أو مقال في الإنسان، أرنست كاسيرر، ترجمة: إحسان عباس، دار الأندلس، بيروت، ١٩٦١، ص ١٣٥.

مجتمع معين، فيستبطن ما يلقاه فيه من كيفيات معينة في التفكير والإحساس والفعل عبر التربية والخبرة العفوية المباشرة والمعيشة اليومية، فتحدث عفواً أو قصداً عبر مراحل عمرية مختلفة^(١). وقد درج بعض الباحثين^(٢) على تسمية ما يكتسبه المرء عن اللغة من رؤى وأفكار من هذا الطريق باسم: 'folk views / التصورات الشعبية'^(٣)، ليكون بمثابة مصطلح جامع يشمل كافة وجوه التفكير وكل أشكال المعرفة التي يحملها عامة الناس إما عن اللغة عموماً، أو عن لغات معينة، أو عن جوانب لغوية محددة. والحق أن ما يندرج ضمن 'التصورات الشعبية' ليس على مستوى واحد، بل طيف واسع يبدأ من الشعور اللغوي الفوقي meta-linguistic awareness الملازم للملكة اللغوية الطبيعية لدى كل إنسان، وصولاً إلى ما يكون لدى الأفراد والجماعات اللغوية من اعتقادات وقناعات تتعلق باللغة وتتقاطع معها بكيفيات مختلفة، سواء أكانت ضمنية مضمرة، أم صريحة معلنة.

وقد حاول بعض الباحثين^(٤) تصنيف أنواع التصورات، بالاستناد إلى بعض المعطيات المستمدة من علم النفس الاجتماعي. فذكر أنها تشمل من بين تنوعاتها 'المعتقدات' و'المواقف' و'الآراء' و'النظريات الذاتية'. فالمعتقد يتضمن تصور قضية معينة بالإضافة إلى الالتزام بها. وأما المواقف فتتضمن بالإضافة إلى ذلك ضرباً من الحكم والتقييم السلبي أو الإيجابي. وكلاهما يؤثران على السلوك بأشكال مختلفة. وأما الآراء فتتضمن المواقف والمعتقدات حينما يُعبر عنها، ويُصرح بها. وذلك يؤدي إلى

(١) مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية، دنييس كوش، ترجمة: منير السعيداني، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ٢٠٠٧، ص ٨٣.

(2) Bringing the folk into applied linguistics: An introduction. Wilton, A. & Stegu, M. in AILA Review, 24, 12011, 14-, p. 3.

(٣) رغم أن المصطلح الإنجليزي يمكن أن يترجم بـ 'الرؤى الشعبية' فإننا قد أثرنا استخدام مصطلح 'التصورات' لأن التصور، بدلالته على كل تمثل ذهني ناتج عن التجربة الحسية، يمثل أبسط أشكال المعرفة وأعمها.

(٤) المرجع السابق.

خلق القناعات والتصورات الجماعية وتكوينها عبر التفاعل الاجتماعي مع الآخرين. وأما النظريات الذاتية فأكثر تعقيداً نوعاً ما، لأنها تمثل شبكة من التصورات الذاتية المنظمة على نحو معين. وكل هذه الأنواع المختلفة من التصورات تنشأ وتتشكل تبعاً لسياقات وارتباطات اجتماعية وسياسية معينة، تجعلها انعكاساً لتوجهات مشتركة تتجاوز الفرد، وإن كان الفرد هو الحامل لها سواء على نحو واع أو غير واع.

وسنعود للخطاب الثقافي لاحقاً، وإنما المقصود هنا الإشارة إلى مقابلته بنوع آخر من الخطابات المتعلقة باللغة، وهو الخطاب العلمي. وتحديد ما يتميز به العلم عن غيره من الأنشطة والخطابات المعرفية الأخرى هو الموضوع المعرفي الأساسي لفلسفة العلم. وقد تجاوزت فلسفة العلم محاولة تعريف العلم تعريفاً منطقياً قاطعاً، وأصبح ينظر إلى العلم باعتباره مفهومًا من مفهومات التشابه الأسري، التي تعرف من خلال أمثلتها المتباينة^(١). ومعنى ذلك أن ما يربط مفهوم العلم بتحقيقاته المختلفة هو عدد من الخيوط والروابط المتفاوتة في أهميتها، والتي تقوى وتضعف تبعاً للحالات المختلفة دون أن يكون أيها سمة جوهرية للمفهوم. فتكون المجالات المعرفية المثلة للعلوم المختلفة هي وحدة التحليل الأساسية لضبط المعرفة العلمية، وتمييزها عن غيرها. وإن كان هنالك من شيء يجمع المجالات المعرفية للعلوم، ويمكن الاتفاق عليه بشأن العلم إجمالاً فهو أنه يمنحنا فهمًا نظرياً، معتمداً على التجربة، لآليات عمل ما يوجد في الواقع من ظواهر تقوم العلوم المختلفة بدراستها. ف'الفهم النظري' و'المعرفة التجريبية'، كما يقول أحد الدارسين^(٢)، يمثلان خيطين ناظمين يتخللان أي تناول مجد للتمييز بين العلم وغيره من الخطابات، كما يتخللان التمييزات التفصيلية المتعلقة

(1) The Demarcation Problem: A Belated Response to Laudan, Massimo Pigliucci, in: Philosophy of Pseudoscience: Reconsidering the Demarcation Problem, Massimo Pigliucci & Maarten Boudry, The University of Chicago Press, 2013, p. 15.

(٢) المرجع السابق، ص ١٨

بالمجالات المعرفية داخل العلم نفسه. فيمكن النظر إليهما باعتبارهما محورين يمكن من خلالهما تحديد المنزلة الإستمولوجية للمجالات المعرفية التفصيلية داخل المظلة العامة لمفهوم 'العلم'. فكلما زاد الإحكام النظري (فبلغ الترييض الصريح)، وزاد الانضباط التجريبي / empirical (فبلغ القابلية التامة للدحض) في مجال معرفي معين زاد رسوخه من الناحية العلمية. وتكون المناقشات المنهجية التفصيلية المتعلقة بهذين المحورين من أهم ما يعنى به المشتغلون بعلم من العلوم، وتطبق بحسب ما يناسب خصوصيات الظواهر التي يدرسها كل علم معين.

يتجاوز هذا التصور إشكاليات التصور التقليدي في فلسفة العلم، فلا يعود العلم صفة قاطعة، وإنما مجال مستمرسل / continuum تتوزع عليه المجالات المعرفية المختلفة، فأكثرها علمية هي التي حققت قدراً عالياً من الإحكام النظري والانضباط التجريبي كالعلوم الصلبة، وأبعدها عنها ما ليس لها إطار نظري محدد، ولا أساس تجريبي منضبط. فلا تنتمي إلى العلم بالمعنى الصحيح. ويوجد بين هذين الطرفين عدد من المجالات التي تتفاوت بقدر ما تحققه من متطلبات الإحكام النظري والانضباط التجريبي، كالعلوم الإنسانية التي أصبحت حالياً تعتمد على دلائل تجريبية تسعى جاهدة لتنظيمها وتطويرها، دون أن تصل بعد إلى نظرية تفسيرية شاملة ومكتملة. وهذا التصور الذي يركز على المجالات المعرفية بكليتها يسمح بتبين الطبيعة التاريخية والاجتماعية والامتدادات المعرفية الخاصة بكل مجال معرفي على حدة. ولكنه يتطلب من ناحية أخرى ألا يقيّم أي مجال معرفي على انفراد، بل ضمن المنظومة المعرفية الكاملة للعلم الحديث وتطورها. فهو تصور مركب يحفظ خصوصية كل مجال معرفي معين، ولكنه يحقق متطلبات الحذر المنهجي من أي مجال يقوم على تصورات مبتورة أو منقطعة عن شبكة العلم، ولا تتوافق ما فيها من تصورات أكثر رسوخاً وانضباطاً من الناحية العلمية.

٣- اللسانيات والنحو باعتبارهما خطابين علميين عن اللغة:

يمكن تطبيق هذا التصور على اللسانيات التي تتفق تقريباً كلمة الدارسين على تعريفها بأنها: "الدراسة العلمية للغة"^(١). وما التأكيد على صفة العلمية في هذا التعريف إلا استصحاب لما ذكر أعلاه من نقاشات إبستمولوجية. فالنقاشات المتعلقة بالمعرفة العلمية وضوابطها حاضرة حضوراً مستفيضاً في الكتابات التأسيسية في اللسانيات "إلى درجة أن المؤلفات المرجعية الكبرى في اللسانيات تعد من الكلاسيكيات في الإبستمولوجيا"^(٢). ولقد كان أهم الأسئلة المركزية التي توجهت لها العناية الكبرى في هذه النقاشات السؤال المتعلق بضبط موضوع اللسانيات. ومضمون هذا السؤال هو: 'إذا كانت اللسانيات علماً، فما هو الشيء الذي هي علم له'^(٣). وتمثل الإجابة عن هذا السؤال نظرية دنيا وخطوة أولية تتفرع عنها بقية الأسئلة المتعلقة بالإحكام النظري والانضباط التجريبي في العلم. ف"أي علم من العلوم عاجز عن أن يتخذ لنفسه منهجاً، إن هو لم يقم بهذا العمل البسيط الأول"^(٤). وتزداد بالنسبة للغة مقارنة بغيرها من الظواهر أهمية هذا السؤال وصعوبة الإجابة عنه لسببين، أولاً لأن اللغة في عالم الانطباع المجرد ركام له العديد من الأبعاد والجوانب الفيزيائية والفسولوجية والنفسية والاجتماعية التي لا تنضبط ضمن تصور موحد، وثانياً لأن اللغة بسبب صلتها الوثيقة بالناس في حياتهم اليومية كانت دائماً موضعاً للتفكير والتأمل، وعرضة لأنواع شتى من الأحكام والانطباعات والتصورات التي لا يضبطها ضابط. ولقد استغرقت اللسانيات لتجاوز هذه الصعوبة وقتاً طويلاً، ومرت بمراحل متعددة حتى اهتدت إلى صياغة موضوعها صياغة صريحة ومنضبطة.

(١). مدخل إلى اللغة واللسانيات، جون ليونز، ترجمة: حمزة المزيني، مجلة كلية الآداب، جامعة الملك سعود، ١٩٨٧م، مج ١٤، ع ١٦٣.

(٢). مقدمة لعلم اللغة، جان كلود ميلنار، ترجمة: محمد الشاوش، معهد تونس للترجمة، تونس، ٢٠٢٢م، ص ١٩.

(٣). المرجع السابق، ص ٥٣.

(٤). دروس في الأسئلة العامة، فردينان دي سوسير، ترجمة: صالح القرمادي، محمد الشاوش، محمد عجينة، الدار العربية للكتاب، تونس، ص ٢٠.

وقد كانت البداية التي جعلت اللسانيات تهتدي لموضوعها هو التفكير في الطبيعة المميزة للغة. فتعريف اللسانيات المذكور أعلاه يقتضي التسليم بوجود شيء متميز عن غيره يسمى 'لغة'، وبأنه يمكن تمييزه عما عداه بناء على خصائص معينة. وإنما بدأت اللسانيات بعد ما اهتدت إلى حصر موضوعها حصراً تاماً وصریحاً في هذا الشيء الممثل لذات اللغة، والمميز لها عما عداها^(١). فكانت الفرضية الكبرى المؤسسة في هذا الصدد هو أن كل لغة نظام مستقل ومجرد ليس لعناصره من قيمة سوى ما يكون بينها من فروق تخالفية. فليس هنالك سوى شبكة من التماثلات والتخالفات تشكّل النظام، فتحدد ما له من عناصر، وما يكون بينها من علاقات. ومهمة اللسانيات تنحصر في الكشف عن هذه الشبكة ووجوه انتظامها الداخلي وآليات عملها^(٢). ورغم ما يبدو من ضآلة هذه التحديدات، فإن لها من الناحية الإستمولوجية أهمية كبيرة، لأنها تمثل التصورات الأولية المؤسسة التي يقوم عليها كل علم. وتمثل هذه التصورات مستوى أول من المحددات الإستمولوجية للعلم ينبي عليها مستوى ثانٍ يتعلق بما يكون له من آليات وإجراءات خاصة في تكوين المعرفة عن موضوعه الذي تم تحديده في المستوى الأول. فيتحقق للعلم بذلك شيء من الانضباط التجريبي والإحكام النظري المطلوب في جميع العلوم. وتكون ثمرة ذلك تحقيق العلم لنتائج مهمة في استكشافه لموضوعه يمكن استثمارها لاحقاً إما في التعامل مع المشكلات العملية الموجودة في الواقع، أو في مجالات معرفية أخرى. ويمثل ذلك مستوى ثالثاً من المحددات الإستمولوجية للعلوم، كما يلخص الجدول أدناه.

(١) مقدمة لعلوم اللغة، ص ٥٨

(٢) اللسانيات وأسسها المعرفية، عبدالسلام المسدي، الدار التونسية للنشر، تونس، والمكتبة الوطنية

للكتاب، الجزائر، ١٩٨٦م، ص ٣٠.

الجدول (٢): المحددات الإبستمولوجية للعلوم:

المستوى الأول	التصورات الأولية المؤسسة		ضبط موضوع العلم
			الخصوصية المعرفية
المستوى الثاني	تكوين المعرفة	الانضباط التجريبي	جمع البيانات
			تحليل البيانات
		الإحكام النظري	إنشاء المفاهيم
			بناء النماذج
المستوى الثالث	استثمار المعرفة وتطبيقها		في المشكلات العملية
			في المجالات المعرفية الأخرى

ولئن لم تكن اللسانيات قد بلغت مبلغ بعض العلوم الطبيعية الصلبة، فإنها قد حققت في المستويات الثلاثة تقدماً كبيراً، مكنها من أن تحقق منزلة متقدمة في منظومة العلوم الحديثة. وكان المنطلق نحو ذلك التقدم هو التحديد الصريح لموضوع اللسانيات في جانب موحد ومنسجم، يمثل لب الظاهرة اللغوية. فتجاوزت اللسانيات بذلك الصعوبات المتعلقة بما للغة من جوانب متعددة، وبما يكتنفها من تصورات وانطباعات شعبية متباينة، نحو موضوع علمي محدد ودقيق.

وإنما نريد هنا الإلماح إلى بعض الجوانب الإبستمولوجية الأساسية، ولا يمكننا الدخول في التفاصيل المتعلقة بما حققته اللسانيات من تقدم في هذه المستويات. ويكفي الاطلاع على أي مدخل أولي في اللسانيات لمعرفة ما حققته من تقدم في هذا الصدد^(١). ففي مستوى آليات تكوين المعرفة يمكن الاطلاع على كثير من المناقشات الموسعة والتدقيقات المفصلة في الجوانب المتعلقة بالانضباط التجريبي والإحكام النظري، وما

(١) انظر مثلاً: مدخل لفهم اللسانيات، روبير مارتان، ترجمة: عبدالقادر المهيري، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ٢٠٠٧م.

بينهما من تكامل، وما يشتملان عليه من مسائل خاصة بجمع البيانات وتحليلها وإنشاء المفاهيم والنماذج النظرية. وما كان لذلك أن يتم لولم يتم تحديد موضوع العلم بصورة دقيقة. ففي جمع البيانات مثلاً توجد مناقشات مفصلة عن أنواع البيانات التي تشمل: (١) المتون / corpora، و(٢) المستلآت / elicited data، و(٣) الحدوس / intuitions، وتعريف كل نوع منها وضوابط استعماله فيما يناسبه من موضوعات. وتوجد كذلك مناقشات دقيقة تتعلق بآليات تحليل البيانات لاستخراج ما يوجد فيها من أنماط وعلاقات مجردة. وهي آليات ترجع في مجملها إلى تقطيع شبكة العلاقات الموجودة في النظام اللغوي المجرد وفق محورين: رأسي، وينتج عنه التحليل الاستبدالي / paradigmatic، وأفقي، وينتج عنه التحليل التناظري / Syntagmatic. وتضاف إلى هذين النوعين الأساسيين من التحليل أنواع أخرى كالتحليل التحويلي، والدلالي والإحصائي. وإلى هذه الأنواع الخمسة ترجع كافة أنواع التحليل اللساني التي يمكن أن تطبق على أي لغة من اللغات^(١).

وتوجد كذلك مناقشة مفصلة تتعلق بإنشاء المفاهيم، وتركز على تبين طبيعتها المجردة، وما ينشأ بينها في المستوى المجرد من علاقات تجعلها تتناظم وفق تدرج هرمي له منطقته الخاص. فمنها ما يمثل أصنافاً أولية توجد تعييناتها المباشرة في المادة اللغوية، كالوحدات الصوتية / phonemes، والوحدات المعجمية / lexemes في لغة معينة. ومنها ما يمثل أصنافاً للأصناف الأولى، فتكون أصنافاً ثانوية أكثر تجريداً، ولا تظهر تعييناتها المباشرة في المادة نفسها، وإنما يتطلبها التقدير وبناء الفرضيات واختبارها. وهكذا يترقى التجريد صعوداً في أصناف من وراء أصناف حتى يبلغ التحليل أربه. وتلتزم تلك الأصناف لتشكل وحدات لها بنيات تتضمن علاقات ومواضع. وإلى هذه الفصائل تعود جميع وجوه التخالف والاتفاق في أي نظام لغوي مجرد، ويمكن تطبيقها على كل لغة لاستخراج ما فيها من فصائل وصفية^(٢)، كما يلخص الجدول (٣).

(١) المرجع السابق، ص ٤٣

(2) The linguistic sciences and language teaching, Michael Halliday, Angus McIntosh, Peter Stevens, Longmans, London, 1964, p. 25.

الجدول (٣): الفصائل الأساسية لتحليل النظام اللغوي وأمثلتها الوصفية:

فصائل نظرية عامة	تعريف	فصائل وصفية
مجموعة	تقوم على خيارات مفتوحة من العناصر	العناصر المعجمية
نظام	يقوم على خيارات مغلقة من العناصر أو الأصناف التي تتحدد بحسب بنية معينة	الزمن، العدد
وحدة	كل قطعة من اللغة متضمنة لأنماط نحوية معينة	الجملة، الكلمة
بنية	طرق ورود الوحدات في وحدة أعلى منها، مع ما لها داخل الوحدة من علاقات	مواضع: فاعل، مفعول، علاقات: التعلق، العمل
صنف	مجموعة من العناصر التي تتصرف بنفسه في البنية	اسم، فعل

وحيثما يتم استخراج ما يوجد في نظام لغوي معين من فصائل وصفية، وتنظم وفق تصورات معينة، ينشأ عن ذلك نماذج / models، يمكن أن تبين الصورة المجردة التي تسير الظاهرة على منوالها. فتحدد ما فيها من "انتظامات مهمة" ^(١)، وتعيد ما فيها من تنوع إلى عدد محدود من المبادئ والفرضيات التي يمكن اختبارها وفق لما يحدث في البحث العلمي من تقدم ^(٢). ويمثل إنشاء النماذج الغاية الأساسية لكل علم نظري، لأنها تصف الظواهر المدروسة، وتفسر عللها، وتنبأ بسلوكها، وهي الغايات الثلاث المقصودة من كل علم. وتتضمن المناقشات الإبستمولوجية المتعلقة بهذا الصدد شروط صياغة المفاهيم والنماذج وضوابطها. ومنها التناسق المنطقي، وتجانس الارتباطات، والشمول للمعطيات، والبساطة، وأن تكون النتائج متسقة مع التصورات الأولية المؤسسة للعلم، ومعنى ذلك أن يكون ما يتوصل إليه من نتائج ناشئاً عما يوجد في المعطيات من انتظامات داخلية، لا مفروضاً عليها من الخارج.

(١) اللغة من المعنى إلى النص، إيغور مالتشوك، ترجمة: عقيل الشمري، ابن النديم للنشر والتوزيع، ودار الروافد الثقافية، بيروت، ٢٠٢٣م، ص ٧١.

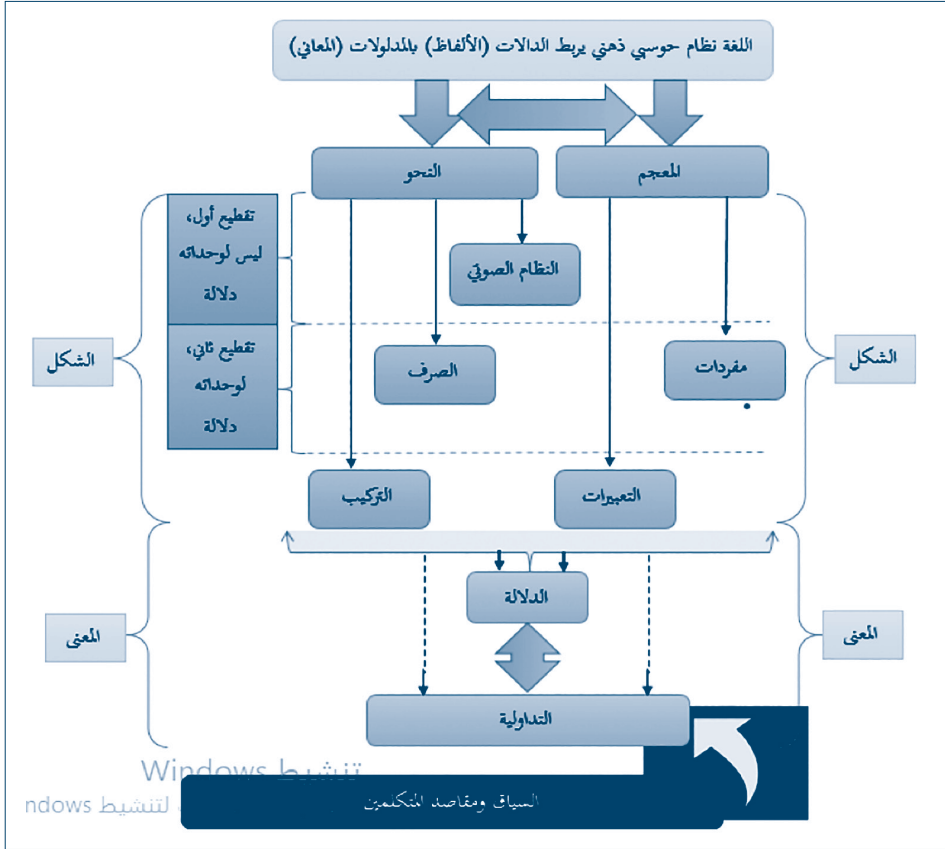
(٢) مدخل لفهم اللسانيات، ص ٦٦

وتنظر اللسانيات في جميع ما سبق إلى أحاد اللغة، بالطريقة نفسها التي تنظر بها إلى اللغات جميعاً. وليس ذلك مجرد خيار، بل هو ضرورة منهجية ناشئة عن الضبط الإبستمولوجي لموضوع العلم وحصره فيما به "تتكون اللغة من حيث هي لغة" ^(١)، كما ذكرنا سابقاً. وذلك ينطبق انطباقاً موحداً على أحاد اللغات، كما ينطبق عليها جميعاً باعتبارها جنساً واحداً. فاللغات متجانسة، رغم ما يوجد بينها من اختلاف في بعض التفاصيل. ويشهد على ذلك إمكانية الترجمة فيما بينها، فلولا هذا التجانس، لما أمكن ذلك. ومن مظاهر التجانس الكبرى بين اللغات اشتراكها في الهيكلية المزدوجة للمعمار اللغوي. فاللغات جميعاً لها معمار واحد يتكون من جزأين أحدهما تمثله مجموعة من الوحدات الدالة (وهو المعجم)، والآخر يمثل نظام مغلق من القواعد العمومية (وهو النحو) ^(٢). وتشترك جميعاً في أن معجمها يشتمل على وحدات حرة التأليف (المفردات) وأخرى مقيدة (التعبيرات والمسكوكات)، كما أنها تشترك في أن نحوها يشتمل على مستويين من التقطيع، أحدهما ليس لوحداته دلالة (في المستوى الصوتي)، والآخر لوحداته دلالة (في المستوى الصرفي). ويلخص الشكل (١) المكونات الأساسية لهذا المعمار ومكوناته في اللغات جميعاً.

(١) بحوث ودراسات في علوم اللسان، عبدالرحمن الحاج صالح، موفم للنشر، الجزائر، ٢٠١٢م، ص ١٥٧.

(٢) اللغة من المعنى إلى النص، ص ٤٨

الشكل (١) المعمار اللغوي المشترك بين اللغات جميعاً ومكوناته:



ولا يقتصر تجانس اللغات على ذلك، فلقد استطاعت اللسانيات في ظرف وجيز بعد ضبط موضوعها أن تصل إلى مقدار كبير من الكليات اللغوية^(١). ومن المقاصد الأساسية للسانيات إنماء هذا الاتجاه، حيث يتم إنماء النظرية اللسانية العامة وأدواتها جنباً إلى جنب مع النظريات المتعلقة بلغات بعينها، ويراجع كل منهما بحسب ما يتحقق في الجانب الآخر من تقدم.

(١) انظر: مدخل لفهم اللسانيات، ص ٩٣

ورغم ما يوجد في ظاهر الأمر بين النظريات اللسانية المختلفة من تباين، فإنها جميعاً "تحتفظ بالقدر المشترك والأساسي من المنطلقات التعريفية"^(١) والإبستمولوجية التي ذكرناها حتى الآن. وإنما يرجع اختلافها إلى اختلاف تصوراتها بشأن الطبيعة الحقيقية لمكونات النظام أذهنية أم مجردة رياضية أم اجتماعية أم مسكوت عنها. ولم تصل إلى مثل هذا الخلاف المتقدم أصلاً إلا بسبب ضبط الموضوع الإبستمولوجي للسانيات. فلقد مكنها ذلك من الوصول إلى أسئلة متقدمة كعلاقة اللغة بالدماغ أو التكوين الوراثي للإنسان^(٢). ومكنها كذلك من التعامل بطريقة حديثة ومتقدمة مع أسئلة طالما كانت موضوعاً لتخمينات وتهويمات لا تستند إلى أساس بسبب عدم ضبط أصل الموضوع الذي تتحدث عنه، ومن أمثلة ذلك موضوعات أصل اللغة لدى الإنسان، واكتسابها لدى الأطفال^(٣). وهذا يوضح شيئاً من التقدم الذي أحرزته اللسانيات في المستوى الثالث المذكور في الجدول (٢). فما كان للسانيات أن تسهم إسهاماً مهماً في هذه الموضوعات، وتُسند العلوم الأخرى التي تدرسها، لو لم تنضج من خلال الضبط الإبستمولوجي لموضوعها.

وهذا يوضح السبب الذي جعل بعض الدارسين يشبه وضع التصورات الكبرى المؤسسة للسانيات الحديثة بالثورة الكوبرنيكية^(٤). والمقصود طبعاً هو كوبرنيكوس الذي قلب تصورات علم الفلك بجعل الشمس بدلاً من الأرض في المركز، فكان ذلك عند كثيرين هو المحطة الأولى لبداية العلم الحديث. وهذا التشبيه دال جداً. فوضع التصورات المؤسسة لعلم اللسانيات بالطريقة التي وُضعت بها جعلها تنظر بطريقة جديدة لمعطيات مألوفة^(٥). ولم يؤد ذلك إلى ضبط موضوعها وأصولها الإبستمولوجية

(١) اللسانيات وأسسها المعرفية، ص ٢٤

(٢) أسس اللسانيات النفسية، إيفا فيرنانديز، وهيلين كيرنز، ترجمة: عقيل الشمري، دار جداول، بيروت، ٢٠١٨م، ص ١١٣.

(٣) المرجع السابق، ص ١٤٧

(٤) مفاتيح الألسنية، جورج موان، ترجمة: الطيب البكوش، منشورات سعيان، تونس، ١٩٩٤م، ص ٣٣.

(٥) مدارس اللسانيات: التسابق والتطور، جفري سامسون، ترجمة: محمد زياد كبة، جامعة الملك سعود، الرياض، ص ٥٢

فحسب، بل جعلها تتمكن في مدة وجيزة من اكتشاف كثير من حقائق اللغة البشرية، وتتقدم تقدماً كبيراً في كثير من الاتجاهات النظرية والتطبيقية. ولئن كان المستوى الأول الذي ذكرناه في الجدول (٢) أعلاه يقاس بما له من خصوصية معرفية^(١)، فإن هذا التقدم يوضح أن اللسانيات بضبط موضوعها بالطريقة التي ضبطته بها كانت قد وضعت قدمها على الطريق الصحيح.

وللتشبيه بالثورة الكوبرنيكية فائدته من ناحية أخرى، إذ يوضح علاقة اللسانيات بما سبقها. فكما أن علم الفلك لم يبدأ بكوبرنيكوس، فإن الدراسة العلمية للغة لم تبدأ باللسانيات الحديثة. بل لها تاريخ طويل لدى كثير من المجتمعات. فالتحول إلى جانب الفلك والقانون والرياضيات من العلوم التي لم يخل منها أي مجتمع بلغ مستوى لا بأس به من الحضارة^(٢). وتشارك هذه التقاليد النحوية المختلفة اللسانيات في مجالها وهو دراسة المعطيات اللغوية، كما أنها تشاركها وتشترك هي فيما بينها في كثير من الخصائص والسمات. والنحو العربي من أعرق هذه التقاليد وأبرزها. وهو مثلها في كونه يشارك اللسانيات الحديثة في كثير من خصائصها وسماتها، ويختلف عنها في بعض منها. وطبعاً ليس المقصود من المقارنة في الحالين تفاصيل المسائل الجزئية، وإنما أصول النظر الإبستمولوجي وأسسها. وتعود الاختلافات في مجملها، كما يقول أحد المنظرين^(٣)، إلى فكرة النظام المعرفي episteme المضمر والسائد في حقبة زمنية أو سياق حضاري معين، فيجعل العلوم وطرائق التفكير تتوجه وجهة معينة. فاللسانيات الحديثة، لنشأتها في سياق الفكر العلمي الحديث، تأثرت به في جعل فهم الظواهر بذاتها وتكوين النماذج المثلثة لها هو الغاية الأساسية من العلوم، كما ذكرنا أعلاه. أما النحو العربي فإنه لنشأته في سياق الحضارة الإسلامية متشبع بالصبغة الآلية للعلوم التي تجعل كل علم آلة لغاية أخرى غيره^(٤).

(١) مقدمة لعلم اللغة، ص ٤٣

(٢) فلسفة اللغة، سيلفان أورو، جاك ديشان، جمال كولوغلي، ترجمة: بسام بركة، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ٢٠١٢م، ص ٢٩.

(٣) مقدمة لعلم اللغة، ص ٨٢

(٤) وهذا هو معنى تصنيف النحو على أنه من علوم الآلة، وانظر: تجديد المنهج في تقويم التراث، طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ٢٠٠٧م، ص ٨٣

ولهذين التوجهين أثرهما في الغرض المقصود من كل علم منهما. فغرض اللسانيات هو الكشف عن آليات عمل اللغة بذاتها ولذاتها، والوصول بذلك إلى أقصى غايات التجريد. ويبلغ ذلك ذروته في البحث عما يجمع اللغات من كليات، وضبطها بمعيار واحد باعتبارها تجليات لظاهرة طبيعية واحدة، كما ذكرنا أعلاه. وأما النحو العربي فغرضه الذي نشأ لأجله هو فهم النص القرآني من خلال ضبط قوانين لغته وفهمها^(١). ولئن كان غرض اللسانيات جعلها تتجاوز أفراد اللغات نحو كلياتها، فإن غرض النحو جعله يقتصر على لغة واحدة بعينها، وهي العربية، ف"لم يحدث على الإطلاق أن اتجه التراث العربي أي وجهة تؤدي إلى التطور إلى نحو عام"^(٢). وما من شك أن لذلك تأثيره، لا سيما على الفرضيات الكبرى المؤسسة للعلم، ولكن للعلم مستويات وأبعاد أخرى يقاس بها غير الغرض الذي نشأ لأجله وفرضياته المؤسسة. ومن ذلك جانبه الإجرائي المتعلق بمدى نجاحه في تكوين نماذج مثله للظواهر التي يدرسها وفق الشروط التي يحددها العلم في الوصف والتفسير والتنبؤ. والحد الأدنى في ذلك وفق التصور النظامي للغة الذي ذكرناه أعلاه هو أن يكشف عما بين المعطيات من تجانس وترابط يمكن من اكتشاف البيئة المجردة الكامنة وراء ما يوجد في الانطباع الخام من أحداث لغوية^(٣). ولئن أخذنا الجملة والكلمة باعتبارهما الوحدتين الأساسيتين للتحليل في كل نحو^(٤)، فإننا سنجد أن النحو العربي قد استطاع أن يبني لكل منهما نموذجاً يحقق ما هو مطلوب.

أما الجملة فقد استطاع النحو العربي أن يقدم لها نموذجاً ضمناً يفهم من خلال الحديث عما تتضمنه بنية الجملة من مواضع وما يقوم بينها من علاقات وما يسري

(١) فقه اللغة في الكتب العربية، عبده الراجحي، بيروت: دار النهضة العربية، ١٩٧٢م، ص ٣٤، وانظر أيضاً: مقاصد علم اللغة في الحضارة العربية الإسلامية: دراسة إحصائية، خالد فهمي، القاهرة: دار المقاصد، ٢٠١٤م، ص ٣٠.

(٢) التراث اللغوي العربي، بوهاس وجيوم وكولوغلي، ترجمة: محمد حسن عبدالعزيز وكمال شاهين، القاهرة: دار السلام، ص ٦١.

(٣) المنوال النحوي العربي: قراءة لسانية جديدة، عز الدين المجذوب، كلية الآداب، سوسة، دار محمد علي الحامي، تونس، ١٩٩٨م، ص ١٢٧.

(٤) اللغة من المعنى إلى النص، ص ٩٠.

عليها من أحكام، وإن لم يتم التصريح بالمفهوم نفسه^(١). وأما الكلمة فقد قدم لها النحو العربي نموذجاً صريحاً يعد من أرق ما يمكن أن تصل إليه العلوم في الصياغة الشكلانية الصارمة، وهو نموذج الجذر الثلاثي، الممثل بصيغة: /فعل/. فعن طريق ذلك النموذج تم ضبط بنية الكلمة العربية وأحكامها. ولم تقتصر فوائد هذا النموذج على الجانب النظري، بل كان له فائدة عملية جلية تتمثل في حصر المستعمل والمهمل من الألفاظ، وطُبقت عن طريق التقليلات في صناعة المعاجم. وقد مر معنا أن الاستثمار التطبيقي للنماذج والمفاهيم مستوى من مستويات علميتها، بل قد يكون رائزاً من روائز صوابها. فما لا صواب له، لا يمكن تطبيقه.

والنجاح الذي بلغه النحو العربي في صياغة نتائجه ونماذجه، مرتبط بنجاح آخر لا يقل عنه، يتعلق بالآليات والوسائل التي استعملها في إنتاجها. وغير خاف أن استعمال تلك الآليات شيء آخر غير التصريح بها والتنظير لها. وقد نجح النحو العربي في الاثنين، فكما نجح النحو في استعمالها، نجح كذلك في التنظير لها والتصريح بها. وذلك هو موضوع 'أصول النحو'، سواء فيما كتب عن ذلك من مباحث في ثانيا كتب النحو نفسها، أو فيما أفرد له من كتب خاصة، ومنها كتاب 'الخصائص' لابن جني الذي سنتوقف عند بعض ما ورد فيه من أفكار لاحقاً. فتعرض النحاة في هذه المباحث تحت عناوين: 'السمع' و'القياس' وغيرهما إلى الجوانب المتعلقة بجمع البيانات وتحليلها وبناء المفاهيم والنماذج وما يتعلق بذلك من ضوابط ومنطلقات. وهي المباحث نفسها التي تمثل مباحث 'إبستمولوجيا اللسانيات'^(٢).

ومن ضمن المباحث المشتركة بين الموضوعين الفرضيات المؤسسة للعلم. ومن الفرضيات المشتركة بين اللسانيات والنحو التمييز بين النظام ومنتجاته. فما من نحو ممكن إلا يمثل هذا التمييز^(٣)، فعليه يبني ما يبنيه من نماذج، كما رأينا في نموذج

(1) Structure, class and dependency: modern linguistic theory and the Arabic grammatical tradition, Jonathan Owens, Lingua, 64, p. 251984, 62-.

(٢) منطق العرب في علوم اللسان، عبدالرحمن الحاج صالح، موفم للنشر، الجزائر، ٢٠١٢م.

(٣) مقدمة لعلم اللغة، ص ٧٦.

الجملة والكلمة في النحو العربي. ولكن الفرق يكمن في مستوى التصريح بهذا التمييز وما يبنى عليه من ضبط إبستمولوجي. فاللسانيات، كما رأينا، جعلت هذا التمييز فرضية كبرى صريحة بنت عليها غيرها من الفرضيات، واشتقت منها ما يناسبها من آليات منتجة للمعرفة. وكان ذلك هو الضابط الإبستمولوجي والمنهجي الذي جعل لللسانيات تتجاوز الوجوه المتعددة للظاهرة اللغوية، والتصورات الشعبية المتباينة إزاءها نحو موضوع دقيق ومحدد، لا تتجاوزه إلى غيره، وتقيس به اللغات جميعاً بمعيار واحد. وأما في النحو فهي فرضية مؤسسة، ولكن على نحو ضمني، قد يجعلها تفسح المجال أحياناً لتسلل ما يخالفها من خطرات ونظرات. وربما كان ذلك هو ما حدا ببعض المنظرين إلى القول بأن الفارق الجوهرى بين اللسانيات والنحو (ويقصد الأنحاء القديمة في الحضارات جميعاً) هو أن اللسانيات تنتمي إلى مثال العلم الأعلى، في حين أن النحو ليس كذلك باطراد^(١). ومع أن الفرق ليس بالصرامة التي يوحى بها هذا القول، فإننا نعتقد أنه تفريق وجيه إجمالاً. وفي سياقه يمكن النظر إلى بعض الأفكار التي أوردها ابن جني في كتاب 'الخصائص'. وسنعود لتبيين ذلك بعد وقفة موجزة عن نتائج الدراسة المنتظمة للتصورات الشعبية عن اللغة، وما يتعلق به من مواقف إبستمولوجية.

٤- الخطاب الثقافي موضوعاً للدراسة والبحث:

يوضح ما مضى من نقاش ما بين الخطابين العلمي والثقافي المتعلقين باللغة من تباين. ولئن حظيت ضوابط الخطاب العلمي بكثير من العناية في المباحث الإبستمولوجية المتعلقة بهذا الموضوع، فإن الخطاب الثقافي المتعلق باللغة قد بقي متروكاً لا يؤبه به. ولقد تغيرت شيئاً ما هذه النظرة مؤخراً، وأصبحت تتوالى الدعوات إلى العناية بالخطاب الثقافي المتعلق باللغة لأسباب مختلفة وتحت عناوين مختلفة، وسنلخص بعضها منها في هذا القسم، مع استعراض موجز لأبرز ما انتهت إليه من نتائج في هذا الصدد.

(١) مقدمة لعلوم اللغة، ص ٨٥

يؤكد بعض الباحثين^(١) أن 'الثقافة اللغوية' في المجالات التطبيقية المتعلقة باللغة مفهوم ضروري، لا يمكن الاستغناء عنه، والاقتصار على النظرة العلمية للغة. ويقول بأن المجالات التطبيقية في التعامل مع اللغة تقتضي في الحد الأدنى النظر إلى ثلاثة جوانب من الأبعاد المتعلقة بالظاهرة اللغوية، كما هو مذكور في الجدول أدناه.

الجدول (٤) الجوانب التي يقتضيها النظر إلى اللغة في المجالات التطبيقية:

الجانب	تعريفه	المجال المعني به
النظام اللغوي	مجموعة القواعد النحوية التي تشكل مع المعجم الأساس المؤد لكل الجمل النحوية دون غيرها في اللغات	اللسانيات
المنتجات اللغوية	مجموع النصوص والخطابات المنتجة بلغة معينة	الآداب والإنسانيات
الثقافة اللغوية	مجموع التصورات اللغوية المشتركة لدى جماعة لغوية معينة، بالإضافة إلى العوامل الحضارية المشكلة لها على نحو معين	—

ينظر الجانب الأول إلى اللغة باعتبارها نظاماً، وهو موضوع الدراسات اللسانية البحثية المذكور في القسم السابق. فاللغات جميعاً من هذا الجانب متكافئة لا تفاضل بينها، وتقف اللسانيات منها موقفاً محايداً يحاول الكشف عن قوانينها العامة. وأما الجانب الثاني فيتعلق بما يكون للغات من آداب ومنتجاتها اللغوية. وهذا المستوى موطن للتفاضل بين اللغات، لأن الآداب والمتون اللغوية تتفاوت من لغة إلى أخرى في قيمتها أو كميتها بحسب المؤثرات والظروف الحضارية المختلفة التي تمر بها الجماعات اللغوية. وعليه فإن اللغات غير المكتوبة، أو غير المستعملة في التعليم، أو تلك التي لم تخضع للتقييس، أو لا تتكلمها إلا أقليات مهمشة ستبدو أدنى قيمة من غيرها في نظر الجماعات اللغوية المختلفة. ويضيف هارولد شيفمان^(٢) إلى هذين المستويين مستوى

(1) Linguistic Culture and Language Policy, Harold Schiffman, Routledge, New York, 1996, p. 55.

(٢) المرجع السابق، ص ٥٧

ثالثاً متعلّقاً بالمضامين والأحكام والمواقف الفكرية والاعتقادية التي تمثل 'الثقافة'. واهتمام شيفان بهذا الموضوع ناتج عن منظور لساني تطبيقي معني في المقام الأول بالسياسات اللغوية المختلفة والتعقيدات الحضارية والثقافية المحيطة بها. ويرى أن لأي سياسة لغوية بعداً يتأسس في العمق على ما تمتلكه الجماعات اللغوية من اعتقادات ومواقف وأساطير تشكل ثقافتها اللغوية، وعلى الدور الذي توليه تلك الجماعات للغات المعيّنة التي تتكلمها في نقل ثقافتها والمحافظة عليها. وما لم تأخذ السياسات اللغوية التي يتم تقريرها من الأعلى بهذا البعد الممثل للثقافة اللغوية بالاعتبار، فإنها لن تحظى بقدر مقبول من التوفيق. فيقترح مفهوم الثقافة اللغوية للعناية بهذا البعد الذي يرى أنه لم يحظ بالقدر الكافي من الاهتمام، ولذا لم يرد في الجدول أعلاه مجال نظري يكون هذا الجانب موضوعاً دراسياً له.

وهذا الجانب الذي يدعو هارولد شيفمان إلى العناية به من منظور تطبيقي، قد سبقه آخرون إلى العناية به تحت عناوين أخرى ذات اهتمامات نظرية. ومن أبرز العناوين التي بُحِث تحتها هذا الموضوع عنوانان، هما: 'الأيديولوجيا اللغوية / language ideology'، و'اللسانيات الشعبية / folk linguistics'. وكلاهما مصطلح حديث نسبياً، لا يتجاوز عمر استحدثائه وتطوير موضوعه ليكون مبحثاً أكاديمياً مستقلاً الخمسة عقود^(١). ويشترك المبحثان في كثير من الجوانب. ومن أهم ما يشتركان فيه أنهما يجعلان موضوعهما الأساسي ما يكون لدى الجمهور في الجماعات اللغوية المختلفة من آراء ومعتقدات وتوجهات متعلقة باللغة، يجمعها مصطلح 'التصورات الشعبية'، كما ذكرنا سابقاً.

وهذه التصورات، كما ذكرنا، تتنوع تنوعات شتى تبعاً لأبعاد مختلفة. فمنها ما يكون خفياً يحمله أصحابه في صورة معتقدات ومواقف خاصة، ومنها ما يكون بيئاً

(١) للاطلاع على تتبع لتاريخ المصطلحين وما يتعلق بهما من نقاشات، انظر: التصورات الشعبية عن اللغة في الأدبيات اللسانية المعاصرة: مقارنة إبستمولوجية، منصور ميغري، وعقيل الشمري، في: التصورات الشعبية عن اللغة العربية: مفاهيم وقضايا وحالات. مركز الملك عبدالله لخدمة اللغة العربية، الرياض، ٢٠١٧م.

يظهر في صورة آراء علنية. ومنها ما يكون بسيطاً، وما يكون معقداً يتضمن شبكة من التصورات المتداخلة. ومنها ما يكون صريحاً يعيه حامله، ومنها ما يكون ضمنياً يحمله صاحبه دون وعي منه، بل يظهر له كأنه أمر طبيعي لا مناص منه. والضمني منها قد يتبدى بطرائق مختلفة، فمنه ما يتبدى في كفاءات استعمال اللغة، ومنه ما يتبدى في اللغة نفسها في صورة استعارات أو مفردات لها دلالات ثقافية معينة. والصريح منها قد يكون وجيهاً، أو قريباً من السوء، وقد يكون مجرد خرافات وأباطيل. وهذه الأنواع كلها تدرسها المجالات المعرفية المعنية بهذا الموضوع، وتستعمل لكل نوع منها ما يناسبه من منهجيات وأدوات.

وليست التصورات الشعبية الناشئة عن الخطابات الثقافية مقصورة، كما قد يُفهم خطأ، على العوام من الأميين أو ذوي التعليم المتوسط، بل هي شيء مشاع يشارك في احتدائه وإنتاجه وتداوله شرائح اجتماعية متباينة، تشمل أصحاب التأهيل المعرفي العالي والتأثير الاجتماعي الكبير. فتذكر إحدى الباحثات ⁽¹⁾ في دراسة ميدانية أجرتها على المجتمع الفرنسي أن من بين من يسهمون بدرجات مختلفة في تناقل التصورات الشعبية فئات تبدأ من المناضلين الذي يجمعهم موقف لغوي له منطلقات دينية أو سياسية معينة، وتمر بالمبدعين من المسرحيين والشعراء والممثلين الذين لهم قدرة على التلاعب باللغة وخلق النكات اللغوية، وكتاب الصحف والمقالات، والمصححين والمدققين اللغويين، وأصحاب الغريب المولعين بتتبع أصول الكلمات وشجرتها، واللغويين الهواة، والأكاديميين من أصحاب التخصصات المختلفة، حتى تصل إلى اللسانيين المحترفين. ولئن كان إسهام اللسانيين في تناقل التصورات الشعبية أقل من إسهام غيرهم بحكم ما يتلقونه من تعليم خاص، فإن لكثير منهم نصيباً لا يُستهان به في هذا الصدد بحكم تأثرهم بما ينتمون له من خطابات ثقافية.

(1) Do non-linguists practice linguistics? An anti-eliminative approach to folk theories, Paveau, M.A. AILA Review, 24, 402011, 54-.

وما ذكر في تلك الدراسة عن المجتمع الفرنسي ينطبق على غيره من المجتمعات في كل الأزمان. فمن أهم ما انتهت إليه الدراسات في هذا الموضوع أن الخطابات الثقافية المتعلقة باللغة لا يخلو منها مجتمع من المجتمعات، وأن هذه الخطابات الثقافية متعددة ومتباينة ومنحازة ومشبعة بما للمجتمعات التي تنشأ فيها وتمثلها من تطلعات وتوجهات وارتباطات تاريخية وحضارية مختلفة. بل قد يوجد داخل المجتمع الواحد خطابات متعددة بتعدد ما يوجد فيه من تقسيمات اجتماعية بارزة، سواء أكانت طبقية، أم جنسية، أم مناطقية، أم فئوية أم غيرها. ويشمل تعدد الخطابات والأيدولوجيات اللغوية حتى المجتمعات المتجانسة والمستقرة لغوياً، ولكنها تكون أكثر خفوتاً وضموراً، حينما تصبح إيديولوجية نخبة معينة وتصوراتها الخاصة هي الأيدولوجية البارزة والحاكمة ليقتردي بها ويحتذيها كثير من أفراد الطبقات والفئات الاجتماعية الأخرى. بيد أن ذلك قد يتغير فيتحول إلى إيديولوجيات صريحة ومعلنة تمثل خطابات ثقافية متنافسة ومتنازعة حينما يكون هنالك صراع اجتماعي لأي سبب من الأسباب. وتبين كذلك الدراسات المتعلقة بهذا الموضوع بأن التصورات الشعبية لا تقتصر على موضوعات بعينها، بل تشمل كافة الموضوعات التي يمكن التفكير فيها عن اللغة⁽¹⁾. فاللغة مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بمصالح الناس وهوياتهم وانتماءاتهم، ولذا يشعرون بأنهم مخولون للدخول في كافة النقاشات المتعلقة بها بغض النظر عن امتلاكهم للمعرفة التخصصية الكافية. ويبلغ بهم الأمر من هذه الناحية في بعض الأحيان مبلغ التهوين من آراء الخبراء والمتخصصين في الدراسات اللسانية، على نحو قد لا يكون له نظير في بعض التخصصات العلمية الأخرى.

5- المواقف الإستمولوجية من التصورات الشعبية وعلاقتها بالعلم:

يعتبر هذا القسم واسطة العقد من هذا البحث، إذ ينبني على ما سبق، وينبي عليه ما سيأتي. وما ذكر في القسم السابق، يوضح أن التصورات الشعبية عن اللغة

(1) Folk linguistics. Niedzielski, N. & Preston, D. Berlin: Walter de Gruyter, 2000.

تمثل خطاباً موازياً، يتداخل مع الخطاب العلمي بأشكال معقدة. وقد يقع بينهما أحياناً شيء من التنافس والاصطدام. ولطالما كانت التصورات الشعبية وعلاقتها بالتصورات الممثلة للعلم في زمن معين محلاً لكثير من السجلات والمواقف المختلفة. وأصبح ذلك أكثر وضوحاً بعد أن أصبحت التصورات الشعبية نفسها موضوعاً لدراسة منهجية خاصة. وليس اتخاذ الموقف السليم إزاء ما بين هذين الخطابين من علاقة بالسهولة التي قد يبدو بها، فالعلاقة القائمة بين الخطابين لها جوانب معقدة، وتحيط بها وجهات نظر متعددة. وقد حاول بعض الباحثين⁽¹⁾ تصنيف وجهات النظر بهذا الخصوص إلى عدد من المواقف الرئيسية، وليس بالضرورة أن يكون من يتبنى أياً منها مطرداً وصريحاً، بل قد يكون تبنيه ضمنياً، ومتفاوتاً من مناسبة إلى أخرى. ويمكن اتباعاً لهذا النهج تصنيف المواقف إزاء ما بين التصورات الشعبية والتصورات العلمية من علاقة إلى أربعة مواقف مختلفة، يلخصها الجدول التالي.

الجدول (٥) المواقف الإبستمولوجية من العلاقة بين التصورات الشعبية والعلمية:

موقف علموي	موقف إقصائي يفصل بين 'التصورات الشعبية' و'التصورات العلمية' فصلاً حاداً وقاطعاً، ويقضي أي أهمية للتصورات الشعبية.
موقف نسبوي	لا يميز بين 'التصورات الشعبية' و'التصورات العلمية'، بل يعتبرهما تشكيلين خطابيين لا مزية لأحدهما على الآخر.
موقف تزييفي	يضيء عمداً سمات الخطاب العلمي على التحيزات العقائدية والتشويهات الأيدولوجية.
موقف نقدي	موقف مركب ومتوازن يقوم على فرز المسائل المختلفة ونقدها وعدم قياسها كلها بمسطرة واحدة.

أول هذه المواقف يمكن أن يسمى: العلموي. وهو منسوب إلى العلموية scientism، وهي رؤية تذهب إلى أن العلم، لا سيما العلم الطبيعي الذي لا بد أن ترد إليه جميع العلوم الأخرى، هو السبيل الوحيد للمعرفة المشروعة، كما أنه هو العماد الأوحد للتعامل مع

(1) Do non-linguists practice linguistics?, p. 30

الجوانب العملية المتعلقة بإصلاح المجتمع وتنظيمه. فكل الأسئلة العلمية وكل المشكلات العملية بحسب هذه الرؤية يجب أن ترد إلى العلم وحده بمعناه المضيق الذي يقتصر على العلوم الطبيعية وما يرد إليها أو يختزل فيها. وبما أن التصورات الشعبية ليست من قبيل العلم، فإنه يجب بحسب هذه الرؤية إقصاؤها البتة. فلا أهمية لها، بل قد تكون مضرّة، ومن ثم فإنها لا تستحق النظر إلا من باب النقد والتفنيد والاحتراز. ويوجد داخل الخطاب اللساني العلمي أمثلة لهذا الموقف، بل هو الغالب لدى بعض الاتجاهات التقليدية. ومن ذلك مثلاً إصرار بعض المنظرين على أن يكون اللساني دائماً في موقع الراصد الأول، ورفع شعارات من قبيل: 'أقبل كل ما يقوله المتكلم بلغته، ولا تقبل أي شيء يقوله عنها'. وبلغ مثل هذا التطرف ذروته في رفض كل التصنيفات الأولية الموروثة لأقسام الكلم مثل: 'اسم' و'فعل' واستبدالها بمصطلحات مثل: 'كلمات فئة أ'، و'كلمات فئة ب' ^(١).

وهذا التصور العلموي موروث عن الفلسفة الوضعية التي ترى أنه لا معرفة صحيحة إلا المعرفة المستندة إلى ما يشاهد مشاهدة حسية أو ما يمكن أن يرد إلى ذلك بناء على منهجية منضبطة، وأنه يمكن الفصل بين العلم واللاعلم فصلاً تاماً وقاطعاً بناء على هذا المعيار ^(٢). وهذه الرؤية تقوم على تصور للعلم تجاوزه الزمن، ولم يعد متوافقاً مع المناقشات الحالية في فلسفة العلم. فعلاقة العلم مع اللاعلم أكثر تعقيداً وتشعباً من أي تصور يقوم على الثنائية الحادة والقاطعة. وليست العلوم كما ذكرنا في القسم الأول من هذا البحث على درجة واحدة من ناحية منزلتها في شبكة العلوم. فبعضها أكثر رسوخاً من بعض. بل إن العلم الواحد له مستويات عدة ينبنى بعضها على بعض، كما ذكرنا في الحديث عن الفرضيات المؤسسة وما ينبنى عليها من نماذج وفرضيات لاحقة. وما يبنيه العلم الواحد من نتائج ونماذج تفصيلية لا يكون على مستوى واحد. فبعضه يبلغ درجة عالية من الإحكام النظري والانضباط التجريبي، في حين لا يتجاوز بعضه مرحلة

(١) مدارس اللسانيات، ص ٥٩-٦٠

(٢) ما هذا الشيء الذي يدعى فلسفة اللغة، غاري كيمب، ترجمة: عقيل الشمري، نادي الكتاب، الرياض، ٢٠٢٣م، ص ١٧٧.

الاجتهادات الأولية. ويضاف إلى ذلك أن العلم بكل مستوياته نشاط بشري متطور، فما كان من قبيل العلم في مرحلة من المراحل، قد لا يكون كذلك في مرحلة أخرى.

وكذلك التصورات الشعبية ليست على مستوى واحد. بل تتباين تبايناً واسعاً، ولا يمكن أن تندرج تحت حكم واحد. فمنها ما يبتعد عن المعقولية العلمية تماماً، فيدخل في باب التحيزات الثقافية المحضة، بل في باب الخرافات والأساطير. ومنها ما هو بمثابة شعور فوق مصاحب للغة، ينمو في مرحلة الطفولة المتأخرة لدى كل إنسان، ويكون بمعنى من المعاني جزءاً من ملكته اللغوية، كالقدرة على التمييز بين الجمل الصائبة وغيرها، والتعرف الضمني على ما فيها من عناصر صوتية وصرفية^(١). وإلى هذا الشعور يستند كثير من الحدوس التي تبنى عليها النظريات اللسانية. ويضاف إلى ذلك ما ذكرناه في القسم السابق من أن التصورات الشعبية والعلمية تمتزج في الواقع الاجتماعي لدى أفراد البشر، ومنهم اللسانيون المتخصصون، بصور وطرائق معقدة، وتتضمن الكثير من الحدود الغامضة. فالمسألة كيفما قلبتها تتجاوز التصور العلمي الساذج، الذي قد تحول هو نفسه إلى تصور شعبي عن طبيعة العلم.

ويقابل هذا التصور تصور آخر لا يقل عنه تطرفاً، وهو الموقف النسبوي، المستند إلى الرؤية ما بعد الحداثية. وهي رؤية تشتمل على رؤى متعددة تستعصي على التصنيف والتحديد، فالتعدد والتشظي من سماتها الأساسية. ولكن مما يجمع بين رؤاها المتعددة أنها انقلاب على الحداثة وسردياتها الكبرى، ومنها مركزية العلم في تحصيل المعرفة المشروعة، والتعامل الصحيح مع مشكلات الواقع^(٢). فالعلم بحسب هذا التصور خطاب كغيره من الخطابات الأخرى التي قلنا في مطلع هذا البحث إنها تشترك في محاولة تحويل عالم الانطباع المجرد إلى عالم يعبر عنه الفكر. ولا ميزة له عليها، بل لكل خطاب منها مشروعيته، ومنظوره الخاص، ولكل منظور حقيقته. وإنما

(١) أسس اللسانيات النفسية، ص ١٨٨

(٢) روح الحداثة: المدخل إلى تأسيس الحداثة الإسلامية، طه عبدالرحمن، المركز الثقافي، الدار البيضاء، ٢٠٠٦م، ص ٢٦٥.

تتقوم الخطابات المعرفية المختلفة، والتوجهات المختلفة للتعامل مع مشكلات الواقع بمجموعات متعددة من المعايير تتساوى في صلاحيتها. وما القول بتفوق العلم على غيره من الخطابات من الناحيتين النظرية والتطبيقية إلا إيديولوجيا علموية تفرض نفسها بما لها هيمنة وسلطة فحسب.

ولهذا الموقف جوانب صحيحة من الناحيتين النظرية والتطبيقية. أما من الناحية النظرية، فلا شك أن العلم نوع من الخطاب له خصوصيته وحدوده. واللسانيات، كما رأينا، لم تصبح علماً إلا بعد أن وضعت لنفسها فرضيات مؤسسة تحدد لها منظوراً معيناً تبصر اللغة من خلاله، وتركز به على جانب من جوانب اللغة، غدته هو الجانب المركزي في تحديد طبيعتها، كما ذكرنا أعلاه. وكان ذلك بالتحديد هو الذي أدى إلى نهوضها وتقديمها. وأما من الناحية التطبيقية، فسبقت الإشارة إلى كون 'الثقافة اللغوية' لدى العامة ضرورية في التعامل مع مشكلات الواقع اللغوي. ورغم أهمية ما تقدمه اللسانيات في هذا الصدد، فإن الثقافة اللغوية غالباً ما تكون هي العامل الحاسم في نجاح أو إخفاق ما يقدم للتعامل مع مشكلات الواقع اللغوي من توصيات وحلول^(١). بيد أن صواب ذلك، لا يعني صواب الموقف النسبوي بكليته. فالوعي بنسبية الخطاب العلمي وخصوصيته، لا يعني الخلط بينه وبين الخطابات المعرفية الأخرى، وعدم مراعاة ما لكل خطاب منها من مزايا وسمات خاصة. وأي دعوة لشيء من ذلك في اللسانيات ستؤدي إلى إهدار ما بذل من جهود لضبط موضوعها، مع كل ما ترتب على ذلك من منجزات نظرية وتطبيقية، والارتداد إلى وقت تختلط فيه الأفكار المتعلقة باللغة بلا ضابط إبستمولوجي واضح يميز سليمها من سقيمها.

ولئن كان الموقفان العلمي والنسبوي قاصرين، فإن موقفاً ثالثاً ننتعه ب'الموقف

(١) بين العلم والتصورات الشعبية: موت اللغات نموذجاً، عقيل الشمري ومنصور ميغري، في: انقراض اللغات وازدهارها: محاولة للفهم، محمود المحمود محرر، مركز الملك عبدالله، الرياض،

التريفي^١، نسبة للعلم الزائف pseudo-science، أشد قصوراً، وأسوأ أثراً. والعلم الزائف ظاهرة معقدة جداً، يمكن تعريفها بشيء من التبسيط بأنها نوع من الخطاب يحاكي العلم عمداً في مظهره وشكله الخارجي، لترويج ادعاءات تخالف أسس العلم وضوابطه^(١). فمحاكاة العلم المتعمدة في المظهر الخارجي تجعله شيئاً آخر غير التصورات الشعبية الناتجة عن الخطابات الثقافية العفوية، ومخالفة أسس العلم تجعله شيئاً آخر يخالف التصورات العلمية. فهو خطاب مشتبّه وملتبس. ولا تقتصر مشكلة العلم الزائف على اللسانيات، بل تطال العلوم جميعاً. وكما ذكرنا أعلاه، فإن تعريف العلم لا يخضع لحدود قاطعة، وإنما هو مسألة متدرجة فيما بين العلوم، وداخل كل علم بعينه. وهذا كما أنه يجعل مسألة تعريف العلم مسألة صعبة، فإنه يجعل مسألة ما يندرج ضمن العلم الزائف بالنسبة لكل علم على حدة مسألة لا تقل صعوبة.

ويزداد الأمر صعوبة بالنسبة للسانيات لأسباب معرفية ونفسية واجتماعية عديدة، نقتصر على بعضها. فمنها أولاً أن ضبط الموضوع المعرفي للسانيات في سياق العلوم الحديثة لم يتم إلا منذ مدة قريبة جداً نسبياً، بعد أن مرت بمخاض عسير امتد لما يقرب من قرنين من الزمان، وشهدت خلاله صنوفاً شتى من الأفكار والتصورات التي لم تُعدْ تُعدُّ علمية حالياً^(٢). ومنها ثانياً أن الفرضيات المؤسسة التي تم بها ضبط موضوع اللسانيات فيها جانبٌ من المواضعة وشيء من الدقة، يعسر تصويره على وجهه في أذهان كثير من الناس، ومنهم بعض المشتغلين في الميدان. ولذا رأينا أن التصورات العلمية قد تختلط بشيء من التصورات الشعبية لدى بعض اللسانيين، كما ذكر في القسم السابق. ومنها ثالثاً أن اللغة في عالم الانطباع المجرد ركام من الظواهر المعقدة التي طالما بهرت الناس بخفاياها وأسرارها، فكانت موضوعاً لكثير من التصورات الشعبية كما ذكرنا. فلا يقنع كثير من الناس بأن يحصروا موضوع دراستها في جانب

(1) The Demarcation Problem, p.

(٢) انظر مثلاً: لغات الفردوس، مورييس أولندر، ترجمة: جورج سليمان، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ٢٠٠٧م.

لا يرويه يروي فضولهم وشغفهم بالغرائب. فيجعلون كثيراً من جوانب اللغة موضوعاً لتكهنات وتخمينات متباينة، ويحاولون أن يجدوا لها ما يستطيعونه من المبررات لكي تبدو علماً. ومنها أخيراً أن اللغة بالإضافة إلى تعقيدها، ليست كغيرها من موضوعاً العلوم الأخرى، بل هي ظاهرة مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالبشر ومشاعرهم وهوياتهم. فلا يتردد كثير منهم في تحويل ما يتداول في ثقافتهم الشعبية من تصورات متحيزة بطبيعتها إلى منشئها ورغائبهم إلى خطاب آخر يتزيا بزي العلم، وإن خالف أسسه ومنطقاته.

وهذه الصعوبة لا تعني عدم إمكانية التمييز بين العلم والعلم الزائف في اللسانيات. فمن مقتضيات ضبط الموضوع المعرفي للعلم أن يكون مثل هذا التمييز ممكناً، وإلا لم يكن له من فائدة. ولكن أفراد الحالات تختلف فمنها ما هو أكثر وضوحاً من غيره. ومع أن كل موضوع من موضوعات اللغة يمكن أن يكون موضوعاً لعلم زائف، فإنه يوجد موضوعات بعينها أكثر جذباً من غيرها لهذا النوع من الخطاب الزائف. وقد حاول بعض الباحثين جمعها وتصنيفها تحت عنوان: اللسانيات العجائبية / *fantastic linguistics*⁽¹⁾. ومنها الموضوعات المتعلقة بأصول اللغات وعلاقاتها والموازنة بينها. فكثيراً ما يتم تناول هذه الموضوعات وفق تصورات زائفة كالبحث عن اللسان الأصلي الأول بناء على مقارنات تأيلية متعسفة بين اللغات. ولذلك الكثير من الأمثلة التي لم تكن مجرد اجتهادات فردية، بل كانت عبارة عن برامج منظمة تدعمها بعض الدول. ومن ذلك مثلاً ما يسمى: 'النظرية اليافثية' لنيكولاي مار التي سادت ودعمتها الدوائر السياسية في الاتحاد السوفيتي في مرحلة من المراحل. وكان صاحبها يزعم أن لغات الأرض كلها نشأت عن أربعة مقاطع صوتية. ومثلها ما يسمى: 'نظرية لغة الشمس' التي دعمتها الدولة التركية مدة في زمن أتاتورك، وكانت تزعم أن التركية هي أصل اللغات. وفي هذا السياق تأتي مزاعم المفاضلة بين اللغات التي تساق فيها ادعاءات من شاكلة أن لغة ما أكثر منطقية أو أجمل أو أكثر قدرة على التعبير من غيرها، أو أن فيها خصائص تفضل غيرها

(1) Fantastic Linguistics, Sarah Thomason & William Poser, Annual Review of Linguistics, 6, 457-2020, 468.

من اللغات. ومثل هذه المقارنات تتعارض مع ضبط موضوع اللسانيات في النظام الذي يميز اللغة من حيث هي، ويقوم على ما يوجد على نحو متكافئ في اللغات جميعاً من تقابلات علائقية محضة. فلا يمكن إيجاد معيار موضوعي لها⁽¹⁾، رغم أن اللغات قد تتفاضل من وجوه أخرى بحسب ما يتهيأ لكل واحدة منها من ظروف حضارية خاصة، كما ذكرنا سابقاً. ولكن ذلك موضوع آخر يختلف عن النظام المحض الذي هو موضوع اللسانيات.

ويمكن بعد استعراض هذه المواقف الثلاثة أن نختم هذا القسم بالموقف الإبستمولوجي الذي نراه أنسب من غيره للتعامل مع ما يتعلق باللغة من خطابات مختلفة. وهو الموقف الذي نسميه الموقف النقدي. وهو موقف مركب، أبرز سماته أنه يقوم على التعايش بين منظورات مترابطة. لكل واحد منها مميزات التي تجعله يسهم بنصيب معين في نظامنا المعرفي لا يسهم به غيره. فالتصورات الشعبية التي يحصل عليها كل امرئ بحكم انتمائه لثقافة معينة، والتصورات العلمية الناتجة عن دراسة الظواهر المعرفية دراسة خاصة يمثلان منظورين متكاملين، ينبغي حفظ التوازن بينهما، واستعمال كل واحد منها فيما يناسبه. فالتصورات التي يكتسبها المرء من ثقافته من معززات الهوية والانتماء، والتصورات التي يكتسبها المرء من العلم من معززات المعرفة الصحيحة. وليس ما تتضمنه كل فئة منهما على نفس الدرجة، بل درجات مختلفة من الرسوخ، والصلاحية للمقامات المختلفة. فما يصلح للمقام النظري، لا يصلح للمقام التطبيقي. فالجانب النظري من دراسة اللغات يسعى لأن يكون علمياً بحثاً ينأى عن الواقع المباشر نحو شيء من التجريد. أما الجانب التطبيقي فيتغيا إيجاد السياسات والحلول العملية لمشكلات الواقع اللغوي. ويحتم ذلك الوقوف في موقف متوسط ودامج بين نتائج البحث العلمي الخالص، وما يوجد في السياق اللغوي المعين من معطيات تتضمن توجهات أفراد المجتمع ومواقفهم. فالبحث اللساني الخالص ليس إلا بعداً من

(1) Language complexity: an insight from complex-system theory. Alexander Andrason, International journal of language and linguistics. 2, 2, p. 742014, 89-.

أبعاد أخرى في معالجة القضايا المتعلقة بالواقع اللغوي. فاللسانيات التطبيقية على وجه الخصوص بحاجة لموقف متفهم من التصورات الشعبية وثقافات الشعوب.

وإذا ما استعدنا التشبه بثورة الكوبرنيكية مرة أخرى لننتفهم هذا الموقف المركب بصورة أكبر. سنجد أن علم الفلك الحديث يخبرنا أن الشمس ثابتة لا تتحرك، وأن الأرض هي التي تدور حول الشمس. ولكنني في الواقع البسيط أرى الأرض ثابتة، والشمس هي التي تشرق ثم تغرب كل يوم. إن كل واحد من هذين التصورين صحيح في موضعه، وفي الخطاب الذي ينتمي إليه. ومثلهما التصورات الشعبية المعززة للهوية والانتماء، والتصورات العلمية المعززة للمعرفة الصحيحة. ومحق الأولى لأجل الثانية علموية زائفة، كما أن إهدار الثانية لأجل الأولى زيف متعالم.

٦- تحليل إبستمولوجي لبعض اتجاهات التعليل في النحو العربي:

يمكن لما مضى من نقاش أن يكون مدخلاً وإطاراً للنظر الإبستمولوجي في عدد من الأفكار التي أوردها ابن جني وخصص لها بعضاً من أبواب كتابه الخصائص، مثل: 'باب شجاعة العربية'، و'باب في الاشتقاق الأكبر' و'باب في تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني' و'باب في إمساس الألفاظ أشباه المعاني'. ويجمع بين الأفكار الأربعة إيرادها في سياق التعليل للظواهر اللغوية، ولكن فكرة 'شجاعة العربية' تختلف عن بقية الأفكار الثلاثة التي يجمع بينها رابط واحد. ولذا سنؤجل الحديث عنها إلى قسم لاحق، ننبه على نتائج هذا القسم. ولن ندخل في كثير من التفاصيل، وإنما نكتفي ببعض العموميات التي نطرحها لتكون أفكاراً أولية يمكن توسيعها وتعميقها في أبحاث أخرى.

ما يجمع بين أفكار ابن جني الثلاثة المذكورة أعلاه هو أن لمادة اللفظ، أي أصواته دلالة. ويتعارض ذلك مع الفكرة القائلة بعدم وجود مناسبة طبيعية بين اللفظ وما يدل

عليه. وهي فكرة مشتركة بين اللسانيات الحديثة والتراث اللغوي العربي معاً^(١). ولكنها في اللسانيات فكرة مشتقة اشتقاقاً منطقياً من الفرضيات المؤسسة للعلم نفسه، فكانت مبدأ حاكماً أدى إلى اكتشاف مفهوم الوحدة الصوتية المجردة (phoneme)، بينما كانت في التراث النحوي العربي مجرد فكرة عارضة، رغم كونها هي الأكثر بروزاً. ولعل في ذلك مثال على ما ذكرناه سابقاً من كون التصريح بالفرضيات المؤسسة للعلم يؤدي إلى تناسقه المنطقي، في حين أن بقاءها في حيز الفرضيات الضمنية سيؤدي إلى تسلل أفكار متنافرة ومتعارضة.

ويمكن من ناحية أخرى أن تعد أفكار ابن جني المذكورة أعلاه دليلاً على وجود اتجاه خاص به في التعليل، يخالف اتجاهاً آخر لا يرى وجود مناسبة بين اللفظ ومدلوله. ويمكن للتحقق من ذلك مقارنة أفكاره في التعليل النحوي عموماً بأفكار أخرى تمثل تياراً سائداً في النحو العربي. ولأجل ذلك يمكن أن نبدأ بنص للخليل بن أحمد نقله عنه الزجاجي، حينما سُئل عن طبيعة ما يستعمله من تعليلات نحوية ومأثاتها، فأجاب: "إن العرب نطقت على سجيته وطباعها. وعرفت مواقع كلامها، وقام في عقولها علله، وإن لم يُنقل ذلك عنها، واعتلت أنا بما عندي أنه علة لما علته منه. فإن أكن أصبت العلة فهو الذي التمسست. وإن تكن هناك علة له فمثلي في ذلك مثل رجل حكيم دخل داراً محكمة البناء؛ عجيبة النظم والأقسام؛ وقد صحت عنده حكمة بانيها، بالخبر الصادق أو بالبراهين الواضحة والحجج اللائحة، فكلما وقف هذا الرجل في الدار على شيء منها قال: إنما فعل هذا هكذا لعله كذا وكذا، ولسبب كذا وكذا. سنحت له وخطرت بباله محتملة لذلك، فجائز أن يكون الحكيم الباني للدار فعل ذلك للعلة التي ذكرها هذا الذي دخل الدار، وجائز أن يكون فعله لغير تلك العلة، إلا أن ذلك مما ذكره هذا الرجل محتمل أن يكون علة لذلك. فإن سنح لغيري علة لما علته من النحو هو أليق مما ذكرته بالمعلول فليات بها"^(٢).

(١) التفكير اللساني في الحضارة العربية، عبدالسلام المسدي، الدار العربية للكتاب، تونس، ط. ٢،

١٩٨٦م، ص ١٠٧.

(٢) الإيضاح في علل النحو، الزجاجي، تحقيق مازن المبارك، دار النفائس، بيروت، ط. ٣، ١٩٧٩م، ص ٦٥-٦٦.

وعلق الزجاجي على ذلك بالقول: 'وهذا كلام مستقيم، وإنصاف من الخليل رحمة الله عليه'. وهو حقاً نص نفيس، لأحد رواد النحو العربي يوضح فيه من خلال التشبيه عدداً من القضايا الإستمولوجية المهمة. أولها فكرة الانتظام الموجود في الظاهرة اللغوية، والشعور بها لدى الناظر. وثانيها أن الكشف عن هذا الانتظام وعلله هو غرض الناظر. ثالثها أن هذا الكشف يكون من خلال بناء الفرضيات والنماذج. ورابعها أن تلك الفرضيات والنماذج، إنما هي بناء واجتهاد محتمل. فالظاهرة الموجودة في الواقع شيء، وما يبنى عنها من أفكار شيء آخر، قد يكون غيره بمزيد من النظر أصوب منه. ولا يحتمل المجال تحليلاً للنص أكثر من ذلك، ولكنه نص ناطق بموافقته لما ناقشناه أعلاه من أصول التفكير اللساني العلمي الحديث، وإن لم يستعمل مصطلحاته الإستمولوجية. ويضيف الزجاجي إلى هذه الأفكار فكرة خامسة لا تقل عنها أهمية، توضح طبيعة العلل بقوله: "إن علل النحو ليست موجبة، وإنما هي مستنبطة أوضاعاً ومقاييس، وليست كالعلل الموجبة للأشياء المعلولة بها، ليس هذا من تلك الطريق"^(١). وزاد فأوضح أن العلل تنتمي إلى ثلاثة مستويات من التجريد، كما يلخص الجدول التالي.

الجدول (٦): مستويات التجريد المختلفة للعلل النحوية:

مستوى التعليل	تعريف	مثال
العلل التعليمية	التي يتوصل بها إلى تعلم كلام العرب	النصب بـ'إن'
العلل القياسية	التي تبين الحكمة وتطرد القياس	تشبيه الحرف بالفعل في العمل
العلل الجدلية	التي تبين مأخذ العلل القياسية	وجه الشبه بين الحرف والفعل

وبعد أن بين الزجاجي هذه الأنواع من العلل، قال: "وعلى هذه الأوجه الثلاثة مدار علل النحو"^(٢)، فهي التي ينكشف بها النظام بحسب الدرجات المختلفة من التجريد.

(١) المرجع السابق، ص ٦٤

(٢) المرجع السابق، ص ٦٦

وأصل كلام الزجاجي موجود عند شيخه ابن السراج. فقال في مطلع كتابه الأصول: "اعتلالات النحويين على ضربين: ضَرْبٌ منها هو المؤدي إلى كلام العرب، كقولنا: كُلُّ فاعل مرفوع، وضرب آخر يُسمَّى عِلَّةُ الْعِلَّةِ، مثل أن يقولوا: لَمْ صار الفاعل مرفوعاً"^(١). وقال عن النوع الثاني: "وهذا ليس يكسبنا أن نتكلم كما تكلمت العرب؛ وإنما تستخرج منه حكماتها في الأصول التي وضعتها". وهو تقسيم مشابه لما عند الزجاجي، وإن كان الزجاجي قد زاد التفصيل، فجعل ما سماه ابن السراج 'علة العلة' مستويين من العلل سماهما: القياسية والجدلية. وهذه الطريقة المتدرجة في تقسيم العلل مهمة جداً من الناحية الإبستمولوجية، لأنها لا تقتصر على وصف النظام، بل تقدم تفسيراً للنظام من داخله، متوافقاً مع الرؤية التي تقول بأن العلل غير موجبة، كما ذكر الزجاجي. فكل مستوى من المستويات يكون مفسراً لما دونه. ويتوافق ذلك مع الرؤية الحديثة التي ترى أن اللغة نظام مستقل تُستخرج علة من داخله وفق درجات متعددة من التجريد، كما ذكرنا سابقاً.

ولكن ابن جني يعترض على هذه النقطة بالذات من كلام ابن السراج في باب عقده لذلك باسم: "باب في العلة وعلة العلة"^(٢). فيرد على ابن السراج تقسيمه، قائلاً بأن: "هذا موضع تسمح فيه أبو بكر أو لم ينعم تأمله"^(٣). ويقول بأن ما سماه ابن السراج علة العلة، إنما هو شرح وتفسير وتتميم للعلة. وليس هذا مجرد تعديل اصطلاحى طفيف، بل يعبر عن رؤية مختلفة لطبيعة العلل عبر عنه ابن جني بقوله: "العلة الحقيقية عند أهل النظر لا تكون معلولة". ويقصد بأهل النظر المتكلمين المعتزلة، وعقد باباً خاصاً لمقارنة علل النحو بعللهم^(٤). ذكر فيه بأن علل من يسميهم 'حذاق

(١) الأصول في النحو، ابن السراج، تحقيق: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة: بيروت، ط. ٣، ١٩٩٦م، ٣٥/١.

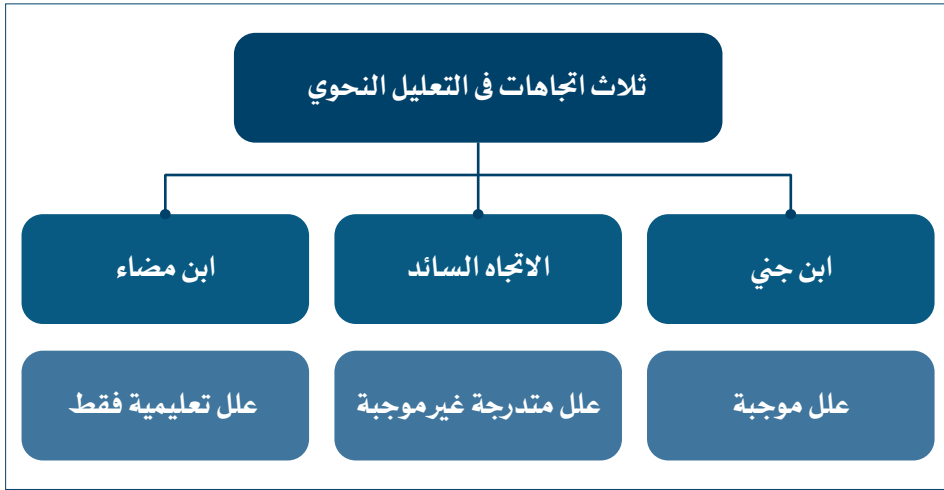
(٢) الخصائص، ابن جني، تحقيق: محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٥٢م، ١٧٣/١.

(٣) المرجع السابق، ١٧٤/١.

(٤) المرجع السابق، ٤٨/١.

النحاة^١ مشابهة لعلل المتكلمين من ناحية إحالتها إلى الحس. وجعل ذلك أصلاً يفسر به كثيراً من علل الظواهر النحوية التي ينص على أنها موجبة^(٢). وكثير مما أورده ابن جني في كتاب الخصائص من أفكار، ومنها الأفكار الثلاثة التي ذكرناها في مطلع هذا القسم، إنما تعود لهذا الأصل. وهو أصل يعبر عن رؤية مغايرة تماماً للرؤية التي عبر عنها الزجاجي، ويمكن اعتبارها اتجاهاً مختلفاً في التعليل. وإذا استحضرننا رأي ابن مضاء المشهور في نقده لتعليلات النحاة^(٣)، ومطالبته بالاعتصار على العلل التعليمية دون ما فوقها تحصل لنا اتجاه ثالث، كما يلخص الشكل أدناه.

الشكل (٢): اتجاهات التعليل في النحو العربي:



ورغم ما يبدو في الظاهر من اختلاف كبير بين الرؤية التي يمثلها ابن جني والأخرى التي يمثلها ابن مضاء، فإنه يمكن أن يقال إنهما يعودان في الحقيقة إلى جذر واحد. وهو الغفلة عن الأفكار الإستمولوجية العميقة جدا التي يعبر عنها النص المنقول عن الخليل بن أحمد أعلاه، وأهمها أن علل النحو أوضاع ومقاييس ليست موجبة. ويرجع

(١) المرجع السابق ١/١٦٤

(٢) الرد على النحاة، ابن مضاء، تحقيق: محمد إبراهيم البنا، دار السلام، القاهرة، ٢٠١٧م.

إلى هذا الجذر نفسه نزعة فاشية لدى كثيرين تزري بعلى النحاة. ومن أمثلة ذلك وصف ابن حزم الأندلسي لعلل النحو بأنها "فاسدة جداً"^(١). ومثله قول ابن سنان الخفاجي: "إن النظر إذا سلط على ما يعلل به النحويون لم يثبت معه الفذ الفرد، بل ولا يثبت شيء البتة، ولذلك كان المصيب منهم المحصل من يقول: هكذا قالت العرب، من غير زيادة على ذلك"^(٢). وفي حين أن الاتجاه الأوسط الذي يمثله ابن السراج يرى مثل هذه الاعتراضات على علل النحويينبغي ألا يعبأ بها لأنها تخالف ما هو مستعمل في العلم الذي يقوم على بناء النماذج وتجويدها شيئاً فشيئاً، ولو أخذ بمثل هذه الاعتراضات "لبطل أكثر الصناعات والعلوم"^(٣). وينحرف عن هذا الاتجاه ابن جني وابن مضاء معاً، ويتخذ كل منهما رأياً مخالفاً يعبر عن مذهبه في التعليل.

أما ابن مضاء فقد ألف كتابه في الرد على النحاة من أجل الدعوة إلى التخلي عن العلل الثواني والثالث، أو القياسية والجدلية بمصطلحات الزجاجي، والمطالبة بالاقترار على العلل التعليمية فحسب. وهذه الدعوة مشتقة من النزعة المستهينة بعلى النحو، التي يبدو أن أصحابها كانوا يبحثون عن علل موجبة قائمة على الحس المباشر، فلما لم يجدوا شيئاً يشبهها زهدوا بالتعليل جملة. ويمكن من ناحية أخرى أن يقال إن هذه النزعة متأثرة بأسباب ثقافية مرتبطة بما ذكرناه سابقاً عن الوظيفة الآلية للعلوم في الحضارة الإسلامية، حيث لا يكون العلم مقصوداً لذاته، وإنما آلة لتحقيق شيء آخر. وبناء على ذلك يكون النحو مجرد آلة للاحتراز من اللحن وما يشبه ذلك من الأغراض العملية، تكفي فيه العلل التعليمية. ولكن هذه النزعة تخلط بين معنيين للآلية، أحدهما خاص، والآخر عام. ففي المعنى الخاص تكون الآلية صفة ذاتية للعلم لا تنفك عنه،

(١) التقريب لحد المنطق والمدخل إليه بالألفاظ العامية والأمثلة الفقهية، ابن حزم، تحقيق عبدالحق التركماني، دار ابن حزم، بيروت، ٢٠٠٧م، ص ٦١٣.
(٢) سر الفصاحة، ابن سنان الخفاجي، تحقيق: عبد المتعال الصعيدي، مكتبة محمد علي صبيح وأولاده، القاهرة، ١٩٥٢م، ٣٣.
(٣) الأصول في النحو، ٥٦/١.

ولكن الآلية في المعنى العام صفة إضافية لا تتعارض مع كون العلم مقصوداً لذاته من جهة، رغم كونه آلة لغيره من جهة أخرى^(١). ويمكن أن يكون النحو التعليمي مثلاً للنوع الأول، في حين أن النحو العلمي مثال للثاني. وهما أمران مختلفان جداً، لكل منهما غرضه ومقصده، ولا يغني أحد منهما عن الآخر في الغرض الذي يرومه. وربما كان الفرق بينهما هو ما قصده الخليل بن أحمد من قوله: "لن يصل أحد إلى معرفة ما يحتاج إليه من النحو حتى يتعلم منه ما لا يحتاج إليه". وهي كلمة فيها وعي إبستمولوجي عميق بالفرق بين الأغراض العملية القريبة والنظرية البعيدة من بناء العلوم. ولكنها لم تفهم على وجهها، فكانت سبباً لتندرب بعض معتزلة البصرة^(٢).

ولئن كان ابن جني يخالف الذين يزرون بعلى النحاة، ويعقد في الخصائص باباً للرد عليهم، بعنوان: "باب في الرد على من اعتقد فساد علل النحويين لضعفه هو نفسه عن إحكام العلة"^(٣)، فإنه يشاركهم فيما يظهر عدم قناعتهم بالعلل غير الموجبة. فأراد أن يبني نظاماً بديلاً من التعليل القائم على العلل الموجبة التي تعود إلى الحس. وإلى هذا الاتجاه تعود فكرة المناسبة الطبيعية بين اللفظ ومدلوله، التي يبدو أن ابن جني قد أخذها عن بعض المعتزلة قبله، إذ تشتهر نسبتها إلى عباد الصيرمي^(٤)، وبني عليها الأفكار التي ذكرناها في بداية هذا القسم. ومنها فكرة الاشتقاق الأكبر، الذي يقول عنه ابن عصفور: "لم يقل به أحد من النحويين إلا أبا الفتح [...]". والصحيح أن هذا النحو من الاشتقاق غير مأخوذ به؛ لعدم اطراحه، ولما يلحق فيه من التكلف لمن رآه^(٥). ويظهر

(١) تجديد المنهج في تقويم التراث، ص ٨٣

(٢) التنبيه على حدوث التصحيف، حمزة الأصبهاني، تحقيق: محمد أسعد طلس، دار صادر، بيروت، ط. ٢، ١٩٩٢م، ص ١٢١-١٢٢.

(٣) الخصائص ١/١٨٤

(٤) المزهر في علوم اللغة وأنواعها، السيوطي، تحقيق: محمد أحمد جاد المولى بك، وعلي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، ١/٤٧.

(٥) الممتع في التصريف، ابن عصفور الإشبيلي، تحقيق: فخر الدين قباوة، دار المعرفة، بيروت، ١٩٨٧م، ١/٤٠.

ذلك جلياً من مقارنة الفوائد النظرية والتطبيقية الجمّة التي تم تحصيلها من النموذج الشكلافي البحث المطابق للأفكار العلمية الحديثة، من ناحية حفظه لهيئة تركيب الجذر الصامتي 'فـ عـ ل'، في مقابل ما تم تحصيله من فكرة الاشتقاق الأكبر المعتمدة على مادة الكلمة لا شكلها. فالأول كان من الناحية النظرية مُطلقاً لفهم الظواهر المتعلقة ببنية الكلمة العربية وما يلحقها من عوارض الزيادة والحذف والإعلال والإبدال ونحوها، وكان من الناحية التطبيقية أساساً للصناعة المعجمية. في حين أن الثاني لم يكن له شيء من هذه الفوائد النظرية والتطبيقية.

ولقد كان كثير من الآراء التي بنى عليها ابن جني وابن مضاء اتجاهاً مظهرًا طوال تاريخ النحو العربي. فوصفت آراء ابن مضاء بأنها "شذوذ على غير ما لُوف أهل النحو"^(١)، ووصف ما سماه ابن جني: "الاشتقاق الأكبر" بأنه "ليس معتمدًا في اللغة"، وبأنه مبني على تكلف "لا يقبل [هـ] المحققون"^(٢). ومن الغرائب التي يشترك فيها هذان الاتجاهان أنهما قد وُجدا، رغم ذلك، احتفاء كبيراً جداً لدى كثير من الدارسين في العصر الحديث. والسرو وراء هذا الاحتفاء المفاجئ في كلا الحالتين يعود إلى التأثير بآراء وافدة أخذت عن الدارسين الغربيين قبل الاستحكام النظري للسانيات الحديثة، وضبطها لموضوعها المعرفي ومناهجه ضبطاً دقيقاً. أما ابن مضاء فكان إحياء آرائه ناتجاً عن التأثير باتجاه علموي متطرف في اللسانيات، يعتقد أن العلم ينبغي أن يقتصر على تصنيف ما يقبل المشاهدة في المادة اللغوية فحسب بعيداً عن أي تقدير. وهو اتجاه يقوم على تصور قاصر لطبيعة النظريات العلمية، وآليات بنائها^(٣). وأما ابن جني فكان إحياء آرائه متأثراً بما كان سائداً لدى الأوروبيين في القرن التاسع عشر من اتجاه يقارن يقوم على افتراض كثير من الاشتقاقات المتكلفة بحثاً عن اللسان الأول. وهو اتجاه يقول أحد ناقديه في

(١) إشارة التعيين في تراجم النحاة واللغويين، عبد الباقي عبد المجيد اليماني، تحقيق: عبد المجيد دياب، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ١٩٨٦م، ص ٣٣.

(٢) المزهري، ٣٤٧/١

(٣) للاطلاع على رد موسع ورصين على هذا الاتجاه، انظر: المنوال النحوي العربي: قراءة لسانية جديدة، عز الدين المجدوب، كلية الآداب، سوسة، دار محمد علي الحامي، تونس، ١٩٩٨م

الدراسات الغربية بأنه قد: "كثرفيه عبث الهواة"^(١). ويظهر أن أول من ابتدأ هذا الاتجاه في السياق العربي في العصر الحديث هو أحمد فارس الشدياق في كتابه: 'سر الليال في القلب والإبدال'. وتبعه كثيرون بعده، فبنوا على هذا الاتجاه كثيراً من الآراء والتصورات^(٢).

٧- فكرة 'شجاعة العربية' من منظور إبستمولوجي:

يمكن، بناء على ما ذكرناه عن اتجاهات التعليل في التراث النحوي، وعند ابن جني على وجه الخصوص، أن ننظر في تعبير 'شجاعة العربية' من الناحية الإبستمولوجية. فلقد جعل ابن جني التعبير عنواناً لباب سماه: 'باب في شجاعة العربية'^(٣). وهو باب فريد جداً في بناء كتاب الخصائص من ناحيتين. أولهما أنه باب طويل جداً، يبلغ عدد صفحاته إحدى وثمانين صفحة، في كتاب لا تزيد صفحات الغالبية العظمى من فصوله على عشر صفحات. والثانية أنه باب لم يعلل ابن جني سبب تسميته، ولم يذكر ما يقصده بعنوانه، وإنما ابتدأه مباشرة بالقول: "اعلم أن معظم ذلك إنما هو الحذف والزيادة، والتقديم والتأخير، والحمل على المعنى، والتحريف"^(٤). ثم بدأ بسرد عدد من الأمثلة والشواهد المتعلقة بهذه الموضوعات على التوالي، والتعليق عليها واحداً تلو الآخر، من دون أن يصرح بالفكرة الجامعة بينها. فذكر في الحذف حذف الجملة والمفرد والحرف والحركة، وذكر أن التقديم والتأخير على ضربين: ما يقبله القياس، وما يسهله الاضطرار، واستعرض أمثلة لكل منهما، وكذلك فعل في التحريف والحمل على المعنى اللذين يجمع بينهما مخالفة المؤلف والمتوقع في الكلام.

(١) علم اللسان، إنطوان ماييه، ترجمة: محمد مندور، مطبوع ضمن: منهج البحث في الأدب واللغة،

للانسون وماييه، ترجمة: محمد مندور، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠١٥م، ص ١٠٨

(٢) اتجاهات البحث اللغوي الحديث في العالم العربي: لبنان في القرن التاسع عشر، رياض قاسم، مؤسسة نوفل، بيروت، ١٩٨٢م، ٥٤/١.

(٣) الخصائص ٣٦٠/٢

(٤) المرجع السابق

ولئن لم يصرح ابن جني بالفكرة الجامعة التي تلم شعث ما حشده في هذا الباب من مسائل، ولا سبب تسميته بـ 'شجاعة العربية'، فإنه يمكننا استنتاج ذلك استنتاجاً من خلال تدبر ما عرضه في الباب من موضوعات وأمثلة. أما الفكرة الجامعة التي يمكن أن يقال إن ابن جني قد أدار عليها ما تناوله تحت عنوان: 'شجاعة العربية' فيظهر أنها الخروج والعدول عن الأصل^(١)، لا عن ضعف، بل عن قوة وتمكن من التصرف بالنظام اللغوي. وأما التعبير نفسه فاستعارة مكنية. والمشبه به فيها هو الفارس الشجاع، ووجه الشبه هو الإقدام والجسارة. ولكن المشبه قد فهم فهمين مختلفين. ففهم أنه العربية نفسها بالنسبة إلى غيرها من اللغات، وهو فهم ابن الأثير الجزري^(٢)، وفهم أنه الكلام الذي فيه خروج على الأصل بالنسبة إلى العربية، وهو فهم ابن الأثير الحلبي^(٣). واللفظ نفسه محتمل للأمرين، ولذا وقع التوهم، ولكن الأظهر هو أن المعنى الثاني هو مقصود ابن جني. وسنعود لاحقاً لهذه الاستعارة ومدلولاتها بعد وقفة موجزة عند المسألة الأولى المتعلقة بالفكرة الجامعة التي أرادها ابن جني من وراء استعماله لهذه الاستعارة، وقيمتها النظرية.

ولمعرفة القيمة النظرية لفكرة 'شجاعة العربية' يمكن ربطها بضوابط صياغة المفاهيم العلمية، ومقارنتها بآليات تعامل الجهاز النظري النحوي عمومًا مع ما أدرجه ابن جني تحتها من مسائل. وقد ذكرنا سابقاً أن نموذج الجملة في النحو العربي لم يكن صريحاً كنموذج الكلمة، ولكنه كان نموذجاً ضمنيّاً ناجحاً استطاع من خلاله النحاة تحديد ما يوجد في بنية الجملة من مواضع، وما يحل في تلك المواضع من عناصر وأصناف، وما يقوم بينها من علاقات، وما يترتب على ذلك من أحكام، وما يعرض لذلك من عوارض

(١) تأويل اللفظ والحمل على المعنى، وثام الحيزم، جامعة تونس، تونس، ٢٠٠٩م، ص ٤٠.

(٢) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين ابن الأثير الجزري، تحقيق: أحمد الحوفي وبدوي طبانة، نهضة مصر، القاهرة، ١٣٥/٢.

(٣) جوهر الكنز تلخيص كنز البراعة في أدوات ذوي البراعة، نجم الدين أحمد بن إسماعيل ابن الأثير الحلبي، تحقيق: محمد زغلول سلام، منشأة المعارف، الإسكندرية، د. ت. ص ١١٨.

يمكن أن تخالف به الأصل. فلم تكن مخالفة الأصل غائبة عما يبنونه من مفاهيم ونماذج، بل كان التعامل مع ما يخالف الأصل من مقاصدهم الكبرى^(١). ولذا قيل: "والشيء إذا لم يعدل به عن أصله لم يقع به تعليل"^(٢)، والمقصود بذلك تعليل غير التعليل الأول الذي عرفت به الأصول فإنه: "ما من علم إلا وقد شذت منه جزئيات مشكلة فترد إلى القواعد الكلية والضوابط الجمالية"^(٣). فالأصل والفرع من المفاهيم المركزية الكبرى في النحو العربي، ولذا يتكرر استعمالهما كثيراً في التعليل وبناء المفاهيم^(٤). ولكن هذين المفهومين كانا يستعملان بمعانٍ متعددة بسبب الطبيعة الضمنية في تأسيس الفرضيات الكبرى للنحو العربي. ولم يعقد باب مستقل أو حديث مفرد لبيان المعاني المختلفة المقصودة بهذين المفهومين على نحو صريح وجامع^(٥).

ولذا كان للتعليل بالأصل ومخالفته جوانب متعددة تختلف باختلاف المقصود بالأصل^(٦). فمن معاني الأصل ما يرجع إلى الاستعمال. فما من متن لغوي إلا وفيه من التنوعات ما يخرج عن الشائع والسائد في الاستعمال. فالأصل بهذا المعنى هو الكثير والمشارك لدى العموم، والذي يخالفه هو وجوه الاستعمال القليلة المباشرة لذلك. فمنها ما يرجع مثلاً إلى لهجات فرعية أو إلى استعمال فردية أو محدودة تعبر عن مستويات لغوية معينة كالضرورات الشعرية مثلاً. ومن معاني الأصل ما يقتضيه التجريد ليكون

(١) التراث اللغوي العربي، ص ٥١

(٢) المقتصد شرح الإيضاح، للرجاني، تحقيق: كاظم بحر المرجان، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، العراق، ١٩٨٢م، ١/١٣٣

(٣) الأشباه والنظائر للسيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.، ١/٣٦٢.

(٤) منطق العرب العرب في علوم اللسان، عبدالرحمن الحاج صالح، الجزائر، موفم للنشر، ٢٠١٢م، ص ١٣٩.

(٥) العدول بالجملة عن الأصل وعلاقته باستيعاب النحو للمعنى، عبدالفتاح الفرجاوي، دار سحر للنشر، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، القيروان، ٢٠٠٧م، ص ٢٩.

(٦) العدول التركيبي في النحو العربي: دراسة تحليلية في ضوء المنهج التداولي، نجم عبدالواحد الجيزاني، دار الكتاب الجديد، بيروت، ٢٠١٨م، ص ٢٢

أساساً يسبق غيره ويتفرع عنه ما سواه. وهذا أيضاً أنواع. فمنها ما يكون أصلاً يتفرع عنه ما سواه بحسب المقصود من الكلام وفقاً لأحكام يحددها النحو. ومن أمثلة ذلك الذكر والإظهار وحفظ الرتبة التي يتفرع عنها الحذف والإضمار والتقديم أو التأخير، ونحو ذلك. ومنها ما يكون الأصل فيه افتراضاً مجرداً يقتضيه النظام ولا يتحقق في الاستعمال. ومن أمثلة ذلك في بنية الكلمة كون 'قَوْم' وما جرى مجراه مما عينه واو أصل 'قام'. وإن استعمل الأصل كان شاذاً، كاستعمال: 'استحوذ' بدلاً من '*استحاذ'، خلافاً لما هو مستعمل في بابه، إذ يقال: 'استعان' لا 'استعون' ^(١). ومما يلتحق بذلك فيما يتعلق ببنية الجمل الحذف أو الإضمار الواجب في تعابير وتراكيب معينة، كإضمار فاعل فعل الأمر أو فاعل الفعل المضارع المسند للمتكلم، وكحذف الفعل وجوباً في تعبيرات مثلية معينة، كقولهم: 'سقيًا لك'، ولا يجوز أن يقال مثل ذلك في: '*مألاً لك' ^(٢). ومن معاني الأصل ما يرجع إلى القوة والتمكن، وإن لم تربطه بما يعد فرعاً له صلة تفرعية، ككون الأسماء أصلاً، والأفعال والحروف فرعاً. وما يترتب على ذلك من أحكام ككون الإعراب في الأسماء هو الأصل بسبب قوتها وتمكنها، ثم الخروج عن ذلك الأصل ببناء بعض الأسماء لعلّة عارضة تخرجها عن أصلها.

وهذه معاني مختلفة جداً للأصل وما يخالفه تعامل معها النحاة بصورة ضمنية ومبثوثة في ثنايا كلامهم، بحسب ما يناسب كل واحد منها، فيما يذكرونه من تعليقات ومفاهيم ونماذج مجردة. ولم يجمعوها تحت باب واحد. وعقد ابن جني في كتاب الخصائص العديد من الأبواب التي ترجع في حقيقتها إلى ثنائية الأصل والفرع بمعانيها المختلفة. ونكتفي بذكر ثلاثة أمثلة فحسب. ف'باب فيما يرد عن العربي مخالفاً ما عليه الجمهور' ^(٣) يرجع إلى المعنى الأول مما ذكرناه أعلاه. و'باب في' نقض

(١) الأصول في النحو، ٥٧/١

(٢) الكتاب، سيبويه، تحقيق: عبدالسلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط. ٣، ١٩٨٨م، ٣٣٠/١.

(٣) الخصائص ٣٨٥/١

المراتب إذا عرض هناك عارض^(١) يرجع إلى المعنى الثاني. و'باب في تعارض السماع والقياس'^(٢) يرجع إلى المعنى الثالث. ولو تأملت أبواب الخصائص بهذه الطريقة لوجدت كثيراً منها ترجع إلى معنى أو آخر من معاني ثنائية الأصل والفرع. ولكن ابن جني أراد جمع كل ما تفرق من هذه المعاني تحت معنى جامع أطلق عليه: 'باب شجاعة العربية'، فكان أطول أبواب الكتاب، وحشد فيه الكثير من الأمثلة التي ورد بعضها مكرراً في أبواب أخرى.

ولا شك أن من مقاصد العلم الكبرى تقليل المفاهيم للحصول على مستوى أكبر من التعميم، والبساطة، وشمول المعطيات. ولكن يشترط لذلك أيضاً التماسك والدقة وعدم اللبس. فلا يكفي أن يكون المفهوم جامعاً، فيشمل جميع ما يندرج ضمنه من معطيات، بل يجب أن يكون أيضاً مانعاً يستبعد ما ليس كذلك. وبذلك يكون المفهوم دقيقاً يصف ظاهرة موحدة، تعود إلى علة محددة تفسرها، وتمكن من التنبؤ بتصرفاتها. ولو كان تعبير 'شجاعة العربية' يقوم بهذه الشروط لكان فيه إضافة علمية كبيرة. ولكنه ليس كذلك. فهو تعبير فضفاض، لا يعبر عن ارتباطات متجانسة. ويكفي للتدليل على ذلك مقارنة ما أدرجه ابن جني ضمن المفهوم، بما ذكره ابن الأثير الجزري، حينما نقل المفهوم إلى المباحث البلاغية. فذكر 'شجاعة العربية'^(٣)، وجعله نوعاً مستقلاً ضمن أنواع الصناعة المعنوية في البلاغة، وقال إنه لم ير شيئاً منه عند أرباب الصناعة، ولا وجده في كتاب مصنف في هذا الفن، سوى ما ذكره ابن جني في كتاب الخصائص. وأدرج ضمنه ستة أنواع يشترك في بعضها مع ذكره ابن جني، وينفرد كل منهما بأبواب لم يذكرها الآخر، كما يلخص الجدول التالي.

(١) الخصائص ٢٩٣/١

(٢) الخصائص ١١٧/١

(٣) الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور، ضياء الدين ابن الأثير الجزري، تحقيق: مصطفى جواد، وجويل السعيد، المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٩٥٦م، ص ٩٨.

الجدول (٧) مقارنة أبواب شجاعة العربية بين ابن جني وابن الأثير:

أبواب شجاعة العربية		
مشاركة بين ابن جني وابن الأثير	انفرد بها ابن جني	انفرد بها ابن الأثير
التقديم والتأخير	الحذف والزيادة	الاتفات
الحمل على المعنى	التحريف	العدول عن الماضي إلى المضارع
—	—	عكس الظاهر
—	—	الاعتراض

وهذه كما هو واضح أبواب شتى، بل حتى لو اقتصرنا على باب واحد منها كالحذف أو التقديم والتأخير مثلاً لوجدنا أنه يشتمل على ظواهر متنافرة لا يمكن إرجاعها إلى علة واحدة. ولقد أبان ابن جني عن سعة ما يدخل تحت هذا التعبير بقوله في موضع آخر: "ومن المجاز كثير من باب الشجاعة في العرب"^(١). فإذا ما انضاف ذلك لقوله: "اعلم ان أكثر اللغة مع تأمله مجاز لا حقيقة"^(٢) تبين بأن التعبير يحيل إلى مفهوم فضفاض لا يثبت على شيء، ويمكن أن يدرج ضمنه أي مخالفة لأي أصل بأي معنى كان ذلك. وربما لهذا السبب لم يشع هذا المفهوم لا في النحو ولا في البلاغة. فلم يستعمله أحد في تناوله للظواهر اللغوية، فيما اطلعت عليه، سوى ابن جني وابن الأثير. وإن كان يوجد من تابع ابن الأثير في ذكره، فاقصر على تلخيص كلامه، كنجم الدين الطوفي في 'الإكسيري في علم التفسير'^(٣)، وابن الأثير الحلبي في 'جوهر الكنز'^(٤).

هذا فيما يتعلق بالفكرة الجامعة التي أرادها ابن جني من التعبير الاستعاري: 'شجاعة العربية'. أما الاستعارة نفسها فتتطلب وجوهاً أخرى من النظر. ولئن كانت

(١) الخصائص ٤٤٦/٢

(٢) الخصائص ٤٤٧/٢

(٣) الإكسيري في علم التفسير، نجم الدين سليمان بن عبد القوي الطوفي، تحقيق: عبد القادر حسين، دار الأوزاعي، بيروت، ١٩٨٩م، ص ١٧٥.

(٤) جوهر الكنز، ص ١١٨.

أفكار ابن جني التي ذكرناها في القسم السابق قائمة على نظريته في العلل الموجبة، فإن فكرة شجاعة العربية تمتُّ لذلك بسبب خفي. فلقد كان ابن جني منبهراً جداً بما يتأمله في العربية من دقائق وأسرار. وليس هنالك ما هو أبلغ في التعبير عن هذا الانبهار من قوله: "وذلك أنني إذا تأملت حال هذه الشريفة، الكريمة اللطيفة، وجدت فيها من الحكمة والدقة، والإرهاق والرقّة، ما يملك علي جانب الفكر، حتى يكاد يطمح بي أمام غلوة السحر"^(١). وهذا الانبهار هو الذي أدى به بلا ريب إلى تكلف القول بالاشتقاق الأكبر وما يشبهه من الأفكار التي ذكرناها أعلاه. فلقد قال في بداية كتاب الخصائص بعد أن انتهى من تقليبات مادتي 'كلم' و'قول' وفق مذهبه في الاشتقاق الأكبر: "فهذا أمر قد مناه [...] ليرى منه غور هذه اللغة الشريفة، الكريمة اللطيفة، ويعجب من وسيع مذهبها، وبديع ما أمد به واضعها ومبتدئها"^(٢). ولطالما كان الانبهار بأسرار اللغة سبباً في تجاوز الأفكار العلمية في تحليل نظامها، كما ذكرنا أعلاه. وقد كان ذلك عينه هو مدخل ابن جني إلى القول بالعلل الموجبة فيما جرى على الأصل في التعليل، وبشجاعة العربية فيما خرج عنه.

ولئن كان جانب كبير من انبهار ابن جني بالعربية يعود إلى تأملاته الخاصة، فإن جانباً كبيراً منه أيضاً يعود إلى أصل ثقافي عام. وهو تفضيل العربية وتقديرها على غيرها من اللغات، الذي كان من التصورات الشعبية الرائجة لدى كثير من أبناء الشعوب الإسلامية، لا سيما إبان ما كان للعربية من سيادة حضارية عالمية على غيرها من اللغات. وقد رأينا فيما استعرضناه عن الدراسات المتعلقة بالتصورات الشعبية عن اللغة كيف تتسلل مثل تلك التصورات وتتداخل بصور معقدة جداً لدى كثير من الدارسين حتى في العصر الحديث، الذي تم فيه توضيح بعض الحدود المميزة بين هذين النوع من التصورات. ومن هذا الباب يمكن فهم تسرب كثير من تلك التصورات إلى المؤلفات

(١) الخصائص ٤٧/١

(٢) الخصائص ١٧/١

اللغوية في التراث اللغوي العربي. وإذا ما اقتصرنا على فكرة الإقدام والشجاعة حصراً، فإننا سنجد لهذا الفكرة، لا سيما فيما يتعلق بباب المجاز، حضوراً قبل ابن جني. فابن قتيبة مثلاً يقول في كتابه تأويل مشكل القرآن: "وللعرب مجازات في الكلام، ومعناها طرق القول ومآخذه"، فذكر الموضوعات عينها التي ذكرها ابن جني في باب شجاعة العربية، ثم قال: "والعجم لم تتسع في المجازات سماع العرب"^(١). ولكن الذي سبق إلى ربط هذه الموضوعات بالإقدام هو الجاحظ. فقال في سياق إيراده لكثير من أمثلة المجاز: "وللعرب إقدام على الكلام، ثقة بفهم أصحابهم عنهم"^(٢). فربما يكون الجاحظ هو أصل فكرة شجاعة العربية، فيكون ابن جني قد أخذ أصل هذه الفكرة عن معتزلي آخر، كما أخذ فكرة المناسبة الطبيعية بين الألفاظ وما تدل عليه عن عباد الصيمري. فحاول تحويل الفكرة في كلا الحالتين إلى نظريتين تنسبان إلى العربية ظواهر تتفرد بها عن بقية اللغات. وأوجد بذلك اتجاهًا في التعليل النحوي يخالف من بعض الوجوه التيار العلمي السائد في التراث اللغوي العربي.

وكما ذكرنا سابقاً، يتطلب النظر في مثل هذا الآراء وما تتضمنه من تداخلات معقدة موقفاً نقدياً مركباً ينظر إلى الخطابات المتعددة عن اللغة نظرة متوازنة. فيتفهم الأسباب الثقافية التي تدفع كل أحد إلى تفضيل لغته أو اللغة التي ينتمي لها بوجه من وجوه الانتماء الثقافي على غيرها، إما مطلقاً أو من وجه معين، فلا يبالغ بردها. ولكنه يعرف للعلم حدوده وضوابطه الخاصة؛ فلا يخلط به ما لا ينتمي إليه من التحيزات الثقافية. ويمكن في هذا السياق الإشارة إلى كلمة حكيمة لابن عطية الأندلسي المفسر حينما عرض في تفسيره لشيء من الآراء التي قد تكون مقبولة من بعض الوجوه، وإن لم يكن لها من العلم ما يسندها. فقال معلّقاً على ذلك "وهذه

(١) تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة الدينوري، تحقيق: السيد أحمد صقر، مكتبة دار التراث، القاهرة،

١٩٧٣م، ص ٢١

(٢) الحيوان، الجاحظ، تحقيق: عبدالسلام هارون، مكتبة مصطفى الباوي الحلبي، ط ٢، ١٩٦٥م، ٣٢.

من ملح التفسير، وليست من متين العلم"^(١). وفي هذه الكلمة شيء من الموقف النقدي المركب الذي قلنا إنه الأمثل في التعامل مع الخطابات المتعددة تجاه اللغة. فيمكن قياساً على ذلك أن يقال بأن فكرة: 'شجاعة العربية' وما يشبهها من أفكار من ملح العلم لا من صميمه. ولكن المبالغة في متابعة هذا النوع من الأفكار قد تؤدي أحياناً إلى تجاوز الخطاب العلمي، والدخول إلى شيء مما يشبه اللسانيات العجائبية التي ذكرنا بعضاً من أمثلتها في ثنايا البحث.

٨- الخاتمة:

لقد أردنا من هذا البحث أن يكون مبحثاً إبستمولوجياً متعمقاً، يوضح بعضاً من الطرق الممكنة لتناول ما يلقي من مفاهيم وأفكار ذات أصول وارتباطات معقدة. ويوضح ما عرضناه من نقاش أن هذا الأمر ليس بالسهولة التي يبدو بها، بل يتطلب التعامل مع أنواع متباينة من الخطابات، وتفكيك ما لكل منها من أسس ومنطقات، وما يقوم بينها من تداخل وعلاقات، مع استحضار ما لكل منها من ارتباطات حضارية وتاريخية خاصة. ولقد اتخذنا من فكرة 'شجاعة العربية' وبعض الأفكار الأخرى التي أوردها ابن جني في كتاب الخصائص، كفكرة 'الاشتقاق الأكبر' أمثلة لهذا النوع من القراءة الإبستمولوجية. فرأينا أن لهذه الأفكار وما يشبهها الكثير من الوجوه المتعددة التي تختلط فيها التصورات الشعبية بالعلمية بصور معقدة يصعب في كثير من الأحيان فرز ما فيها من تداخلات لدى كثير من المتلقين. ومن بين عدد من المواقف التي يمكن اتخاذها في هذا الصدد، يبرز الموقف النقدي باعتباره موقفاً متوازناً يفهم المنطلقات الفكرية المختلفة للخطابين العلمي والثقافي، ووظائفهما المعرفية، والسياقات المناسبة لكل منهما، وما يقع بينهما من وجوه التداخل المثيرة في كثير من الأحيان، والمضرة في أحيان أخرى.

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية الأندلسي، تحقيق: الرحالة فاروق، وعبدالله الأنصاري، والسيد إبراهيم، ومحمد العناني، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، ط. ٢٠٠٧م، ص ٦١.

المصادر والمراجع

المراجع العربية

- اتجاهات البحث اللغوي الحديث في العالم العربي: لبنان في القرن التاسع عشر، رياض قاسم، مؤسسة نوفل، بيروت، ١٩٨٢م.
- أسس اللسانيات النفسية، إيفا فيرنانديز، وهيلين كيرنز، ترجمة: عقيل الشمري، دار جداول، بيروت، ٢٠١٨م.
- الأشباه والنظائر للسيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.، ١/٣٦٢.
- إشارة التعيين في تراجم النحاة واللغويين، عبد الباقي عبد المجيد اليماني، تحقيق: عبد المجيد دياب، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ١٩٨٦م.
- الأصول في النحو، ابن السراج، تحقيق: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة: بيروت، ط. ٣، ١٩٩٦م.
- الإكسير في علم التفسير، نجم الدين سليمان بن عبد القوي الطوفي، تحقيق: عبد القادر حسين، دار الأوزاعي، بيروت، ١٩٨٩م، ص ١٧٥.
- الإيضاح في علل النحو، الزجاجي، تحقيق مازن المبارك، دار النفائس، بيروت، ط. ٣، ١٩٧٩م.
- بحوث ودراسات في علوم اللسان، عبد الرحمن الحاج صالح، موفم للنشر، الجزائر، ٢٠١٢م.
- بين العلم والتصورات الشعبية: موت اللغات نموذجاً، عقيل الشمري ومنصور ميغري، في: انقراض اللغات وازدهارها: محاولة للفهم، محمود المحمود (محرر)، مركز الملك عبد الله، الرياض، ٢٠١٦م.
- تأويل اللفظ والحمل على المعنى، وثام الحيزم، جامعة تونس، تونس، ٢٠٠٩م.

تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة الدينوري، تحقيق: السيد أحمد صقر، مكتبة دار التراث، القاهرة، ١٩٧٣م.

تجديد المنهج في تقويم التراث، طه عبدالرحمن، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ٢٠٠٧م.

التراث اللغوي العربي، بوهاس وجيوم وكولوغلي، ترجمة: محمد حسن عبدالعزيز وكمال شاهين، القاهرة: دار السلام.

التصورات الشعبية عن اللغة في الأدبيات اللسانية المعاصرة: مقاربة إبستمولوجية، منصور ميغري، وعقيل الشمري، في: التصورات الشعبية عن اللغة العربية: مفاهيم وقضايا وحالات. مركز الملك عبدالله لخدمة اللغة العربية، الرياض، ٢٠١٧م.

التفكير اللساني في الحضارة العربية، عبدالسلام المسدي، الدار العربية للكتاب، تونس، ط. ٢، ١٩٨٦م.

التقريب لحد المنطق والمدخل إليه بالألفاظ العامية والأمثلة الفقهية، ابن حزم، تحقيق عبدالحق التركماني، دار ابن حزم، بيروت، ٢٠٠٧م.

التنبية على حدوث التصحيف، حمزة الأصبهاني، تحقيق: محمد أسعد طلس، دار صادر، بيروت، ط. ٢، ١٩٩٢م.

الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور، ضياء الدين ابن الأثير الجزري، تحقيق: مصطفى جواد، وجميل السعيد، المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٩٥٦م.

جواهر الكنز تلخيص كنز البراعة في أدوات ذوي البراعة، نجم الدين أحمد بن إسماعيل ابن الأثير الحلبي، تحقيق: محمد زغلول سلام، منشأة المعارف، الإسكندرية، د.ت.

الحيوان، الجاحظ، تحقيق: عبدالسلام هارون، مكتبة مصطفى الباي الحلبي، ط. ٢، ١٩٦٥م.

- الخصائص، ابن جني، تحقيق: محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٥٢م.
- دروس في الألسنية العامة، فردينان دي سوسير، ترجمة: صالح القرمادي، محمد الشاوش، محمد عجينة، الدار العربية للكتاب، تونس.
- الرد على النحاة، ابن مضاء، تحقيق: محمد إبراهيم البنا، دار السلام، القاهرة، ٢٠١٧م.
- روح الحداثة: المدخل إلى تأسيس الحداثة الإسلامية، طه عبد الرحمن، المركز الثقافي، الدار البيضاء، ٢٠٠٦م.
- سر الفصاحة، ابن سنان الخفاجي، تحقيق: عبد المتعال الصعيدي، مكتبة محمد علي صبيح وأولاده، القاهرة، ١٩٥٢م.
- العدول بالجملة عن الأصل وعلاقته باستيعاب النحو للمعنى، عبدالفتاح الفرجاوي، دار سحر للنشر، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، القيروان، ٢٠٠٧م.
- العدول التركيبي في النحو العربي: دراسة تحليلية في ضوء المنهج التداولي، نجم عبدالواحد الجيزاني، دار الكتاب الجديد، بيروت، ٢٠١٨م.
- علم اللسان، إنطوان ماييه، ترجمة: محمد مندور، مطبوع ضمن: منهج البحث في الأدب واللغة، للانسون وماييه، ترجمة: محمد مندور، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠١٥م.
- فقه اللغة في الكتب العربية، عبده الراجحي، بيروت: دار النهضة العربية، ١٩٧٢م.
- فلسفة اللغة، سيلفان أورو، جاك ديشان، جمال كولوغلي، ترجمة: بسام بركة، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ٢٠١٢م.
- الكتاب، سيبويه، تحقيق: عبدالسلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط. ٣، ١٩٨٨م.
- اللسانيات وأسسها المعرفية، عبدالسلام المسدي، الدار التونسية للنشر، تونس، والمكتبة الوطنية للكتاب، الجزائر، ١٩٨٦م.

لغات الفردوس، مورييس أولندر، ترجمة: جورج سليمان، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ٢٠٠٧م

اللغة من المعنى إلى النص، إيغور مالتشوك، ترجمة: عقيل الشمري، ابن النديم للنشر والتوزيع، ودار الروافد الثقافية، بيروت، ٢٠٢٣م.

ما هذا الشيء الذي يدعى فلسفة اللغة، غاري كيمب، ترجمة: عقيل الشمري، نادي الكتاب، الرياض، ٢٠٢٣م.

المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين ابن الأثير الجزري، تحقيق: أحمد الحوفي وبدوي طبانة، نهضة مصر، القاهرة.

مدارس اللسانيات: التسابق والتطور، جفري سامسون، ترجمة: محمد زياد كبة، جامعة الملك سعود، الرياض.

المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية الأندلسي، تحقيق: الرحالة فاروق، وعبدالله الأنصاري، والسيد إبراهيم، ومحمد العناني، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، ط٢، ٢٠٠٧م.

مدخل إلى اللغة واللسانيات، جون ليونز، ترجمة: حمزة المزيني، مجلة كلية الآداب، جامعة الملك سعود، ١٩٨٧م، مج ١٤، ١٤، ١٥٩-٢٤٠.

مدخل إلى فلسفة الحضارة الإنسانية، أو مقال في الإنسان، أرنست كاسير، ترجمة: إحسان عباس، دار الأندلس، بيروت، ١٩٦١م.

مدخل لفهم اللسانيات، روبير مارتان، ترجمة: عبدالقادر المهيري، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ٢٠٠٧م.

المزهر في علوم اللغة وأنواعها، السيوطي، تحقيق: محمد أحمد جاد المولى بك، وعلي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت.

- مفاتيح الألسنية، جورج موان، ترجمة: الطيب البكوش، منشورات سعيديان، تونس، ١٩٩٤م.
- مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية، دنيس كوش، ترجمة: منير السعيداني، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ٢٠٠٧.
- المقصد شرح الإيضاح، للجرجاني، تحقيق: كاظم بحر المرجان، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، العراق، ١٩٨٢م.
- مقدمة لعلم اللغة، جان كلود ميلنار، ترجمة: محمد الشاوش، معهد تونس للترجمة، تونس، ٢٠٢٢م.
- المتع في التصريف، ابن عصفور الإشبيلي، تحقيق: فخر الدين قباوة، دار المعرفة، بيروت، ١٩٨٧م.
- منطق العرب في علوم اللسان، عبدالرحمن الحاج صالح، موفم للنشر، الجزائر، ٢٠١٢م.
- المنوال النحوي العربي: قراءة لسانية جديدة، عزالدين المجدوب، كلية الآداب، سوسة، دار محمد علي الحامي، تونس، ١٩٩٨م.

المراجع الإنجليزية

- Bringing the folk into applied linguistics: An introduction. Wilton, A. & Stegu, M. in AILA Review, 24, 1-14, 2011, p. 3.
- Do non-linguists practice linguistics? An anti-eliminative approach to folk theories, Paveau, M,A. AILA Review, 24, 40-54, 2011.
- Fantastic Linguistics, Sarah Thomason & William Poser, Annual Review of Linguistics, 6, 457-468, 2020.
- Folk linguistics. Niedzielski, N. & Preston, D. Berlin: Walter de Gruyter, 2000.
- Language complexity: an insight from complex-system theory. Alexander Andrason, International journal of language and linguistics. 2, 2, p. 74-89, 2014



Linguistic Culture and Language Policy, Harold Schiffman, Routledge, New York, 1996, p. 55.

Structure, class and dependency: modern linguistic theory and the Arabic grammatical tradition, Jonathan Owens, Lingua, 64, p. 25-62, 1984.

The Demarcation Problem: A (Belated) Response to Laudan, Massimo Pigliucci, in: Philosophy of Pseudoscience: Reconsidering the Demarcation Problem, Massimo Pigliucci & Maarten Boudry, The University of Chicago Press, 2013, p. 15.

The linguistic sciences and language teaching, Michael Halliday, Angus McIntosh, Peter strevens, Longmans, London, 1964.



شجاعة العربيّة في التعليم الرقمي: تطبيقات تعزيز القارئية في مرحلة الطفولة المبكرة بين النظريات والممارسات

د. فيصل بن حمد الحربي

أستاذ اللغويّات التطبيقية المساعد - جامعة الملك سعود

الملخص:

أصبحت الأجهزة الذكية لا سيّما المحمولة منها جزءاً أساسياً من حياة الطفل، ومع سهولة تداولها والوصول إليها ينشأ الطفل محاطاً بها، وتحتل جزءاً ليس يسيراً من أنشطته اليومية، وقد برزت منذ وقتٍ ليس قريباً بوصفها أدوات تعليمية تُسهم في تكوينهم ووصولهم لبعض العلوم والمعارف إلى جانب الجزء المهيمن منها وهو التسلية والترفيه، ومع واقع هذا الانتشار والتفاعل مع تلك التطبيقات، نشأت تطبيقات رقمية تسهم في تعزيز القارئية لديهم في مرحلة الطفولة المبكرة (٢-٨ سنوات). وقد حظيت هذه الظاهرة بدراسات علمية عديدة (؛ Xie et al., 2018; Cubelic & Larwin, 2014; Drigas et al., 2015) تؤكد أن لها دوراً فاعلاً - عند استخدامها بكفاءة - في تعزيز القارئية لدى الأطفال، وتعزيز التواصل والتفاعل الاجتماعي لديهم.

ورغم تطور الدراسات وكثرتها في هذا الحقل غير أن الدراسات التي تتناول التطبيقات الموجهة للطفل العربي ما زالت متواضعة لا سيّما إذا ما قُورنت بحجم انتشار تلك التطبيقات واستخدامها لدى الطفل الغربي والدراسات حولها. ولذا؛ تهدف هذه الدراسة إلى البحث في تصميم ومدى فاعلية تلك التطبيقات - الأكثر شيوعاً منها - التي تهدف إلى تعزيز القارئية في مرحلة الطفولة المبكرة، وتركز على تقييم هذه التطبيقات

من منظوريين اثنين: التقييم القائم على المحتوى التعليمي، والتقييم القائم على خصائص ومميزات هذه التطبيقات، وقد أظهرت النتائج أنه على الرغم من شيوع هذه التطبيقات إلا أن تطبيقات القارئ للطفل العربي ما زالت تعاني من فجوات كبيرة في تعزيز بعض المهارات الأساسية للقراءة في مرحلة الطفولة المبكرة الأمر الذي يشير إلى أن الاستفادة منها في تحقيق أهدافها لم يصل إلى مراحل مأمولة بعد.

المقدمة:

يعد مصطلح شجاعة العربية من المصطلحات التراثية التي يجيء استخدامها واصفاً لمرونة اللغة العربية، وقدرتها على إعادة ترتيب بنية الجملة مع الحفاظ على تماسكها، بل قد يضيف قيمة بلاغية لها. ولذا يأتي التعامل مع هذا المصطلح ليكون دائماً على خصائص تُبين عن قدرة نظامها اللغوي على التعبير بأساليب متعددة. ومن المعلوم أن هذا المصطلح لم يقف عند حدّه الأول لدى ابن جني الذي سلك هذا المصطلح في أول الأمر، بل تناوله غير واحد من اللغويين اللاحقين الذين غدّوه بظواهر لغوية أخرى غير التي جاءت عنده. ولعل محدودية حدّ قاطع له في التراث؛ يجوز لهذه الدراسة أن توسع المفهوم وموضوعاته - وإن كانت على سبيل المجاز- فتتطرّف في شجاعة العربية وقابليتها للتكيّف في الفضاء الرقمي، وإلى أي مدى أصبحت العربية حاضرة فيه لاسيما مع التقدّم والتطورات التي تشهدها معالجة اللغة الطبيعية، وتطبيقات تعزيز القراءة الرقمية التي قد تكون إحدى السياقات الرئيسة التي تتجلى فيها قدرة اللغة العربية على التكيف والتطوير في ضوء معالجة اللغات الطبيعية. وعلى الرغم من أن العربية ظلت مقرونة بكثير من التحديات في إطار معالجة اللغة الطبيعية⁽¹⁾، فإن عرض حضورها في تطبيقات تعزيز القراءة مقارنة بغيرها من التطبيقات في اللغات الأخرى التي صاحبت تحديات أقل؛ قد يفيد في التعرف على مدى نجاحها ومرونتها في تلك السياقات.

(1) Shaalan, K., Siddiqui, S., Alkhatib, M., & Abdel Monem, A. (2018). Challenges in Arabic natural language processing. In N. El Gayar, C. Y. Suen, & C. Y. Suen (Eds.), *Computational linguistics, speech and image processing for Arabic language* (pp. 59-79). World Scientific.

في ظل التطور التقني الهائل الذي نشهده اليوم، ينشأ الطفل منذ بداية تشكل الوعي لديه محاطاً بالأجهزة الذكية حتى تغدو ضمن ممتلكاته الشخصية وممارساته اليومية الرئيسية، فقد ذكرت بعض الدراسات^(١) التي أُجريت على بعض الأطفال السعوديين ما بين سن ٢-٥ سنوات أنهم يقضون ما يقارب ثلاث ساعات يومياً تقريباً على الأجهزة الذكية. وفي دراسة مشابهة على الأطفال الكويتيين، وُجد أن معدل استخدامهم للأجهزة الذكية ما يعادل ساعتين تقريباً يومياً^(٢) وينبغي الإشارة إلى أن جائحة كورونا قد أسهمت بشكل كبير في زيادة التفاعل مع الأجهزة الذكية وتعدد استخداماتها بين الأطفال؛ إذ أصبحت ضرورة لا مناص منها، ولا شك أن الأجهزة الذكية أصبحت -بالنسبة لمستخدميها من الأطفال في سن مبكرة- تشكل كثيراً من المعرفة والإدراك للعالم من حوله إلى جانب الجزء الترفيهي المهيمن فيها، وقد عزز هذا الانتشار والتأثير المرونة في استخدامها والتفاعل معها وحملها مقارنة بأجهزة الكمبيوتر والأجهزة التقنية التقليدية الأخرى^(٣). ولعل هذه الميزات أسهمت كذلك في ظهور تطبيقات كثيرة جداً وبشكل مستمر، فقد أشارت بعض التقارير^(٤) إلى أن عدد التطبيقات التعليمية المتاحة في متجر قوقل وأبل في عام ٢٠٢٤ يقدر بنحو ٣٨٩,٠٠٠ تطبيقاً. وفي ظل هذا الزخم

- (1) Alroqi, H., Serratrice, L., & Cameron-Faulkner, T. (2021). The home literacy and media environment of Saudi toddlers. *Journal of Children and Media*, 16(1), 95–106.
- Alibrahim, R. A. A. (2023). *The impact of screen time on language development among preschool-age Saudi children* (Master's thesis, Al-Imam Mohammed Ibn Saud Islamic University). Arab World English Journal.
- (2) Shamsah, A., Al-Tawari, B., Jamal, F., Al-Farhan, L., Al-Mass, M., Al-Majran, A. A., & Shamsah, S. (2022). Prevalence of use of smart devices in children aged five years or less and associated factors in Kuwait. *Journal of Pediatrics, Perinatology and Child Health*, 6(2), 254–268.
- (3) Merchant, G. (2015). Keep taking the tablets: iPads, story apps, and early literacy. *Australian Journal of Language and Literacy*, 38(1), 3–11.
- (4) Business of Apps. (2024, September 30). "Education App Revenue and Usage Statistics (2024)". <https://shorturl.at/44veN>



التقني والمعلوماتي؛ حظيت تطبيقات الأجهزة الذكية المصممة خصيصاً لتعليم القارئية في مرحلة الطفولة المبكرة ودمجها في العملية التعليمية باهتمام الباحثين والتربويين خلال العقد الماضي؛ إذ أصبحت جزءاً لا يمكن تجاهله سواء في البيئة الاجتماعية والتعليمية للأطفال، فبدأ المهتمون دراستها من أوجه عدة سلبيًا وإيجابيًا، فمن تلك الجوانب - على سبيل المثال - دراسات تناولت أثر أجهزة اللمس الذكية على المهارات الحركية لدى الطفل^(١)، ومنها ما تناولت أثرها على الذاكرة لدى الأطفال^(٢)، وثمة دراسات حاولت أن تدرس العلاقة بين استخدام الأجهزة الذكية والمشاكل العاطفية والسلوكية لدى الأطفال^(٣). وكذلك العلاقة بين الأجهزة الذكية والتطور الذهني لدى الطفل^(٤).

وجاء من ضمن تلك الاهتمامات العديدة إمكانية الاستفادة منها في تنمية القارئية أو التطور اللغوي الذي يمكن لها أن تحدثه لدى الطفل في مرحلة ما قبل المدرسة وأثناءها، وعلى الرغم من أن أغلب الدراسات جاءت في سياق أثرها على الطفل الغربي إلا أن ثمة دراسات قليلة تناولت العلاقة بين استخدام الأجهزة الذكية والتطور اللغوي لدى الطفل

-
- (1) E.g., Lin, L. Y., Cherng, R. J., & Chen, Y. J. (2017). Effect of touch screen tablet use on fine motor development of young children. *Physical & occupational therapy in pediatrics*, 37(5), 457467-.
 - (2) E.g., Buhrs, S., van Amelsvoort, T. A. M. J., Strik, J. J. M. H., & Lousberg, R. (2024). Working memory in young children: A pilot study on the gender-mediated effect of Touch Screen Device use. *Computers in Human Behavior Reports*, 13, 100360.
 - (3) E.g., Lin, H. P., Chen, K. L., Chou, W., Yuan, K. S., Yen, S. Y., Chen, Y. S., & Chow, J. C. (2020). Prolonged touch screen device usage is associated with emotional and behavioral problems, but not language delay, in toddlers. *Infant Behavior and Development*, 58,101424.
 - (4) Anderson, D. R., & Subrahmanyam, K. (2017). Digital screen media and cognitive development. *Pediatrics*, 140(Suppl 2), S57-S61.



العربي^(١). وجاء اهتمام الباحثين بها كونها أصبحت عنصراً فاعلاً في تطوير القارئ لدى الأطفال في مرحلة مبكرة قبل المدرسة، ومن المعلوم أن تطوير مهارات القارئ الناشئة يعد - كذلك - أساساً متيناً تقوم عليها جميع مهارات القارئ في المستقبل، كما أنها من أهم المؤشرات على التفوق الأكاديمي في مرحلة لاحقة من حياة الطفل^(٢).

أدبيات الدراسة:

١- مهارات القارئ في مرحلة الطفولة المبكرة:

يُعدُّ تطوُّر مهارات القارئ في مرحلة الطفولة المبكرة من القضايا التي شغلت الباحثين لعقود طويلة، فهي كما يُبيِّن سنو (Snow)، مهارة معقدة ومتعددة الأوجه، ومتغيِّرة كلما زاد الإنسان في اكتسابها^(٣). وتعريفات القارئ في الأدبيات متعددة بالنظر إلى المنظور الذي ينطلق منه من يريد تعريفها؛ لذا هناك من يعرف القارئ بناءً على

- (1) E.g., Al-Jarf, R. (2021). Impact of the iPad on Saudi young children in the home environment as perceived by their mothers. *International Journal of Research in Engineering, IT and Social Sciences*, 11(2), 26–35.

الزقدي، أمل حسين ناصر، المطيري، سهام بنت محجي، ومعوذ، ربي عبد المطلب محمد. (٢٠٢٤). استخدام بعض الأجهزة الذكية وعلاقته بنمو المهارات اللغوية عند أطفال ما قبل المدرسة. *مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع*، ٩٩٤، ٢٠٠-٢٢٢.

- (2) National Early Literacy Panel. (2008). Developing early literacy: *Report of the National Early Literacy Panel*. National Institute for Literacy.

Wackerle-Hollman, A.K., Schmitt, B.A., Bradfield, T.A., Rodriguez, M.C., McConnell, S.R. (2015). Redefining Individual Growth and Development Indicators: Phonological Awareness. *Journal of Learning Disabilities*, 48(5), 495-510.

Vidyastuti, A. N., Darmayanti, R., & Sugianto, R. (2018). The Role of Teachers and Communication Information Technology (ICT) Media in the Implementation of Mathematics Learning in the Digital Age. Al-Jabar: *Journal Pendidikan Matematika*, 9(2), 221–230.

- (3) Snow, C. E. (2006). What counts as literacy in early childhood? In K. McCartney & D. Phillips (Eds.), *Blackwell handbook of early childhood development* (pp. 274–294). Blackwell Publishing.

مراحل متتالية، فعلى سبيل المثال: هناك من يعرف القارئية المبكرة في مرحلة الطفولة المبكرة بامتلاك المهارات أو الأسس التي تُبنى عليها مهارات ما قبل القراءة والكتابة، وغالباً ما تُكتسب هذه المهارات لدى الأطفال خلال الفترة التي تسبق مرحلة الدراسة الرسمية من سن الولادة وحتى سن السادسة تقريباً^(١)؛ لذا يُطلق عليها في الأدبيات القارئية الناشئة (Emergent Literacy)، وهذه المهارات تشمل المهارات التمهيديّة أو الأساسيّة ل (أ) الوعي الصوتي (Phonological awareness)؛ إذ يكون الطفل فيها قادراً على التعرف على الوحدات الصوتيّة أو الفونيمات والمقاطع الصوتيّة للكلمات دون التركيز على معانيها. (ب) معرفة الأبجدية (alphabet knowledge)، أي معرفة أسماء الحروف والأصوات والقدرة على إنتاجها. (ج) مهارات اللغة المنطوقة (oral language skills)، ويُقصد بها القدرة على فهم اللغة وإنتاجها. (د) الفهم المبكر (early comprehension)، وهي القدرة على فهم اللغة المنطوقة والمكتوبة^(٢).

ومن المعلوم أن هذه المهارات تُكتسب خلال مراحل متتالية، وقد أظهرت الدراسات التجريبية أن نجاح الطفل وتفوقه في مرحلة المدرسة النظامية يعتمد بشكل كبير على أدائه في تلك المهارات واكتسابه لها في الفترة السابقة؛ فالأطفال الذين يؤدون مهارات القارئية الناشئة بنجاح، يُنبأ بهم أنهم سيتميزون كذلك في مهارات القارئية التقليدية لاحقاً، بينما من يواجهون صعوبات في اكتساب هذه المهارات في مرحلة القارئية الناشئة،

(1) Justice, L. M., Chow, S., Capellini, C., Flanigan, K., & Colton, S. (2003). Emergent literacy intervention for vulnerable preschoolers: Relative effects of two approaches. *American Journal of Speech-Language Pathology*, 12, 320332-.

Storch, S.A., & Whitehurst, G.J. (2002). Oral language and code-related precursors to reading: Evidence from a longitudinal structural model. *Developmental Psychology*, 38, 934947-.

(2) Snow, C. E., Burns, M., & Griffin, P. (1998). *Preventing reading difficulties in young children*. Washington, DC: National Academy Press.

National Early Literacy Panel, 2008

Wackerle-Hollman et al., 2015

ستنعكس سلباً على مهارات القارئية طوال فترة دراستهم بعد ذلك^(١). وينبغي القول إن تأثير البيئة المحيطة بالطفل ودورها في مهارات القارئية المبكرة واكتسابها، والتميز الأكاديمي المبكر، لا يعني عدم الإيمان أو تجاهل الأسس البيولوجية في اكتساب اللغة التي تقوم عليها نظرية تشومسكي (١٩٦٥) حول فطرية اللغة^(٢) أو النظريات الأخرى المشابهة؛ إذ يولد الأطفال بقدرة لغوية فطرية تمكنهم من اكتساب اللغة، وتتفاعل هذه الموهبة البيولوجية مع المحفزات البيئية لدعم تطور اللغة وهو الأمر الذي يشير إلى أن القارئية الناشئة تتعزز من خلال مزيج من الاستعدادات الطبيعية والبيئة المحفزة، وعليه فإن الاعتراف بأهمية البيئة لا ينبغي أن يلغي الجوانب المتأصلة والمدفوعة بيولوجياً لتعلم اللغة، أو كما يبين هوف (Hoff) "أن الخصائص العالمية للبيئات البشرية قد تلعب -أيضاً- دوراً في تفسير الحقيقة العالمية المتمثلة في اكتساب اللغة، ومن الواضح أن الاختلافات في بيئات الأطفال تخلق اختلافات في نمو لغتهم وتطورها، ويصل نمو اللغة إلى نفس النقطة النهائية لدى جميع الأطفال، أي أنه يتسم بالتكافؤ فحسب. بمعنى أن جميع الأطفال يتعلمون لغة وتشترك جميع اللغات في خصائص معينة"^(٣).

ونظراً لأهمية اكتساب وتكوين مهارات القارئية الناشئة، ودور البيئة المحيطة بهم في نموها وتكوينها؛ فإن كثيراً من الباحثين يدعو إلى ضرورة التركيز على مهارات القارئية الناشئة في مرحلة ما قبل المدرسة؛ تجنباً لصعوبات القراءة التي قد يواجهها الطفل أثناء

(1) Phillips, L. M., Norris, S. P., Osmond, W. C., & Maynard, A. M. (2002). Relative reading achievement: A longitudinal study of 187 children from first through sixth grades. *Journal of Educational Psychology*, 94, 313-.

Justice et al., 2003

(2) Chomsky, N. (1965). *Aspects of the Theory of Syntax*. Cambridge, MA: MIT Press.

(3) Hoff, E. (2006). Language experience and language milestones during early childhood. In K. McCartney & D. Phillips (Eds.), *Blackwell handbook of early childhood development* (pp.233-256). Blackwell Publishing Ltd.

الدراسة لاحقاً^(١). ومهارات القارئ الناشئة تتطور بفاعلية خلال التفاعلات المتكررة وغير الرسمية، وذات معنى، وتكون في إطار موجهين قادرين كالأباء والمعلمين والأشقاء، وهي شروط إذا حُقت كانت عاملاً رئيساً ومساعداً في بناء مهارات القارئ الناشئة المتطورة^(٢).

٢- التقنية ودورها في تعزيز القارئ في مرحلة الطفولة المبكرة:

أشارت دراسات عديدة^(٣) إلى أن ضعف مهارات القارئ لدى الأطفال الذين يلتحقون بالمدرسة في الصفوف الأولى قد يؤدي إلى محدودية استفادتهم من تعليم القارئ ما لم يكن ثمة تدخل مستهدف لتعزيز تلك المهارات؛ ولذلك اهتم الباحثون في مرحلة القارئ الناشئة، وسبل تعزيزها، وقد كانت الثورة التقنية واحدة من الطرق التي تناولها الباحثون في دراسات عديدة، وكيفية الاستفادة منها في تنمية مهارات القارئ في مرحلة الطفولة المبكرة.

وقد كانت الأجهزة اللوحية، كجهاز الآيباد من الأدوات التقنية التي سعى الباحثون في دراسات عديدة لمعرفة مدى الاستفادة منها في تحقيق تعزيز القارئ الناشئة في مرحلة الطفولة المبكرة؛ إذ يُعتقد أن تفاعل ولعب الأطفال مع التطبيقات المتاحة في تلك الأجهزة؛

(1) Snow et al. , 1998

(2) Watkins, R. V., & Bunce, B. H. (1996). Natural Literacy: Theory and Practice for Preschool Intervention Programs. *Topics in Early Childhood Special Education*, 16(2), 191-212.

Watson, L. R., Layton, T. L., Pierce, P. L., & Abraham, L. M. (1994). Enhancing emerging literacy in a language preschool. *Language, Speech, and Hearing Services in Schools*, 25(3), 136-145.

Justice et al., 2003

(3) E.g., Lonigan, C. J., Allan, N. P., & Lerner, M. D. (2011). Assessment of Preschool Early Literacy Skills: Linking Children's Educational Needs with Empirically Supported Instructional Activities. *Psychology in the schools*, 48(5), 488-501.

Liu, S., Reynolds, B. L., Thomas, N., & Soyoo, A. (2024). The Use of Digital Technologies to Develop Young Children's Language and Literacy Skills: A Systematic Review. *Sage Open*, 14(1).

قد يُعزز تعلُّم مهارات القارئية الناشئة عبر استكشافهم للمطبوعات كالأيقونات والرموز والحروف والكلمات التي يتعرضون لها عبر شاشات الأجهزة اللوحية^(١)؛ لذا أُجريت دراسات تجريبية لقياس مدى أثر هذه الأجهزة اللوحية على تطوُّر مهارات القارئية الناشئة عند الأطفال، وينبغي الإشارة إلى أن أغلب هذه الدراسات كانت في مجملها تتناول التطبيقات في سياق حضورها واستخدامها لدى الطفل الغربي وتحديدًا في اللغة الإنجليزية. من تلك الدراسات دراسة قامت بها نيومان (Neumann)^(٢)؛ إذ سَعَت الباحثة إلى دراسة مدى تأثير ثلاثة تطبيقات لتعزيز القارئية الناشئة لدى الأطفال الذين تتراوح أعمارهم ما بين سنتين وخمس سنوات، وقسّمت الدراسة المشاركين فيها وهم ثمانية وأربعون طفلًا إلى مجموعتين ضابطة ومعالجة، وأظهرت نتيجة الدراسة التي استمرت إلى تسعة أسابيع تفوقًا بارزًا في الاختبار البعدي في نتيجة المجموعة المُعالجة لا سيَّما في معرفة أسماء الحروف والأصوات، ومهارات كتابة الأسماء مقارنةً بنتيجة الأطفال في المجموعة الضابطة، وهي نتيجة تدعم -بوضوح- إيجابية استخدام الأجهزة اللوحية في تطوير جوانب القارئية الناشئة. وفي سياق أثر الأجهزة اللوحية في تعزيز القارئية الناشئة لدى الطفل العربي، نَمَّه دراسات -على قِلَّتِها- تناولت هذه الظاهرة بدراسات تجريبية كذلك، ومنها دراسة^(٣) سَعَت إلى الكشف عن العلاقة بين استخدام الأجهزة الذكية وتطور مهارات القارئية لدى أطفال ما قبل المدرسة، ولقد سَعَت الدراسة إلى الكشف عن هذه العلاقة عبر عدد من المتغيرات، كعدد الساعات التي يقضيها المشاركون في استخدام الأجهزة الذكية، وأعمارهم، وجنسهم، وقد أبانت نتائج الدراسة التي شارك

(1) E.g., Marsh, J. (2016). The digital literacy skills and competencies of children of pre-school age. *Media Education Studies and Research*, 7, 197-214.

Neumann, M. M., & Neumann, D. L. (2014). Touch screen tablets and emergent literacy. *Early Childhood Education Journal*, 42, 231-239.

(2) Neumann, M. M. (2018). Using tablets and apps to enhance emergent literacy skills in young children. *Early Childhood Research Quarterly*, 42, 239246-.

(٣) الزقدي وآخرون، ٢٠٢٤.

فيها ١٢٠ طفلاً في مرحلة الروضة في إحدى المدن السعودية أن ثمة علاقة إيجابية بين التطور اللغوي وبين استخدام الأجهزة اللوحية لا سيّما كلما كانت الفترة التي يقضيها الطفل أقل من ساعة يومياً.

وتجدر الإشارة إلى أن نتائج الدراسات حول العلاقة بين الأجهزة الذكية وتعزيز مهارات القارئ الناشئة في مرحلة الطفولة المبكرة ليست متفقة في نتائجها الإيجابية دائماً؛ فثمة دراسات أخرى وصلت إلى نتائج محايدة أو ربما سلبية في استخدامها، ومن تلك الدراسات -على سبيل المثال- دراسة حديثة^(١) سعت إلى الكشف عمّا إذا كان ثمة علاقة بين الوقت الذي يقضيه الأطفال على الشاشات ومنها الأجهزة الذكية، وكذلك أجهزة التلفاز، والتطور اللغوي لدى الأطفال في مرحلة ما قبل المدرسة، وقد كشفت نتائج الدراسة التي شارك فيها ٨٤ طفلاً تتراوح أعمارهم ما بين ٣-٥ سنوات في نيوزلندا أنّ هناك علاقة وثيقة بين زيادة الوقت الذي يقضيه الأطفال على الشاشات وبين تحقيق درجات منخفضة في الفهم والإنتاج اللغوي، وثمة دراسة أخرى^(٢) وصلت إلى نتائج مشابهة، فقد حاولت الباحثة الكشف عن العلاقة بين التطور اللغوي في مرحلة الطفولة المبكرة واستخدام الأجهزة الذكية، وقد أبانت نتيجة الدراسة التي أجريت على ٥٠ طفلاً سعودياً ما بين ٢-٥ سنوات أن قضاء أكثر من ساعتين في استخدام الأجهزة الذكية يومياً، يمكن له أن يؤدي إلى تأخر لغوي للطفل، بل ذكرت الدراسة أن ذلك ملاحظ حتى لدى الأطفال الذي يستخدمون تطبيقات تعليمية على الرغم من أنّ أدائهم في الاختبارات اللغوية كان أفضل من أولئك الذين كانت مشاهداتهم منحصرة في مقاطع الفيديو الترفيهية لا سيّما اليوتيوب، وثمة دراسات جاءت نتائجها بين الفريقين؛ إذ وجدت أن الأطفال الذين يستخدمون تطبيقات القارئ الناشئة لا يظهرون بالضرورة

(1) Gath, M., McNeill, B., & Gillon, G. (2023). Preschoolers' screen time and reduced opportunities for quality interaction: Associations with language development and parent-child closeness. *Current Research in Behavioral Sciences*, 5, 100140.

(2) Al-Ibrahim, 2023.

تميزاً على أولئك الذين لا يستخدمونها في مرحلة الطفولة المبكرة، فعلى سبيل المثال: أجريت دراسة^(١) على عشرين طفلاً في سن ما قبل المدرسة، وقد قُسم المشاركون إلى مجموعتين: تجريبية وضابطة، فالمجموعة التجريبية كانت تستخدم تطبيقات على جهاز الآيباد لتعزيز القارئية الناشئة لمدة عشرة أسابيع بواقع ساعة أسبوعياً، بينما كانت المجموعة الضابطة تستخدم تطبيقات لكنها ليست مختصة بتعزيز القارئية، ولم تظهر نتائج الاختبار التي أجرتها كلتا المجموعتين - وكانت حول الحروف الأبجدية ومعرفة الأرقام - أيّ فوارق بارزة بينهما.

ولعلّ الدراسات السابقة - رغم كثرتها نسبياً - لا سيّما التي طُبقت في سياقات بيئة الطفل الغربي، يصعب القول فيها إنّ ثمة إجماعاً على فائدة تطبيقات تعزيز القارئية الناشئة، وهي - في الوقت نفسه - لا تستبعد فائدتها، ولكن ربما بدرجات متفاوتة، ولعلّ السبب في ذلك يعود إلى التنوع في مناهجها، والعوامل والمتغيرات التي تُركز فيها كل دراسة عن الأخرى، لا سيّما أن كثيراً منها لم تختبر فاعلية تلك التطبيقات عبر مناهج تقيس أثرها قبل الاستخدام وبعده، وهي كذلك، فمعظمها أُجريت على عددٍ قليل من المشاركين؛ مما يجعل من الصعب تعميم نتائجها^(٢)، غير أن ثمة باحثين أجروا دراسات تلويّة للدراسات التجريبية السابقة، ومنها دراسة^(٣) شملت ٣٦ دراسة تجريبية سابقة حول استخدام التطبيقات التعليمية لدى الأطفال مشتملة على ٤٢٠٦ مشاركين فيها، ووصلت إلى نتيجة مفادها أن ثمة تأثيراً إيجابياً متوسطاً لصالح استخدام أجهزة اللمس الذكيّة في نتائج التعلّم لدى الأطفال، غير أن نتائج الدراسة أشارت - كذلك - إلى أن تلك

-
- (1) Brown, M., & Harmon, M. T. (2013). iPad intervention with at-risk pre-schoolers: Mobile technology in the classroom. *Journal of Literacy and Technology*, 14, 56-78.
 - (2) Neumann, 2018.
 - (3) Xie, H., Peng, J., Qin, M., Huang, X., Tian, F., & Zhou, Z. (2018). Can touchscreen devices be used to facilitate young children's learning? A meta-analysis of touchscreen learning effect. *Frontiers in Psychology*, 9, Article 2580.

الفائدة تميل إلى المعارف والمواد العلمية مقارنة بالمعارف والمواد غير العلمية، وهو ما دعا الباحثين إلى الوصول إلى نتيجة عامة مفادها أن أجهزة اللمس الذكية تعتمد فاعليتها وفقاً لعدد من العوامل منها: سن الأطفال، وموضوع الدراسة، وبيئات التعلم.

٣- تطبيقات القارئ الناشئة: تصميمها، وميزاتها، وفعاليتها في مرحلة الطفولة المبكرة:

يستعرض هذا القسم إحدى مسارات الدراسات في هذا الحقل، وهي الدراسات التي تبحث في بنية وآلية تصميم وتأثير التطبيقات نفسها التي صممت لتعزيز مهارات القارئ الناشئة. وهي دراسات -في غالبيتها- تدرس كيف للعناصر التفاعلية والتعليمية التي تحويها هذه التطبيقات أن تدعم تعزيز القارئ الناشئة والتعليم بشكل عام لدى الصغار في مرحلة الطفولة المبكرة.

تشير الأبحاث إلى أن تطبيقات القارئ الناشئة ذات الجودة العالية يجب أن تتضمن عدداً من الميزات المحددة؛ كي تُجنى ثمرتها في تعزيز القارئ الناشئة والتعلم بشكل عام في مرحلة الطفولة المبكرة، وقبل مناقشة ما ذكرته الأدبيات حول خصائص التطبيقات التعليمية الجيدة، ينبغي التطرق إلى مفهوم التطبيقات التعليمية وتعريفها كما جاء في الأدبيات المرتبطة، ويمكن تعريفها بالتطبيقات التعليمية التي تهدف إلى تعزيز مهارات القارئ والرياضيات في مرحلة ما قبل الروضة حتى الصف الثالث من خلال تقديم المحتوى التعليمي عبر الأجهزة الذكية أو أجهزة الكمبيوتر^(١). وكان من أهم الأسئلة التي

(1) Hirsh-Pasek, K., Zosh, J. M., Golinkoff, R. M., Gray, J. H., Robb, M. B., & Kaufman, J. (2015). Putting education in "educational" apps lessons from the science of learning. *Psychological Science in the Public Interest*, 16(1), 3-34.

Notari, M. P., Hielscher, M., & King, M. (2016). Educational apps ontology. In D. Churchill, J. Lu, T. K. F. Chui, & B. Fox (Eds.), *Mobile learning design* (pp. 83-96). Springer.

Cherner, T., Dix, J., & Lee, C. (2014). Cleaning up that mess: A framework for classifying educational apps. *Contemporary Issues in Technology and Teacher Education*, 14(2), 158-193.

عمل الباحثون في حقل تصميم التطبيقات التعليمية على إجابتها هو السؤال الأبرز عن الخصائص والمميزات الأساسية التي يجب أن تشملها التطبيقات التعليمية لتحقيق أهدافها، ولعلّ من أبرز الأطر النظرية التي وجدت مراجعة ومناقشة واسعة في الأدبيات هي الركائز الأربعة التي يَبنها هيرش باسيك وآخرون (Hirsch-Pasek et al.)^(١) فقد ذكروا أنّ ثمة ركائز أربعة يجب أن تقوم عليها التطبيقات التعليمية لتحقيق التعلم الفعّال، وهي:

١- التعلُّم النشط (active learning)؛ إذ يُفترض أن يكون التعلُّم نشطاً، وأن ينخرط الأطفال عقلياً وذهنياً خلال التفاعل مع هذه التطبيقات، وليس تفاعلاً بدنياً سلبياً فحسب.

٢- التعلُّم التفاعلي (engaged learning)؛ إذ يجب أن يكون الأطفال متفاعلين مع التطبيقات بتركيز عالٍ لإنجاز المهام دون تشتيت لأذهانهم في جوانب أخرى ليست تعليمية.

٣- التعلُّم الهادف (Meaningful learning)، فالتعليم يكون أكثر تفاعلية عندما يكون هادفاً وذات معنى، ويربط المعلومات الجديدة بما يعرفه الأطفال مسبقاً، وله صلة بحياتهم.

٤- التعلُّم التفاعلي الاجتماعي (socially interactive learning)؛ فالتفاعل الاجتماعي ركيزة مهمة؛ إذ يتعزز التعلُّم عندما يتمكن الأطفال من التفاعل مع الآخرين، مثل: الآباء والأقران عند استخدام التطبيقات الأمر الذي يعزز المناقشة والفهم الأعظم، فهذه الركائز الأربعة وفقاً للمؤلفين تخلق إطاراً تنظيمياً للتطبيقات التعليمية التي تدعم التعلُّم وتعززه في مرحلة الطفولة المبكرة، وهي كذلك تتفاعل مع الآلية التي يتعلم خلالها الأطفال بشكل طبيعي، فدون توفر هذه الركائز لا يمكن أن توصف التطبيقات بالتعليمية.

(1) Hirsch-Pasek et al., 2015.

وفي دراسة قامت على التحليل التلوي للدراسات السابقة^(١) حول التطبيقات التعليمية وجدت أن التطبيقات التي تستهدف مهارات القارئ والرياضيات للأطفال في مرحلة الطفولة المبكرة تقود إلى تأثيرات إيجابية في التعلم لا سيَّما تلك التي تحتوي على ميزات تفاعلية مرتبطة بالقراءة، مثل: التعرف على الأحرف الأبجدية، والتدريبات على الوعي بالأصوات، والتي تُركز على المعنى الهادف، وهي كذلك تؤكد على أهمية المواءمة بين محتوى التطبيقات والمهارات اللازمة للقراءة الناشئة، مع مناسبتها لسن الأطفال لا سيَّما أولئك الذين في سن ما قبل المدرسة.

وفي دراسة أخرى^(٢) حول إمكانيات الأدوات الرقمية في تنمية مهارات القارئ الناشئة في وقت مبكر، حدّد المؤلفان عدداً من الخصائص التي يجب أن تحتويها التطبيقات كي تكون ذا جودة عالية في تحقيق أهدافها بشكل فعّال، وهي:

١- التفاعلية (interactive) التي تسمح بتفاعل الأطفال معها عبر النقر واللمس والتمرير، وتعزيز الاكتشاف والإبداع.

٢- التجارب متعددة الحواس (Multisensory experiences)، وهي تلك التي تكون باستخدام الأصوات والرسوم المتحركة والصور والنصوص؛ كي تحافظ على انتباه الأطفال وتعزيز الفهم.

٣- التدريس الصريح (Explicit instruction) خلال تعريف الكلمات بطريقة صريحة ومباشرة، وعرض للأمثلة؛ كي تساعد على معرفة المفاهيم والكلمات الجديدة.

٤- تقديم الملاحظات (Feedback providing)؛ مما يُحفّزهم ويدعم عملية التعلم.

(1) Kim, J., Gilbert, J., Yu, Q., & Gale, C. (2021). Measures Matter: A Meta-Analysis of the Effects of Educational Apps on Preschool to Grade 3 Children's Literacy and Math Skills. *AERA Open*, 7.
(2) Tatar, D., & Gerde, H. K. (2022). Partnering with families to use screen time for supporting early language and literacy. *The Reading Teacher*, 76(1), 67–77.

٥- التكيّف (Adaptive)، وهي خصيصة مهمة كي توائم بين السهولة والصعوبة بناء على مستوى الطفل وتقدمه في عملية التعلم.

٦- الملاءمة (Appropriateness)، إذ يجب أن تكون تجربة التعلم مناسبة لسن الطفل وقدراته، واهتماماته وخلفيته الثقافية.

وبناء على الدراسات السابقة، يمكن القول إن تطبيقات القارئية في مرحلة الطفولة المبكرة يجب أن تُصمّم بناء على تحقيق تجربة تعليمية تفاعلية وجذابة وتشاركية تتوافق مع مرحلة نمو الطفل، كما يجب أن توازن بين التفاعلية والمحتوى الهادف، والتكيّف مع احتياجات المتعلم، بالإضافة إلى تقديم ملاحظات وتصحيحات كي تحفز عملية التعلم وتضمن استمرارها، وينبغي أن تكون تجربة التعلم - بشكل عام - ملائمة لعمر الطفل من حيث محتواها الذي يضمن بيئة تعليمية آمنة للطفل في هذه المرحلة المبكرة من عمره.

وعلى الرغم من انتشار التطبيقات التعليمية التي يُسوَّق لها في مجال تعزيز القارئية الناشئة، وكذلك وجود دراسات عديدة جداً حولها، وحول مدى فاعليتها في تحقيق الأهداف التي يدّعيها مطوروها؛ فإن التقييم والدراسات العلمية للتطبيقات المصممة للطفل العربي، لا يزال ضئيلاً مقارنة بالتطبيقات التعليمية في تعزيز القارئية باللغة الإنجليزية، وخاصة في سياق التطبيقات التي تُركّز على تعزيز القارئية الناشئة في مرحلة الطفولة المبكرة، وتقييم فاعليتها في تعزيز مهارات القارئية الناشئة (الوعي الصوتي، معرفة الأبجدية، مهارات اللغة المنطوقة، والفهم المبكر)، وهي مهارات - كما ذكر سابقاً - يؤكد الباحثون أنها أساسية في تعزيز تلك المهارات. فإن هذه الدراسة تهدف إلى سدّ هذه الفجوة البحثية من خلال تقييم تطبيقات تعزيز القارئية الناشئة في مرحلة الطفولة المبكرة الأكثر شيوعاً من منظورين أساسيين: المحتوى العلمي الذي تقدمه وفقاً للمهارات الأساسية في تعزيز القارئية الناشئة، والميزات والخصائص التي تحويها تلك التطبيقات في تقديم محتواها، مثل: التفاعل، وتقديم الملاحظات، والملاءمة، والتكيّف، وغيرها التي ذكرت سلفاً، والتي دعا الباحثون إلى ضرورة توفرها في التطبيقات

ذات الجودة العالية؛ لذا فإن الدراسة تسعى إلى تقييم شامل لهذه التطبيقات؛ كي تُسلَّط الضوء على مدى جودتها، وتقدم فهماً شاملاً لقيمتها التعليمية. وعليه، فإن الدراسة الحالية تسعى إلى الإجابة عن الأسئلة الآتية:

- ١- إلى أي مدى تتضمن تطبيقات القارئ العربية الأكثر شيوعاً المهارات الأساسية في تعزيز القارئ الناشئة في مرحلة الطفولة المبكرة؟
- ٢- ما الميزات والخصائص التي تحويها تطبيقات القارئ العربية الأكثر شيوعاً، وما مدى توافقها مع خصائص وميزات التطبيقات التعليمية ذات الجودة العالية وفقاً لما ورد في الأدبيات؟

منهج الدراسة:

التطبيقات المُختارة:

تستهدف الدراسة تطبيقات القارئ في مرحلة الطفولة المبكرة الأكثر شيوعاً، وقد اقتصرَت الدراسة على التطبيقات المتاحة على منصة أبل (ios platform)، وتحديداً التطبيقات المتوافقة مع أجهزة الآيباد، وجاء الاختصار على التطبيقات المتاحة على منصة أبل، وتحديداً جهاز الآيباد لعدد من الأسباب، منها: أن أجهزة الآيباد مُستخدمة في نطاق واسع في البيئات التعليمية وكذلك لدى مجتمع الأطفال في مرحلة ما قبل المدرسة، فقد أشارت الأبحاث إلى أن أجهزة الآيباد تُستخدم بشكل شائع في السياقات التعليمية في مرحلة الطفولة المبكرة؛ نظراً لحجم شاشاتها، وسهولة استخدامها، وواجهتها التفاعلية المرنة، وقدرة الأطفال على استخدامها وحدهم دون مساعدٍ لهم، وإمكاناتها في تعزيز تجارب التعلم التفاعلية والجاذبة، ولذا فهي تُعدُّ أداةً تقنيةً نافعة وكذلك مفضلة لدى الأطفال^(١).

(1) Nikolopoulou, K. (2021). Mobile devices in early childhood education: teachers' views on benefits and barriers. *Education and Information Technologies*, 26(3), 32793292-.

Neumann, M. M., & Neumann, D. L. (2017). The use of touch-screen tablets at home and pre-school to foster emergent literacy. *Journal of Early Childhood Literacy*, 17(2), 203220-.

وقد كان الاختيار للتطبيقات المشمولة في الدراسة وفقاً للمرشحات المتاحة في المنصة، فكانت البداية عبر كتابة الكلمات المفاتيح المتعلقة بتعليم القارئية في مرحلة الطفولة المبكرة في خانة البحث، ثم تحديد التطبيقات لمن هم فوق أربع سنوات وحتى ثماني سنوات، والأكثر شيوعاً. وقد أعيدت عملية اختيار المرشحات لأكثر من مرة، ولم تكن التطبيقات التعليمية ضمن المرشحات المستخدمة؛ إذ إن ثمة تطبيقات ليست مدرجة تحت هذا التصنيف - رغم شيوعها - كما أجريت عملية البحث نفسها مرة أخرى، ولكن استبدل - في هذه العملية - المرشحات للتطبيقات الأعلى تقيماً بدلاً من الأكثر شيوعاً؛ لضمان الحصول على جميع النتائج الممكنة لتطبيقات القارئية، ووفقاً لنتائج البحث التي ظهرت في عمليتي البحث الأولى والثانية أجريت عملية فرز أخرى من قبل الباحث؛ إذ استبعد في هذه المرة التطبيقات المخصصة للناطقين بغير العربية، وكذلك التطبيقات التي تُقدم المحتوى التعليمي بلهجات عربية غير الفصحى، واستبعد كذلك التطبيقات التي تدمج المحتوى التعليمي بلغاتٍ أجنبية أخرى، وكذلك التطبيقات التي تكون التعليمات فيها للمستخدم بلغة أجنبية، بالإضافة إلى التطبيقات التي يكون غالب مضمونها لجوانب أخرى تعليمية غير مهارات القارئية وإن كانت جزءاً منها، ولم يُبق إلا التطبيقات التي تتيح مهارات القارئية للغتين أو أكثر غير أن المستخدم يُخَيَّر منذ البداية باللغة التي يُريد تعلمها. وبعد فرز النتائج، كانت التطبيقات المختارة والمشمولة في هذه الدراسة حسب الجدول أدناه.

الجدول ١: التطبيقات المشمولة في الدراسة

م	التطبيق	الوصف
١	أقرأ بالعربية 	تطبيق تعليمي يتيح للطفل تعلّم اللغة العربية عن طريق الألعاب والفيديوهات التعليمية، وهو كذلك يساعد على مستوى القراءة. أُطلق التطبيق عام ٢٠١٦ من قبل شركة المفكرون الصغار.

م	التطبيق	الوصف
٢	رحلة الحروف 	تطبيق تعليمي يركز على مهارتي القراءة والكتابة المبكرة، وهو مصمم للأطفال في مرحلة الطفولة المبكرة. أُطلق التطبيق عام ٢٠٢٠ من قبل مؤسسة الملكة رانيا.
٣	تعليم الحروف العربية  تعليم كتابة الحروف العربية	تطبيق تعليمي لكتابة الحروف العربية، والكتابة باللغة العربية. أُطلق التطبيق عام ٢٠٢٣ من قبل المطور سالم أحمد.
٤	سالم 	تطبيق تعليمي يهدف إلى تعليم نطق الحروف والكلمات العربية حتى كيفية تلاوة الفاتحة. أُطلق التطبيق عام ٢٠٢٢ من قبل مركز تفسير.
٥	تعليم الأطفال 	تطبيق تعليمي يهدف إلى تعليم الأطفال مهارات القراءة والكتابة ومهارات الرياضيات والمعارف العامة والقرآن الكريم بطريقة تفاعلية. أُطلق التطبيق عام ٢٠٢٢ من قبل المطور عبد الحميد حامد.

معايير تقييم التطبيقات:

اعتمد تقييم التطبيقات المُختارة في هذه الدراسة على الأطر النظرية في تقييم التطبيقات التعليمية للقراءة في مرحلة الطفولة المبكرة بناءً على ما جاء في الأدبيات السابقة^(١)، ويمكن تقسيمها إلى معيارين أساسيين:

(1) Hirsch-Pasek et al., 2015; Kim et al., 2021; Tatar & Gerde, 2022.

١- التقييم بناء على المحتوى التعليمي: إذ يُقيّم مدى تعزيز كل تطبيق لمهارات القارئية الأساسية، وتشمل:

أ. الوعي الصوتي: التعرف على الأصوات، والمقاطع الصوتية داخل الكلمة، وكيفية دمجها لتشكيل كلمة، وحذفها، وتغييرها^(١).

ب. معرفة الأبجدية: القدرة أو التعرف على أسماء الحروف وأصواتها، وإنتاجها وفق النظام الكتابي للغة العربية^(٢).

ت. مهارات اللغة المنطوقة: القدرة على فهم الكلام المنطوق وإنتاجه، ويشمل القواعد والمفردات^(٣).

ث. الفهم المبكر: القدرة على اكتساب المعلومات والاستدلال من اللغة المكتوبة والمنطوقة^(٤).

٢- التقييم بناء على خصائص وميزات التطبيق: إذ يُقيّم مدى احتواء كل تطبيق على هذه الخائص والمميزات، وقد أُتبع فيها الإمكانيات الرقمية وفق الإطار النظري الذي قدّمه تاتر وقاردي (Tatar & Gerde)^(٥) نظراً لشموليتها، وهي حسب الآتي:

أ. التفاعلية: مدى إتاحة التطبيق التفاعل مع المحتوى التعليمي والأنشطة والتدريبات.

ب. التجارب متعددة الحواس: مدى تفعيل التطبيق الحواس المتعددة كالإبصار والسمع، واللمس أثناء عملية التعلم.

(1) Wackerle-Hollman et al., 2015.

(2) McBride-Chang, C. (1999). The ABCs of the ABCs: The development of letter-name and letter-sound knowledge. Merrill Palmer Quarterly: Journal of Developmental Psychology, 45(2), 285–308.

(3) National Early Literacy Panel, 2008.

(4) Snow et al., 1999.

(5) Tatar & Gerde, 2022.

ت. **التدريس الصريح:** مدى تقديم التطبيق للمهارات بشكل صريح، ومباشر، وعبر خطوات متعددة وواضحة.

ث. **تقديم الملاحظات:** مدى تقديم التطبيق للملاحظات والتصحيحات بناء على أداء المستخدمين، ومدى وضوحها بالنسبة إلى الطفل.

ج. **التكيف:** مدى تكيف المحتوى التعليمي والأنشطة والتدريبات مع مستوى الطفل، وآلية تطورها وتقدمها كلما تقدم الطفل في مستواه.

ح. **الملاءمة:** مدى ملاءمة ومناسبة المحتوى التعليمي والأفكار والمعلومات التي يقدمها لمستوى إدراك الطفل، وسنه، وخلفيته الثقافية، واحتياجاته التعليمية والمعرفية.

آلية التقييم، وتحليل البيانات:

قُيِّمَت التطبيقات من قبل الباحث واثنين من المتخصصين في اللغويات التطبيقية وتقنيات التعليم والطفولة المبكرة؛ إذ قُيِّمَت التطبيقات بشكل مستقل لكل تطبيق على حدة، وقد صممت استبانة لهذا الغرض وفق معايير التقييم المذكورة أعلاه، وقد اتبعت الاستبانة مقياس ليكرت الخماسي (١-٥)؛ إذ يعني الرقم ١ أن التطبيق لم يحقق المعيار أو أن تحقيقه ضعيف جداً، والرقم ٥ يعني أن التطبيق قد حقق المعيار بكفاءة عالية جداً، ويبيد كل مقيّم وجهة نظره ورأيه حول التطبيق وفق معايير التقييم المحددة مسبقاً، وقد طُلب من كل مقيّم أن يمضي ما لا يقل عن عشرين دقيقة في تجربة التطبيق قبل تقييمه، وبعد الانتهاء من التقييم، أجريت عملية تحليل لموثوقية التقييم؛ لضمان الاتساق في تقييم المقيمين، ثم حُلَّت البيانات وصفيّاً بما في ذلك حساب المتوسطات والانحرافات المعيارية لكل معيار لتحديد اتجاهات التطبيقات في المحتوى التعليمي وخصائص ومميزات التصميم.

النتائج :

للتأكد من موثوقية نتائج التحليل لكل معيار وفقاً لنتائج المقيمين؛ أُجري قياسها باستخدام معامل ألفا كرونباخ، وفي ما يلي نتائج مستوى الاتساق بين درجات المقيمين لكل معيار:

معايير التقييم	قيمة معامل الثبات
الوعي الصوتي	٠,٩٢٥
معرفة الأبجدية	٠,٩٢٥
مهارات اللغة المنطوقة	٠,٩٤٢
الفهم المبكر	٠,٨٣٧
التفاعلية	٠,٨٦٧
التجارب متعددة الحواس	٠,٠٥٤-
التدريس الصريح	٠,٨٢٧
تقديم الملاحظات	٠,٦٠٧
التكيف	٠,٨٩٨
الملاءمة	٠,٨٧٣

كما يتّضح من الجدول أعلاه أن المعايير الآتية: (الوعي الصوتي، معرفة الأبجدية، مهارات اللغة المنطوقة، التكيف، الملاءمة) أظهرت قيمة عالية في معامل الثبات؛ مما يشير إلى قيمة اتساق عالٍ في موثوقيتها بين المقيمين، فيما تبدو قيمة ثبات المعايير الخاصة بـ (الفهم المبكر، التفاعلية، التدريس الصريح) متوسطة أو معتدلة بين المقيمين في معامل الثبات لكنها ما زالت مقبولة إحصائياً، غير أن قيمة ثبات المعايير المتعلقة بـ (التجارب متعددة الحواس التي تتيحها التطبيقات لمستخدميها، وتقديم الملاحظات) كانت ضعيفة بين المقيمين، وربما يعود ذلك إلى التباين لدى المقيمين تجاه هذه المعايير

في تصوراتهم لها. وعلى الرغم من كون درجة ثباتها جاءت ضعيفة إلا أن تقريرها يعد أمراً مهماً؛ إذ تشير إلى أن بعض المعايير التي جاءت في الأدبيات لتقييم التطبيقات ما زالت في حاجة إلى دراسات أخرى تعالج مثل هذا التباين في تقييم تطبيقات القارئ لدى الأطفال في مرحلة الطفولة المبكرة.

نتائج المعايير عبر التطبيقات المختارة

أولاً نتائج معايير المحتوى التعليمي:

الوعي الصوتي:

معيار الوعي الصوتي جاء متبايناً بشكل بارز إحصائياً عبر التطبيقات ($F(4,10)=13.375, p=0.001$)؛ حيث تميز تطبيق تعليم الأطفال في هذا المعيار بأعلى درجات المتوسط ($4,00$)، مما يشير إلى تميز هذا التطبيق في تحقيق هذا المعيار مقارنة بالتطبيقات الأخرى، بينما جاء تطبيق تعليم كتابة الحروف العربية للأطفال الأقل فيما بين التطبيقات في هذا المعيار بمتوسط ($1,33$)؛ مما يشير إلى الإمكانات الضعيفة التي يتيحها هذا التطبيق في تحقيق الوعي الصوتي لمستخدميه، كما أظهرت التطبيقات الأخرى، مثل: أقرأ بالعربية، وتطبيق سالم أداء معتدلاً في تحقيق معيار الوعي الصوتي، وجاء المتوسط الإجمالي لأداء جميع التطبيقات في هذا المعيار بقيمة ($2,93$)، وهو الأمر الذي يشير إلى أن ثمة مجالاً لتحسين هذا المعيار في جميع التطبيقات بشكل عام.

معرفة الأبجدية:

أظهرت نتائج التطبيقات فروقاً كبيرة في معيار معرفة الأبجدية كذلك ($F(4,10)=13.667, p=0.000$)، وقد جاء تطبيق سالم الأبرز في هذا الأمر بتفوق بارز على جميع التطبيقات بمتوسط حسابي ($5,00$)، بينما كان تطبيق تعليم كتابة الحروف العربية الأقل بين التطبيقات في هذا المعيار بمتوسط حسابي ($2,67$)؛ مما يشير إلى ضعف بارز في تحقيق تلك المهارة للمتعلمين، وقد أظهرت التطبيقات الأخرى معدلاً

مرتفعاً في هذا المعيار لا سيّما في تطبيقي أقرأ بالعربية (٤,٦٧) وتطبيق تعليم الأطفال (٤,٠٠)، أما المتوسط الإجمالي لجميع التطبيقات في هذا المعيار فقد كان (٣,٩٣)؛ مما يشير إلى أن أداء التطبيقات جميعها في هذا المعيار يُعدُّ مرتفعاً نسبياً.

مهارات اللغة المنطوقة:

جاءت نتائج مهارات اللغة المنطوقة عبر التطبيقات متباينة بشكل بارز (= 4.10) F (17.125, p = 0.000)، وكان لتطبيق أقرأ بالعربية التفوّق في هذه المهارة على بقية التطبيقات بمتوسط حسابي (٤,٦٧)، بينما كان الأقل في هذه المهارة من بين التطبيقات الأخرى تطبيق تعليم كتابة الحروف العربية بمتوسط حسابي (١,٣٣)، أما التطبيقات الأخرى فلم يكن لمهارة اللغة المنطوقة حضورٌ بارزٌ فيها، فقد كان المتوسط الحسابي لتطبيقي سالم ورحلة الحروف - على سبيل المثال - (٢,٣٣)، ثم تطبيق تعليم الأطفال بمتوسط حسابي (٣,٠٠)، وجاء المتوسط الحسابي الإجمالي لجميع التطبيقات في هذه المهارة (٢,٧٣)؛ مما يشير إلى أن هذه المهارة يبدو بروزها في التطبيقات بشكل عام متوسطاً أودون ذلك، وهي كذلك - أي مهارات اللغة المنطوقة - المهارة الأقل حضوراً في جميع التطبيقات مقارنة ببقية المعايير المرتبطة بالمحتوى التعليمي.

الفهم المبكر:

جاءت نتيجة مهارة الفهم المبكر عبر التطبيقات متباينة كذلك بشكل بارز (= 7.167, p = 0.005) F (4.10)، فقد كان الأداء الأفضل من بين التطبيقات لصالح تطبيق أقرأ بالعربية بمتوسط حسابي (٣,٦٧)، ثم يليه تطبيق سالم بمتوسط حسابي (٣,٣٣)، ثم تطبيق تعليم الأطفال بمتوسط حسابي (٣,٣٣)، أما أقل التطبيقات أداءً في هذه المهارة فقد جاء في تطبيق تعليم كتابة الحروف العربية بمتوسط حسابي (٢,٠٠)، بينما كان المتوسط الإجمالي لجميع التطبيقات في هذه المهارة (٢,٨٧)؛ مما يشير إلى أن أداء التطبيقات في هذه المهارة أعلى من المتوسط بقليل، لكنه جاء في المرتبة الثالثة بعد مهارتي الوعي الصوتي ومعرفة الأبجدية المتعلقين بالمحتوى التعليمي في هذه التطبيقات.

ثانياً نتائج معايير خصائص وميزات التطبيقات:

التفاعلية:

لم تكن نتيجة ميزة التفاعلية متباينة إحصائياً بين التطبيقات ($F(4.10) = 2.812, p = 0.000$)، وقد كان التفوق فيها لصالح تطبيق أقرأ بالعربية بمتوسط حسابي (٤,٣٣)، بينما كان تطبيق تعليم كتابة الحروف العربية الأقل أداءً في هذه المهارة بمتوسط حسابي (٢,٣٣)، أما متوسط الحساب الإجمالي لجميع التطبيقات فقد كان (٣,٣٣)، وعلى الرغم من عدم التباين في هذه المهارة في جميع التطبيقات فإن هذا يشير إلى أن أداء التطبيقات في هذه المهارة يعد مقبولاً، غير أن تطبيق تعليم كتابة الحروف العربية الذي جاء بالمتوسط الحسابي الأقل بين التطبيقات يظهر تراجعاً كبيراً مقارنة بالتطبيقات الأخرى نحو هذه الميزة.

التجارب متعددة الحواس:

لم تظهر كذلك ميزة التجارب متعددة الحواس تبايناً إحصائياً بارزاً عبر التطبيقات ($F(4.10) = 0.933, p = 0.483$)، وجاءت النتائج الأعلى في هذه المهارة لتطبيقاتي أقرأ بالعربية ورحلة الحروف بمتوسط حسابي متماثل (٣,٦٧). فيما حصل تطبيق تعليم كتابة الحروف العربية على المتوسط الحسابي الأقل (٢,٣٣)، وجاء مجمل المتوسط الحسابي لجميع التطبيقات (٣,١٣)، وهي نسبة تشير إلى أن أداء التطبيقات في هذه الميزة يُعد مقبولاً إذا ما استثنينا تطبيق تعليم كتابة الحروف العربية.

التدريس الصريح:

جاءت نتيجة ميزة التدريس الصريح متباينة بشكل بارز إحصائياً بين التطبيقات ($F(4.10) = 5.350, p = 0.014$)، وقد حقق تطبيق سالم النتيجة الأعلى بين التطبيقات بمتوسط حسابي (٤,٣٣)، يليه تطبيق تعليم الأطفال بمتوسط حسابي (٤,٠٠)، فيما جاء المتوسط الحسابي مجملاً لجميع التطبيقات (٣,٢٧)؛ مما يشير إلى أن ميزة التدريس الصريح مدعومة بشكل مقبول في معظم التطبيقات.

تقديم/الملاحظات:

تقديم الملاحظات لم يكن متبايناً إحصائياً عبر التطبيقات ($F(4.10) = 0.587, p = 0.636$). وقد كانت النتيجة متقاربة في معظم التطبيقات، فقد جاءت نتيجة تطبيقي أقرأ بالعربية وسالم الأعلى بمتوسط حسابي (٢,٦٦)، فيما جاءت النتيجة الأقل لصالح تطبيقي رحلة الحروف وتعليم كتابة الحروف العربية بمتوسط حسابي (١,٣٣)، فيما جاء إجمالي متوسط الحساب لجميع التطبيقات (٢,٠٧)؛ مما يشير إلى تمثيل ضعيف نسبياً لهذه الميزة عبر جميع التطبيقات.

التكيف:

جاءت نتائج التكيف كذلك دون تباينٍ بارزٍ إحصائياً عبر التطبيقات ($F(4.10) = 0.144, p = 2.188$)، وقد كانت الحصيلة الأعلى لتطبيق أقرأ بالعربية بمتوسط حسابي (٤,٦٦)، ثم تلاه تطبيق سالم بمتوسط حسابي (٤,٣٣)، وكانت النتيجة الأقل لصالح تطبيق تعليم كتابة الحروف العربية بمتوسط حسابي (١,٣٣)، أما مجمل المتوسط الحسابي لجميع التطبيقات (٣,٤)، وهو يشير إلى أن معظم التطبيقات جاءت ميزة التكيف فيها أعلى من المتوسط.

الملاءمة:

كانت نتيجة ميزة الملاءمة في جميع التطبيقات متباينة بشكل بارز ($F(4.10) = 0.023, p = 4.583$)، وقد كانت نتيجة التطبيقات مرتفعة فيها بشكل عام، فقد جاء تطبيق أقرأ بالعربية متفوقاً على بقية التطبيقات بمتوسط حسابي (٥,٠٠)، يليه بشكل متقارب تطبيقي رحلة الحروف وسالم بمتوسط حسابي (٤,٦٧)، بينما سجل تطبيق تعليم كتابة الحروف العربية النتيجة الأقل بمتوسط حسابي (٣,٠٠)، وكان مجمل متوسط الحساب لجميع التطبيقات (٤,٣٣)؛ مما يشير إلى أن معظم التطبيقات تؤدي هذه الميزة بكفاءة عالية نسبياً.

إن عرض النتائج يقود إلى عددٍ من الاستنتاجات، وهي أن ثمة معايير تبدو بارزة ومدعومة بشكل جيد في جميع التطبيقات، وهي: ميزة الملاءمة في المقام الأول، ثم مهارة معرفة الأبجدية، ثم التفاعلية، ثم التكيف. بينما جاءت ميزة التدريس الصريح، والتجربة متعددة الحواس، والوعي الصوتي، والفهم المبكر بأداء متوسط في معظم التطبيقات، أما بقية المهارات والميزات فكان أدائها ضعيفاً، وهو ما يقود للقول إنَّ مهارات القارئ المبكرة الأساسية جاءت إما متوسطة أو ضعيفة باستثناء معرفة الأبجدية في جميع التطبيقات؛ مما يشير إلى ضعف بارز في دعم وتعزيز هذه المهارات لدى مستخدمي تلك التطبيقات.

ولتقديم تقييم عام لنتيجة أداء التطبيقات بشكل عام وفق حساب المتوسط الإجمالي لها في جميع المهارات والميزات، نشير إلى أن النتائج أظهرت بشكل إحصائي بارز تفوقاً لصالح تطبيق أقرأ بالعربية بمتوسط حسابي (٤,٠٦)، يليه تطبيق سالم بمتوسط حسابي (٣,٦٣)، ثم تطبيق تعليم الأطفال بمتوسط حسابي (٣,٤٦)، ثم يأتي تطبيق رحلة الحروف بمتوسط حسابي (٢,٩). أما التطبيق الأدنى أداءً وتعزيزاً للمهارات القارئية الأساسية وفق النتائج فهو تطبيق تعليم كتابة الحروف العربية بمتوسط حسابي (١,٩٣)؛ وهذه النتائج تشير إلى أن معظم التطبيقات الخمسة -رغم شيوعتها- بين المستخدمين لا يمكن القول إنها تقدم تجربة متميزة في تعزيز هذه المهارات، كما أنه لا يمكن القول إن ثمة تطبيقاً يُظهر تميزاً في جميع المعايير التي جاءت في الأدبيات في تعزيز هذه المهارات بشكل مكتمل؛ أي أنه لا يوجد تطبيق من هذه التطبيقات يقدم تجربة مكتملة للطفل العربي في تعزيز مهارات القارئ في مرحلة الطفولة المبكرة، فعلى سبيل المثال: رغم تفوق تطبيق أقرأ بالعربية على جميع التطبيقات غير أن أداءه في بعض المهارات والميزات كان متوسطاً أو دون ذلك، ومنها: مهارة الوعي الصوتي، وميزة تقديم الملاحظات.

المناقشة والخاتمة:

سَعَتِ الدراسة إلى تقديم فهمٍ أعمق لتطبيقات تعزيز القارئية في مرحلة الطفولة المبكرة، وكشفت عن بعض الجوانب التي تبدو مدعومة ومعززة في بعضها بشكل جيد وبارز، مثل: الملاءمة، ومعرفة الأبجدية، كما كشفت عن ضعف ظاهر في معظم الجوانب، مثل: مهارات اللغة المنطوقة، وتقديم الملاحظات، وهي نتائج تتوافق مع الدراسات السابقة التي سعت إلى تطبيق التطبيقات المشابهة في اللغات الأخرى، وهي -كما يشير ستراتاكي (Strataki)^(١) في نتائجها حول التطبيقات التعليمية لمرحلة ما قبل الدراسة - تتفاوت في إمكاناتها وقيمتها التعليمية الفعلية، وذلك على الرغم من شعبيتها كما في تطبيق أقرأ بالعربية الذي تجاوزت تقييماته في منصة أبل أكثر من ٤٠٠٠ مقيّم، فإنه أظهر أداءً متوسطاً في بعض الجوانب اللازمة لتعزيز مهارات القارئية، كما في مهارة الوعي الصوتي، وتقديم الملاحظات، والتدريس الصريح. وهي تتوافق مع نتائج دراسة ماير وآخرين (Meyer et al.)^(٢) ودراسة كالاغان وريتش (Callaghan & Reich)^(٣) التي أظهرت أن بعض التطبيقات رغم تصنيفها على أنها تطبيقات تفشل في بعض جوانب تعزيز القارئية ومنها تقديم الملاحظات المناسبة للمتعلم، وكذلك التنوع في أساليب التدريس، بالإضافة إلى تقديم الملاحظات، فإن مهارات اللغة المنطوقة التي تُعد مهارة أساسية من مهارات تعزيز القارئية كان حضورها ضعيفاً في معظم التطبيقات لا سيّما في ما يتعلق بإنتاج اللغة، وهي نتيجة تتوافق مع بعض نتائج الدراسة السابقة،

- (1) Strataki, A. (2022). An evaluation of educational apps for preschool-age children in Android and iOS. *Adv Mobile Learn Educ Res*, 2(1): 278288-.
- (2) Meyer, M., Zosh, J. M., McLaren, C., Robb, M., McCaffery, H., Golinkoff, R. M. & Radesky, J. (2021). How educational are "educational" apps for young children? App store content analysis using the Four Pillars of Learning framework. *Journal of Children and Media*, 15(4), 526548-.
- (3) Callaghan, M. N., & Reich, S. M. (2018). Are educational preschool apps designed to teach? An analysis of the app market. *Learning, Media and Technology*, 43(3), 280-293.

فعلى سبيل المثال: خلصت نتائج الدراسة التي قام بها ساري وآخرون (Sari et al).⁽¹⁾ إلى أن معظم التطبيقات الأكثر مبيعاً في أربع دولٍ أوروبية لا تحتوي على مهارات اللغة المنطوقة، كما أظهرت النتائج أن معيار الملاءمة في معظم التطبيقات كانت الأعلى، وهي نتيجة تتوافق مع معظم الدراسات التي تناولت تطبيقات القراءة، فعلى سبيل المثال: يؤكد كالاجان وريتش (Callaghan & Reich)⁽²⁾ أن معظم التطبيقات المخصصة للأطفال غالباً ما يكون محتواها مناسباً لاستخدام الأطفال، ولا تتطلب مهارات معقدة لا تتناسب مع سنهم.

وختاماً: على الرغم من أن تطبيقات القراءة الشائعة أظهرت إمكانات جيدة في جوانب محددة نحو تعزيز القراءة في مرحلة الطفولة المبكرة كـ معرفة الأبجدية والملاءمة، فإنها أظهرت فشلاً في جوانب أخرى متعددة؛ لذا فإن دعم مهارات القراءة لدى الطفل العربي في مرحلة الطفولة المبكرة يستلزم معالجة لسد هذه الفجوات من خلال تصميم يقوم على رؤية شاملة وإدراك لمفاهيم القراءة ومهاراتها ونظرياتها المبكرة، وسبل تعزيزها؛ كي تكون التطبيقات التي أصبحت جزءاً من حياة الأطفال قادرة على تلبية احتياجاتهم بشكل أفضل في العصر الرقمي الذي نعيشه؛ لذا فإن نتائج الدراسة توصي بعددٍ من المعالجات التي ينبغي أن تؤخذ في عين الاعتبار من قبل التربويين والمطورين لهذه التطبيقات مثل: التركيز على جودة مهارة الوعي الصوتي، وتقديم الملاحظات الهادفة بدلاً من الاكتفاء بالتصحيحات الإيجابية التي تُعدّ صفة غالبية في جميع التطبيقات، بالإضافة إلى ذلك تعد مهارات اللغة المنطوقة من المهارات المُهملة لا سيما في جانب إنتاج اللغة؛ لذا فإن إدراجها بشكل منهجي يعد أساساً يقوم عليه تطوير مهارات القراءة المبكرة لدى الأطفال في مرحلة الطفولة المبكرة.

(1) Sari, B., Takacs, Z. K., & Bus, A. G. (2019). What are we downloading for our children? Best-selling children's apps in four European countries. *Journal of Early Childhood Literacy*, 19(4), 515-532.

(2) Callaghan & Reich, 2018.

يجب القول إن نتائج هذه الدراسة ينبغي أن تُعامل بشيء من التحوُّط؛ إذ جاءت نتائجها بناءً على خمسة تطبيقات، وعلى الرغم من أنها الأكثر شيوعاً؛ غير أنه لا يمكن تعميم نتائجها على جميع التطبيقات المتاحة عبر المنصات بكافة أنواعها، كما أن معايير التقييم التي اعتمدت عليها ما زالت موضع نقدٍ ومراجعات بحسب إشارة كثير من الدراسات؛ إذ ثمة حاجة لوجود معايير أكثر شمولية من المعايير الحالية؛ لذا فلعلَّ من المقترحات للمهتمين بهذا الحقل مستقبلاً، محاولة مراجعة هذه التطبيقات في ضوء مناهج تقييم مختلفة، وكذلك التوسع في تقديم مراجعة لتطبيقات أخرى لم تشملها هذه الدراسة.

المصادر والمراجع

المراجع العربية

الزقدي، أمل حسين ناصر، المطيري، سهام بنت محجي، ومعوّض، ربي عبد المطلب محمد. (٢٠٢٤). استخدام بعض الأجهزة الذكية وعلاقته بنمو المهارات اللغوية عند أطفال ما قبل المدرسة. مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع، ٩٩، ٢٠٠-٢٢٢.

المراجع الإنجليزية

- Alibrahim, R. A. A. (2023). *The impact of screen time on language development among preschool-age Saudi children* (Master's thesis, Al-Imam Mohammed Ibn Saud Islamic University). Arab World English Journal.
- Al-Jarf, R. (2021). Impact of the iPad on Saudi young children in the home environment as perceived by their mothers. *International Journal of Research in Engineering, IT and Social Sciences*, 11(2), 26–35.
- Alroqi, H., Serratrice, L., & Cameron-Faulkner, T. (2021). The home literacy and media environment of Saudi toddlers. *Journal of Children and Media*, 16(1), 95–106.
- Anderson, D. R., & Subrahmanyam, K. (2017). Digital screen media and cognitive development. *Pediatrics*, 140(Suppl 2), S57–S61.
- Brown, M., & Harmon, M. T. (2013). iPad intervention with at-risk pre-schoolers: Mobile technology in the classroom. *Journal of Literacy and Technology*, 14, 56–78.
- Buhrs, S., van Amelsvoort, T. A. M. J., Strik, J. J. M. H., & Lousberg, R. (2024). Working memory in young children: A pilot study on the gender-mediated effect of Touch Screen Device use. *Computers in Human Behavior Reports*, 13, 100360.
- Business of Apps. (2024, September 30). "Education App Revenue and Usage Statistics (2024)". <https://shorturl.at/44veN>

- Callaghan, M. N., & Reich, S. M. (2018). Are educational preschool apps designed to teach? An analysis of the app market. *Learning, Media and Technology*, 43(3), 280–293.
- Cherner, T., Dix, J., & Lee, C. (2014). Cleaning up that mess: A framework for classifying educational apps. *Contemporary Issues in Technology and Teacher Education*, 14(2), 158–193.
- Chomsky, N. (1965). *Aspects of the Theory of Syntax*. Cambridge, MA: MIT Press.
- Gath, M., McNeill, B., & Gillon, G. (2023). Preschoolers' screen time and reduced opportunities for quality interaction: Associations with language development and parent-child closeness. *Current Research in Behavioral Sciences*, 5, 100140.
- Hirsh-Pasek, K., Zosh, J. M., Golinkoff, R. M., Gray, J. H., Robb, M. B., & Kaufman, J. (2015). Putting education in "educational" apps lessons from the science of learning. *Psychological Science in the Public Interest*, 16(1), 3–34.
- Hoff, E. (2006). Language experience and language milestones during early childhood. In K. McCartney & D. Phillips (Eds.), *Blackwell handbook of early childhood development* (pp. 233–256). Blackwell Publishing Ltd.
- Justice, L. M., Chow, S., Capellini, C., Flanigan, K., & Colton, S. (2003). Emergent literacy intervention for vulnerable preschoolers: Relative effects of two approaches. *American Journal of Speech-Language Pathology*, 12, 320–332.
- Kim, J., Gilbert, J., Yu, Q., & Gale, C. (2021). Measures Matter: A Meta-Analysis of the Effects of Educational Apps on Preschool to Grade 3 Children's Literacy and Math Skills. *AERA Open*, 7.
- Kucirkova N. (2014). iPads in early education: separating assumptions and evidence. *Frontiers in psychology*, 5, 715.
- Lin, H. P., Chen, K. L., Chou, W., Yuan, K. S., Yen, S. Y., Chen, Y. S., & Chow, J. C. (2020). Prolonged touch screen device usage is associated with emotional and behavioral problems, but not language delay, in toddlers. *Infant Behavior and Development*, 58, 101424.
- Lin, L. Y., Cherng, R. J., & Chen, Y. J. (2017). Effect of touch screen tablet use on fine motor development of young children. *Physical & occupational therapy in pediatrics*, 37(5), 457–467.



- Liu, S., Reynolds, B. L., Thomas, N., & Soyoof, A. (2024). The Use of Digital Technologies to Develop Young Children's Language and Literacy Skills: A Systematic Review. *Sage Open*, 14(1).
- Lonigan, C. J., Allan, N. P., & Lerner, M. D. (2011). Assessment of Preschool Early Literacy Skills: Linking Children's Educational Needs with Empirically Supported Instructional Activities. *Psychology in the schools*, 48(5), 488–501.
- Marsh, J. (2016). The digital literacy skills and competencies of children of pre-school age. *Media Education Studies and Research*, 7, 197–214.
- McBride-Chang, C. (1999). The ABCs of the ABCs: The development of letter-name and letter-sound knowledge. *Merrill Palmer Quarterly: Journal of Developmental Psychology*, 45(2), 285–308.
- Merchant, G. (2015). Keep taking the tablets: iPads, story apps, and early literacy. *Australian Journal of Language and Literacy*, 38(1), 3–11.
- Meyer, M., Zosh, J. M., McLaren, C., Robb, M., McCaffery, H., Golinkoff, R. M. & Radesky, J. (2021). How educational are "educational" apps for young children? App store content analysis using the Four Pillars of Learning framework. *Journal of Children and Media*, 15(4), 526-548.
- National Early Literacy Panel. (2008). *Developing early literacy: Report of the National Early Literacy Panel*. National Institute for Literacy.
- Neumann, M. M. (2018). Using tablets and apps to enhance emergent literacy skills in young children. *Early Childhood Research Quarterly*, 42, 239-246.
- Neumann, M. M., & Neumann, D. L. (2014). Touch screen tablets and emergent literacy. *Early Childhood Education Journal*, 42, 231–239.
- Neumann, M. M., & Neumann, D. L. (2017). The use of touch-screen tablets at home and pre-school to foster emergent literacy. *Journal of Early Childhood Literacy*, 17(2), 203-220.



- Nikolopoulou, K. (2021). Mobile devices in early childhood education: teachers' views on benefits and barriers. *Education and Information Technologies*, 26(3), 3279-3292.
- Notari, M. P., Hielscher, M., & King, M. (2016). Educational apps ontology. In D. Churchill, J. Lu, T. K. F. Chui, & B. Fox (Eds.), *Mobile learning design* (pp. 83-96). Springer.
- Phillips, L. M., Norris, S. P., Osmond, W. C., & Maynard, A. M. (2002). Relative reading achievement; A longitudinal study of 187 children from first through sixth grades. *Journal of Educational Psychology*, 94, 3-13.
- Sari, B., Takacs, Z. K., & Bus, A. G. (2019). What are we downloading for our children? Best-selling children's apps in four European countries. *Journal of Early Childhood Literacy*, 19(4), 515-532.
- Shaan, K., Siddiqui, S., Alkhatib, M., & Abdel Monem, A. (2018). Challenges in Arabic natural language processing. In N. El Gayar, C. Y. Suen, & C. Y. Suen (Eds.), *Computational linguistics, speech and image processing for Arabic language* (pp. 59-79). World Scientific.
- Shamsah, A., Al-Tawari, B., Jamal, F., Al-Farhan, L., Al-Mass, M., Al-Majran, A. A., & Shamsah, S. (2022). Prevalence of use of smart devices in children aged five years or less and associated factors in Kuwait. *Journal of Pediatrics, Perinatology and Child Health*, 6(2), 254-268.
- Snow, C. E. (2006). What counts as literacy in early childhood? In K. McCartney & D. Phillips (Eds.), *Blackwell handbook of early childhood development* (pp. 274-294). Blackwell Publishing.
- Snow, C. E., Burns, M., & Griffin, P. (1998). *Preventing reading difficulties in young children*. Washington, DC: National Academy Press.
- Strataki, A. (2022). An evaluation of educational apps for preschool-age children in Android and iOS. *Adv Mobile Learn Educ Res*, 2(1): 278-288.
- Storch, S.A., & Whitehurst, G.J. (2002). Oral language and code-related precursors to reading: Evidence from a longitudinal structural model. *Developmental Psychology*,



38, 934-947.

Tatar, D., & Gerde, H. K. (2022). Partnering with families to use screen time for supporting early language and literacy. *The Reading Teacher*, 76(1), 67–77.

Vidyastuti, A. N., Darmayanti, R., & Sugianto, R. (2018). The Role of Teachers and Communication Information Technology (ICT) Media in the Implementation of Mathematics Learning in the Digital Age. Al-Jabar: *Journal Pendidikan Matematika*, 9(2), 221–230.

Wackerle-Hollman, A.K., Schmitt, B.A., Bradfield, T.A., Rodriguez, M.C., McConnell, S.R. (2015). Redefining Individual Growth and Development Indicators: Phonological Awareness. *Journal of Learning Disabilities*, 48(5), 495-510.

Watkins, R. V., & Bunce, B. H. (1996). Natural Literacy: Theory and Practice for Preschool Intervention Programs. *Topics in Early Childhood Special Education*, 16(2), 191-212.

Watson, L. R., Layton, T. L., Pierce, P. L., & Abraham, L. M. (1994). Enhancing emerging literacy in a language preschool. *Language, Speech, and Hearing Services in Schools*, 25(3), 136–145.

Xie, H., Peng, J., Qin, M., Huang, X., Tian, F., & Zhou, Z. (2018). Can touchscreen devices be used to facilitate young children's learning? A meta-analysis of touchscreen learning effect. *Frontiers in Psychology*, 9, Article 2580.



شجاعة اللغة العربية في التواصل الحضاري قراءة في صورة اللغة العربية في وعي الآخر

أ.د. عبدالرحمن السليمان
جامعة لوفان - بلجيكا

الملخص:

تُعَدُّ اللغة العربية - إلى جانب اللغة الإغريقية واللاتينية والعبرية القديمة - واحدة من لغات مصادر الحضارة الأربع التي لا تزال تُدرَّس في معظم جامعات العالم المتقدم معرفياً منذ عصر النهضة حتى اليوم.^(١) فهي لغة الإسلام ولغة الحضارة العربية الإسلامية، وهي اليوم لغة أكثر من أربع مائة مليون شخص، وهي أهم لغة جزيرية (سامية) ابتلعت جميع اللغات الجزيرية، وهي واحدة من اللغات الرسمية لهيئة الأمم المتحدة. وكان لها، عبر تاريخها المديد، دور بارز في تشكيل لغات كثيرة، إسلامية وغير إسلامية، فقد ساهمت في إثراء الرصيد اللغوي للغات إسلامية كثيرة منها التركية والفارسية والأردو والكردية وغيرها، ولغات غير إسلامية كالإسبانية والعبرية وغيرها. كما ساهمت في تطويرها وإثرائها شعوباً إسلامية كثيرة كالفرس والهنود والأتراك والأمازيغ مما يدل على الطابع العالمي للغة العربية.

اكتشف بعض علماء العرب وكذلك اليهود المستعربون بداية العصر العباسي القرباة اللغوية الواضحة بين العربية من جهة والسريانية والعبرية من جهة أخرى،

(١) انظر: Versteegh K. & Schippers A. 1987.

فأخذوا عن العرب منهج الخليل وسيبويه في الدراسات اللغوية وطبقوها على العبرية، واستعاروا نظامي الإعجام والحركات عن العرب ليضبطوا بهما نطق اللغة العبرية. كما استعاروا عروض الخليل ووظفوها في إنشاء شعر عبري دنيوي هو الأول في تراثهم الأدبي. ووظفوا أيضاً المعجم العربي في شرح غريب التوراة والألفاظ النادرة فيها التي لها ما يجانسها تأثيلياً في لسان العرب. فوظف علماءهم الذين أوتوا نصيباً كبيراً من الثقافتين العربية واليهودية، مثل مروان بن جناح القرطبي (٩٩٠-١٠٥٠) وغيره، هذه القرابة اللغوية في تطوير الدراسات اللغوية العبرية وشرح ما استعجم عليهم معناه من التوراة وسائر أسفار العهد القديم. ثم أدخل الشاعر اليهودي دُناش بن لَبْرَاط (٩٢٠-٩٩٠) عروض الخليل في الشعر العبري ليؤسس بذلك نهضة في الشعر العبري. ووظف الأديب موسى بن عزرا (١٠٥٥-١١٣٥) مناهج الدراسات الأدبية العربية ليوجد بذلك تقليداً أدبياً عبرياً لم يكن معروفاً قبله. ثم استعار أخبار اليهود وفلاسفتهم مناهج المتكلمين والفلاسفة المسلمين لينشؤوا بذلك علم كلام مخصوصاً باليهودية يكاد يكون نسخاً لمناهج المتكلمين والفلاسفة المسلمين كما نرى عند سعيد بن يوسف الفيومي (٨٨٢-٩٤٢) وموسى بن ميمون (١١٣٥-١٢٠٤) وغيرهما. ثم بنى المستشرقون على أعمال اليهود المستعربين في العصر الحديث وطوروا الدراسات اللغوية المقارنة للغات الجزيرية إلى ما هي عليه اليوم.

تعالج في هذه الدراسة مركزية اللغة العربية في الدراسات السامية المقارنة وكذلك دورها في تطوير اللغة العبرية والدراسات اللغوية العبرية وكذلك تأثيرها وتأثير أدبها على الدراسات الدينية والأدبية والشعرية لليهود منذ بداية العصر العباسي حتى العصور الحديثة.

الكلمات المفتاحية: اللغة العربية؛ النحو العربي؛ الأدب العربي؛ الشعر العربي؛ اللغة العبرية؛ النحو العبري؛ الأدب العبري؛ الشعر العبري؛ اللغات الحزيرية؛ علم اللغة المقارن.

١- مقدمة:

تنتمي اللغة العربية إلى أسرة اللغات الحامية السامية (أو اللغات الأفروآسيوية أو اللغات الجزيرية ونحن نفضل هذا المصطلح الأخير). وتتكون هذه الأسرة اللغوية الكبيرة من لغات استعملتها مجموعات كثيرة من البشر منذ الألفية الثالثة قبل الميلاد حتى اليوم، وفي منطقة امتدت وتمتد من الجزيرة العربية حتى المغرب، ومن جنوب تركيا حتى إثيوبيا. أشهر تلك اللغات العربية والأكدية والأوغاريتية والفينيقية والآرامية والعبرية والحبشية والمصرية القديمة والأمازيغية.^(١)

لا ندري على وجه الدقة متى نشأت اللغة العربية ومتى اكتمل نمو اللغة العربية الفصحى كما نعرفها اليوم، فنحن نميز بادئ ذي بدء بين عريتين اثنتين هما: عربية الجنوب وعربية الشمال. وقد اصطلح على تسمية عربية الجنوب بأسماء عديدة منها المعينية والقتبانية والسبئية والحميرية. ولعل الحميرية أشهر الأسماء المتداولة في تراثنا الأدبي. وثمة اختلاف كبير بين المتخصصين في تاريخ العربية الجنوبية ناقشته المستشرقة البلجيكية جاكلين بيرين باستفاضة في سلسلة من الدراسات حول تاريخ الجزيرة العربية.^(٢) ونحن نرجح أن تكون بداية العربية الجنوبية حوالي ١٥٠٠ قبل الميلاد. ويُستنتج من المصادر العربية صدر الإسلام أن العرب كانوا على دراية بالفروقات اللغوية بين العربية الجنوبية والعربية الشمالية تعبر عنها المقولة الشهيرة لأبي عمرو بن العلاء: "ما لسان حمير وأقاصي اليمن بلساننا ولا عريتهم بعريتنا"^(٣) التي يُستخلص منها أن أبا عمرو بن العلاء كان يعدُّ لسان حمير عربياً لكنه ليس كعربيته أو كعربية الشمال. فالعربية - سواء الجنوبية أو الشمالية - هي لسان العرب مهما كان توزعهم

(١) انظر Wright, W. & Smith W. و De Lacy O. 1923 و Bergsträsser G. 1995 و Brockelmann C. 1913 و 2002 و Nöldeke Th. 1964 و Moscati S. 1964 و Bennett R. P. 1998، وهي من أهم الكتب المرجعية في الدراسات الجزيرية.

(٢) انظر: Pirenne J. 1958.

(٣) محمد بن سلام الجمحي ١٩٨٠، مجلد ١ صفحة ١١.

الجغرافي في جزيرة العرب التي تمتد تاريخياً من اليمن جنوباً إلى طبال طوروس جنوب تركيا شمالاً وتقع بين الهلالين الخصيبين الاثنين: الهلال الخصيب في شمال غرب بلاد العراق والشام، والهلال الخصيب الممتد من اليمن إلى عُمان.^(١)

أما العرب فقد ورد ذكر اسمهم لأول مرة في مصادر تاريخية غير عربية في ألواح الملك الآشوري سلمنصر الثالث سنة ٨٥٣ قبل الميلاد هكذا: /عَرِبُ/ و/عَرُوبُ/ و/عَرابي/. وذكرت الألواح الآشورية الأميرالعربي جُنْدب الذي تحالف مع ملك دمشق الآرامي، المتحالف بدوره مع أحاب ملك إسرائيل ضد الآشوريين؛ فشنَّ الملك الآشوري سلمنصر الثالث حملة عسكرية لتأديبهم وانتصر عليهم بالفعل وخذل انتصاره عليهم بلوحة فنية محفوظة حتى اليوم ظهر فيها الأمير جُنْدبُ راكباً جملته.^(٢)

كما ورد اسم العرب أيضاً في كتاب العهد القديم (سفر أشعياء، ٢٠: ١٣) وفي كتب المؤرخين اليونان والرومان مثل هيرودوت وغيره. ووردت أسماء الكثير من الشخصيات العربية في كتب العهد القديم مثل سُلاميت وشُعَيْب وغيرهما. ولعل أشهر العرب في العهد القديم النبي أيوب - عليه السلام - الذي يجمع شراح العهد القديم بشأنه بأنه لم يكن يهودياً. أما سفر أيوب في العهد القديم فيكتفي بالقول إنه، أي أيوب، من أهل "عُوص" في الشرق. ويعرف شراح العهد القديم العرب على أنهم البدو الرحل. والثابت أن هذا التعريف غير صحيح أيضاً لأن العرب ليسوا كلهم بدواً يرحلون من مكان لآخر بحثاً عن مواطن الكلاء. والثابت أيضاً أنه لا يوجد تعريف واضح لكلمة /عرب/ غير "سكان (الجزيرة) العربية".

(١) كان الهمداني يرى ذلك في كتابه صفة جزيرة العرب الهمداني، ١٩٩٠، صفحة ٨٣ وما يليها. لكن تسمية الهلالين الخصيبين هلال الشمال جنوب تركيا وهلال الجنوب اليمن ليست للهمداني بل لعالم الآثار العربي الدكتور محمد مرقطن المصدر: الجذور التاريخية للغة العربية في ضوء الاكتشافات الأثرية / أ.د. محمد المرقطن youtube.com.

(٢) انظر فيليب حتي ١٩٥٨ صفحة ٦٥.

ثم كان للعرب في العصور اللاحقة حضور واضح في الشام وفي الدولة الرومانية حتى إن أحدهم، وهو فيليب العربي (Philippus I Arabs)، أصبح قيصرًا على الإمبراطورية الرومانية وحكمها من ٢٤٤ حتى ٢٤٩ ميلادية.^(١) ولا شك في أن العرب أقدم من التواريخ المذكورة أعلاه بكثير وأن ظهورهم على المسرح التاريخي أقدم بكثير من ورود اسمهم في المصادر التاريخية المذكورة أعلاه.

٢- شجاعة العربية في التواصل الحضاري:

يريد ابن جني من مصطلح "شجاعة العربية" جرأتها وإقدامها على التصرف في "الحذف والزيادة والتقديم والتأخير والحمل على المعنى والتحريف" وغير ذلك مما فصله ياسهاب في الجزء الثاني من كتاب الخصائص.^(٢) أما نحن فنريد أن نسقط توصيف ابن جني الطريف هذا على أمرين اثنين تقتصر عليهما وهما: (أ) اقتحام العربية في تواصلها الحضاري مع الآخر لميادين لغوية كثيرة خارج حدودها التاريخية، مما بؤأها مكانة مركزية في الدراسات اللغوية التاريخية لأسرة اللغات الجزيرية، فضلاً عن مركزيتها في الدراسات الإسلامية لكونها لغة القرآن الكريم والحديث الشريف والنصوص الإسلامية، و(ب) صورة العربية في وعي ذلك الآخر التي نشأت عنده في أثناء ذلك التواصل الحضاري.

لم تكن اللغة العربية منعزلة عن محيطها الحضاري ومنطوية على نفسها قط، بل كانت - منذ ظهورها على المسرح اللغوي الإقليمي والعالمي وحتى اليوم - مشاركة في الحدث التاريخي، ومُبادرةً في استكشاف ميادين لغوية كثيرة، ومُغامرةً في اقتحامها. ولم تقتصر شجاعة العربية ومبادرتها على اللغة فقط، بل شملت أيضاً أدبها الغني بشكل عام والشعر وعروضه بشكل خاص. ومثلما خرجت العربية من موطنها الأصلي

(١) انظر حول القيصر فيليب العربي: Bowersock G.W. 1994.

(٢) ابن جني ١٩٥٢، مجلد ٢، صفحة ٣٦٠-٤٤١.

في جزيرة العرب وفتحت الأمصار والأصقاع واتصلت باللغات الأخرى وتفاعلت معها أخذًا وعطاءً، كذلك اتصلت آدابها بأداب الأمم الأخرى وتفاعلت معها تأثراً وتأثيراً. وسنعرض لذلك في الفصول التالية.

٢-١- مركزية العربية في الدراسات الجزيرية القديمة:

اكتشف بعض علماء العرب، وأهمهم ابن حزم الأندلسي،^(١) وكذلك السريان واليهود المعتمدون على مناهج العرب اللغوية، القرابة اللغوية الواضحة بين العربية من جهة والسريانية والعبرية من جهة أخرى، ووظفوها في دراساتهم اللغوية الوصفية، ووظفها اليهود على الأخص في الدراسات المقارنة بهدف إلقاء الضوء على نصوص التوراة وأسفار العهد القديم، ذلك لأنهم واجهوا عند درس اللغة العبرية صعوبات كبيرة لأن النص العبري للتوراة وأسفار العهد القديم كان يعاني في تلك الفترة من معضلتين كبيرتين هما: "فقدان الإسناد في الرواية" كما يقول كبير النحاة اليهود مروان بن جناح القرطبي^(٢)، ذلك لأن العبرية التوراتية أصبحت ابتداء من القرن الخامس قبل الميلاد لغة شعائرية مهملة ولأن النص العبري للتوراة رُوي منذ ذلك الوقت حتى وقت أبي الأسود الدؤلي بلا إعجام ولا إشكال، الشيء الذي يعني أن أحداً لا يعرف على وجه الضبط كيف كانت كلماته تُنطق، من جهة، والإهمال من جهة أخرى، ذلك لأن التوراة أصبحت في القرن الثاني الهجري مهجورة لدى جمهور اليهود بسبب طغيان التلمود البابلي عليها. وقد أدى هذا الوضع إلى نشوء فرقة لدى اليهود أطلق عليها فيما بعد اسم "القرائين" نسبة إلى كثرة قراءة "المقرأ" وهو مجموع أسفار العهد القديم. أسس هذه الفرقة في بغداد عنان بن داود الذي ظهر زعيماً للفرقة أيام أبي جعفر المنصور المتوفى سنة ١٥٨ هجرية (٧٧٥ ميلادية).^(٣) وتركز نقد عنان لأخبار اليهودية في مسائل كثيرة

(١) ابن حزم ١٩٢٩، جزء ١ صفحة ٣٠. وابن حزم من أوائل العلماء الذين انتبهوا إلى عامل القرابة اللغوية

بين العربية والعبرانية السريانية وحاولوا تحليلها علمياً.

(٢) مروان بن جناح ١٨٦٦، صفحة ٢. وانظر الفصل ١، ٢، ١، ٢.

(٣) جعفر هادي حسن ١٩٨٩.

أهمها رفضه كتاب التلمود (التلمودين البابلي والمقدسي) واعتباره إياه بدعة ابتدعتها الأحبار ونسبوها إلى موسى، عليه السلام، ومطالبته جمهور اليهود بالعودة إلى كتاب التوراة وأسفار العهد القديم مصدر الديانة اليهودية.^(١) ثم أدت حركة القرائين اليهود التي أسسها عنان هذا إلى الاهتمام بأسفار العهد القديم، فاستعار اثنان من أحبارهم هما: موشيه بن داود بن نفتالي (٨٩٠-٩٤٠) وهارون بن موشيه بن אשר (مات سنة ٩٦٠) نظامي الإعجام والحركات من العرب ووضعاً بناءً عليهما نظاماً صوتياً للعبرية ضبطاً به نطق العبرية وبالتالي نطق التوراة وسائر أسفار العهد القديم.^(٢) وقد سبقهم إلى ذلك السريان عندما استلهم اللغوي السرياني الأسقف يوسف الرهاوي الراحل سنة ٧٠٨ للميلاد نظامي الإعجام والحركات عن العرب أيضاً ووضع نظام الحركات السرياني.^(٣) ولا يُعتد في هذا السياق بكلام من يدعي العكس لأن أبا الأسود الدؤلي توفي سنة ٦٨٨ أي قبل رحيل الأسقف يعقوب الرهاوي بعشرين سنة.^(٤)

وكان هذا الاتصال اللغوي والثقافي بين العرب من جهة والسريان واليهود من جهة أخرى أول اتصال بين العربية واللغتين الشقيقتين لها، أي السريانية والعبرية، تجلّت فيه أهمية العربية بتصدير نظامي الإعجام والحركات إليهما لتمكينهما من ضبط أسفارهما المقدسة أسوةً بضبط المسلمين نطق القرآن الكريم عندما دعت الضرورة التاريخية إلى ذلك زمن أبي الأسود الدؤلي. كما ساهم اسم القرآن الكريم: (قرآن) من حيث هو مصدر

(١) نفس المصدر.

(٢) يُسمى هؤلاء الأحبار أيضاً بالأحبار الماسوريين. للمزيد عنهم، انظر: Kahle, P. 1966.

(٣) يُشار إلى أن الأبجدية العبرية والأبجدية السريانية مثل الأبجدية العربية لا تحتويان إلا على أحرف صامتة باستثناء حروف العلة التي تستعمل حروفاً مدّ للدلالة على الألف الطويلة. أما الأحرف الصائتة القصيرة فيُعبر عنها بالحركات التي كان العرب أول من وضعها لضبط نطق القرآن الكريم. وتعرف الأبجدية العبرية والأبجدية السريانية أيضاً بظاهرة الحروف المهملة والحروف المعجمة.

(٤) زعم ذلك المستشرق ميركس انظر: Merx A. 1889 وناقشنا هذه المسألة باستفاضة وفندناها في بحثنا المنون الدراسات الجزيرية المقارنة في العصر الوسيط: أسبابها الثقافية وبواعثها الدينية. انظر: عبدالرحمن السليمان ٢٠١٩، صفحة ٣٦-٣٧.

من مصادر الفعل (قَرَأَ) في العربية، في تكوين لفظ مماثل في العبرية التي يرد هذا الفعل فيها أيضاً، فقد استعار الأخبار اليهود المستعربون أولاً لفظة (القرآن) للدلالة على أسفار التوراة وأسفار العهد القديم قبل أن يستبدلوا بها لفظة (المُقرأ / ٨٦٣م)، وهي اسم الآلة من الفعل العبري "قَرَأ" أي "قَرَأ". وقد اشتقه اليهود المستعربون من العبرية تأثراً بلفظة "القرآن" في العربية كما تقدم. وقد استعملها القراءون في البداية وتبعهم في ذلك جمهور اليهود المستعربين فوظفوا اللفظتين معاً: لفظة (قرآن) العربية ولفظة (مُقرأ) العبرية للدلالة على أسفار العهد القديم. نجد ذلك عند واحد من أهم الأخبار اليهود على مر العصور وهو سعيد بن يوسف الفيومي (٨٩٢-٩٤٢)، فقد جاء في مقدمة كتابه عن غريب التوراة ما نصه: "كتاب السبعين لفظة [المفردة] من مفردات القرآن وشرحه من تخصيص المشناة بدلائلها مما استخرج ذلك سيدنا ومعلمنا سعاديهاو جاؤون بن سيدنا ومعلمنا يوسف الفيومي".^(١) كما نجد ذلك عند سيبويه النحاة اليهود مروان بن جناح القرطبي في مقدمة معجمه (كتاب الأصول) الذي جاء فيه ما نصه: "ونحن نذكر في هذا الجزء الثاني الذي وسمناه بكتاب الأصول أكثر الأصول الدانية الموجودة في ما بين أيدينا من الم ٨٦٣ [= ومقرأ] .."^(٢)، وعند معظم الكتاب اليهود المستعربين في العصر العباسي وخصوصاً في الأندلس.

وقد أدى إلى ظهور علوم اللغة عمومًا وعلم اللغة المقارن خصوصًا عند اليهود المستعربين عاملان اثنان. العامل الأول هو استعراب اليهود في الحواضر الإسلامية واكتشافهم القرابة اللغوية بين العبرية من جهة، والعربية التي أصبحت لسانهم، والآرامية التلمودية التي هي لغة شروح التوراة والتلمود من جهة أخرى. والعامل الثاني هو ضرورة شرح غريب التوراة والنادر فيها. ويقصد بغريب التوراة ما يعرف في

(١) انظر: سعيد بن يوسف الفيومي ١٩٥٨، المقدمة. ويستعمل يهوذا بن قريش في كتابه عبارة "قرآن

العرب" تمييزاً له عن قرآن اليهود يهوذا بن قريش، ١٨٥٧، صفحة ٧٨.

(٢) انظر: مروان بن جناح ١٨٧٥، المقدمة. العمود ٦-٧.

الدراسات التوراتية بـhapax legomena^(١) وهو مصطلح يوناني الأصل يشار به إلى الألفاظ المفردة التي وردت مرة واحدة أو أكثر في أسفار العهد القديم، والتي لا يُعرف معناها على وجه التحديد. فأشار أحبارهم الذين أوتوا نصيباً كبيراً من الثقافتين العربية واليهودية إلى هذه القرابة اللغوية ودعوا إلى توظيفها لشرح ما غمض معناه من التوراة. إذن كان الباعث الأكبر على بدء الدراسات اللغوية المقارنة هو تفسير ذلك العدد الكبير نسبياً من الكلمات المجهولة المعاني في أسفار العهد القديم، والتي لا سبيل إلى تفسيرها إلا بمقارنتها بالعربية لكونها اللغة الجزيرية الوحيدة الحية التي تحتوي على معجم كبير يضم بين مفرداته معظم الجذور الجزيرية الأصلية إن لم يكن كلها. ونحن لا ندري على وجه الدقة من انتهج هذا المنهج في البداية إلا أن المؤلفات التي تناهت إلينا تشير إلى أن يهوذا بن قريش (القرن التاسع الميلادي) وسعيد بن يوسف الفيومي، أول من مارس علم اللغة المقارن ضمن أصول علمية واضحة طوّرها فيما بعد ابن جناح وابن برون.

٢-١-١- دور العربية في نشوء النحو العبري:

إذن اكتشف اليهود القرابة اللغوية بين العربية والعبرية واطلعوا على مناهج اللغويين العرب فاستعاروا جميع مناهجهم وعلومهم ووظفوها في الدراسات الخاصة بالعبرية والتوراة وأسفار العهد القديم التي لم يسبق لهم دراستها قبل العصر العباسي قط. وقد عبّر عن ذلك "جاحظ اليهود" موسى بن عزرا الغرناطي (١٠٥٥-١١٣٥) في كتابه (كتاب المحاضرة والمذاكرة) كما يلي:

"ولما استفتحت العرب جزيرة الأندلس المذكورة على القوط الغالبين على الرومانيين أصحابها بنحو ثلاثماية سنة قبل فتح العرب لها الذي كان على عهد الوليد بن عبد الملك بن مروان من ملوك بني أمية من الشام سنة اثنين وتسعين لدعوتهم

(١) هذا مصطلح يوناني يُراد به الغريب من الألفاظ في النصوص القديمة، من اليونانية: *απαξ λεγόμενον*. وفي العبرية: *אין לה אב או אם* "الكلمة التي ليس لها أب أو أم"، أي اللفظة اليتيمة أو المفردة. انظر كتاب: Priejs L. 1950:24.

المسماة عندهم بالهجرة تفهمت جاليتنا بعد مدة أغراضهم ولقنت بعد لأي لسانهم وتبرعت في لغتهم وتفظنت لدقة مراميههم وتمرنّت في حقيقة تصاريْفهم وأشرفت على ضروب أشعارهم حتى كشف الله إليهم من سر اللغة العبرانية ونحوها واللين والانقلاب والحركة والسكون والبدل والادغام وغير ذلك من الوجوه النحوية مما قام عليه برهان الحق وعضده سلطان الصدق على يدي أبي زكريا يحيى بن داود الفاسي المنبوز بجيوج وشيعته، رحمة الله عليه، ما قبلته العقول بسرعة وفهمت منه ما جهلت قبل".^(١)

وكان يحيى بن داود الفاسي المعروف بجيُوج أول نحوي يهودي اشتغل علمياً على نحو اللغة العبرية، بينما اقتصر عمل سعيد بن يوسف الفيومي ويهوذا بن قريش ويهوذا بن بلعم وغيرهم ممن سبقه أو عاصره على تفسير ما استغلق من غريب التوراة وأسفار العهد القديم من العربية فقط.^(٢) وكانوا يعتقدون أن الأفعال المعتلة والأفعال ذوات المثلين ثنائية الجذور، فشرح حيوج ذلك في كتابه "الأفعال ذات حروف اللين"^(٣)، وهو مختصر فبسط ذلك مروان بن جناح في كتابه الرئيس "كتاب التنقيح".

يتكون كتاب التنقيح لابن جناح من جزأين كبيرين: الجزء الأول: كتاب اللُمع وهو كتاب في النحو، والجزء الثاني: كتاب الأصول وهو معجم عبري عربي لمفردات التوراة فقط. وقد سُمي ابن جناح كتابه في النحو على اسم كُتيب مدرسي لابن جني في النحو أيضاً هو "كتاب اللمع"، كان ابن جني (صاحب مصطلح شجاعة العربية!) وضعه للطلاب. ولكتاب التنقيح في النحو العبري منزلة مثل منزلة كتاب سيبويه عند العرب. وقد نشره المستشرق الفرنسي يوسف ديرينبورغ (Joseph Derenbourg) في باريس سنة ١٨٦٦ بالحرف العبري^(٤)، ثم نشره الأستاذ المغربي مولاي المامون المريني في مراكش سنة ٢٠٢١ بالحرف العربي.^(٥)

(١) انظر: موسى بن عزرا ٢٠١٣ صفحة ١٤٥.

(٢) ينظر في تاريخ النحو العبري: Sáenz-Badillos A. & Targarona Borrás J. 1988.

(٣) انظر: حيوج، يحيى بن داود ١٨٩٧.

(٤) انظر: مروان بن جناح ١٨٦٦.

(٥) انظر: مروان بن جناح ٢٠٢١.

استعار ابن جني منهج الخليل وسيبويه واستعان به في وضع أول كتاب شامل في نحو اللغة العبرية. وقد استهل ابن جناح كتابه بالدفاع عن الاشتغال بعلم اللغة ضد أصحاب التلمود الذين كانوا يرون أن الاشتغال بعلم اللغة "شيء لا معنى له". يقول:

"ورأيت القوم الذين نحن في ظهرا نهم [=العرب] يجتهدون في البلوغ إلى غاية علم لسانهم على حسب ما ذكرناه مما يوجب النظر ويقضي به الحق. وأما أهل لساننا في زماننا هذا فقد نبذوا هذا العلم وراء أظهرهم وجعلوا هذا الفن دبراً لأنهم واستخفوا به وحسبوه فضلاً لا يحتاج إليه وشيئاً لا يُعرج عليه فتعروا من محاسنه وتعطلوا من فضائله وخلوا من زينه وحليه حتى جعل كل واحد منهم ينطق كيف يشاء ويتكلم بما أراد لا يترجون في ذلك ولا يشاؤون فيه كأنه ليس للغة قانون يرجع إليه ولا حد يُوقف عنده قد رضوا من اللسان بما يسر أمره عندهم وقنعوا منه بما سهل مأخذه عليهم وقرب التماسه منهم لا يدققون أصله ولا ينقحون فرعه، فلهم في اللغة مناكير يُعرب عنها وأقاويل يُزهد فيها. وأكثر من استخف منهم بهذا العلم وازدري هذا الفن من مال منهم إلى شيء من الفقه [أخبار التلمود] تيهاً منهم بيسير ما يحسنونه منه وعجباً بنزرها يفهمونه من ذلك حتى لقد بلغني عن بعض مشاهيرهم أنه يقول عن علم اللغة إنه شيء لا معنى له وإن الاشتغال به غير مجدٍ ولا مفيد وإن صاحبه مُعنى وطالبه متعب بغير ثمرة ينالها منه. وإنما استسهلوا ذلك لقراءتهم ما يقرؤون من الفقه ملحوناً ودراستهم ما يدرسون منه مُصَحَّفاً وهم لا يشعرون وذلك لعدمهم الرواية وفقدتهم الإسناد. وقد بعث ذلك أكثرهم على الاستخفاف بتقيد القرآن^(١) وتمييز الـ *مذاهب* من الـ *مذاهب* والـ *مذاهب* من الـ *مذاهب*. وأما علم التصريف والتكلم فيه فهو مما يتشاءمون به ويكادون يجعلونه من جملة الزندقة!"^(٢)

ويدافع ابن جناح في مقدمته عن منهج المقارنة بالعربية لشرح ما غمض من التوراة من خلالها، فيقول: "ولقد رأيت الأوائل، رضي الله عنهم، وهم القدوة في كل شيء،

(١) يريد التوراة وأسفار العهد القديم. وانظر ما سبق في الفصل ١، ٢.

(٢) مروان بن جناح ٢٠٢١، الصفحة ٤٤-٤٥.

يستشهدون على غريب لغتنا بما جانسه من اللغات". ويضيف: "أفلاتراهم يفسرون كتب الله من اللسان اليوناني والفارسي والعربي والإفريقي وغيره من الألسن؟ فلما رأينا ذلك منهم لم نتحرج [من الاستشهاد] على ما لا شاهد عليه من العبراني^(١) بما وجدناه موافقاً ومجانساً له من اللسان العربي إذ هو أكثر اللغات بعد السرياني شبهاً بلساننا. وأما اعتلاله وتصريفه ومجازاته واستعمالاته فهو [أي اللسان العربي] في جميع ذلك أقرب إلى لساننا من غيره من الألسن، يعلم ذلك من العبرانيين الراسخون في علم لسان العرب، النافذون فيه وما أقلهم!"^(٢)

وقد أعمل ابن جناح منهج المقارنة بين العربية والعبرية في كتاب اللمع لتوضيح المسائل النحوية وخصوصاً في معجمه كتاب الأصول حيث كان يميل إلى شرح كل كلمة عبرية لها مجانس تأثيلي في العربية من خلال ذلك المجانس التأثيلي لها. يقول في هذا السياق: "ولجهل كثير من الناس، ممن لا يطلع على علم لسان العرب، بما يجوزونه في لغتهم من المجازات والاستعارات ووضع الشيء في موضعه وغير ذلك من استعمالهم مما يستعمل العبرانيون في لسانهم، تراني أيضاً عندما أبين استعمالاً ما من استعمالات العبرانيين، كثيراً ما أقول: وقد صنعت العرب مثل ذلك في قولهم كذا وكذا لأري الأغمار ذلك فلا يستوحشون مما يستجيزه العبرانيون".^(٣)

ويقول في كتابه الثاني، كتاب الأصول: "قد قدمنا في الجزء الأول من هذا الديوان وهو كتاب اللمع من الأبواب العلمية والفنون الجمليّة والأصول القياسية والآراء النحوية ما لا غنى للناظر في علم اللغة عن معرفته والوقوف عليه. ونحن نذكر في هذا الجزء الثاني الذي وسمناه بكتاب الأصول أكثر الأصول الموجودة فيما بين أيدينا من الـ ٨٦٦ [مُقَرَّأ] ونبين من تصاريফها ونشرح من غرضها ما تدعو الحاجة إلى تبينه وشرحه

(١) أي غريب التوراة.

(٢) مروان بن جناح ٢٠٢١، الصفحة ٥١-٥٢.

(٣) مروان بن جناح ٢٠٢١، الصفحة ٥٩.

لنبليخ في جميعه الغاية التي نقدر عليها بعد أن نتحرى في ذلك غاية التحري ونتحفظ به غاية التحفظ الذي يلزم فعله في تفسير كلام الله عز وجل، وأسأل الله العصمة من الخطأ والتوفيق إلى الصواب بمنه". ويضيف: "اعلم فتح الله عليك كل مشكل ويسر لك كل مقفل أنه كثيراً ما تسمعي أقول فاء الفعل وعين الفعل ولام الفعل؛ فاعلم أن مذهبي في ذلك أي أقتطع لجميع الأفعال الماضية، خفيفها وثقيلها وجميع ما تصرف منها من فعل مستقبل واسم وغير ذلك مثلاً من "الفعل" أعني من لغة ʕl [فعل]".^(١) وقوله هذا وكذلك قوله في الفصل الأول من كتاب اللمع: "اعلم أن مبادئ الكلام كله، عبرانية وعربية وأي لغة كان سوى هاتين اللغتين: ثلاثة. وهي أسماء وأفعال وحروف معانٍ.."^(٢) يشير إلى مدى اعتماد ابن جناح في كتاب التنقيح بجزئيه على منهج الخليل وسيبويه في اللغة.

وعلى نهج ابن جناح يسير نخبة اليهود ولغويوهم حتى اليوم. ولا تزال اللغة العبرية القديمة واللغة العبرية الحديثة تُدرَّسان وتُعلَّمان وفق هذا المنهج.

٢-١-٢- دور العربية في تفسير التوراة:

ونمثل عن شرح ما استغلق من التوراة وأسفار العهد القديم من خلال العربية بمثال من (كتاب الموازنة بين اللغة العبرانية والعربية)^(٣) لإسحاق بن برون الراحل سنة ١١٢٨ لأن هذا الأخير يمثل أنضج فترة في الدراسات اللغوية المقارنة في العصر العباسي ذلك أنه أفرد كتاباً كاملاً للمقارنة العلمية بين العربية والعبرية. يتكون كتاب الموازنة من قسمين اثنين الأول في النحو والصرف والآخر معجم. يقارن ابن برون في القسم الأول من الكتاب الأسماء العربية والعبرية مع بعضها ويسرد تصاريدها وحالات إعرابها، ثم يقارن الأفعال العبرية والعربية ببعضها أيضاً ويذكر تصاريدها ويتطرق إلى أهم ما يعتورها في اللغتين من لزوم وتعدٍ وإعلال وما إلى ذلك. أما القسم الثاني، وهو

(١) مروان بن جناح ١٨٧٥، المقدمة. العمود ٦-٧.

(٢) مروان بن جناح ٢٠٢١، الصفحة ٦٥.

(٣) انظر: ابن برون ١٨٩٠.

معجم مقارن، فيحتوي على كل الأصول العبرية التي لها ما يجانسها تأثيلياً من العربية، ويذكرها كلها ويشرح الغريب والنادر منها مستشهداً على معانيها من القرآن الكريم والحديث الشريف والشعر الجاهلي.

أورد ابن برون في القسم الثاني المتعلق بالمعجم تحت الجذر العبري (בלת/بليت) ثلاث آيات من العهد القديم تحتوي على ألفاظ مشتقة من هذا الجذر تُعدُّ من غريب التوراة وتحتاج إلى شرح هي^(١):

١- וַיֵּשׁ שָׁכָב וְלֹא-יָקוּם עַד-בֹּלְתִי שְׁמִים לֹא יָקִיצוּ. النقحرة: (وَإِيشَ شَكَبَ، وَلَوْ يَقُومُ، عَدَ بِلْتِي شَمَائِمَ لَوْ يَقِيضُوا)، ترجمة فاندريك: (وَالْإِنْسَانُ يَضْطَجِعُ وَلَا يَقُومُ. لَا يَسْتَيْقِظُونَ حَتَّى لَا تَبْقَى السَّمَاوَاتُ)^(٢)؛

٢- מִבֹּלְתִי בָלַח יְהוָה. النقحرة: (مِبلتي يكولت يهوه). ترجمة فاندريك: (لَآنَ الرَّبِّ لَمْ يَقْدِرْ أَنْ يَدْخُلَ هَذَا الشَّعْبُ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي حَلَفَ لَهُمْ، قَتَلَهُمْ فِي الْقَفْرِ).

٣- וַאֲפִי עַד-תִּבְלִיתָם. النقحرة: (وَأَفِّي عَدَ تَبْلِيَتِمَ). ترجمة فاندريك: (وَعَصِي فِي إِبَادَتِهِمْ).

واللفظة المشكلة في العبرية هي: בֹּלְתִי = /بِلْتِي/. فيرى ابن برون أنها تجانس الجذر العبري (بليت) بمعنى "قطع"^(٣) يقول (وما بين قوسين مربعين هكذا: [] من عندي للتوضيح):

(١) طريقتنا في الاستشهاد بنصوص التوراة والعهد القديم كما يلي: \ نذكر أولاً النص العبري، و\ نُتْقِرُهُ ثانياً - أي نستبدل الحروف العربية بالحروف العبرية - لنمكن القارئ العربي الذي لا يعرف العبرية من استشفاف القرابة اللغوية بين العربية والعبرية، ثم ٣ ثبتت الترجمة العربية كما جاءت في ترجمة فاندريك لأسفار التوراة والعهد القديم لأنها أكثر الترجمات العربية حرفيةً وعلّق عليها إذا احتوت على أخطاء ترجمية. انظر ترجمة فاندريك في قائمة المراجع.

(٢) ترجمة فاندريك حتى لا تبقى السماوات غير دقيقة لأن النص التوراتي يريد بليت السماوات أو انقطاعها طيهاً كما جاء في الحديث الشريف: يقبض الله الأرض، ويطوي السماوات بيمينه، ثم يقول: أنا الملك، أين ملوك الأرض؟ البخاري، حديث رقم ٤٨١٢. وانظر سورة الزمر الآية ٦٧.

(٣) جاء في لسان العرب لابن منظور: بليت: البَلْتُ: القَطْعُ. بَلَّتَ الشَّيْءُ يَبْلُتُهُ، بِالْفَتْحِ، بَلْتًا: قَطَعَهُ. ابن منظور بلا تاريخ، المجلد ٢، الصفحة ١٢-١٣.

((עֲדָ בְּלִי שָׁמַיִם [عَد بِلِّي شَمَائِم] ^(١). أُلْفِيَتْ لهذه اللفظة تجانساً في العربية؛ يُقال بَلَّتَ الشَّيْءُ يَبْلُتُهُ بَلْتًا إِذَا قَطَعَهُ، فيكون معناه [= عَد بِلِّي شَمَائِم]: "إلى بَلَّتِ السماوات" أي إلى قَطْعِهَا. ومنه מְבֻלֵּי יָם [مِبْلِي يَكُولِت يَهُوَه] ^(٢) أي من انقطاع قدرة الله. ومنه أيضاً في معناه יָם-מְבֻלֵּי יָם [وَأَفِي عِلْ تَبْلِيَّتِم] ^(٣) معناه بَلْتُهُم أي قَطَعَهُمْ ^(٤))).

فهنا يكشف ابن برون أن الجذر العبري (בלת/بليت) هو المجانس التأثيلي للجذر العربي (بليت) وأن مشتقات الجذر العبري نادرة الوجود في التوراة وأن معانيها يكتنفها الغموض فوظف القرابة بين العربية والعبرية من أجل إزالة الغموض الدلالي لمشتقات الجذر العبري بإكسابها دلالة الجذر العربي الثابتة وهي "القطع" وفسر الآيات التوراتية بناءً على دلالة الجذر العربية. وعلى هذا المنوال درج سابقوه مثل الفيومي وابن قريش ويهودا بن بلعم ومروان بن جناح وغيرهم من أحبار اليهود ولغوييهم ^(٥).

لم ينقطع هذا التقليد - أقصد تفسير ما استغلق من التوراة من العربية - منذ ابتداء اليهود المستعربون في العهد العباسي حتى اليوم. ولعلَّ عالم التوراة الاسكوتلندي جيمس بار (James Barr) أهم من يمثل هذه المدرسة في العصر الحديث. فقد وظف جيمس بار (١٩٢٤-٢٠٠٦) معرفته بالعربية لفهم ما استغلق من غريب التوراة، تماماً مثلما فعل الفيومي ويهوذا بن قريش وابن جناح وابن برون وغيرهم من اليهود المستعربين في العصر العباسي. ونقتصر هنا على إيراد مثالين اثنين من كتابه (علم اللغة المقارن وأسفار العهد القديم) ^(٦):

(١) سفر أيوب، الإصحاح ١٤، الآية ١٢

(٢) سفر العدد، الإصحاح ١٤ الآية ١٦.

(٣) سفر إشعياء، الإصحاح ١٠ الآية ٢٥.

(٤) ابن برون ١٨٩٠، صفحة ١٦٥.

(٥) انظر دراستنا حول هذا الموضوع المعنونة بالدراسات الجزيرية المقارنة في العصر الوسيط: أسبابها الثقافية وبواغتها الدينية في: عبدالرحمن السليمان ٢٠١٩، الصفحة ٣١-٥٢.

(٦) انظر Barr, J. 1968.

المثال الأول: سفر الخروج، الإصحاح ١٥ الآية ٢: עָרִי וְזִמְרַת יָהּ. النقحرة: (عَرِّي وِزْمَرَت يَهْ [وه]). ترجمة فانديك: (الرَّبُّ قُوَّتِي وَنَشِيدِي).

يرى جيمس بار أن ترجمة الكلمة (זִמְרַת / زِمَرَت) المشتقة من الجذر العبري (זמר) الذي يجانس الجذر العربي (زمر) مبنًى ومعنى بـ "أغنية" أو "نشيد" ترجمة لا تستقيم. فالكلمة الأولى (עָרִי / عَز) تجانس العربية (عَزَّ) وتعني في العبرية "قوة". وترجمة العبارة (עָרִי וְזִמְרַת יָהּ / عَرِّي وِزْمَرَت يَهْ [وه]) بـ "يهوه قوتي وأغيتي" فيها نظر إذ لا معنى للغناء والأغاني هنا. ويرى بار أن دلالة (זִמְרַת / زِمَرَت) ينبغي أن تكون قريبة من دلالة (עָרִי / عَز) "قوة"، فيوظف قواعد علم اللغة المقارن الذي يقوم على أربعة أصول هي الصوتيات والصرف والنحو والمعجم ويسقط ذلك على العلاقة بين العربية والعبرية ثم ينتهي إلى ما يلي:

يقتضي القانون الصوتي أن حرف الزاي العبري عندما يكون فاء الفعل إنما يجانس تأثلياً حرف الذال العربي، وليس الزاي. وهذا يعني أن الجذر العبري (زمر) إنما يجانس الجذر العربي (ذمر) وليس (زمر).

وعليه فيكون معنى العبارة: (עָרִי וְזִמְרַת יָהּ / عَرِّي وِزْمَرَت يَهْ [وه]) هو: "يهوه عَزِي وِذْمَارِي". فالذمار كما يقول ابن منظور (هُوَ كُلُّ مَا يَلْزَمُكَ حِفْظُهُ وَحَيَاتُهُ وَحِمَايَتُهُ وَالِدَفْعُ عَنْهُ) وهو (الْحَرَمُ وَالْأَهْل) ومنه (فُلَانٌ حَامِي الدَّمَارِ إِذَا دُمِرَ غَضِبَ وَحَمَى).^(١) ومما يعضد هذا الفهم وهذا التأثيل الترجمة اليونانية (السبعينية) للتوراة وأسفار العهد القديم، وهي أقدم ترجمة للتوراة أنجزت في القرن الثالث قبل الميلاد على خلاف في ذلك، فقد ترجمت هذه العبارة بـ (βοηθός και σκεπαστής) "يهوه عَزِّي وحاميي" أي وِذْمَارِي.^(٢)

(١) ابن منظور بلا تاريخ، المجلد ٤، الصفحة ٣١٤.

(٢) انظر Barr, J. 1968، الصفحة ٢٩-٣٠.

المثال الثاني: سفر القضاة، الإصحاح ١٨، الآية ٧: وَيَلِدُو حِمَمَ شَتِ هָאֲנָשִׁים, וַיָּבֹאוּ לְיִשָּׁה; וַיֵּרְאוּ אֶת-הָעֵם אֲשֶׁר-בְּקִרְבָּהּ, יוֹשֶׁבֶת-לְבֵטָח כְּמִשְׁפַּט צְדָקִים שְׁקֵט וּבֵטָח, וְאִין-מְקִלִּים דְּכָר בְּאַרְצָא יוֹרֵשׁ עֲצָר, וְרַחֲמִיקִים הָמָּה מְצִידִים, וְדָכָר אִין-לָהֶם עַם-אָדָם.

"فَذَهَبَ الْخَمْسَةُ الرَّجَالِ وَجَاءُوا إِلَى لَإِيشَ. وَرَأَوْا الشَّعْبَ الَّذِينَ فِيهَا سَاكِنِينَ بِطَمَآنِيَّةٍ كَعَادَةِ الصَّيْدُونِيِّينَ مُسْتَرْحِجِينَ مُطْمَئِنِّينَ، وَلَيْسَ فِي الْأَرْضِ مُؤْذٍ بِأَمْرٍ وَارِثُ رِيَّاسَةٍ. وَهُمْ بَعِيدُونَ عَنِ الصَّيْدُونِيِّينَ وَلَيْسَ لَهُمْ أَمْرٌ مَعَ إِنْسَانٍ".^(١)

العبارة المشكلة هنا هي: وَاִין-מְקִלִּים דְּכָר בְּאַרְצָא / وإين مَكْلِيم دابار بأرص / وترجمتها السائدة: "وَلَيْسَ فِي الْأَرْضِ مُؤْذٍ بِأَمْرٍ". اعتبر كثير من علماء العهد القديم أن مְקִלִּים / مَكْلِيم / تصحيف وأن الفقرة يجب أن تقرأ - بناء على سياق الآية ١٠ من ذات الإصحاح - كما يلي: וְאִין-מַחְסוֹר כּל-דְּכָר בְּאַרְצָא / وإين مَحْسُور كُل دابار بأرص / وترجمتها: "[مَكَانٌ] لَيْسَ فِيهِ عَوَزُ لְשִׁי מָּא فِي الْأَرْضِ". إذن يقترح بعض علماء العهد القديم هنا מחסור / مَحْسُور / بدلاً من مְקִלִּים / مَكْلِيم / . والإشكالية هنا هي أن المعنى العام المعروف للجذر العبري (دلم / كلم) في العبرية هو: "أهان؛ احتقر؛ عَيَّر". ولا يستقيم معنى الآية بتوظيف أحد هذه المعاني في الآية المذكورة أعلاه بتاتا.

يقول جيمس بار: "إن صعوبة فهم هذه الآية تفرض علينا النظر في اللغات الجزيرية [لتفسيرها]، وإن أول ما يتبادر إلى الذهن الفعل العربي /كَلَّمَ / والاسم العربي /كَلَام / . إن إلباس الكلمة العبرية [مְקִלִּים / مَكْلِيم /] المعنى العربي [للجذر /كلم /] يؤدي إلى قراءة جيدة لهذه الآية، فيصبح المعنى: "ولا يتكلم أحد بكلمة في الأرض". وهذا المعنى مناسب للسياق، ويجعل التعديل نتيجة لافتراض التصحيف لاغيا".

ويستطرد جيمس بار ويستشهد بما جاء في سفر ميخا (الإصحاح ٢، الآية ٦):
אַל-תִּטְפוּ, וְטִיפוּן; לֹא-יִטְפוּ לְאַלֶּה, לֹא יִסַּג כְּלָמוֹת "נִבְּאוֹן قִائִלִין": "לֹא תִנְבְּאוּ". לֹא יִנְבְּאוּן עַן

(١) ترجمة فانديك، سفر القضاة، الإصحاح ١٨، الآية ٧.

هذه الأمور. لَا يَزُولُ الْعَارُ". والشاهد هو الكلمات الأخيرة التي ترجمها فاندريك بـ "لا يزولُ العار"^(١)، فأصلها العبري هو: לֹא יִסָּחַג קְלִימוֹת / لَا يَسَّحُجُ كَلِيمَاتُ. ويستشهد جيمس بارفي هذا السياق بعالم التوراة رايدر (Reider) الذي يرى أن معنى (لا يزولُ العارُ) لا يستقيم في هذا السياق، ذلك أن مجمل الآية هي النهي عن الوعظ. بل يرى رايدر (Reider) ومعه جيمس باربان عبارة (לֹא יִסָּחַג קְלִימוֹת / لَا يَسَّحُجُ كَلِيمَاتُ) عبارة عربية دخيلة في العهد القديم أصلها العربي: "لَا يَنْسَجُ الْكَلَامُ"، وهي أليق بسياق الآية إذ لا معنى للعار فيها. ثم يلخص جيمس بارنظرته ومنهجه كما يلي:

- التسليم بوجود مشكلة في نص العهد القديم العبري حاول العلماء السابقون أن يحلوها بافتراض وقوع التصحيف، ثم باقتراح التعديل نتيجة لافتراضهم التصحيف؛
- ضرورة الانطلاق من مبدأ الاعتماد على النص وحده ورفض فكرة التصحيف وبالتالي رفض التعديل نتيجة لافتراض وقوع التصحيف.
- النظر في نسخ أخرى قديمة للنص ومعالجة ذلك لغوياً بناء على منهج التأثيل وعلم اللغة المقارن بين اللغات الجزيرية.^(٢)

فهذا هو منهج الدراسات التأليلية وعلم اللغة المقارن كما وظفه جيمس بارفي مجموعة كبيرة من الكلمات العبرية غير الواضحة، فألبسها المعاني العربية للكلمات العبرية التي تجانس الكلمات العبرية تأثلياً، فاهتدى بذلك إلى ضبط المعاني الأصلية للكلمات العبرية بطريقة يدعمها سياق الآيات كما شاهدنا في الآيتين المقتبستين أعلاه، ويدعمها كذلك سياق الترجمات القديمة وفي مقدماتها الترجمة اليونانية السبعينية التي أنجزت قبل الميلاد بقرنين تقريباً. والأهم من ذلك أن كل علماء كتاب العهد القديم بمختلف مشاربهم قبلوا بنتائج بحث جيمس باروزملائه، فهذا تقليد بدأ مع الأخبار اليهود المستعربين في العصر العباسي كما تقدم واستمر حتى اليوم.

(١) ترجمة فاندريك، سفر ميخا، الإصحاح ٢، الآية ٦.

(٢) انظر Barr, J. 1968، الصفحة ١٥.

٢-٢- مركزية العربية في الدراسات الجزيرية الحديثة:

اكتشف المستشرقون التراث اللغوي لليهود المستعربين وبنوا عليه وأسسوا الدراسات الجزيرية الحديثة التي شهدت نهضةً كبيرةً في الغرب في الثلاثة قرون الماضية. وكان الاهتمام آنذاك منصباً على دراسة العبرية والآرامية والعربية لفهم نصوص التوراة وأسفار العهد القديم التي رويت بلغة شعائرية تطرح مشاكل دلالية كثيرة كما تقدم. فقد كان الرأي السائد في العصور الوسطى الغربية أن العبرية لغة آدم وأنها أم اللغات البشرية وأن جميع اللغات البشرية تفرعت عنها وابتعدت منها وأن اللغات التي تشبهها كثيراً - كالعربية والآرامية - لغات بقيت وفية للغة الأم ومحافظة على القرابة معها. ثم نشأت فكرة توظيف هذه اللغات وخصوصاً العربية لتفسير ما استغلق فهمه من نصوص التوراة وأسفار العهد القديم على منوال النحاة اليهود المستعربين.^(١) إلا أن هذه الفكرة تراجعت مع دراسة بنية هذه اللغات من جهة واكتشاف لغات جزيرية جديدة لا تقل قرابة مع العبرية عن العربية والآرامية، كالحبشية والحميرية والفينيقية والبابلية فيما بعد. فتطورت فكرة أن هذه اللغات لغات شقيقة وأنها تعود جميعاً إلى أصل لغوي واحد غير موجود اصطلاحاً على تسميته باللغة السامية الأم (Proto-Semitic Language)، ونحن نسميها باللغة الجزيرية الأم، أعيد تصورها بناء على المقارنة بين اللغات الجزيرية. وشهد هذا التطور اللغوي ولادة علم التأثيل وعلم النحو التاريخي وعلم اللغة المقارن.^(٢)

ثم تلاشت فكرة أن العبرية لغة آدم وأنها أم اللغات البشرية مع تطور علم اللغة المقارن وأبحاث المستشرق الهولندي هيندريك شخولتنز (Hendrik Albert Schultens)، أستاذ اللغات الشرقية في جامعة أمستردام أولاً ثم جامعة لايدن ثانياً. فقد أشار شخولتنز (١٧٤٩-١٧٩٣) في أكثر من خطبة له بمناسبة تنصيبه أستاذاً للغات والدراسات الشرقية في جامعة أمستردام وجامعة لايدن إلى أن اللغة العربية الشمالية -

(١) انظر De Roos J. e.a. 1986 صفحة ٥٥.

(٢) انظر Barr J. 1968، الصفحة ٧٦.

على الرغم من تأخر ظهورها على المسرح التاريخي - أقدم اللغات الجزيرية من حيث البنية الصوتية والصرفية والنحوية وأن معجمها أغنى المعاجم الجزيرية وغير الجزيرية وأن دراستها ودراسة بنيتها اللغوية بمثابة المفتاح لفهم اللغات الجزيرية الأخرى بما في ذلك العبرية.^(١) ويؤكد شخولتنز بذلك مركزية اللغة العربية في الدراسات الجزيرية وأن العربية ابتلعت كل اللغات الجزيرية. لذلك يطلب من مستمعيه في إحدى خطبه "أن يأخذوا غنى العربية الفاحش في المفردات بعين الاعتبار عند دراسة العربية وأدائها".^(٢)

وقد انعكست رؤية شخولتنز هذه للعربية في كتابات المستشرقين اللاحقين الذين بدؤوا دراسة اللغات الجزيرية انطلاقاً من العربية فوظفوا معرفتهم بالعربية وبنيتها الصوتية والصرفية والنحوية وبمعجمها لفهم اللغات الجزيرية الأخرى وتفسير ظواهرها اللغوية من جهة، ولفهم النصوص الجزيرية المختلفة - وفي مقدمتها التوراة وأسفار العهد القديم - من جهة أخرى. وقد ساعدتهم في دراستهم للغات الجزيرية ذلك الكم الهائل من الدراسات العربية في اللغة وعلومها منذ عصر الخليل بن أحمد حتى العصر الحديث. ومعظم دراسات اللغات الجزيرية في القرنين التاسع عشر والعشرين مؤسسة على مركزية العربية فيها واعتبارها أقدم اللغات الجزيرية من حيث البنية اللغوية رغم أنها من أحدث اللغات الجزيرية ظهوراً على المسرح التاريخي وأنها أقرب اللغات الجزيرية قاطبةً إلى اللغة الجزيرية الأم التي تفرّعت اللغات الجزيرية عنها.

واللغة الجزيرية الأم هي لغة افتراضية تُوصّل إلى تصوّرها بمقارنة اللغات الجزيرية على المستوى الصوتي والمستوى الصرفي والمستوى النحوي والمستوى المعجمي، تبدو للباحث في دراسات المستشرقين وكأنها العربية، بل إنها في حقيقة الأمر تكاد تكون العربية تقريباً. فلقد أثبت البحث العلمي في علم اللغة المقارن أن العربية وحدها، وبعكس كل

(١) الخطب باللغة اللاتينية، وقد جُمعت في الكتاب التالي: Drie redevoeringen van Hendrik Albert Schultens "ثلاث خطب هيندريك ألبرت شخولتنز. انظر: Wenckebach J.C. 1845 في قائمة المراجع.
(٢) في الأصل: Attendo porro ad incredibilem Arabicae Linguae copiam. Wenckebach J.C. 1845. صفحة ١٦.

اللغات الجزيرية الأخرى، احتفظت: ١. على المستوى الصوتي: بكل الأصوات الجزيرية الأصلية إلا حرفاً واحداً بين السين والشين احتفظت به الحميرية؛ ٢. على المستوى الصرفي: بكل الأبنية الجزيرية الأصلية بناءً ولفظاً وكذلك صيغ الأفعال (أضافت العربية إليها صيغ المجهول باطراد وهذا تطور مخصوص بها)؛ ٣. على المستوى النحوي: بالإعراب (بالتنوين وأصله بالتمويم ما عدا في المثنى فأصله بالتنوين)؛ ٤. على المستوى المعجمي: بكل الجذور الجزيرية الأصلية تقريباً.

والناظر المتمعن في ذلك يرى بوضوح أن العلاقة التاريخية بين العربية الفصحى من جهة، وبين اللغات الجزيرية مجتمعة (ما عدا الأكادية في عهدها الأولى أي من حوالي ٢٨٠٠ إلى ٢٠٠٠ قبل الميلاد) من جهة أخرى، ليست أكثر أو أقل من العلاقة الحالية بين العربية الفصحى من جهة، واللهجات العربية الحالية من جهة أخرى. ويمكن ملاحظة ذلك بوضوح من إجراء مقارنات دقيقة بين العربية الفصحى من جهة، وبين العبرية والسريانية واللهجتين الشامية والمصرية من جهة أخرى. وما ينطبق على المقارنة بين العربية الفصحى والعبرية والسريانية من جهة، وبين العربية الفصحى واللهجتين الشامية والمصرية من جهة أخرى، ينطبق على كل اللغات الجزيرية (ما عدا الأكادية في عهدها الأولى أي من حوالي ٢٨٠٠ إلى ٢٠٠٠ قبل الميلاد) وكل اللهجات العربية. مثال: الوزن الجزيري الأصلي (فَعْلٌ):

اللغة الجزيرية الأم	الأكادية:	العربية	العبرية	اللهجة الشامية / المصرية
عَبْدُ(م) - بالتمويم 'abd-um	عَبْدُ(م) - بالتمويم 'abd-um	عَبْدُ(ن) - بالتنوين 'abd-un	עֶבֶד 'ebed	عَبْد 'abed

والملاحظ أن العربية والأكادية لغتان معربتان وأن الإعراب في الأكادية بالميم (تمويم) وفي العربية بالنون (تنوين). أما العبرية فأهملت الإعراب مثلما أهملته اللهجتان المصرية والسورية. والنتيجة هي التقاء الساكنين (الباء والdal في /عَبْد/) وهذا لا يجوز

في اللغات الجزيرية. لذلك استغنت اللغات الجزيرية التي أهملت الإعراب من جهة، واللهجتان المصرية والسورية اللتان أهملت الإعراب أيضاً من جهة أخرى، عن مقطع الإعراب (um/un) وعوّضته بإضافة كسرة خفيفة ممالّة نحو الـe بين الباء والـدال ('ebed/'abed) للتخلص من التقاء الساكنين. وتشذ السريانية عن ذلك لجعلها أداة التعريف (وهي ألف المد) آخر الكلمة فيقال: **ܠܚܕܐ** /عَبْدَا = ab-dā/ مما يلغي مشكلة التقاء الساكنين مع الإشارة إلى أن السريانية ليس فيها إعراب. وقد أدت هذه العلاقة بالمشتغلين باللغات الجزيرية من المستشرقين إلى الاستنتاج بأن جزيرة العرب مهد القبائل الجزيرية وأن العربية حافظت على خصائص الجزيرية الأم حتى كادت أن تكون إياها.

ونحن نجد هذا الرأي أيضاً عند لغويي اليهود والسريان أيضاً ومنهم النحوي السرياني أقليميس يوسف داود مطران دمشق على السريان في كتابه (اللمعة الشهيّة في نحو اللغة السريانية) في معرض حديثه عن اللغات الجزيرية. يقول: "وأشهر اللغات السامية هي العربية والعبرانية والسريانية والحبشية بفروعهن الكثيرة [...] وإنما ذكرنا العربية أولاً بين اللغات الجزيرية لأن العربية باعتراف جميع المحققين هي أشرف اللغات السامية من حيث هي لغة وأقدمهن وأغناهن. ومعرفتها لازمة لمن يريد أن يتقن [إتقاناً] حسناً معرفة سائر اللغات السامية ولا سيما السريانية".^(١) ويضيف: "ثم إننا لا نعتقد أن الآرامية هي أقدم اللغات السامية كما زعم قوم، وأقل من ذلك أنها أقدم لغات العالم كما زعم غيرهم بلا بينة ولا أساس. بل ثبت مع العلماء المحققين أن اللغة العربية هي التي تقرب إلى أم اللغات السامية أكثر من أخواتها".^(٢) ويقصد أقليميس يوسف داود بالعلماء المحققين المستشرقين الذين قالوا بهذا الرأي الذي ينقله، ومنهم شخولتنزوزملاؤه الذين أثبتوا هذه الحقيقة بالدرس المقارن للغات الجزيرية كما تقدم.

(١) انظر داود ١٨٩٦، الصفحة ١٠.

(٢) انظر داود ١٨٩٦، الصفحة ١٣.

٣-٢- مركزية العربية في الدراسات اللغوية والأدبية:

هذا مجال واسع جداً تستحيل الإحاطة به. وقد عالج علماء كثيرون أثر العربية والعرب والمسلمين في تطور العلوم والمعارف أهمهم مؤرخ العلوم العالم البلجيكي الكندي جورج سارتون (١٨٨٤-١٩٥٦) في كتابه الكبير (مقدمة في تاريخ العلم)^(١) والعالم التركي الألماني فؤاد سزكين (١٩٢٤-٢٠١٨) في كتابه الضخم (تاريخ العلوم الإسلامية).^(٢) وقد عالج هذان السفران الجليلان إسهامات العرب والمسلمين في العلوم والمعارف الإنسانية بشكل عام، بما فيها العلوم اللغوية والأدبية. ونقتصر نحن هنا في دراستنا هذه على إضاءة مركزية اللغة العربية في الدراسات اللغوية الغربية بشكل عام.

يرى مؤرخ صناعة المعاجم العربية جون هايوود أن الخليل بن أحمد الفراهيدي لم يصنع أول معجم عربي هو كتاب العين فحسب، بل صنع أول معجم في التاريخ.^(٣) وعلى الرغم من سبق بعض الحضارات في وضع مسارد لغوية أحادية اللغة أو ثنائية اللغة قبل عصر الخليل - كالمسارد السومرية البابلية، والمسارد الصينية واليونانية - إلا أن هذه المسارد كانت محدودة أو مقتصرة على موضوع بعينه. وكان الخليل بن أحمد أول لغوي فكّر في تأليف معجم جامع لمفردات اللغة يتبع في جمعها ترتيباً منطقياً معيناً يمكن مستعمل المعجم من البحث عن المفردات فيه والعثور عليها.^(٤)

ثم يتطرق جون هايوود في آخر فصل من كتابه إلى تأثير علم صناعة المعاجم العربية

(١) ترجم المجلد الخاص بإسهامات العرب والمسلمين في العلوم والمعارف الدكتور أحمد عبد الفتاح الليثي وصدرت الترجمة عن دار السيد في الرياض. وكان لي شرف كتابة مقدمة لهذه الترجمة الجيدة. انظر: جورج سارطون ٢٠١١. مدخل لتاريخ الحضارة الإسلامية. ترجمة د. أحمد عبد الفتاح الليثي. الرياض: دار السيد.

(٢) صدر بالألمانية في ١٧ مجلدًا عن دار النشر برييل في لايدن بعنوان: Geschichte des Arabischen Schrifttums.

(٣) انظر: Haywood J.A. 1960، صفحة ٢٧.

(٤) نفس المصدر.

في صناعة المعاجم الفارسية والتركية والهندية والسريانية والعبرية.^(١) ثم يعززونشأة صناعة المعاجم الإنكليزية والأوربية إلى نشاط المستعربين الذين وضعوا معاجم عربية لاتينية أو عربية إنكليزية مثل جاكوبوس غوليوس (١٥٩٦-١٦٦٧) صاحب المعجم العربي اللاتيني وإدوارد كاستل (١٦٠٨-١٦٨٥) مؤلف معجم عربي إنكليزي وجورج وليام فرايتاغ (١٧٨٨-١٨٦١) مؤلف المعجم العربي اللاتيني الشهير وأخيراً إدوارد وليام لين (١٨٠١-١٨٧٦) صاحب أضخم وأفضل قاموس عربي إنكليزي.^(٢) لفتت هذه المعاجم أنظار اللغويين الغربيين فتأثروا بها بطريقة غير مباشرة بعدما نشر إدوارد كاستل معجمه متعدد اللغات (عربي عبري آرامي سرياني سامري حبشي بالإضافة إلى اللاتينية)، لذلك سماه "المعجم السُّباعي" (Lexicon Heptaglotton).^(٣) ويقرر هايوود أنه لم تكن في الغرب أية معاجم يُعَوَّل عليها قبل القرن الخامس عشر وهو عصر اتصال الغربيين بالدراسات اللغوية العربية ومنها المعاجم العربية والسريانية والعبرية المحررة بالعربية - مثل معجم ابن جناح ومعجم باربهلول السرياني على سبيل المثال لا الحصر - عن طريق المستعربين منهم.^(٤) وفي الحقيقة إن "المعجم السُّباعي" لإدوارد كاستل مستلهم من هذه المعاجم ومؤسس عليها.

أما في المجال الأدبي فيتجلى إقدام العربية وأدبها في إلهام عدد كبير من الأدباء في الشرق والغرب. ونقتصر هنا على ذكر تأثير الأدب العربي في الآداب الغربية وإلهام الغربيين لتأليف عدد كبير من روائعهم الأدبية. فقد استلهم عدد لا بأس به من الأدباء الغربيين أنواعاً أدبية عن العرب كالمقامة والقصة الإطارية وغيرهما. ونريد "بالاستهام الأدبي" هنا قيام كاتب أو شاعر يكتب بلغة أخرى، باستعارة فكرة ما أو موضوع ما أو

(١) انظر: Haywood J.A. 1960، صفحة ١١٥.

(٢) انظر: Haywood J.A. 1960، صفحة ١٢٤-١٢٦.

(٣) المعجم منشور في موقع أرشيف الشبكة على الرابط: Lexicon Heptaglotton : Edmund Castell

: Free Download, Borrow, and Streaming : Internet Archive

(٤) انظر: Haywood J.A. 1960، صفحة ١٢٧.

حكاية ما عن كاتب أو شاعرٍ عربيّين، سبق لهما أن عالجا تلك الفكرة أو ذلك الموضوع أو تلك الحكاية في أدبهما أو شعرهما، ثم يصيغها الكاتب أو الشاعر المستلهم في لغته صياغة جديدة. فالاستلهم إذن ليس ترجمة عن العربية، بل هو استعارة لفكرة أعجبت المستلهم في الأدب العربي، فاستلهمها عنه وقرضها شعراً أصلياً في لغته الأجنبية. فالفرق بين الترجمة والاستلهم يكمن في أن ظاهرة الاستلهم تكون مخصوصة بالأدباء الذين يجيدون لغات أخرى غير لغتهم التي يكتبون بها أو يقرضون الشعر بها، فيستعيرون عن شعراء تلك اللغات الأفكار التي تروق لهم وتدغدغ خيالهم الأدبي والشعري، ويقرضونها شعراً في لغتهم الأم بعد الإشارة إلى صاحب الفكرة الأصلي في مطلع القصيدة حتى لا يرموا بالنحل أو السرقة الأدبية.

وظاهرة الاستلهم ظاهرة قديمة إلا أنها كانت في القديم تقتصر على أبيات أو قطع أو قصائد صغيرة، لكن الشاعر الألماني الشهير ولفغانغ غوته (١٧٤٩-١٨٣٢) جعل منها ظاهرة أدبية كبيرة في ديوانه الشهير "الديوان الغربي الشرقي"، حيث استلهم كل قصائد ديوانه هذا عن شعراء الفرس الكبار مثل حافظ الشيرازي وغيره، مؤسساً لذلك تقليداً غريباً جعل شعراء كباراً أتوا من بعده يقتفون أثره في البحث عن استلهم الأفكار البديعة والمعاني الشريفة من شعراء المشرق.

من هؤلاء الشعراء الكبار الذين اقتفوا أثر غوته، الشاعر الهولندي ي. ه. ليوبولد (الراحل سنة ١٩٢٥)، أحد أهم الشعراء الهولنديين في العصر الحديث، الذي استلهم من شعراء المشرق وشعراء العرب الكبار أفكاراً ومعاني دغدغت خياله الشعري، فأخذ عن عمر الخيام بعض أفكاره ونظم فيها رباعيات رائقة في الهولندية، وأعجب بحكايا "ألف ليلة وليلة" ونظم فيها قصائد بديعة، وتأثر بالشعر الصوفي العربي وحاكاه في الهولندية. إلا أن الشاعر العربي الذي ترك لديه أكبر الأثر كان أبا العلاء المعري، حيث استلهم عنه بعض المواضيع ذات الطابع الفلسفي والفكري ونظمها في الهولندية مجتهداً أثناء النظم في الحفاظ على المعاني وبحور الشعر الأصلية حفاظاً تاماً، مما أكسب استلهمه طابعاً جمالياً خاصاً.

من ذلك استلهامه قول المعري:

هَفَّتِ الْخَيْفَةُ وَالنَّصَارَى مَا اهْتَدَتْ وَيَهُودُ حَارَتْ وَالْمَجُوسُ مُضَلَّلَتْ
إِثْنَانِ أَهْلُ الْأَرْضِ: دُوعَقِلَ بِلَا دِينٍ، وَآخِرُ دَيْنٍ لَا عَقْلَ لَهُ!

وصياغته له في الهولندية كما يلي:

Christenen, Joden, Parsen, Moslemin
zij dolen allen; voor wie toe wil zien
vervalt de gansche menschheid slechts in tweeën
twee soorten enkel worden er ontdekt
intelligente mensen zonder vroomheid
en vrome mensen zonder intellect

والمهم في ظاهرة الاستلهام التي أشرت إليها أعلاه، هو أن الشعراء الغربيين المستلهمين عن شعراء شرقيين، يذكرون واقعة الاستلهام وكذلك الشاعر الأصلي المستلهم عنه في مستهل قصائدهم، وذلك بصريح العبارة. فالشاعر الألماني غوته يفعل ذلك، وكذلك الهولندي ليوبولد، الذي يستهل قصائده المستلهمة من قصائد المعري في ديوانيه "مشرقيات ١" و"مشرقيات ٢" بقوله (naar Al Ma'arri) أي "عن المعري" كما نقرأ في مستهل قطعه الهولندية أعلاه. وهذا يخرج المسألة من قضية النحل ويدخلها في باب الأدب والتأثر الأدبي والإلهام الأدبي من أوسع أبوابه.

من جهة أخرى: لا تقتصر ظاهرة الاستلهام على الشعراء الذين يذكرون ذلك بصريح العبارة في مستهل قصائدهم المستلهمة، فهناك قصائد الاستلهام فيها جلي واضح من دون الإشارة إلى الأصل. وقد يكون ذلك بسبب القدم، أو بسبب عدم تواتر الرواية، أو بسبب سوء النية. فالمعروف أن الشاعر الإيطالي دانته استلهم شكل "الكوميديا الإلهية" وكذلك موضوعها عن رسالة الغفران لأبي العلاء المعري؛ وهنالك مستعربون كثيرون أشاروا إلى ذلك وبينوا مواضع التشابه الشكلي والموضوعي بين رسالة الغفران و"الكوميديا الإلهية".

ومن الأعمال الغربية المشهورة المستلهمة عن أعمال شرقية مشهورة أيضاً:

١- رواية "الكوميديا الإلهية" (Divina Commedia) للشاعر الإيطالي دانته الليجيري (Alighieri Dante)، الراحل سنة ١٣٢١، المستلهمة عن رسالة الغفران للمعري، أو عن الإسراء والمعراج في الإسلام كما أشار إلى ذلك الكثير من المستعربين، خاصة وإنها تصف رحلة في سبعة أيام مقسمة إلى ثلاثة مراحل هي الجحيم والمطهر والفردوس.^(١)

٢- حكايا "ديكاميرونه" (Decamerone) لبوكاتشييو (Boccaccio) الراحل سنة ١٣٥٠ وكذلك "حكايا كانتبري" (The Canterbury Tales) لشوسر الراحل أواخر القرن الرابع عشر، وهي مستلهمة عن "حكايا ألف ليلة وليلة" الإطارية الشكل وهو نوع أدبي ما كان معروفاً في الغرب قبل هذين العملين الشهيرين.

٣- "حكايا لافونتين" (Fables) للافونتين (La Fontaine) الراحل سنة ١٦٩٥، وهي مستلهمة عن "حكايات كليله ودمنة" لابن المقفع.

٤- قصة "روبنسون كروزو" (Robinson Crusoe) لديفو (D. Defoe) المستلهمة عن قصة "حي بن يقظان" للفيلسوف ابن طفيل وهي قصة فلسفية ترجمت إلى اللاتينية وإلى كل اللغات الحديثة ومنها الإنكليزية (القرن الخامس عشر) والهولندية (القرن السادس عشر)، أي قبل ظهور كتاب ديفو الراحل سنة ١٧١٩ بأكثر من قرن.

٥- قصة "طرزان" لإدجر رايس (Edgar Rice Burroughs) الراحل سنة ١٩٥٠، وهي أيضاً مستلهمة عن قصة "حي بن يقظان" لابن طفيل.

(١) انظر: Watt, W.M. & Cachia P. 1996، الصفحة ١٢٥-١٢٦.

٦- وكذلك أشعار "شعراء الطروبادور" في الأندلس وجنوب فرنسا ذات الطابع الغنائي الغزلي، وهي مستلهمة عن الشعر الغنائي العربي شكلاً ومضموناً. ولعل في كلمة "طروبادور" المشتقة من "الطرب" ما يشير إلى ذلك شكلاً لأن تأثر هذا النوع مضموناً بالشعر الغنائي العربي أمر ثابت في جميع الأحوال.

٧- ومن عجائب الاستلهام الأدبي ما وجدناه عند القديس برناردوس كليرفو (Bernardus de Clairvaux) الراحل سنة ١١٥٣، وذلك في مديحياته الغنائية لمريم العذراء، التي يمدحها ويتغنى بحبه لها على طريقة المتصوفة الإسلاميين، وباستخدام قوالبهم الشعرية ومعانيهم الوجدانية، وذلك على الرغم من أنه كان "الواعظ الرسمي" للحملة الصليبية الثانية. فقد كان برناردوس كليرفو ذا نزعة صوفية وكان يعتبر سفر نشيد الإنشاد في العهد القديم المنسوب إلى سليمان عليه السلام أساساً للتصوف، فكتب عدة شروح له لا تزال حتى اليوم تُعدّ أساساً للمديحيات الغنائية لمريم البتول.^(١)

٣- صورة العربية في وعي ذلك الآخر التي نشأت عنده في أثناء التواصل الحضاري:

نختم دراستنا هذه بالنظر في صورة العربية وصورة آدابها التي تشكلت لدى الآخر، ذلك الآخر التي اقتحمت العربية وآدابها ميدانه الجغرافي والثقافي، أو ذلك الآخر الذي قصد العربية وعلومها وآدابها قصداً وذلك لصورة جمالية لها ولعلومها وآدابها تشكلت عنده عنها. ونقتصر هنا أيضاً على توصيف الصورة التي تكونت لدى اللغويين والأدباء اليهود في العصر العباسي، ولدى بعض المستعربين الهولنديين في القرن السابع عشر وما تلاه. وتدل هاتان الصورتان على صور مشابهة لدى أمم أخرى في أماكن أخرى وأزمنة أخرى.

(١) انظر حول هذه المديحيات الغنائية: Bernardus van Clairvaux 2021.

تعلّم اليهود قرض الشعر من العرب، وأدخل الشاعر اليهودي المستعرب دُناش بن لَبْرَاط (٩٢٠-٩٨٥) بحور الشعر العربي في اللغة العبرية ليؤسس بذلك تقليداً شعرياً يعده المؤرخون اليهود العصر الذهبي لأدابهم عمومًا وأشعارهم خصوصًا. وعلى الرغم من أن سفر المزامير وسفر نشيد الإنشاد في العهد القديم يحتويان على عناصر غنائية كثيرة، فإن محتوَاهما ليس شعراً. وقيمة كتاب العهد القديم الأدبية هي في بساطته وفي عفوية لغته وليس في صنعته الأدبية إذ لا صنعة أدبية تذكر فيه. ونظم الشعر كان أصلاً محرماً على اليهود، ولم يسمح لهم إلا بقرض الترنيمات الدينية التي كان منشدو "البيتانيم" الدينيين ينظمونها للإنشاد في الكنيس. وأول ما قرض اليهود شعراً في العبرية تناولوا فيه المواضيع الدنيوية كالغزل والمدح والثناء والهجاء كان بداية القرن العاشر الميلادي عندما استعار دُناش بن لبراط بحور الشعر العربية وأدخلها في العبرية فازدهر الشعر العبري وبلغ أوجه في الأندلس. ومن كبار شعراء هذه المدرسة: اسماعيل بن النغيلة (٩٩٣-١٠٥٦) الذي استوزره حبوس أحد ملوك الطوائف في الأندلس؛ وسليمان بن جبيرول (١٠٢١-١٠٥٨) ويهودا اللاوي (١٠٧٥-١١٤١) وإبراهيم بن عزرا (١٠٩٢-١١٦٧) وغيرهم. وقد أفرد موسى بن عزرا في كتابه "المحاضرة والمذاكرة" فصلاً كاملاً عنونه بـ "صناعة القريض العبراني على القانون العربي"^(١) يشرح فيه كيفية نظم الشعر العبري على البحور العربية.

وكان اليهود المستعربون يقرون بتفوق العرب في الشعر على جميع البشر. فقد أفرد موسى بن عزرا لذلك فصلاً كاملاً عنونه بما نصه: "كيف صار الشعر في ملة العرب طَبْعاً وفي سائر الملل تَطَبُّعاً؟"^(٢) ويعزو ابن عزرا جودة الشعر عند العرب إلى "سعة اللغة وفضل الخطاب". يقول: "ومع اقتدار هذه القبيلة [= العرب] على المقالة وسعة باعها في الخطاب، شنت الغارة على كثير من اللغات وعربتها وانتحلها بظهور الكلمة وعظم السلطان وغلبتها على ملك فارس بخراسان وعلى ملك الروم في الشام وعلى ملك

(١) انظر: موسى بن عزرا ٢٠١٣ صفحة ٢١٣-٢٩٩.

(٢) انظر: موسى بن عزرا ٢٠١٣ صفحة ١٠١-١١٩.

القبط في مصر. فاتسع نطاقها وفشت المعارف في أقطارها وآفاقها وترجمت جميع العلوم القديمة والحديثة وانتحلتها وزادتها شرحاً وبياناً؛ فما أُلِّفَ وترجمَ في ملة من العلوم ما أُلِّفَ وترجمَ في هذه الملة بما وهبت من سعة اللغة، ورزقت من فضل الخطاب".^(١) كما يعزرونوع مواضيع الشعر العربي إلى "الاقتدار على المقال". يقول: "وأما ملة العرب، فنظمت ونثرت في أكثر الأشياء وفي معظم فنون الدنيا من فضل ونقص ومدح وقبح ونقض وإبرام، وفي كل التشبيهات، وفي جميع المتضادات، بما أتاحه الله لها من طول اللسان وسعة البيان حتى أنها موّهت في تحسين القبيح وتقبيح الحسن، وصوّرت الباطل في صورة الحق، والكذب في صورة الصدق بالاقتدار على المقال".^(٢) ولعل في قوله "اقتدار هذه القبيلة" وكذلك "بما أتاحه الله لها من طول اللسان وسعة البيان" ما يشير بلحظ الغيب إلى مصطلح "شجاعة العربية" لابن جني!

وقد أخذ اليهود المستعربون، إلى جانب فن الشعر وعروضه، فنّ المقامات الأدبية عن العرب أيضاً فنظّموا مقامات بالعبرية برز فيها الأديب اليهودي يهودا الحريزي (الحريزي: بالزاي) الذي أطلق على مقاماته العبرية اسم "تَحْكُمُونِي" حاكى فيها الهمداني في مقاماته. يقول الحريزي في مقامة الشعر ما نصه: دعو כי השיר הנפלא היה בתהלה לבני ערב לנהלה. "اعلموا أن الشعر العجيب كان منذ البداية مُلكاً للعريب"! ويقول عن أشعار الأمم الأخرى: כל שיריהם לנגד שירי הישמעאלים לא לעזר ולא להועיל "إن أشعارهم ليست بشيء مقارنة بأشعار العرب".^(٣)

وعبر اللغوي اليهودي داود بن إبراهيم الفاسي (توفي قبل ١٠٢٦) في مقدمة معجمه العبري الكبير (كتاب جامع الألفاظ) عن محبوبحة العيش التي كان اليهود يتمتعون بها تحت الحكم العربي الإسلامي كما يلي: ומאת אלהינו היתה זאת כי הטא עלינו חסד לפני מלכות ישמעאל בעת אשר פשטה ידם ולכדו את הארץ הצבי מיד אדום ובאו ירושלים היו עמהם אנשים מבני ישראל

(١) انظر: موسى بن عزرا ٢٠١٣ صفحة ١١٢.

(٢) انظر: موسى بن عزرا ٢٠١٣ صفحة ٦٤.

(٣) انظر: Reichert V.E. 1973.

הראו להם מקום המקדש וישבו עמדם מאז ועד היום "ومن فضل الله علينا أن من علينا بنعمة [ألا وهي] قيام ملك إسماعيل [= العرب]؛ فعندما ظهر نجمهم وفتحوا فلسطين وحرروها من الأدوميين [= الروم] ودخلوا بيت المقدس، كان معهم نفر من بني إسرائيل دخلوا معهم وأروهم المكان المقدس [= الصخرة] واستقروا فيها [= القدس] منذ ذلك الوقت حتى يومنا هذا".^(١)

أما المستعرب الهولندي وليت صاحب المعجم العربي اللاتيني الشهير الذي صدر في لايدن هولندا سنة ١٧٨٤، فيقول في محاضرة له بعنوان "ذوق العرب الجمالي"، وبالأنحص عند حديثه عن أبي العلاء المعري الذي يعتبره رسّاماً بارعاً للطبيعة والمجتمع رغم كونه كفيفاً: Tanta est Ingenii! Tanta Phantasie Arabum! "انظروا أروع العرب، وما أعظم عبقريتهم"^(٢)

ونحن نجد مثل هذا الإعجاب أيضاً في كتابات كثير من المستعربين. فهذا المستشرق المجري الكبير إجناس جولدتسهر (١٨٥٠ - ١٩٢١) يقول في كتابه (تاريخ موجز للأدب العربي الكلاسيكي)، عند حديثه عن القرآن الكريم، وبالتحديد عند تعليقه على توصيف معظم الأدباء والنقاد للصور المكية بالإيجاز البليغ والشاعرية العالية والبلاغة المعجزة، وللصور المدنية بالنثرية والإسهاب والتفصيل لاختلاف السياقين، ما يلي: "وهذا لا يعني أن السور المدنية تخلو من الإبداع والجمال الشعري. إن أشهر آيتين في القرآن [الكريم] مدينتان. فأية الكرسي (سورة البقرة، ٢٥٦) هي أسمى تعبير عن القدرة الكلية لله في أية لغة كانت".^(٣) ويضيف: "وأية النور (سورة النور، ٣٥)، من جهة أخرى، هي أعمق وأوجز تصور صوفي عن الله في أية لغة كانت".^(٤)

(١) الفاسي، دواد بن إبراهيم ١٩٣٦-١٩٥٤، المجلد الأول، الصفحة ١١.

(٢) انظر: De Roos J. e. a. 1986، صفحة ٦٠.

(٣) انظر: Goldziher I. 1966، صفحة ٢٩. في الأصل: The Throne Verse 'āyat al-kursī, 2:256, is the most sublime expression of Gods omnipotence in any language.

(٤) انظر: Goldziher I. 1966، صفحة ٢٩. في الأصل: The Light Verse 'āyat al-nūr, 24:35, is, on the other hand, the most profound and concise mystic conception of God in any language.

ونختتم فصلنا هذا حول صورة العرب والعربية وآدابها في وعي ذلك الآخر التي نشأت عنده في أثناء التواصل الحضاري بقطعة من قصيدة عبرية طويلة لشاعر يهودي قُرَّائي من مصر هو موسى بن إبراهيم الدرعي (القرن الثاني عشر الميلادي) قرضها في مدح البديع في الشعر، عَنُونَهَا في ديوانه كما يلي: (ومما قلته أيضاً في تفضيل الشعر البديع وأربابه على القول السقيع السمج الركيك وأصحابه). تقع القصيدة في اثنين وخمسين بيتاً يمدح فيها موسى بن إبراهيم الدرعي قرض الشعر على مذاهب العرب عموماً وأهل البديع خصوصاً، ثم يفرد ثمانية أبياتٍ من القصيدة لمدح العرب بشكل خاص هي: ^(١)

וְכָבֵד גּוֹי אֲמֻנִים גּוֹי חֲמוּדוֹת / וְעַם בִּינוֹת וְאֲנָשֵׁי לֵב הַדּוֹרִים

אֲשֶׁר לָקְחוּ בְּמַדְעַ פִּי שָׁנִים / לְמַעַן הֵם בְּיָלְדֵי בֵּין בְּכוֹרִים

וּפְנוּ אֶת נְתִיב אוֹמֵר בְּפִיהֶם / וּבִשְׁפָתָם יִישְׁרוּ הַדּוֹרִים

וְשָׁמוּ כָּל חֲמוּדוֹת אֵישׁ וּמוֹמוֹ / בְּסִפְרֵיהֶם לְדוֹר וָדוֹר צְבוּרִים

צָרִי נִיכֶם מְחִיָּה לֵב נְדִיבִים / וַיּוֹמְתוּ הַנְּכָלִים בּוֹ עֲרִירִים

וְצוּר חֲרָבָם לְכָל כִּילֵי מַכָּלָה / וְחֲרָפְתּוֹ גְּלוּיָהָ בָּם לְדוֹרִים

וַיּוֹם יַעֲלֶה עֲשֵׁן אֶפֶס וְזַעַמָּם / בְּפִטְיֵשׁ שִׁיר יְפוּצָצוֹ הַרְרִים

וַיָּדַם תַּאֲחִזֵּז הָעֵט בְּרוֹמָחַ / לְהַדְקִיר סוּרְרֵי עַם בּוֹ וּמִמָּרִים

(١) ترجمت الأبيات ترجمةً حرفيةً نُثرا ثم نظمها لي شعراً الأستاذ أيمن تيسيرالنين مشكوراً.

وبعدها أمة جاءت لهم شرفٌ
حازوا نصيبين^(١) من فضل البيان فهم
قد مهدوا سبل التبيان في خطب
مازوا الفضائل إذ حازوا مجامعها
بيأنهم بلسم في الخير إن نطقوا
وسيف جودهم يفري الضنين فلا
ونار سخطتهم إن يغضبوا حرقت^(٢)
لهم سلاحان في تأديب شائنتهم
ذوو فضائل لا تخفى وأفهام^(٣)
من البلاغة خلوا مفرق الهام
تجلو العوائق عن مرآة إفهام
فعلموها لأجيال وأقوام
سيف على الشرصت جلف إفحام
يعفيه من ذلة الآباد والذام
هام الجبال ونالها بتحطام^(٤)
نعم السلاحان من رُمح وأقلام!

خاتمة:

لاحظنا فيما تقدم أن اللغة العربية واحدة من أربع لغات أثرت تأثيراً واضحاً في التراث اللغوي والأدبي والعلمي والمعرفي للغات وآداب وثقافات كثيرة اقتصرنا في هذه الدراسة على ذكر مركزية اللغة العربية وتأثير آدابها في التراث اللغوي العبري والغربي وكذلك في الدراسات اللغوية للغات الجزيرية.

وأظهرت الدراسة أيضاً أنه كان للعربية عبر تاريخها المديد دور مفصلي في تشكيل لغات وآداب وتراث لغوي للغات إسلامية كثيرة منها التركية والفارسية وغيرهما، ولغات غير إسلامية كالإسبانية والعبرية وغيرهما. كما ساهمت في تطوير العربية وإثرائها

(١) سفر أشعيا ٢: ٢٦: «فَتَحُوا الْأَبْوَابَ لِتَدْخُلَ الْأُمَّةُ الْبَارَّةُ الْحَافِظَةُ الْأَمَانَةَ.

(٢) سفر الاشتراع ٢١: ١٧: يقصد إسماعيل عليه السلام الذي حصل على نصيب اثنين لبكوريته لأبيه إبراهيم عليه السلام: "بَلْ يَعْرِفُ ابْنُ الْمَكْرُوهَةِ بَكْرًا لِيُعْطِيَهُ نَصِيبَ اثْنَيْنِ مِنْ كُلِّ مَا يَوْجَدُ عِنْدَهُ، لِأَنَّهُ هُوَ أَوَّلُ قُدْرَتِهِ. لَهُ حَقُّ الْبِكُورِيَّةِ". فالبكر عند اليهود يرث نصيبين: النصيب الأول حصته من إرث أبيه والنصيب الثاني لأنه بكر.

(٣) سفر المزامير ٩: ١٨: "صَعِدَ دُخَانٌ مِنْ أَنْفِهِ، وَنَارٌ مِنْ فَمِهِ أَكَلَتْ".

(٤) سفر أرمياء ٢٩: ٢٣: "أَلَيْسَتْ هَكَذَا كَلِمَتِي كُنَّارٍ، يَقُولُ الرَّبُّ، وَكَمْطَرَقَةٌ تَحْطُمُ الصَّخْرَ؟"

وتمكنها شعوبٌ إسلامية كثيرة كالفرس والهنود والأتراك والأمازيغ مما يدل على الطابع العالمي للغة العربية الذي تبوأته العربية بفضل قدراتها الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية وثنائها وشجاعتها وإقدامها على اقتحام ميادين لغوية وأدبية ومعرفية وحضارية كثيرة.

ودلّلنا على بعض من مركزية العربية وعلومها وآدابها أيضاً باستعارة اليهود والسريان وغيرهم منهج الخليل وسيبويه في الدراسات اللغوية وتطبيقه على لغاتهم، وكذلك استعارة اليهود عروض الخليل وتوظيفها في قرص شعر موزون ببحور الشعر هو الأول من نوعه في تراثهم الأدبي. ثم شاهدنا كيف وظّف أحبار اليهود ولغويوهم الذين أوتوا نصيباً كبيراً من الثقافتين العربية واليهودية القرابة اللغوية بين العربية والعبرية في تطوير الدراسات اللغوية العبرية من جهة وشرح ما استعجم عليهم معناه من التوراة وسائر أسفار العهد القديم من جهة أخرى.

المصادر والمراجع

١- المراجع العربية

- ابن برون (١٨٩٠). أبو إبراهيم إسحاق بن برون، "كتاب الموازنة بين اللغة العبرانية واللغة العربية". تحقيق ب. كوكوفزوف، سنت بطرسبورغ (لينينغراد).
- ابن جني، أبو الفتح عثمان (١٩٥٢). الخصائص. تحقيق محمد علي النجار. ٣ مجلدات. بيروت: دار الهدى للطباعة والنشر.
- ابن حزم الأندلسي (١٩٢٩). الإحكام في أصول الأحكام. تحقيق أحمد شاكر. مجلدان. بيروت: دار الآفاق الجديدة.
- ابن منظور (بلا تاريخ). لسان العرب. ١٥ مجلدًا. بيروت، دار صادر.
- ترجمة فانديك = الكتاب المقدس أي كتب العهد القديم والعهد الجديد، وقد ترجم من اللغات الأصلية وهي اللغة العبرانية واللغة الكلدانية واللغة اليونانية. انتشر على يد جمعية التوراة البريطانية والأجنبية. طبع في بريطانيا العظمى. بلا تاريخ. الموقع الرقمي: [الكتاب المقدس باللغة العربية، فان دايك \(ebible.org\)](http://ebible.org).
- جعفر هادي حسن (١٩٨٩). فرقة القرائين اليهود. بيروت / لندن، مؤسسة الفجر.
- حتي، فيليب (١٩٥٨). تاريخ العرب. الطبعة السادسة. نيويورك.
- الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني (١٩٩٠). صفة جزيرة العرب. تحقيق محمد بن علي الأكوع الحوالي. صنعاء: مكتبة الإرشاد.
- حيوج، يحيى بن داود (١٨٩٧). كتاب الأفعال ذوات حروف اللين وكتاب الأفعال ذوات المثليين. تحقيق م. ياسترو، لايدن.
- داود، أقليميس يوسف (١٨٩٦). اللمعة الشهية في نحو اللغة السريانية. الموصل: مطبعة دير الآباء الدومنيكيين.

سارطون، جورج (٢٠١٠). مدخل لتاريخ العلم. عصر الحضارة الإسلامية. ترجمة د. أحمد الليثي. الرياض: دار السيد.

سعيد بن يوسف الفيومي (١٨٩٣-١٨٩٩). تفسير التوراة بالعربية. تحقيق يوسف ديرنبورغ. باريس. الكتاب مطبوع بالعنواني التالي: Derenbourg Joseph (1893-1899). Œuvres Complètes de R. Saadia Ben Iosef Al-Fayyumi. Paris. Ernest Leroux, éditeur

سعيد بن يوسف الفيومي (١٩٥٨). كتاب السبعين (أو الثمانين) لفظة المفردة. تحقيق ل. ألونوي. القدس. (الكتاب مطبوع باللغة العربية بأحرف عبرية ضمن مجموعة من الكتب التي نشرت في ذكرى رحيل المستشرق اليهودي إسحاق يهوذا جولدزيهر، ظهرت بالعنوان التالي: ספר זכרון לדבדוד יצחק יהודה גולדזיהר. ירושלים תש"ח).

عبدالرحمن السليمان (٢٠٢١). الترجمة القانونية والدينية وتكنولوجيا الترجمة. جامعة الملك عبدالعزيز. مركز التميز البحثي في اللغة العربية. سلسلة برنامج الأولويات البحثية رقم ٦. جدة، المملكة العربية السعودية.

عبدالرحمن السليمان (٢٠١٩). دراسات في اللغة والتأثيل والمصطلح. إريد: عالم الكتب الحديث.

عبدالرحمن السليمان (٢٠١٦). في ضرورة توظيف علم اللغة المقارن في تأليف المعجم التاريخي للغة العربية. صدرت في: منتصر أمين عبدالرحيم وخالد اليعبودي (٢٠١٦). المعجم التاريخي للغة العربية، رؤى وملاحم. مركز الملك عبدالله بن عبدالعزيز الدولي لخدمة اللغة العربية. سلسلة مباحث لغوية رقم ٢٥. الصفحة ١٢٣-١٥٧.

الفاصي، دود بن إبراهيم (١٩٣٦-١٩٥٤). كتاب جامع الألفاظ. تحقيق س. ل. سكوس في مجلدين. نيوهافن.

محمد بن سلام الجمحي (١٩٨٠). طبقات فحول الشعراء. تحقيق محمود شاكر. مجلدان. جدة: دار النشر المدني.

مروان بن جناح (٢٠٢١). كتاب اللمع. تحقيق مولاي المامون المريني. مراكش: دار آفاق.

مروان بن جناح (١٨٧٥). كتاب الأصول. الكتاب مطبوع بالعنوان التالي: The Book of Hebrew Roots by Abu'L-Walid Marwan Ibn Janah, Called Rabbi Jonah. Published by Adolf Neubauer. Oxford, 1875. Amsterdam, 1968

مروان بن جناح (١٨٦٦). كتاب اللمع. الكتاب مطبوع بالعنوان التالي: Le Livre des Parterres Fleuris d'Aboul'l-Walid Merwan Ibn Djanah de Cordoue. Publiée par: Joseph Derenbourg. Paris, 1886

موسى بن عزرا (٢٠١٣). كتاب المحاضرة والمذاكرة. تحقيق أحمد شحلان والسعيدية المنتصر. الرياض، مطبعة الرسالة.

يهودا بن قريش (١٨٥٧). الرسالة. الكتاب مطبوع بالعنوان التالي: Bargès, Jean Joseph: Léandre et Dov Ben Alexander Goldberg: "Rabbi yahuda ben koreisch, Epistola de studii Targum utilitate, B.Duprat et A.Maisonnewe, 1857, Paris

٢-المراجع الأجنبية

- Alsulaiman A., Allaithy A. (Eds.) (2019). Handbook of Terminology. Volume 2: Terminology in the Arab world. (Handbook of Terminology). Amsterdam: John Benjamins Publishing Company.
- Barr, J. (1968). Comparative Philology and the Text of the Old Testament. Oxford: Oxford University Press.
- Bennett, R. P. (1998). Comparative Semitic Linguistics: A Manual. Eisenbrauns.
- Bergsträsser, G. (1995). Introduction to the Semitic Languages: Text Specimens and Grammatical Sketches. Translated by Daniels P.T. Eisenbrauns.
- Bernardus van Clairvaux (2021). Bruiloft I. Preken op het Hooglied 1-23, vertaling Wim Verbaal en Nico Visser. Eindhoven: Damon.
- Bowersock, G. W. (1994). Roman Arabia. Harvard: Harvard University Press.
- Brockelmann C. (1913). Grundriss der vergleichenden Grammatik der semitischen Sprachen. 2 vols. Berlin, Reutherand Reichard.



- De Lacy, O. (1923). *Comparative Grammar Of The Semitic Languages*. London, Trubner's Oriental Series.
- De Roos J. e.a. (1986). *Driehonderd Jaar Oosterse Talen in Amsterdam*. Amsterdam.
- Goldziher I. (1966). *A short History of of Classical Arabic Literature*. Translated ... by Joseph Desomogyi. Hildesheim: Georg Olms Verlagsbuchhandlung.
- Haywood J.A. (1960). *Arabic lexicography: its history, and its place in the general history of lexicography*. Leiden: Brill.
- Kahle, P. (1966). *Masoreten des Ostens*. Leipzig, 1966.
- Merx A. (1889). *Historia artis grammaticae apud Syros*. Leipzig.
- Moscatti S. (1964). *An Introduction to the Comparative Grammar of the Semitic Languages. Phonology and Morphology*. Wiesbaden, Otto Harrassowitz.
- Nöldeke, Th. (1982). *Beiträge und neue Beiträge zur semitischen Sprachwissenschaft*. Neudruck. Amsterdam, APA – Philo Press.
- Pirenne J. (1958). *A la découverte de l'Arabie, cinq siècles de science et d'aventure*. Paris: Le livre Contemporain
- Prijs, L. (1950). *Die grammatikalische Terminologie des Abraham Ibn Ezra*. Basel.
- Reichert V.E. (1973). *The Tahkemoni of Judah al-Harizi*. Jeruzalem: Cohen Publishers.
- Sáenz-Badillos A. & Targarona Borrás J. (1988). *Grammaticos Hebreos de Al-Andalus (Siglos X-XII)*. Filología y Biblia. Córdoba: Ediciones El Almendro.
- Versteegh K. & Schippers A. (1987). *Het Arabisch. Norm en realiteit*. Muiderberg.
- Watt, W.M. & Cachia P. (1996). *A History of Islamic Spain*. Second edition. Edinburgh: Edinburgh University Press.
- Wenckebach J.C. (1845) (ed.). *Drie redevoeringen van Hendrik Albert Schultens*. Leeuwarden.
- Wright, W. & Smith W. (2002). *Lectures on the Comparative Grammar of the Semitic Languages*. Cambridge University Press 1890. Reprint.



شجاعة العربية في الخطاب السردي: تنوع الأنماط اللغوية وإثراء المعجم المعاصر

د. مصطفى يوسف عبدالحى

باحث أول أستاذ مشارك بمجمع اللغة العربية - القاهرة

الملخص:

تتناول هذه الدراسة موضوع (شجاعة العربية في الخطاب السردي: تنوع الأنماط اللغوية وإثراء المعجم المعاصر)؛ حيث تعرض الدراسة بعض الألفاظ والتراكيب والأساليب الشائعة في الاستعمال الروائي مما لم يسجلها المعجم العربي المعاصر، على الرغم من فصاحتها.

وتهدف الدراسة إلى الكشف عن شجاعة العربية في الخطاب السردي المعاصر؛ فلعنة الرواية تمثل بناءً له خصائصه وسماته اللغوية التي يمتاز بها عن غيره من لغات الفنون الأخرى؛ فهي تحاكي الواقع اللغوي المعيش في بيئة بعينها؛ لذلك تظل رافداً محورياً في إثراء المعجم العربي المعاصر بالعديد من الألفاظ والتراكيب والأساليب.

وقد اختارت الدراسة روايتي: (أيام بغداد) لخليل الجيزاوي، و(نار المرخ) لعواض العصيمي، واتبعت المنهج الوصفي القائم على الاستقراء والتصنيف والتحليل، وعقدت الدراسة مقارنة بين ما استخلصته من ألفاظ وتراكيب وأساليب وما ورد في معجمي اللغة العربية المعاصرة، والمعجم الوسيط.

وقد حاولت الدراسة الإجابة عن تساؤلاتٍ، منها:

- ١- ما مدى ملائمة ما ينتجه السرد الروائي المعاصر من ألفاظ وتراكيب وأساليب للتسجيل في بنية المعجم العربي المعاصر؟



٢- هل يمكن للسرد الروائي أن يكون رافداً مهماً لإثراء المعجم العربي المعاصر بالعديد من الألفاظ والتراكيب والأساليب التي لا تجافي منطق اللغة السليم؟

وقد جاءت الدراسة في مقدمة، وأربعة مباحث، وخاتمة، وقائمة المصادر والمراجع، المبحث الأول: (الألفاظ الجديدة المستقاة من لغة السرد الروائي)، المبحث الثاني: (التراكيب المستقاة من لغة السرد الروائي)، المبحث الثالث: (الأساليب المستقاة من لغة السرد الروائي)، المبحث الرابع: (الألفاظ الأعجمية المستقاة من لغة السرد الروائي).

وقد خلاص البحث إلى جملة من النتائج والتوصيات؛ منها:

١- قدرة السرد الروائي على التجديد في بنية العربية وإثرائها بما لا يخالف منطق اللغة السليم.

٢- ضرورة تنبيه صنّاع المعاجم المعاصرة إلى جمع اللغة من الأعمال الروائية، وبيان الجدير منها بالتسجيل في المعجم العربي المعاصر، من حيث توافر عناصر الصحة اللغوية والشيوع.

الكلمات المفتاحية: الأبنية - الأساليب - الألفاظ - التراكيب - السرد الروائي - شجاعة العربية - المعجم المعاصر.



مقدمة:

إذا كان ابن جني (ت ٣٩٢ هـ) قد حدّد مظاهر شجاعة العربية في ظواهر:

١- الحذف.

٢- الزيادة.

٣- التقديم والتأخير.

٤- الحمل على المعنى.

٥- التحريف^(١)

— فإن السؤال الذي يطرح نفسه هل تقتصر مظاهر شجاعة العربية على ما حدده ابن جني فحسب؟ وللإجابة عن هذا السؤال فإنني أرى أن مظاهر شجاعة العربية أكثر من أن تُحصَى أو تُعدّ، ربما اقتصر ابن جني على هذه المظاهر الخمسة؛ لأنه قد استقرأها من نصوص العربية المتوافرة لديه آنذاك، لكن يتتبع هذا المصطلح في القرون المتتالية فإننا نجد أن عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١ هـ) قد أشار إلى شجاعة العربية من وجهة نظر بلاغية - وإن لم ينصّ على المصطلح نفسه - حيث عني بذلك تميز العربية بخصيصة التقديم والتأخير؛ فيقول: "باب كثير الفوائد، جَمُّ المَحاسن، واسعُ التصرُّف، بعيدُ الغاية، لا يزالُ يَفْتَرُّ لك عن بديعة، ويُفْضي بك إلى لطيفة، ولا تزال ترى شعراً يروِّقُك مسمَّعه، ويلطِّف لديك موقعه، ثم تنظرُ فتجدُ سبباً أن راقك ولطفَ عندك، أن قدَّم فيه شيء، وحوّل اللفظُ عن مكانٍ إلى مكانٍ"^(٢).

(١) يُنظر: الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني ت ٣٩٢ هـ، تحقيق: محمد علي النجار، الطبعة الرابعة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٩م، ٣٦٢/٢، وما بعدها.

(٢) دلائل الإعجاز، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار ت: ٤٧١ هـ، تحقيق: محمود محمد شاكر، الطبعة الثالثة، مطبعة المدني بالقاهرة، ودار المدني بمكة، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م، ص: ١٠٦.

كما نجد ضياء الدين ابن الأثير (ت ٦٣٧هـ) قد أشار إلى مصطلح شجاعة العربية، ونص عليه صراحة، ولكنه قصد به الالتفات في علم البيان، وهو الانتقال من خطاب حاضر إلى خطاب غائب، أو من خطاب غائب إلى خطاب حاضر، أو من فعل ماض إلى فعل مستقبل، أو من فعل مستقبل إلى فعل ماض... إلخ^(١).

وبذلك فإن مظاهر شجاعة العربية غير مقتصرة على ما حدده ابن جني، بل إنني أستطيع القول: إن مظاهر شجاعة العربية تتسع لتشمل قدرة السرد الروائي على رصد ألفاظ وتراكيب وأساليب جديدة من لغة الناس المستعملة في أحاديثهم اليومية، وفي مناحي شؤون حياتهم كافة، وتقبُّل القارئ لها، وعدم نفوره منها، إضافة إلى ذلك فإن مثل هذه الألفاظ والأساليب والتراكيب لا يقوم مقامها غيرها من الألفاظ والأساليب والتراكيب في المعاجم العربية؛ لذلك تصبح الحاجة إليها ماسة لإضافتها إلى بنية المعجم العربي المعاصر.

إن لغة الرواية تمثل بناءً لغوياً له خصائصه وسماته اللغوية التي يمتاز بها عن غيره من لغات الفنون الأخرى كالشعر والنثر؛ حيث يصدر الروائي في كتابته عن ثقافته وبيئته التي يجيا بها؛ لذلك تأتي - غالباً - لغة الرواية لتحاكي واقعاً لغوياً معيماً في بيئة لغوية بعينها؛ ومن ثم فإن لغة الرواية تظل رافداً محورياً في إثراء المعجم العربي الحديث بالعديد من الألفاظ والتراكيب والأساليب. ويتأمل هذه المادة اللغوية التي يمكن أن يضيفها السرد الروائي للمعجم العربي المعاصر نجد أنها تتميز بالصحة اللغوية والدلالية، وكذلك الشيوخ، وأيضاً عدم مجافاة الذوق اللغوي السليم.

ومن هنا تأتي أهمية هذا البحث في الإجابة عن الأسئلة الآتية:

١- هل تقتصر مظاهر شجاعة العربية على ما حدده ابن جني فحسب؟

(١) يُنظر: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين ابن الأثير ٦٣٧هـ، تحقيق: أحمد الحوفي، ويدوي طباعة، د. ط، دار نهضة مصر، القاهرة، القسم الثاني، د. ت، ص: ١٦٨، وما بعدها.

- ٢- ما الوسائل اللغوية الحديثة التي يمكن أن تثري مادة المعجم العربي المعاصر؟
- ٣- هل يقوم صنّاع المعاجم اللغوية الحديثة - أفراداً ومؤسسات - بجمع اللغة المنطوقة المستعملة من الناس منتجي هذه اللغة؟
- ٤- ما مدى ملاءمة ما ينتجه السرد الروائى المعاصر من ألفاظ وتراكيب وأساليب للتسجيل في بنية المعجم العربي المعاصر؟
- ٥- هل يمكن للسرد الروائى أن يكون رافداً مهماً لإثراء المعجم العربي المعاصر بالعديد من الألفاظ والتراكيب والأساليب التي لاتجافى منطق اللغة السليم؟

منهج الدراسة:

اعتمدت هذه الدراسة المنهج الوصفى القائم على الوصف والتحليل والتصنيف والاستنباط؛ حيث استقرت روايتي "أيام بغداد" للروائي المصري خليل الجيزاوي، و"نار المرخ" للروائي السعودي عواض العصيمي، واستخلصت جملة من الألفاظ والتراكيب والأساليب، وعقدت مقارنة بين معجم اللغة العربية المعاصرة الصادر عام ٢٠٠٨م، وركّزت فيه على مادة التراكيب والأساليب اللغوية، والمعجم الوسيط، الطبعة الخامسة الصادرة عام ٢٠٢١م، وركّزت فيه على مادة الألفاظ، ثم قمت بتصنيف هذه الألفاظ والتراكيب والأساليب وتحليلها، وبيّنت أنها جديرة بالإضافة إلى بنية المعجم العربي المعاصر.

عينة الدراسة:

اختارت الدراسة روايتي: (أيام بغداد) للروائي المصري خليل الجيزاوي، و(نار المرخ) للروائي السعودي عواض العصيمي؛ بوصفهما يمثلان بيئتين لهجيتين متباينتين، مع الإشارة إلى أن رواية (أيام بغداد) قد أشارت أيضاً إلى اللهجة العراقية؛ لسفر بطل الرواية إلى العمل في العراق.



وقد انتظم البحث في مقدمة، وأربعة مباحث، يمكن بيانها على النحو الآتي:

المبحث الأول: الألفاظ المستقاة من لغة السرد الروائي.

المبحث الثاني: التراكيب المستقاة من لغة السرد الروائي.

المبحث الثالث: الأساليب المستقاة من لغة السرد الروائي.

المبحث الرابع: الألفاظ الأعجمية المستقاة من لغة السرد الروائي.



المبحث الأول الألفاظ المستقاة من لغة السرد الروائي:

أحاول في هذا المبحث عرض عدد من الألفاظ التي وردت في لغة السرد الروائي بمعانٍ غير مرصودة في مادة المعجم الوسيط (الطبعة المُحدّثة والمزيدة، ٢٠٢١م)، وبيان مسوّغات إضافتها لمادة المعجم العربي المعاصر. وقد قسّمت هذه المبحث إلى ثلاثة مطالب:

المطلب الأول الأفعال:

اتسمت كثير من الأفعال التي رصدتها لغة الرواية المعاصرة بعدة خصائص؛ منها:

- ١- رصد استعمالات لهجية صحيحة اشتقاقاً ودلالةً.
- ٢- تفصيح العامية بما لا يخالف بنية الكلام العربي الصحيح.
- ٣- خروج المعنى الأصلي إلى دائرة الكناية والمجاز.
- ٤- قياسية اشتقاق صيغة صرفية من صيغة صرفية أخرى؛ كقياسية اشتقاق (فَعَلَ) من (فَعَلَّ).
- ٥- الميل إلى إبدال عين الكلمة (سواء أكانت واوًا أم ياءً) همزة. ويمكن بيان ذلك على النحو الآتي^(١):

١- دَكَّكَ الشَّيْءُ / تَدَكِّيكًا: يقول الجيزاوي: "نبدأ في تركيب المواسير البلاستيكية وتدكيك أسلاك الكهرباء الداخلية"^(٢). لم يرد الفعل "دَكَّكَ" في المعجم الوسيط، ولكن جاء في معجم اللغة العربية المعاصرة: "دَكَّكَ السَّرْوَالُ: أَدْخَلَ فِي أَعْلَاهُ التَّكَّةَ"^(٣). وقد انتقلت دلالة الفعل من الدلالة على إدخال التَّكَّةَ في

(١) رُتِبَتِ الأفعال ترتيباً ألفبائياً؛ فإن ورد المثال بصيغة أحد المشتقات بدأت بالفعل ثم المشتق منه الوارد في لغة السرد الروائي.

(٢) أيام بغداد، خليل الجيزاوي، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٢٠م، ص: ٢٩.

(٣) معجم اللغة العربية المعاصرة، د. أحمد مختار عمر، بمساعدة فريق عمل، الطبعة الأولى، عالم الكتب، القاهرة، ٢٠٠٨م، د ك ك، ١ / ٧٥٩.

أعلى السُّروال، إلى إدخال (أو نظم) أسلاك الكهرباء في القنوات الخاصة بها. والفعل (دَكَّكَ) بمعناه الشائع في لهجاتنا المحلية - خاصة في لهجة الحرفيين والفنيين - حري أن يسجله المعجم الوسيط.

٢- رَكَنَ الشَّيْءُ / المَرْكُونَةُ: يقول العصيمي: "ثم أخرج من أحد الصناديق الخشبية المَرْكُونَةُ في الخارج بجوار المدخل أفعى من نوع كوبرا سوداء تتلوى محتاجة"^(١). ورد الفعل "رَكَنَ" في المعجم الوسيط: "رَكَنَ إليه رَكْنًا، ورُكُونًا: مال إليه وسكن. -و- اعتمدَ عليه"^(٢)؛ والمعنى اللهجي: رَكَنَ الشَّيْءُ: صَفَّه في صَفٍّ أو رُكْنٍ ما. يقال: رَكَنَ سيارته. ويلاحظ أن اللغة المحكية أخذت من (رَكَنَ الشَّيْءُ) - أي جانبه - الفعل (رَكَنَ الشَّيْءُ)، ويُقصد به: وضعه في رُكْنٍ من الأركان لترتيب الأشياء، ثم عُمِّم للدلالة على التنضيد. وقد يُقصد بوضع الشيء في رُكْنٍ تركه أو إهماله، فنقول: رَكَنَ حقائبه القديمة؛ ثم عُمِّم هذا المعنى أيضًا لمطلق إهمال الشيء وتركه والتغافل عنه. ويمكن تسويغه بتضمين الفعل "رَكَنَ" المتعدي معنى الفعل "صَفَّ". وقد أصدر مجمع اللغة العربية بالقاهرة القرار الآتي: "التضمين أن يؤدِّي فعل أو ما في معناه في التعبير مؤدَّى فعل آخر أو ما في معناه فيُعْطى حكمه في التعدية وال لزوم..."^(٣).

٣- شَذَّبَ الفكرة: يقول العصيمي: "هذه الخبرة في تشذيب الفكرة تمنحه قبل أن يتكلم فضول من جاء خصيصًا ليفكر فيما يقول"^(٤). ورد الفعل "شَذَّبَ" في المعجم الوسيط بمعنى: "شَذَّبَ اللحاء، والعود، والشَّجَر: شَذَّبَهَا (قَسَرَهَا). -و- الشَّيْءُ: فَرَّقَهُ ومَرَّقَهُ. يقال: شَذَّبَ المال"^(٥). والمعنى الذي أوردته لغة

(١) نارالمخ، عواض العصيمي، الطبعة الأولى، دارمدارك للنشر، الرياض، السعودية، ٢٠٢١م، ص: ٤٢.

(٢) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، الطبعة الخامسة طبعة محدثة ومزودة، طُبع بمطابع دار التحرير للطبع والنشر، القاهرة، ٢٠٢١م، رك ن، ١/ ٥٩٤.

(٣) مجموعة القرارات العلمية في خمسين عامًا ١٩٣٤-١٩٨٤، مجمع اللغة العربية، الطبعة الأولى، طُبع بالهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، ١٩٨٤م، ص ٦.

(٤) نارالمخ، ص: ٢٤.

(٥) المعجم الوسيط، ش ذ ب، ١/ ٧٥٩.

السرد الروائي: هذَّبها وأصلَحها - تغيير دلالي مقبول بنقل مجال الدلالة من مجرد قشر اللحاء والعود والشجر - وهو معنى حسي - إلى مجال دلالي آخر؛ حيث تهذيب الفكرة وإصلاحها وطرحها بصورة تجعلها موضع قبول لدى متلقيها، وهو معنى معنوي.

٤- **طَلَعَ الشَّيْءُ**: يقول الجيزاوي: "دفعت مصاريف الكلية، و**طَلَعَت** الكارنيه الجديد"^(١). يشيع الفعل "طَلَعَ" متعدداً في بعض اللهجات العربية المعاصرة - خاصة اللهجة المصرية - بمعنى: استخرج؛ فيقال: **طَلَعَت** رخصة القيادة، و**طَلَعَت** جواز السفر... وهكذا. وقد ورد الفعل في المعجم الوسيط بمعنى: "طَلَعَ الكوكبُ يَطْلُعُ طُلُوعاً: بدا وظَهَرَ من عُلُوٍّ. و- النَّحْلُ: خَرَجَ طَلْعُهُ. و- الزَّرْعُ: بدأ نباته يظهر"^(٢)، ولكن لم يورد معجم اللغة العربية المعاصرة الفعل. ويمكن تسويغ الفعل "طَلَعَ الشَّيْءُ" بمعنى استخرجه، أو خَرَجَهُ؛ استناداً إلى قياسية مجيء "فَعَلَ" من "فَعَّلَ". وقد أصدر مجمع اللغة العربية بالقاهرة في دورته الحادية عشرة قراره الآتي: "لما كان نقل المجرى الثلاثي إلى صيغة فَعَّلَ يفيد معنى التعدية أو التكرير أو النسبة أو السلب أو اتخاذ الفعل من الاسم يرى أنه يجوز استعمال هذه الصيغة ليؤدي الفعل أحد هذه المعاني عندما تدعو الحاجة إلى تأديته"^(٣)؛ وبناء على هذا القرار فقد وافق المجمع على صحة الألفاظ المستعملة الآتية: "خَدَّرَ، خَضَّرَ، وَرَدَّ، شَخَّصَ، جَسَّم، حَلَّلَ، شَرَّعَ"^(٤).

(١) أيام بغداد، ص: ٢٣١.

(٢) المعجم الوسيط، ط ٢، ٨٠٩/٢.

(٣) مجموعة القرارات العلمية في خمسين عاماً، ص ٩٢.

(٤) جهود مجمع اللغة العربية بالقاهرة في دراسة العربية المعاصرة، عمر محمد سعيد زايد، رسالة دكتوراه مخطوطة بكلية دارالعلوم جامعة القاهرة، إشراف أ. د. محمد حسن عبدالعزيز، نوقشت عام ١٩٩١م، ص ٢١٩.

(٥) لمزيد من التفصيل حول هذا الفعل واستعمالاته اللغوية يُنظر: ظواهر لغوية في المعجمية العربية، د. مصطفى يوسف، الطبعة الأولى، دار النابغة، القاهرة، ٢٠٢٤م، ص: ١٤٤.

٥- **فَرَفَرَ / يُفَرِّقُ**: يقول الجيزاوي: "أمطرته بالقبلات، وهو يُفَرِّقُ بين يديها" ^(١). ورد الفعل "فَرَفَرَ" في المعاجم بمعانٍ حسية؛ فقد جاء في المعجم الوسيط: "فَرَفَرَ: أَسْرَعَ وَقَارَبَ الْخَطَوَ. وَ- نَقَضَ جَسَدَهُ" ^(٢). أما المعنى الذي سجّله لغة الرواية فهو معنى كنائي، وكأن من كانت هذه حاله فهو أشبه بالطائر الذي ينفض جسده. ولا مانع أن يكون الاستعمال في الرواية حسياً وهو انتفاض الجسد.

٦- **قَمَّلَ / تَقْفِيلاً**: يقول الجيزاوي: "لنبدأ في تركيب المواسير البلاستيكية... وتقفيل علبة الكهرباء" ^(٣). المعنى اللهجي الجديد للفعل "قَمَّلَ" بمعنى أنجز تركيب الأسلاك وإنهائها داخل العلب الكهربائية. وقد ورد في المعجم الوسيط: "قَمَّلَ الأبوابَ: غَلَقَهَا" ^(٤). ومجيء "فَعَلَ" من "فَعَلَ" قياسي. (يُنظر: طَلَعَ الشَّيْءَ).

٧- **كَبَسَ الحُلْمَ الثقيلُ على فلان**: يقول العصيمي: "أحلام ثقيلة تَكْبَسُ عليه في الليل وتدهمه في الضحى إذا نام" ^(٥). هذا المعنى الذي أورده الرواية المعاصرة: **كَبَسَ الحُلْمَ على فلان**: جَثَمَ وَأَثْقَلَهُ - ليس ببعيد عن معاني الفعل "كَبَسَ"؛ فقد جاء في المعجم الوسيط: "كَبَسَ الشَّيْءَ: ضَغَطَهُ. وَ- دَارَ فلان: هَجَمَ عليها واحتاط بها. ويقال: كَبَسَ على القوم" ^(٦). ويمكن قبول المعنى الروائي بنقل الدلالة أو توسيعها، أو بالاشتقاق من اسم الذات "الكابوس"، وهو: حُلْمٌ مُفْزِعٌ يراه النَّائمُ لا يقدِرُ معه أن يتحرك. وهو: الجائِومُ ^(٧). ويؤيد ذلك ما ورد في (جمهرة اللغة): والكَبْسُ: كَبْسُكَ الشَّيْءَ بِثَرَابٍ أَوْ غَيْرِهِ... والكِبَاسَة: العِدْقُ وَرُبَمَا سُمِّيَ هَذَا الَّذِي يَقَعُ عَلَى النَّائِمِ الكابوس وأحسبه مولداً" ^(٨).

(١) أيام بغداد، ص: ١٦٨.

(٢) المعجم الوسيط، ف ر ف ر، ١٠٧٨/٢.

(٣) أيام بغداد، ص: ٢٩.

(٤) المعجم الوسيط، ق ف ل، ١١٨٤/٢.

(٥) نار المخ، ص: ١٥.

(٦) المعجم الوسيط، ك ب س، ١٢١٩/٢.

(٧) المعجم الوسيط، ك ب س، ١٢١٩/٢.

(٨) جمهرة اللغة، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي ت: ٣٢١هـ، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، الطبعة الأولى، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ١٩٨٧م، ك ب س، ٣٣٩/١.

٨- لَمْ الشَّمْل: يقول العصيمي: "لَمْ الشَّمْل واجتماع الحملولة وانتهاء القطيعة وانطفاء الفتنة"^(١). جاء في المعجم الوسيط: "لَمْ الشَّيْء: جَمَعَهُ جَمْعًا شَدِيدًا. ويقال: لَمْ الله شَعَثَهُ: جَمَعَ ما تَفَرَّقَ من أموره وأصلحه"^(٢). انتقل معنى الفعل بالتغير الدلالي من دلالة جمع الشيء، وإصلاح الله أمور العبد وجمع ما تفرَّق منها- إلى دلالة التآخي والتآزر والتكاتف بين أولئك الناس الذين فرقت بينهم القطيعة والتدابير والتشاحن. وهو نقل للدلالة من مجال دلالي إلى مجال دلالي آخر. ويؤكد ذلك ما ورد في (تكملة المعاجم العربية): "لَمْ الشَّمْل: المعنى الحرفي جمع المتفرق، ثم أصبح المعنى قيام الفرصة ل لقاء أحد الناس، كما في المثل: إن لقيتها قطع إزارها. قال: الدورة على لَمْ الشَّمْل"^(٣).

٩- هَرَشَ فلانٌ كذا: يقول الجيزاوي: "سكت المعلم لحظةً، وهَرَشَ مؤخرَةً رأسه"^(٤). يشيع الفعل "هَرَشَ" في اللهجة المصرية المحكية، وقد سجلته لغة السرد الروائي، والمعنى: حَكَّ موضعًا ما في جسده. وقد أجاز مجمع اللغة العربية بالقاهرة لفظي "الهَرَشَ" بمعنى: حَكَّ الجِلْد وإزالة الدَّرَن عنه"، و"الهَرَاشة" للآلة التي تُستخدم في ذلك، وقد أوضح البحث المقدم المعنى المعجمي للفعل "هَرَشَ"، وهو: هَرَشَ الدَّهْرُ: اشتدَّ. ثم اشتق معنى فعليًا من اسم الآلة "الهَرَاشة"، وهو: هَرَشَ المرءُ: حَكَّ جِلْدَه بيده أو بالهَرَاشة؛ لإزالة الدَّرَن أو نحوه عنه^(٥). وهو تسويغ لغوي مقبول. ويؤيد ذلك ما ورد في (تكملة المعاجم العربية): "هَرَشَ: حَدَّشَ، حَكَّ، كَشَطَ، حَكَّ بأظافره، وهي مرادفة

(١) نارالمخ، ص: ٣٩.

(٢) المعجم الوسيط، ل م م، ١٣١٨/٢.

(٣) تكملة المعاجم العربية، رينهارت بيترآن دُوزي ت: ١٣٠٠هـ، نقله إلى العربية وعلّق عليه: جمال الخياط، الطبعة الأولى، وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، من ١٩٧٩ - ٢٠٠٠م، ٩/ ٢٧٣.

(٤) أيام بغداد، ص: ٦٧.

(٥) يُنظر: كتاب الألفاظ والأساليب، إعداد لجنة الألفاظ والأساليب، مجمع اللغة العربية، الطبعة الأولى، القاهرة، ٢٠٢٢م، ج ٦، ص: ٣٢٠، ٣٢١.

لحرش وخرش" ^(١)، وأورد دوزي استشهاداً على المعنى المحدث من (ألف ليلة وليلة ٨٣٢:١): "انقلب دهنش في صورة برغوث، وقرص قمر الزمان فوثب من منامه مرعوباً، وهَرَسَ موضعَ القرصة في رقبتَه من شدة ما أحرقتَه" ^(٢).

المطلب الثاني المشتقات والأسماء:

اتسمت بنية المشتقات والأسماء المستقاة من لغة السرد الروائي بعدة خصائص؛ منها:

- ١- تكلمة مادة لغوية لم تذكر المعاجم بقيتها.
- ٢- إكساب الكلمة معنى دلاليًا جديدًا بأحد عوامل التغير الدلالي.
- ٣- رصد بعض الاستعمالات اللهجية الخاصة ببيئة لغوية بعينها.
- ٤- ميل لغة الرواية إلى قلب الهمزة ياء... إلخ.
- ٥- بعض المشتقات القياسية (كالمصدر واسم الفاعل... إلخ) تمخّضت للاسمية؛ فاكتملت دلالة مغايرة للدلالة الأصلية التي وردت في الفعل. ويمكن بيان ذلك على النحو الآتي:

١- "أَحْوَاش": يقول الجيزاوي: "وقبل سامراء بمسافة قصيرة، وأمام مجموعة من الأحواش المنتشرة على الطريق قال له... ^(٣). استعمل الكاتب كلمة "أَحْوَاش" من اللهجة المصرية صيغة صرفية صحيحة على وزن "أَفْعَال" جمعاً للكلمة "حَوْش" - وإن كانت تُنطق في اللهجات العربية بضم الحاء - ومجي "أَفْعَال"

(١) تكلمة المعاجم العربية، هرش، ١١/١١.

(٢) السابق نفسه.

(٣) أيام بغداد، ص: ٥٤.

جمعاً لـ "فَعَلَ" من قياسية جموع القلة كما هو مقرر في الدرس الصرفي^(١)، وقد وردت الكلمة في معجم اللغة العربية المعاصرة جمعاً لكلمة "حَوْش"، بمعنى: فناء الدَّار ونحوه، و: شبه حظيرة تُحفظ فيها الأشياء والدَّوَابُّ^(٢)، ولكن أورد المعجم الوسيط الكلمة المفردة فقط^(٣)، وحرى به تسجيل الجمع "أَحْوَاش".

٢- **الأصول:** يقول العصيمي: "كيف يعد قهوة تُشرب بحسب الأصول والذوق وليس لمجرد التعلم"^(٤). تشيع كلمة (الأصول) في لهجاتنا العربية، بمعنى: الأعراف والمبادئ والتقاليد التي تحكم قواعد التعامل والتعايش بين الناس في منطقة جغرافية ما. وكلمة الأصل وردت بمعنى: "أَصْلُ الشَّيْءِ: أساسه الذي يقوم عليه. و- منشؤه الذي ينبت منه... والأَصْلُ: كرمُ النَّسَبِ"^(٥). أما (الأصول) بصيغة الجمع الواردة في (نارالمخ) فتعني: القواعد المتبعة في كيفية إعداد القهوة ضمن خطوات (تقاليد) معروفة بعضها بعد بعض، ثم كيفية تقديم فنجان القهوة للضيف، فهناك تقاليد لا ينبغي لأحد أن يتجاوزها، وإلا عُدَّ ذلك مسبةً لصاحب الضيافة (المُضيف)؛ إذ يجب عليه أن ينتقي شايًا ذرياً^(٦) يعي تمامًا كيف يعد القهوة، ثم كيف يقدمها للضيف^(٧). وواضح أن الكلمة قد اكتسبت معنى دلاليًا جديدًا عن طريق تخصيص مجال الدلالة من الدلالة على أساس الشيء، إلى مجموعة من التقاليد والخطوات المتعارف عليها في مجال إعداد القهوة وتقديمها للضيف، في البيئة السعودية خاصة.

(١) يُنظر على سبيل المثال: إرشاد السالك إلى حل ألفية ابن مالك، برهان الدين إبراهيم بن محمد بن أبي بكر بن أيوب بن قيم الجوزية ت ٧٦٧ هـ، تحقيق: د. محمد بن عوض بن محمد السهلي، الطبعة الأولى، أضواء السلف، الرياض، ١٣٧٣هـ - ١٩٥٤م، ٢/ ٨٩٧.

(٢) معجم اللغة العربية المعاصرة، ح وش، ٥٨١/١.

(٣) المعجم الوسيط، ح وش، ٣٢٤/١.

(٤) نارالمخ، ص: ٤٠.

(٥) المعجم الوسيط، أ ص ل، ٢٩/١.

(٦) الذَّرْبُ من الألفاظ العربية القديمة بمعنى الحاد، ويوصف بها نصل السيف، ولكن انتقل معناها في اللغات المحكية لتدل على التهذيب واللباقة وحسن التصرف.

(٧) سجلت هذا المعنى بناء على تواصل شخصي مع الروائي الأستاذ عواض العصيمي.

٣- **باكر:** يقول الجيزاوي: "لديك كل الصلاحيات. نفذ خطتك من **باكر**"^(١). تشيع كلمة "**باكر**" في اللهجة العراقية وغيرها من اللهجات المحكية في الجزيرة العربية بمعنى: يوم الغد. وقد وردت الكلمة في المعجم الوسيط: "**الباكرُ**: الإِبْكار. و-: المبكر"^(٢)، وأما معجم اللغة العربية المعاصرة فأورد المعنى اللهجي الشائع للكلمة، ونص على أنه استعمال حديث^(٣). وواضح أن كلمة (**باكر**) قد انتقل معناها بتخصيص الدلالة من مجرد الدلالة على الإِبْكار، إلى الدلالة على يوم الغد.

٤- **بَسْطَة:** يقول الجيزاوي: "وتعلق بنطلونه في مسمار كبير بالسلم، فوقع به السلم على **البَسْطَة** التي بين الشقتين"^(٤). تشيع هذه الكلمة في اللهجة المصرية غالباً، وقد جاءت على وزن "**فَعْلَة**"; للدلالة على مكان بعينه، في بنايات البيوت وما شابهها، وقد وردت الكلمة مضافة إلى كلمة "**السُّلَم**" في معجم اللغة العربية المعاصرة: "**بَسْطَة السُّلَم**: مساحة مسطحة منبسطة يدور عندها **السُّلَم** ويغير اتجاهه"^(٥)، ووردت في المعجم الوسيط بمعناها المعجمي الأصلي: "**البَسْطَة**: الزيادة والسعة. وفي القرآن الكريم: (وَرَأَاهُ **بَسْطَةً** فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ). و- من **الطُّبَّاءِ**، أو **النِّسَاءِ**: **الحسنةُ الجسمِ الناعمةُ**"^(٦). وواضح أن التغير الدلالي كان بنقل الكلمة من مجال دلالي بعينه إلى مجال دلالي آخر.

٥- **التَّسْرِيجَة:** يقول العصيمي: "فتساءل الرجل متعجباً: وش غرفة النوم؟ وش سرير النوم؟ وش التَّسْرِيجَة؟"^(٧). التَّسْرِيجَة هنا "منصَّدة منخفضة ذات أدراج

(١) أيام بغداد، ص: ٩٦.

(٢) المعجم الوسيط، ب ك ر، ١٠٢/١.

(٣) يُنظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، ب ك ر، ٢٣٤/١.

(٤) أيام بغداد، ص: ٢٨.

(٥) معجم اللغة العربية المعاصرة، ب س ط، ٢٠٤/١.

(٦) المعجم الوسيط، ب س ط، ٨٨/١.

(٧) نار المخ، ص: ١١.

تعلوها مرآة، وتوضع فوقها أدوات التزيين"^(١)، ولم يورد المعجم الوسيط الكلمة، وهي جديرة بالتسجيل فيه؛ والعلاقة واضحة بين معنى الفعل (سَرَحَ) وكلمة (التَّسْرِيحَة)؛ فقد ورد في المعجم الوسيط: "سَرَحَ الشَّعْرَ: رَجَلَهُ وَخَلَّصَ بَعْضَهُ مِنْ بَعْضِ الْمُسْطِ"^(٢). ويمكن تسويغ الكلمة (تسريحة) استناداً إلى قرار مجمع اللغة العربية بالقاهرة الذي أجاز تكملة مادة لغوية لم تذكر المعاجم بقيتها^(٣). وقد جاء اشتقاق المصدر من بنية الفعل وفق أحكام العربية وقواعدها الصرفية الصحيحة، فمصدر (فَعَّلَ): (تَفْعِيلٌ)، كما في (سَرَحَ): (تَسْرِيحٌ).

٦- حَبَاب: يقول الجيزاوي: "نرى أنت ولد حَبَاب"^(٤). استعمل الكاتب كلمة "حَبَاب" صيغة صرفية صحيحة على وزن "فَعَال" صيغة من صيغ أوزان المبالغة، ويُراد بها الدلالة على الصفة المشبهة مثل (حَبِيب)؛ لأنها دالة على الاستمرار والثبات، وهي كلمة شائعة في اللهجة العراقية، ونظيرها في مصر "حَبُوب"؛ والمعنى: شخص مهذب، حلوا المعشر، يحب الناس، ويحبه الناس كثيراً. ولم ترد هذه الكلمة في المعجم الوسيط ومعجم اللغة العربية المعاصرة.

٧- الحِسَاب: يقول الجيزاوي: "يا أستاذ لو سمحت الحِسَاب. وحاول الزبون أن يؤجِّل دفع الحِسَاب"^(٥). تورد لنا لغة السرد الروائي معنىً جديداً للكلمة الحِسَاب، وهو المبلغ المطلوب من العميل دفعه؛ لقاء ما تناوله من مشروبات أو مأكولات، أو ما قام بشرائه، أو نظير خدمة ما؛ وهذا المعنى ربما هو من الشيعون بمكان في الأقطار العربية كافة. وقد وردت الكلمة في المعاجم بمعنى: "العَدُّ.

(١) معجم اللغة العربية المعاصرة، س رح، ١٠٥٤/٢.

(٢) المعجم الوسيط، س رح، ٦٨٢/١.

(٣) يُنظر: مجلة مجمع اللغة العربية الملكي، صفر ١٣٥٤هـ= مايو ١٩٣٥م، المطبعة الأميرية ببولاق، مصر، الجزء الثاني، ص ٣٤، ٣٥، ومجموعة القرارات العلمية في خمسين عاماً، ص ١٤.

(٤) أيام بغداد، ص: ١٥٨.

(٥) السابق، ص: ١٥.

و-: الكثير الكافي" ^(١)، وواضح أن ثمة نقلاً دلالياً قد حدث لكلمة "الحساب"؛ فالأصل في الحساب أنها مصدر للفعل (حاسب)، وهي هنا من المجاز المرسل، والمراد قيمة نتيجة الحساب فأصبحت تدل على مبلغ مالي بعينه، بعد أن كانت تدل على عملية العدّ، أو الكثير الكافي.

٨- دُفوع: يقول العصيمي: "مثلما أنه لم يفهم ما تعنيه هذه المطالب لأنه لم يعتد مثل هذه المسميات فيما سمع من "دفع" الأعراس البسيطة التي تقام في البادية" ^(٢). تشيع كلمة (دفع) أو (دبوش) أو (دبش) في بعض مناطق بوادي الحجاز، خاصة الذين يقيمون في الصحراء-، وتعني: متعلقات العروس التي تسبقها إلى غرفة نومها أو خيمتها قبل ليلة العرس؛ فعندما يوافق والد الفتاة على الخاطب يتفقون على المهر الذي يدفعه العريس، ويُشترى من هذا المهر أغراض العروس وحقائبها وثيابها... إلخ؛ حيث لا بد أن تكون غرفة الزواج أو الخيمة مؤثثة بهذه الأدوات، وتُسمَّى أيضًا -بمفهوم عصري- مرافقات أو متعلقات العروس ^(٣). و(دفع) جمع قياسي للمصدر (دفع)؛ فقد جاء في (تكملة المعاجم العربية): "دفع: بذل له ما لا يقال مثلاً: طلب مني التاجر سبعة دراهم فدفعْتُ له خمسة" ^(٤). و"دفع" جمع قياسي للمصدر "دفع"

(١) المعجم الوسيط، ح س ب، ١/٢٦٩. سبق للجنة الألفاظ والأساليب بمجمع اللغة العربية أن أجازت كلمة الحساب على مواقع التواصل الاجتماعي: فتح صفحة شخصية يُنشئها شخص أو جهة على الفيس بوك أو التويتر أو نحوهما؛ ليتواصل بها مع أصدقائه أو أقرابه أو معارفه أو عملائه، وليُعبرَ فيها عن آرائه، فهي صَوْتُ الشخص أو الجهة على الموقع، ويكون لهذه الصفحة اسمٌ مُستخدَم ورقمٌ سريٌّ لا يعرفه إلا صاحبُ الحساب، = تشبيهاً بالحساب البنكي. مسرد الألفاظ والأساليب: من الدورة الخامسة والثلاثين حتى الدورة التسعين، إعداد وتصنيف: د. مصطفى يوسف، مراجعة وتقديم: أ. د. محمد العبد، ومراجعة: أ. د. محمد رجب الوزير، الطبعة الأولى، القاهرة، ٢٠٢٤م، ص: ١٣٧، ١٣٨.

(٢) نار المخ، ص: ١١.

(٣) سجلت هذا المعنى بناء على تواصل شخصي مع الروائي الأستاذ عواض العصيمي.

(٤) تكملة المعاجم العربية، ٤/٣٧٣.

في الأصل ثم نُقل للاسمية ليدل على كل ما يُدفع من مال أو زينة أو ماشية وذلك للعروس، وفي (نجد) يقال: سياق، وهو ما يُساق من ماشية حقيقةً أو مال مجازاً مهراً للعروس.

٩- **الدَّيْرَة:** يقول العصيمي: "يقول غربي إن له اسمين، غربي ورحيم، غربي إذا سافر أو كان عند إبله ورحيم إذا كان في البيت أو في الدَّيْرَة"^(١). الدَّيْرَة هي موطن العشيرة من القبيلة^(٢). ويطلق أهل الحضرة لفظ (الدَّيْرَة) على موطنهم الثابت المشيَّدة فيها قصورهم، ويُطلق على المكان صُغُر أو كُبر، وسُمِّي ديرة لأنه في الغالب مستدير، وربما أُحيط بسور يُغلق بابه تجنباً للغزاة. وكان يُطلق على مركز البلد حيث السوق والجامع وتحيط به جملة ضواحٍ، وهو الآن يرادف كلمة بلد. وقد سجل معجم (تكملة المعاجم العربية) الكلمة؛ حيث جاء فيه: "ديرة: رُستاق، ضاحية، ربض المدينة"^(٣). وواضح - في لغة السرد الروائي - تخصيص الدلالة للكلمة من الدلالة على ضاحية بأكملها، إلى الدلالة على موطن العشيرة فقط من القبيلة.

١٠- **الرَّيُّوق:** يقول الجيزاوي: "مع السادسة صباحاً كان يوسف يُحضّر الإفطار، وبالعراق يسمونه الرَّيُّوق"^(٤). جاء في معجم "الجيم": "الرَّيُّوق، يقال: هراقت السَّحابة رَيُّوقَهَا وهو أولها"^(٥)؛ حدث للكلمة تغير دلالي؛ حيث الانتقال من الدلالة على أول ما ينزل من ماء السحابة من مطر، إلى الدلالة على أول ما يتناول من طعام، وهو طعام الإفطار، والجامع بين الدالتين هذه الأوليّة،

(١) نار المخ، ص: ٥.

(٢) سجلت هذا المعنى بناء على تواصل شخصي مع الروائي الأستاذ عواض العصيمي.

(٣) تكملة المعاجم العربية، ٤ / ٤٣٩.

(٤) أيام بغداد، ص: ٧٥.

(٥) الجيم، أبو عمرو إسحاق بن مزار الشيباني بالولاء ت: ٢٠٦ هـ، تحقيق: إبراهيم الإيباري، راجعه: محمد خلف أحمد، د. ط، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، القاهرة، ١٩٧٤ م، ري ق، ٣٨ / ٢.

وكثيراً ما نجد أن كثيراً من الألفاظ العربية القديمة تأخذ دلالات جديدة في استعمال الناس المعاصر، وهذا ما غني ببيانه صناع المعاجم التاريخية في وقتنا الراهن؛ فضلاً عن العلاقة الواضحة بين لفظي "الرَّيُّوق" و"الرَّيِّق"؛ فطعام "الرَّيُّوق" هو أول طعام يلامس ريق الإنسان في الصباح. وقد استعمل اللفظ في لهجة الكويت بتخفيف الياء وكسر الراء (الرَّيُّوق) ^(١).

١١- زَفَارَة: يقول الجيزاوي: "وجد اللبَنَ به زَفَارَة شديدة" ^(٢). نحن أمام كلمة لم ترد في المعاجم العربية: قديمها وحديثها، ويمكن إضافة هذا المدخل الذي يشيع على ألسنتنا في الحياة العامة، وسجلته لغة السرد الروائي؛ استناداً إلى قرار مجمع اللغة العربية بالقاهرة الذي يميز تكملة مادة لغوية لم تذكر المعاجم بقيتها ^(٣)؛ فنشتق لذلك فعلاً؛ فنقول: زَفَرَ الشيءُ يَزْفُرُ زَفْراً، وزَفَارَة: تَغْيَرُ طَعْمُهُ أو رَائِحَتُهُ، أو خالطه ما غَيَّرَ طَعْمَهُ أو رَائِحَتَهُ. يقال: زَفَرَ اللَّبَنُ. ويقال: زَفَرَ الطَّعَامُ. ويعضد هذا الرأي أن المعنى اللغوي العام لمادة (زف ر) يدور حول تناول الطعام الدسم مما يترك أثراً أو رائحة في اليد، وكذلك تغير الرائحة أو الطعم؛ فقد جاء في تكملة المعاجم العربية: "زَفَر: أكل الزَّفَرَ وهو اللحم والأطعمة المطبوخة بالدسم، وأكل اللحم واللبن والبيض" ^(٤). و"الزَّفَر... الدَّسَم، ورائحة الطعام في اليد والفم... و(فلان زفر) - بكسر الفاء وأصلها السكون - إذا كانت له رائحة سهكة مكروهة من أثر الصَّنَان، أو عدم الاغتسال والتنظيف، شبهوها بالرائحة التي تتخلف من أكل اللحم، أو الطعام الدسم، دون أن يزيلها الآكل عنه بالغسل والتنظيف" ^(٥).

(١) أفادي بذلك صديقي د. علي الصراف أستاذ العلوم اللغوية المشارك بجامعة الكويت.

(٢) أيام بغداد، ص: ٧٥.

(٣) لمزيد من التفصيل يُنظر: مجلة مجمع اللغة العربية الملكي، ٣٤/٢، ٣٥، ومجموعة القرارات العلمية في خمسين عامًا، ص ١٤.

(٤) تكملة المعاجم العربية، زف ر، ٣٣٦/٥.

(٥) معجم الأصول الفصيحة للألفاظ الدارجة، أو ما فعلته القرون بالعربية في مهدها، محمد بن ناصر العبودي، د. ط، مكتبة الملك عبدالعزيز العامة، الرياض، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م، ١/ ٤٣٨، ٤٣٩.

١٢- زَلَمَةٌ: يقول الجيزاوي: "والله خسارة فيك كلمة زَلَمَةٌ، يا نَصَاب يا حرامي"^(١). نحن أمام بنية صرفية صحيحة، وقد وردت الكلمة في المعاجم الحديثة كالمعجم الوسيط، ولكن بمعنى آخر: "الهيئة". يقال: هو العبدُ زَلَمَةٌ: يشبه العبدَ، كأنَّه هو"^(٢)، وجاء في معجم اللغة العربية المعاصرة: "زَلَمَةٌ: جزء يتدلَّى من عنق المِعْرَى"^(٣)؛ حدث للكلمة تغير دلالي، فارتقت دلالتها لتدل الكلمة على الرجل الشهم النبيل ذي الأخلاق الحميدة، بدلاً من الدلالة على مجرد الهيئة، أو ذلك الجزء اللحمي.

وجاء في موسوعة اللهجة العامية السورية: "زَلَمَةٌ: الرجل... وهو الشخص... و: الفتى الشاب القوي البنية الذي تجاوز دور المراهقة ودخل في طور الرجولة ج. زُلِم... أزلَم"^(٤).

١٣- السَّفَرِيَّة: يقول الجيزاوي: "يوسف لا يزال يسرد عليه أحداث سَفَرِيَّة العام الماضي"^(٥). تشيع كلمة "سَفَرِيَّة" في حياتنا اليومية، ربما في معظم أقطارنا العربية، وتعني: المرة من السَّفَر من دولة إلى أخرى. والكلمة لم ترد في المعجم الوسيط، ويمكن تسويغها بوصفها اسم مرة على غير قياس، مثل سَهْرَاية من السَّهَر.

١٤- السَّهْرَة: يقول العصيمي: "يتذكر من كلام غربي في تلك السهرة حديثه عن الأسلاف الذين دُفِنوا في الصحارى ثم لم يتمكن أحد من معرفة قبورهم"^(٦). وردت الكلمة في معجم اللغة العربية المعاصرة بمعنى: "عرض أو اجتماع أو حفلة

(١) أيام بغداد، ص: ٤٠.

(٢) المعجم الوسيط، زل م، ١/ ٦٤١.

(٣) معجم اللغة العربية المعاصرة، زل م، ٢/ ٩٩٤.

(٤) موسوعة اللهجة العامية السورية: كراسة لغوية نقدية في التفصيل والتأصيل والمولد والدخيل، ياسين عبد الرحيم، د. ط، الهيئة السورية العامة للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق،

٢٠١٢م، زل م، ٢/ ١١١٤.

(٥) أيام بغداد، ص: ٤٠.

(٦) نار المخ، ص: ٢٤.

يُقام إجمالاً بعد العشاء^(١). وجاء في الوسيط: "السَّهْرَة: الحفل السَّاهِر"^(٢). وقد أكسب السرد الروائي كلمة "السَّهْرَة" معنى دلائياً جديداً بالتغير الدلالي؛ لتصبح الدلالة: وقت ممتد لمنتصف الليل يجتمع فيه الناس للسَّمر غالباً. ومجال هذا التغير هو نقل الدلالة.

١٥- الشغلانة: يقول: الجيزاوي: "ما صدقت أنك تعلمت أصول الشغلانة"^(٣). أُخذ من اسم المصدر (شُغِل) اسم مرة؛ فقليل شُغْلَة، وجعلته بعض العامية شُغلانة بزيادة ألف ونون، ويُقصد به مجرد العمل والصناعة أو المسألة أو المَهْمَة.

١٦- الشَّرْهَات: يقول العصيمي: "الشَّرْهَات" سحرتهن حتى جعلتهن يرضون بعبودية هي أخس من عبودية سحلية الحرباء لألوانها. حكماء وعقلاء!^(٤). يشيع لفظ الشَّرْهَات: جمع شرهة، في اللهجات السعودية، وهي "الجائزة التي يعطيها الحاكم للوافدين عليه، أو لمن يخدمه ويقوم بأمره. وكانت الشرهة تقوم مقام الراتب في الأزمان السالفة حيث لم يكن لدى الحكام مال يكفي لرواتب العاملين معهم. شَرَّه الحاكم الوفودَ: أعطاهم الشَّرْهَات. جمع شَرْهَة"^(٥).^(٦) لم ولم يرد في المعجم الوسيط من مداخل الجذر (ش ره) سوى المدخل

(١) معجم اللغة العربية المعاصرة، س ه ر، ١١٢٤/٢.

(٢) المعجم الوسيط، س ه ر، ٧٢٩/١.

(٣) أيام بغداد، ص: ٨١.

(٤) نار المخ، ص: ٣٩.

(٥) معجم الأصول الفصيحة للألفاظ الدارجة، أو ما فعلته القرون بالعربية في مهدها، ١٤٢ / ٧.

(٦) ومن خلال التواصل الشخصي بالروائي عواض العصيمي أفادني أن الشَّرْهَات يُقصد بها: أعطية يقدمها رجل ذو سمعة وشهرة ومنصب ومكانة ما لمن يفد عليه، كأن يعطيه مالا أو ثياباً أو هدية ما، فيدخل بذلك السرور إلى قلبه؛ ويهدف الشخص المُعْطِي من الشرهة أن يبين موقعه الاجتماعي، وأن يخرس الألسنة بدلاً من أن تهجوه أو تنتقده، فتنعكس إلى الجهة الأخرى فتتمدحه وتشيد به وتظهر ذكره في المدح. والشرهة غير المكافأة وصلة الرحم، والصدقة؛ حيث الهدف منها استمالة الشخص المُعْطِي له الشرهة.

الفعلي: "شَرِهَ إلى الطَّعام، أو غَيْرِه، وشَرِهَ عليه يَشْرُهُ شَرْهًا: اشتدَّ حرصُه عليه واشتِهاؤُه له؛ فهو شَرِهٌ، وشَرْهَانٌ، وهي شَرْهَةٌ، وشَرْهَى". ويمكن تكملة المادة اللغوية التي لم تذكر المعاجم بقيتها؛ استناداً إلى قرار مجمع اللغة العربية في ذلك؛ فنشتق الفعل المزيد بالتضعيف: شَرَّه فلانٌ: مبالغة في شَرِه. — العطاء: وزَّعَه. وكذلك المدخل الاسمي: الشَّرْهَة (في بعض اللهجات العربية المعاصرة): أعطية يهبها شخص ذو شهرة ومكانة لمن ينفد عليه؛ لاستمالة الثناء عليه ومدحه، بدلاً من مذمته. (ج) شَرْهَات.

١٧- صناعي: يقول الجيزاوي: "وخلال أسبوع واحد أصبح كأحد الصناعاتية المحترفين والمهرة"^(١). وردت الكلمة في معجم اللغة المعاصرة بالهمزة نسبة إلى "صنائع" على غير قياس؛ للدلالة، بمعنى: عاملٌ ماهرٌ، محترف، صاحب صناعة يدويّة كالخيّاط والحدّاد^(٢). والكلمة الشائعة في عدد من اللهجات العربية سائغة الانضمام إلى بنية المعجم المعاصر؛ حيث أجاز مجمع اللغة العربية النسب إلى الجمع، وعُلِّل المجمع صحة ذلك بأن السماع عن العرب يؤيد النسب إلى الجمع؛ ولأن النسبة إلى الجمع قد تكون أبين وأدق في التعبير عن المراد من النسبة إلى المفرد، فإن أريد الاشتراك الجمعي كان النسب إلى الجمع أفضل، وإن أريد مجرد النسبة كان النسب إلى المفرد أفضل^(٣)، كما أن قلب الهمزة ياءً أمر مقرر في الدرس الصرفي^(٤).

(١) أيام بغداد، ص: ٢٤.

(٢) يُنظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، ص ن ع، ١٣٢٤/٢.

(٣) يُنظر: مجمع اللغة العربية في ثلاثين عامًا: مجموعة القرارات العلمية، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، الطبعة الأولى، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، ١٩٦٣م، ص: ٥٢.

(٤) يُنظر على سبيل المثال: شرح كتاب سيبويه، أبو سعيد السيرافي الحسن بن عبد الله بن المزيان ت: ٣٦٨هـ، تحقيق: أحمد حسن مهدي، علي سيد علي، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ٢٠٠٨م، ٣٤٥/٤.

١٨- العُزُوبِيَّة: يقول العصيمي: "في عمق الصحراء، تناوبت على ليلته الطويلة فناجين القهوة ومشاهيب الأفكار لدحض مؤامرات العُزُوبِيَّة"^(١). لم يسجل المعجم الوسيط كلمة (العُزُوبِيَّة) ولكن جاء فيه: "عَزَبَ فلانٌ عُرْبَةً، وعُزُوبَةً: لم يكن له زَوْجٌ؛ فهو عازِبٌ. (ج) عَزَابٌ"^(٢). والعزب هو غير المتزوج، ولكن وسَّعوا معناه لمن ليست زوجته معه لانتقال أحدهما، وهو قد عَزَبَ عُزُوبًا، ويُستعمل المنسوب إليه وصفًا له فيقال: عزوبي، ويُجمع على عزوبية، وقد تكون العزوبية مصدرًا صناعيًا معبرًا عن حال العزب الذي تستبد به الأفكار.

١٩- عَزُومَة: يقول الجيزاوي: "طالما فيها عَزُومَة لا بد من وداع النوم"^(٣). تشيع كلمة "عزومة" في اللهجات العربية المعاصرة بضم العين، والصواب فيها فتح العين، وواضح العلاقة بينها وبين الفعل "عَزَمَ"؛ فقد جاء في المعجم الوسيط: "عَزَمَ فلانًا، وعليه: دعاه إلى طعام ونحوه"^(٤)، في حين أورد معجم اللغة العربية المعاصرة الكلمة، وصَوَّبَ معجم الصواب اللغوي الجمع "عزائم" ومفرد لها "عَزُومَة"؛ استنادًا إلى إجازة مجمع اللغة المصري استخدام "عَزَمَ" بمعنى: دعا إلى الطعام، والاسم منه "العَزُومَة" بمعنى: ما يُعزَم عليه. أي: الوليمة أو المأدبة، ويكون الجمع: عزائم صحيحًا؛ لأن له أمثلة كثيرة قياسية مثل: "ركوبة وركائب"^(٥).

كما يمكننا أيضًا تصحيح (عُزُومَة) الشائعة في الاستعمال اللهجي المعاصر، من باب أن الاستعمال المعاصر يميل إلى الضم من باب التسهيل في النطق والسرعة في الأداء الكلامي؛ لمجانسة ضمة العين لضمة الزاي، وهو ما يُطلق عليه في الدرس اللغوي

(١) نار المخ، ص: ١٤.

(٢) المعجم الوسيط، ع زب، ٩٤٣/٢.

(٣) أيام بغداد، ص: ٢٢٦.

(٤) المعجم الوسيط، ع زم، ٩٤٥/٢.

(٥) يُنظر: معجم الصواب اللغوي، د. أحمد مختار عمر، بمساعدة فريق عمل، الطبعة الأولى، عالم

الكتب، القاهرة، ٢٠٠٨م، ١/ ٥٣٢.

الحديث (المماثلة الصوتية). وقد جاءت المماثلة هنا بتأثر الصوت الأول بالصوت الثاني (المماثلة الخلفية)، والأكثر استعمالاً في اللغة أن تكون المماثلة بتأثر الصوت الثاني بالصوت الأول (المماثلة الأمامية).

٢٠- **الفاعل**: يقول الجيزاوي: "أشغلك معي في **الفاعل**"^(١). تشيع هذه الكلمة في لغة السرد الروائي - خاصة اللهجة المصرية - لتدل على تلك الأعمال الشاقة التي تتطلب تمهلاً وجهداً مضاعفاً؛ كأعمال حفر الطرق، والبناء، نحوها. وقد وردت الكلمة في المعجم الوسيط بمعنى: "من يُستأجر لأعمال البناء والحفر ونحوهما"؛ وقد حدث نقل دلالي للكلمة من الدلالة على الشخص الذي يؤدي هذه الأعمال الشاقة، إلى الدلالة على العمل الشاق نفسه. وهو نقل تجيزه قوانين اللغة وأحكامها.

٢١- **كروانة**: يقول العصيمي: "ترك أبي شغل **الكروانة** وتحول بنفسه إلى السوق حتى اكتملت لديه صفة العارف بالسوق من ناحية الربح أكثر من ناحية الخسارة"^(٢). تشيع هذه الكلمة في اللهجات: المصرية، والليبية، والسعودية، والسودانية. وإن كان يتفاوت في ضبطها ونطقها؛ ففي اللهجة السعودية: كروانة، وفي اللهجة المصرية تُنطق بالقاف وبالكاف: قروانة، أو كروانة. والكلمة في الأصل من اللغة التركية: Karvana^(٣)، وتعني في لغتنا المعاصرة: وعاء يستعمله البناؤون غالباً، وقد يُستعمل لأغراض أخرى كالتدفئة ونحوها. وهذه الكلمة جديدة أن تُسجل في المعجم العربي المعاصر، بالتعريب^(٤).

(١) أيام بغداد، ص: ١٤٧.

(٢) نارالمخ، ص: ٤٩.

(٣) يُنظر: معجم تيمور الكبير في الألفاظ العامية، أحمد تيمور، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط ١٩٧١م، ٢/٢٨.

(٤) اتخذ مجمع اللغة العربية بالقاهرة قراراً في الجلسة الواحدة والثلاثين من الدورة الأولى يقضي بتعريب الألفاظ الأجنبية؛ جاء فيه: "يجوز المجمع أن يستعمل بعض الألفاظ الأعجمية - عند الضرورة - على طريقة العرب في تعريبهم". يُنظر في ذلك: مجموعة القرارات العلمية في خمسين عاماً، ص ١٨٧، ومجلة مجمع اللغة العربية الملكي، ١/ ٣٣.

٢٢- **المُبَادَرَة:** يقول العصيمي: "الحقيقة أنه قدم لي خدمة كبيرة بهذه **المُبَادَرَة**"^(١). وردت الكلمة مصدراً للفعل "بَادَرَ"؛ حيث جاء في المعجم الوسيط: "بَادَرَ إِلَيْهِ مبادرةً، وبِدَارًا: أسرع"^(٢). وواضح أن المصدر "مُبَادَرَة" قد تمخّض للاسمية لينتقل المعنى من مجرد الدلالة على الإسراع، إلى الدلالة على: رؤية أو اقتراح أو فكرة يطرحها شخص أو مؤسسة لتحقيق أهداف بعينها. يقال: مُبادرة السلام العربية. و: مُبادرة حياة كريمة. وهذا المعنى الذي أوردته لغة السرد الروائي جدير أن يضاف إلى المداخل الاسمية للفعل (بَادَرَ).

٢٣- **مشاريب:** يقول الجيزاوي: "المعلم سيحاسبني آخر الليل على **المشاريب** كلها"^(٣). كلمة "مشاريب" من اللهجة المصرية جاءت على وزن صر في صحيح "مفاعيل" جمعاً لصيغة "مفعول - مَشْرُوب"، ووردت الكلمة ومفردها في معجم اللغة العربية المعاصرة، ولكن خلا المعجم الوسيط منها. وقد أورد معجم اللغة العربية المعاصرة الكلمة بمعنى: "كُلُّ مَا يُؤْخَذُ لِلشُّرْبِ سواء كان بارداً أو ساخناً، ما عدا الماء"^(٤)، والكلمة صحيحة مبنى ومعنى، وجديرة أن تُسجّل في المعجم الوسيط.

٢٤- **المشالح:** يقول العصيمي: "أجلسوا رعداً وأباه وأقرباءه عند مدخل الصيوان عليهم **المشالح** والمسدسات"^{(٥)(٦)}. **المشالح** جمع **المُشْلَح**. و**المُشْلَح** أو

(١) نار المخ، ص: ٢٢.

(٢) المعجم الوسيط، ب د ر، ١/٦٧.

(٣) أيام بغداد، ص: ١٥.

(٤) يُنظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، ش رب، ٢/١١٨٢.

(٥) نار المخ، ص: ٣٩.

(٦) وبالتواصل المباشر مع الروائي عواض العصيمي أفادني أن **المشالح** جمع **مُشْلَح**، وهو يشبه البِشْت: رداء يشيع في بلاد الخليج العربي، يلبسه - غالباً - ذوو المناصب الرفيعة كالملوك والأمراء والسيوخ ورجال الأعمال، ومن يتزوج حديثاً. كان يُصنع في القديم من وبر الجمال، لكنه الآن يُصنع من القطن ومن مواد أخرى. فال**مُشْلَح** والبِشْت يُعدّان شيئاً واحداً. وقد أفادني أ.د. أبو أوس الشمسان بأن **المُشْلَح** يعني العباءة الرجالية الخفيفة، وأحياناً تُطلق على العباءة عموماً من باب المجاز للرجل والمرأة.

"البِشْت" ^(١)، هو أحد الأسماء المحلية للعباءة العربية التقليدية، وهو رداءٌ خارجي فضفاض مفتوح من الجهة الأمامية، ويحمل رمزية ثقافية واجتماعية خليجياً وعربياً، ويُعدّ من أنواع الزي التقليدي في المملكة العربية السعودية؛ إذ يرتديه عامة الناس في المناسبات والمحافل والأعياد. وغالباً ما يكون مطرزاً بأنواع من الخيوط الحريرية، والزري الذهبي أو الأصفر، والفضي، والأبيض، والأحمر، وتُستخدم في تفصيله ومقاساته أشكال مختلفة من الأقمشة الداكنة والفاتحة بحسب الأذواق. ويلبس المُشَلَح تقليدياً في السعودية فوق الثوب، ولا يقتصر لبسه على كبار السن، بل يرتديه الشباب وصغار السن، وتتراوح أسعار المصنوع يدوياً منه بحسب صناعته ودقته، وجودة الحياكة ونوعها، والأقمشة ونوع خيوط الزري، وعادةً ما يزداد الإقبال على شراء المشالغ في المناسبات، مثل: عيد الفطر، وعيد الأضحى، والمناسبات الوطنية، والزواج، وتشهد أسعارها ارتفاعاً قبل الأعياد ^(٢). ويُجمع المُشَلَح على مشالغ... يقال: لَبَسَ الرجلُ مشالَهم أي عباهاهم ^(٣). ربما اشتق اسم المُشَلَح من سرعة شَلَجِه أي نزعه وفسخه. وقد جاءت الكلمة (مُشَلَج) وجمعها (مشالغ) على وزنين صرفيين صحيحين، والكلمتان جديرتان أن تُضافا إلى بنية المعجم المعاصر؛ لتوافر شروط الصحة اللغوية والدلالية، والشيوخ.

٢٥- مشاهيب: يقول العصيمي: "في عمق الصحراء، تناوبت على ليلته الطويلة فناجين القهوة ومشاهيب الأفكار لدحض مؤامرات العزوبية" ^(٤). (المشاهيب جمع (المشهاب)، وهو: "قطعة الخشب التي أوقدت النار في طرف منها. وكان

(١) جاء في المعجم الوسيط، ب ش ت، ١/ ٨٩: "البِشْت: كِساءٌ بلا كُمَيْنِ".

(٢) يُنظر: موقع: <https://saudipedia.com/>، مجتمع اللباس والزينة.

(٣) يُنظر: فصيح العامي في شمال نجد، عبدالرحمن بن زيد السويداء، الطبعة الأولى، دار السويداء للنشر والتوزيع، الرياض، ١٩٨٧م، ٣/ ١٣٣٩.

(٤) نار المخ، ص: ١٢.

الناس في الزمن القديم قبل السلاح الناري عندهم وعند عدم وجود ما يرمون به أعداءهم يرمونهم بهذه المشاهيب يدافعون بها عن أنفسهم^(١) وقد وظّف العصيمي كلمة (مشاهيب)، على سبيل المجاز، ضمن إطار الأفكار.

٢٦- **المصاريف:** يقول الجيزاوي: "إنني أعمل فقط بالإجازة الصيفية حتى أساعد نفسي في مصاريف الدراسة بالجامعة"^(٢). رغم شيوع كلمة (مَصْرُوف) وجمعها (مصاريف) في لهجاتنا العربية؛ فإن المعجم الوسيط قد خلا منهما. وقد صَوَّب أستاذنا الدكتور أحمد مختار عمر الجمع ومفرده؛ حيث يقول: "منع بعض النحويين قياسية جمع ما بُدئ بميم زائدة من أسماء الفاعلين والمفعولين جمع تكسير؛ لأن قياسه أن يُجمع جمعاً سالماً. ولكن ورد في كلام القدماء ما يفيد فصاحة هذا الجمع، كما أمكن لبعض الباحثين أن يجمع عشرات من الكلمات التي جاءت مبدوءة بميم زائدة من أسماء الفاعلين والمفعولين، وقد جُمعت جمع تكسير. وقد أصدر مجمع اللغة المصري بعد استعراضه لهذه الكلمات قراراً بقياسية هذا الجمع. وقد ورد الجمع "مصاريف" في بعض المعاجم الحديثة كالأساسي والمنجد"^(٣).

٢٧- **المَصْلَحَة:** يقول الجيزاوي: "أبحث له عن صناعية وتخلص المصلحة"^(٤). جاءت كلمة "المَصْلَحَة" على وزن صرفي صحيح "مَفْعَلَة"، بمعنى دلالي غير المعنى الوارد لها في المعجم العربي؛ فقد جاء في المعجم الوسيط: "المَصْلَحَة): الصَّلَاحُ. و-: المَنْفَعَة. و-: هيئة إدارية فرعية من وزارة تتولّى مَرْفَقاً عامّاً. يقال: "مصلحة المساحة"، و"مصلحة الضرائب". (ج) مَصَالِحُ"^(٥). وهي

(١) معجم الأصول الفصيحة للألفاظ الدارجة، أو ما فعلته القرون بالعربية في مهدها، ٧ / ٣٢٨.

(٢) أيام بغداد، ص: ١٣.

(٣) معجم الصواب اللغوي، ١ / ٧٠٣.

(٤) أيام بغداد، ص: ٦٧.

(٥) المعجم الوسيط، ص ل ح، ١ / ٨٢٧.

المعاني ذاتها أو قريبة منها التي وردت في معجم اللغة العربية المعاصرة^(١). أما المعنى الذي أضافتها لهجاتنا العربية الحديثة وأورته لغة السرد فهو معنى مختلف عما سبق؛ فالمصلحة هنا عبارة عن عمل معين يُنتظر إنجازَه من شخص ما أو عدة أشخاص؛ فمثلاً: تبليط أرضية البيت مصلحة يقوم بها فني معين، وطلاء الحوائط مصلحة يقوم بها فني آخر... وهكذا. وهذا المعنى يمكن تسويغه من باب التغير الدلالي حيث خُصّصت الدلالة من مجرد الصلاح، أو المنفعة، إلى عمل معين يقوم به متخصص أو حرفي بعينه لقاء أجر ما.

٢٨- **المضافة:** يقول العصيمي: "إنني أدفع أتعاب إقامتي، ليس بالمال، وإنما بمؤانسته في المضافة التي قلما يزوره فيها أحد"^(٢). المضافة هي غرفة الضيوف أو الاجتماعات أو الاستقبال في بعض لهجات العراق وسورية وفلسطين والأردن. وقد أفادني الروائي عواض العصيمي أن الكلمة تعني في اللهجة السعودية: ديوانية (خيمة كبيرة) مُعدّة لاستقبال الضيوف في أي وقت يأتون فيه؛ حيث يشربون القهوة ولبن الإبل ويتناولون طعام الغداء أو العشاء؛ فالكلمة مشتقة من الضيافة. وقد أجاز مجمع اللغة العربية بالقاهرة قياسيةً صيغة "مفعلة" بفتح العين أو كسرهما مع ختمها بتاء التانيث في أسماء الأماكن بناء على أمثلة كثيرة وردت في فصيح اللغة. من ذلك: مدبغة، مرقبة، مزلقة، مشربة، معركة... إلخ^(٣). فالاستعمال الروائي لكلمة (المضافة) صحيح لغةً وقياًساً.

٢٩- **المواجيب:** يقول العصيمي: "أضيفت إلى صفحة مكة صفحة الطائف ثم هيئت لرعد مسارب القبيلة وملأوي الجماعة وقوانين "المواجيب"^(٤).

(١) يُنظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، ص ل ح، ٢/ ١٣١٤.

(٢) نارالمخ، ص: ٢٢.

(٣) يُنظر: كتاب في أصول اللغة، مجمع اللغة العربية، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، ١٩٦٩م، الطبعة الأولى، ١/ ٤٣، ٢١٤ - ٢١٦.

(٤) نارالمخ، ص: ٣٩.

(المواجيب) واجبات اجتماعية متعارف عليها بين فئة أو مجموعة من الناس (الجيران أو العشيرة) بهدف تحقيق التآلف الاجتماعي بينهم. وتعني ما يسهم به الفرد في المجتمع؛ لإعانة صاحب عرس، أو زواج، أو ختان... إلخ^(١). وعرفها الكاتب الإماراتي زايد المنصوري بأنها: "العادات والتقاليد الإماراتية الأصيلة في استقبال الضيوف، ومشاركة الصغار مجالس الكبار، وكيفية معاملتهم بكل حب واحترام"^(٢). ووضح أن المواجيب عبارة عن أعراف للقبائل أوجبتها على نفسها مثل: إطعام الضيف، ورغد (إعانة) الغارم المدين، والمُقَدِّم على الزواج؛ فالأمر من هذه الأمور مُوجب، وجمعه مواجيب، وجمع الجمع مواجيب.

٣٠- النشوفية: يقول العصيمي: "فهناك من يغلب على وجهه ويديه السمار والنشوفية وخشونة البشرة"^(٣). وتدور مادة (ن ش ف) حول معنى الجفاف؛ حيث جاء في الوسيط: "(نَشَفَ) الشَّيْءُ يَنْشُفُ، وَيَنْشُفُ نَشْفاً: جَفَّ. يقال: نَشَفَ الثَّوبُ. وَنَشَفَتِ الْأَرْضُ. وَنَشَفَ الْمَاءُ. ويقال: نَشَفَ مَالُهُ: ذَهَبَ. وَ- الشَّيْءُ: جَفَّه. يقال: نَشَفَ الثَّوبُ الْعَرَقَ"^(٤). وجاء في تكملة المعاجم العربية: "نُشُوفِيَّة: جفاف وجفوف، تيبُّس، تَصَلُّب"^(٥). وجاء في كتاب الأفعال لابن القطاع (ت ٥١٥ هـ): "نَشَفَتِ الْحَوْضُ نَشْفاً: أَذْهَبَتْ مَاءَهُ، وَ- الْأَرْضُ الْمَاءَ كَذَلِكَ، وَنَشِفَتِ الْأَرْضُ نُشُوفاً وَنَشْفاً: ذَهَبَتْ نُدُوتُهَا. وَ- الْمَاءُ غَاضاً"^(٦). واستعمل المحدثون المصدر (نشوفية) للدلالة على الاتصاف

(١) أفادني بهذا المعنى الروائي عواض العصيمي من خلال الاتصال المباشر مع سيادته.

(٢) تعلمنا "السنع" و"المواجيب" في رمضان، زايد المنصوري، مقال منشور بمركز الاتحاد للأخبار، أبو ظبي، الإمارات، الثلاثاء ١٧ سبتمبر ٢٠٢٤ م.

(٣) نارالمخ، ص: ٢٣.

(٤) المعجم الوسيط، ن ش ف، ٢ / ١٤٤٧.

(٥) تكملة المعاجم العربية، ن ش ف، ١٠ / ٢٢٤.

(٦) كتاب الأفعال، علي بن جعفر بن علي السعدي، أبو القاسم، المعروف بابن القَطَّاع الصقلي ت:

٥١٥ هـ، الطبعة الأولى، عالم الكتب، القاهرة، ١٤٠٣ هـ- ١٩٨٣ م، ن ش ف، ٣ / ٢٣٠.

بالنشوف، واستعمالهم للمصدر الصناعي غير موافق للغرض منه؛ فهم يستعملونه استعمال المصدر العام، وآية ذلك أنك لو وضعت المصدر العام مكان الصناعي أدى الغرض. واستعمال العصيمي استعمال حقيقي لا مجازي.

٣١- الوَصْفَة: يقول العصيمي: "ففي أول النهار يتناول خبز الملة مع التمر وزبد الضأن، وإن تعذر إفطاره على هذه الوَصْفَة شرب الصبوح الطازج"^(١). خلا المعجم الوسيط من كلمة (الْوَصْفَة)، ولكن أجازتها لجنة الألفاظ والأساليب بمجمع اللغة العربية بالقاهرة، بمعنى: "مجموعة الإرشادات التي تُبين كيفية إعداد الشيء أو تحضيره؛ كوصفات الأطعمة والوصفات الطبية ونحوها"^(٢). هذا الاستعمال منقول من الوصفة الطبية المشتمة على أسماء الأدوية وطريقة الاستعمال، وعند العصيمي هو نقل لمعنى الكلمة من مجال دلالي إلى آخر، والكلمة الشائعة في لغة السرد الروائي جديرة بالتسجيل في بنية المعجم المعاصر، وهي صحيحة صرفياً، صحيحة دلالياً.

الظواهر اللغوية الخاصة ببنية الأسماء:

أ. تسهيل الهمز:

- المَرَّة: يقول العصيمي: "يابن أخي العلم عند المَرَّة، عند أمها، إن رضيت بشروطها تم الأمر"^(٣). كلمة (المَرَّة) بتسهيل الهمز كلمة فصيحة، ولكنها غير مستعملة في لغتنا الأدبية؛ ونظراً لأن لغة السرد الروائي تميل - غالباً - إلى السرعة في النطق والخفة في الحوار فقد أحييت كلمة (المَرَّة) مسهلة الهمزة في (المرأة). وقد وردت الكلمة في الشعر. يقول الشاعر:

(١) نارالمخ، ص: ٩.

(٢) مسرد الألفاظ والأساليب، ص: ٢٩٣.

(٣) نارالمخ، ص: ١٠.

تَقُولُ عَرْسِي وَهِيَ لِي فِي عَوْمَرَهْ بِنْسَ امْرَأً وَإِنِّي بِنْسَ الْمَرَهْ^(١)

ب. قلب الهمزة ياءً:

- بايرة / شايب: يقول العصيمي: "بنتي ما هي بايرة حتى نزوجها لشايب"^(٢).

اسم الفاعل من الفعل الثلاثي الأجوف يكون على وزن (فاعل)، مع إبدال عين الكلمة (سواء أكانت واوًا أم ياءً) همزة، ويجوز في بعض الاستعمالات اللغوية تسهيل الهمزة ياءً. ومن أمثلة هذه القاعدة الصرفية مما ورد في لغة السرد المعاصر قول العصيمي (بايرة / شايب)؛ الأصل (بائرة / شائب) بزنة (فاعلة / فاعل)، ولأن الاستعمال اللغوي المعاصريميل إلى السرعة في الكلام، ويجنح المتكلم إلى التخفيف من بنية الكلمة لذلك جاء الاستعمال بتسهيل الهمز (بايرة / شايب)، وهذا وجه من أوجه استعمالات العربية الفصحى. وتسهيل الهمزة من سمات قراءة بعض القراء، وهو كثير في رواية ورش المستعملة إلى يومنا هذا في البلاد المغربية ومن أمثلة التسهيل قراءة حمزة بالتسهيل عند الوقف للفظ (دائرة)^(٣).

ومثله ما جاء في قول الجيزاوي: "طلب من الحاج حسين زيارته في فندق السلام ليرد بعض جمائله"^(٤)؛ حيث تشيع هذه الكلمة في اللهجة المصرية خاصة، وهي في الأصل "جمائل" جمع لـ "جميل"، بمعنى الإحسان والمعروف^(٥). وهو نوع من تسهيل الهمز أيضاً.

(١) يُنظر: المقاصد النحوية في شرح شواهد شروح الألفية المشهور بـ "شرح الشواهد الكبرى"، بدر الدين محمود بن أحمد بن موسى العيني ت ٨٥٥ هـ، تحقيق: د. علي محمد فاخر، د. أحمد محمد توفيق السوداني، د. عبد العزيز محمد فاخر، الطبعة الأولى، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، مصر، ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م، ١٥٢٦/٤.

(٢) نار المرخ، ص: ١٠.

(٣) سورة المائدة، الآية ٥٢.

(٤) أيام بغداد، ص: ١٥٢.

(٥) يُنظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، ج ١، م ١، ٣٩٩.

المطلب الثالث تداولية الألفاظ في الاستعمال:

ومما تختص به لغة السرد الروائي أن بعض الألفاظ تؤدي معنى إنجازياً جديداً في لغة الخطاب الروائي، مما يعبر عن قصدية المتكلم، ويحقق الإفادة لدى المتلقي؛ وهذا ما تسعى إليه اللسانيات التداولية في الدرس اللغوي الحديث^(١). ومن أمثلة ذلك ما يأتي:

١- **حاضر:** يقول الجيزاوي: "التفت كابتن شريف ناحيته قائلاً: أهم حاجة يا محمد الكاسات تبقى نظيفة نظافة المراية... تتمم وهو يحمد الله ثم قال له: **حاضر حاضر** يا ريس، وشكراً لك يا كابتن شريف"^(٢). أدت كلمة (حاضر) نكرة معنى إنجازياً جديداً؛ فهي تعني الرد بالإيجاب والموافقة على أمر ما مطلوب تنفيذه. وهذه الكلمة بهذه الدلالة من الشيوع بمكان في معظم لهجاتنا العربية.

٢- **خالص:** يقول الجيزاوي: "أفضل فمك **خالص**"^(٣). أدت كلمة "خالص" معنى إنجازياً جديداً في الاستعمال اللغوي، وهو: نهائي. ويُلاحظ أن الكلمة بهذا المعنى مما يشيع في اللهجتين المصرية والعراقية، ولا تكون هذه اللفظة اللغوية إلا في صيغة التنكير.

٣- **خير:** يقول العصيمي: "أكره النظر في تعابير وجه الطبيب بعدما يقول لي وهو يقلب الأوراق التي بين يديه: **خير** إن شاء الله"^(٤). كلمة (خير) عندما ينطق بها الطبيب في سياق إجراء الكشف الطبي على مريض؛ إنما يريد بها معنى إنجازياً تواصلياً يكشف فيه عن مقصديته في طمأننة المريض وأهله. والكلمة بهذه الكلمة لا تأتي إلا نكرة.

(١) لمزيد من التفصيل يُنظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، د. محمود أحمد نحلة، دارالمعرفة الجامعية، الإسكندرية، ٢٠٠٢م، والنص والخطاب والاتصال، د. محمد العبد، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، الطبعة الأولى، ٢٠١٤م.

(٢) أيام بغداد، ص: ١٢.

(٣) السابق، ص: ٨٨.

(٤) نارالمخ، ص: ١٥٠.

٤- طيّب: يقول العصيمي: "اللحظة تتحصّر لتشهد أول حكاية تُلقى في البيت..
تنحج الأب ثم قال: طيّب، سأحكي طرفاً من حياتي إذاً"^(١). أدّت كلمة
"طيّب" معنى إنجازياً سياقياً تمثّل في قلب دفعة الحديث، وطلب الإصغاء
لما سيبدأ فيه من حديث. وهذه الكلمة بهذا المعنى الإنجازي لا تُستعمل
أيضاً إلا نكرة.

٥- مفهوم: يقول الجيزاوي: "الأستاذ محمد جمال الدين مكاني تماماً، وجميع
قراراته نافذة، عليك تنفيذها دون مناقشة مفهوم؟"^(٢). هذه الكلمة وردت
على لسان رجل عراقي، وهي شائعة أيضاً في معظم لهجات الدول العربية، وقد
انتقلت الكلمة من دلالة الخبر إلى دلالة الإنشاء؛ لتؤدي معنى الاستفهام، وكأن
المخاطب يؤكد على المخاطب أمراً بعينه يجب عليه أن يفهمه جيداً وينفّذه. ولا
تُستعمل الكلمة بهذا المعنى إلا نكرة أيضاً.

وخلاصة ما سبق أن لغة السرد الروائي فيما ترصده من استعمالات لهجية لبعض
الألفاظ تقدم بذلك زاداً معجمياً جديداً يمكن إضافته إلى بنية المعجم العربي المعاصر؛
استناداً إلى سنن العربية في الاشتقاق والتضمين والتغير الدلالي والمجاز والكناية، وتسهيل
الهمز، وقلب الهمزة ياء، وكذلك حرية تداولية الألفاظ في الاستعمال... إلخ.

المبحث الثاني التراكيب اللغوية المستقاة من لغة السرد الروائي:

أحاول في هذا المبحث عرض بعض التراكيب اللغوية (الإضافية والوصفية) التي
أفرزتها لغة السرد الروائي المعاصر، وخلا منها معجم اللغة العربية المعاصرة (الصادر
عام ٢٠٠٨م)، بوصفه أحد المعاجم التي عُيّنت بإيراد العديد من التراكيب الإضافية

(١) السابق، ص: ٤٨.

(٢) أيام بغداد، ص: ١٠٥.

والوصفية المعاصرة، وكذلك المعجم الوسيط (الطبعة المُحدّثة والمُزَيّدة) الصادرة عام ٢٠٢١م. ويمكن بيان ذلك على النحو الآتي:

المطلب الأول التراكيب الإضافية:

رصدت لغة السرد الروائي عدداً من التراكيب الإضافية المستعملة في لغة الناس اليومية. وقد اتصفت هذه التراكيب بصحتها اللغوية والدلالية، وشيوع الاستعمال، وعدم مجافاة الذوق العربي السليم. ومن أمثلة ذلك:

١- أبو الشباب: يقول الجيزاوي: "تكة وكباب... أبو الشباب اتفضل"^(١). والمعنى: نداء لرجل لا يعرف المنادي اسمَه بهدف استمالته وتلطيف الحوار معه، أو لمجرد بدء الحديث معه. يشيع هذا التركيب الإضافي في العراق خاصة، وفي بعض البلاد العربية. ويقال في مصر أحياناً: سيد الرجال، سيد الناس... وهكذا.

٢- أسطى النَّصْبَة: يقول الجيزاوي: "يضع القهوجي هذه الماركات في مريّته، ويُبْلَغ أسطى النَّصْبَة بما يطلبه الزبائن بصوت عالٍ"^(٢). والمعنى: الفني المسؤول عن إعداد المشروبات في مقهى أو كافيه. جاء المركب الإضافي من كلمتين؛ إحداهما معربة عن التركية (أسطى)، وتعني: صاحب صنعة ماهر، ميكانيكي، سائق سيارة^(٣)، والثانية من وزن عربي صحيح (النَّصْبَة).

٣- أطراف النزاع: يقول العصيمي: "عن نفس الموضوع كان قال له في وقت سابق إن الذي ينجح في هذا الفن تستعير خدماته أطراف النزاع"^(٤). والمعنى:

(١) أيام بغداد، ص: ٥٧.

(٢) السابق، ص: ١٤.

(٣) معجم الدخيل في اللغة العربية الحديثة ولهجاتها، د. ف. عبد الرحيم، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، ٢٠١١م، ص: ٢٨.

(٤) نار المخ، ص: ٤٢.

الأشخاص أو الهيئات المتنازعة على قضية ما، أو أمر ما. يشيع هذا التركيب غالباً في المجالات السياسية والعسكرية، ويُستخدم مثني في أحيان كثيرة؛ فيقال: طرفا النزاع. والتركيب صحيح لغةً، صحيح دلالةً.

٤- أعزّ الحبايب: يقول الجيزاوي: "أهلاً أهلاً بأعزّ الحبايب"^(١). يقال هذا المركب الإضافي لشخص محبوب، كأن يكون ابناً، أو حفيداً، أو صديقاً عزيزاً في موقف الترحيب به. ويشيع هذا المركب الإضافي في اللهجة المصرية خاصة. وقد سبق أن أجازت لجنة الألفاظ والأساليب تركيباً قريب الشبه به، وهو آخر العنقود، بمعنى: أصغر الأولاد، ابناً كان أم بنتاً^(٢).

٥- استكانة شاي: يقول الجيزاوي: "تري استكانة شاي مع نهر دجلة تساوي الدنيا وما فيها"^(٣). والمعنى الإضافي: مكان مثل المقهى تماماً يُقدّم فيه المشروبات الساخنة والباردة، مثل: الشاي والقهوة والعصير... وغيرها. ويشيع هذا المركب الإضافي في اللهجة العراقية، كما بدأت بعض المقاهي في مصر تطلقه أيضاً؛ فيقال: استكانة بين السرايات. وكلمة (استكانة) مصدر قياسي للفعل (استكان) الذي يعني: الخضوع والاستسلام؛ وواضح أن المجاز حاضر في إطلاق هذه التسمية على هذا المكان؛ حيث الاستسلام للراحة وتصفية الذهن من الفكر.

٦- تابلوه السيارة: يقول الجيزاوي: "ولا يعرف لماذا انشغل بقراءة رخصة السيارة الموضوعة أمامه مباشرة فوق تابلوه السيارة!"^(٤). والمعنى: صندوق معدني - غالباً - مجهز لاحتواء عدّادي البنزين والسّرعة، ومؤشّر الحرارة وجهاز الراديو،

(١) أيام بغداد، ص: ٨٦.

(٢) مَسْرُذُ الألفاظ والأساليب، ص: ١.

(٣) أيام بغداد، ص: ١٦٥.

(٤) السابق، ص: ٣٧.

وخزانة صغيرة^(١). وقد جاء المركب الإضافي من كلمتين: تابلو، وهي معربة عن اللغة الفرنسية (tableau)، وتعني: لوحة فنية مرسومة أو راقصة^(٢). وكلمة (السيارة)، ومثله في الصياغة ما ورد في الوسيط: دفتر اليومية^(٣). وقد أورد الوسيط (تابلو) فقط^(٤).

٧- **تضاعيف العائلة:** يقول العصيمي: "انطلق عناز من القاعدة المعتادة في طلب الرفد فبدأ بتضاعيف العائلة، مفضلاً الأعضاء الذكور القادرين على المساهمة"^(٥). ومعنى المركب الإضافي: الأفراد القريبون من الشخص في محيط عائلته؛ كالإخوة وأبناء العم... إلخ^(٦). وقد وردت كلمة (تضاعيف) في الوسيط: "تضاعيف الشيء: أوساطه وأثناؤه. وتضاعيف الكتاب: حواشيه وما بين سطوره"^(٧). وواضح أن العصيمي قد استعار الكلمة مع كلمة (العائلة)، وكأن أقرباء الشخص يكوّنون معه لُحمةً واحدةً، ويتخلل كل منهم الآخر.

٨- **حاويات القمامة:** يقول العصيمي: "تملأ من قعوده الاضطرابي في كنف مدينة كبيرة مليئة بالبشر و... وحاويات القمامة"^(٨). والمعنى: صناديق بلاستيكية أو معدنية تُستخدم لجمع القمامة فيها. والتركيب صحيح لغاً، صحيح دلالةً. مع الإشارة إلى أنه يُستعمل أحياناً في بعض اللهجات الأخرى (نحو: اللهجة المصرية المعاصرة) باسم (صناديق القمامة).

(١) معجم اللغة العربية المعاصرة، ت ا ب ل وه، ١/ ٢٧٩.

(٢) يُنظر: معجم الدخيل في اللغة العربية الحديثة ولهجاتها، ص: ٧٧.

(٣) يُنظر: المعجم الوسيط د ف ت ر، ١/ ٤٥٩. وقد ورد هذا المركب الإضافي في لغة السرد الروائي. يقول الجيزاوي:

"ترك دفتر اليومية الذي يتابعه يومياً؛ ليعرف حجم إشغالات الفندق". أيام بغداد، ص: ١٤٢.

(٤) جاء في المعجم الوسيط ت ا ب ل وه، ١/ ١٢٣: "التابلو: اللوحة الفنية. و-: المَشْهُدُ الفني في عَرْضٍ مَسْرُحِيٍّ. يقال: تابلو غنائِيٌّ".

(٥) نارالمخ، ص: ١٢.

(٦) أفادني بهذا المعنى أ.عواض العصيمي، بالاتصال بسيادته.

(٧) المعجم الوسيط، ض ع ف، ١/ ٨٥٨.

(٨) نارالمخ، ص: ١٥.

٩- **رعاية الشباب:** يقول الجيزاوي: "مع يوم ١٥ مايو نزل جدول الامتحانات، وتم تعليقهِ برعاية الشباب"^(١). والمعنى: إدارة من إدارات إحدى الكليات الجامعية تُعنى بصقل مواهب الشباب وتنمية قدراتهم على التفكير والعمل، وتدريبهم مبكراً على القيادة وتحمل المسؤولية، وذلك عن طريق برامج ومشروعات الأنشطة الرياضية والثقافية والفنية والاجتماعية التي يقومون بالمشاركة في الإعداد لها، والمساهمة الفعّالة في تنفيذها^(٢). ويُلاحظ أن كلا عنصرَي التركيب صحيح لغة، وصحيح دلالةً. وحرّى به إضافته إلى بنية المعجم المعاصر.

١٠- **زاد الصَّحراء:** يقول العصيمي: "إذ كان طعامه من زاد الصحراء خالصاً للجسد وليس لمجرد الأكل"^(٣). والمعنى: الطعام الذي يُؤخذ من الصحراء مثل الصيد والحبّ والأقط والخبز^(٤). يرصد لنا العصيمي هذا المعنى في بيئة لهجية بعينها من أرض الحجاز. وهو جدير بالدراسة والتسجيل في المعجم المعاصر.

١١- **شريط الذكريات:** يقول الجيزاوي: "كانت رأسه المتعبة لا تزال تعمل وشريط الذكريات يكرأمامه مثل شريط الفيلم السينمائي"^(٥). والمعنى: تذكُّر أحداث وذكريات قديمة، وتتابعها على ذهن الشخص واسترجاعها. وقد أدى المركب الإضافي معنى جديداً بسبك الكلمتين معاً. وهو معنى مستعمل في معظم لهجاتنا العربية المعاصرة.

١٢- **طعام الخُبوت:** يقول العصيمي: "في أزمنة الجوع والفاقة، كان ما تيسَّر من طعام الخُبوت يسد الرمق حتى اليوم التالي"^(٦). والمعنى: كُلُّ صيدٍ من

(١) أيام بغداد، ص: ٢٤٤.

(٢) يُنظر: موقع جامعة عين شمس: <https://www.asu.edu.eg/ar/34/page>

(٣) نارالمخ، ص: ٩.

(٤) أفادي بهذا المعنى أ.عواض العصيمي، بالاتصال بسيادته.

(٥) أيام بغداد، ص: ٢٣.

(٦) نارالمخ، ص: ١٥٧.

الصحراء كالظبي، وحيوان النيص، والضَّبَّ، والجربوع، والضَّبُع، والأرنب البرية، والطيور الصالحة للصيد والأكل^(١). و(الخبوت) جمع (الخبْتُ)، وهو: "الخبْتُ من الأرض: ما انخفضَ واتَّسَعَ. و-: المنخفض فيه رملٌ. و-: الوادي العميق الممدود، فيه نباتٌ. (ج) خُبوتٌ، وأُخْبأتُ"^(٢). وواضح أن المركب الإضافي قد اكتسب دلالةً اصطلاحيةً جديدةً، وإن كانت خاصة بلهجة بعينها.

١٣- فيروس الزكام: يقول العصيمي: "حدث أن هاجمه فيروس الزكام فخيَّل إليه أنه سيفقد أنفه بالمهدئات والمسكّنات التي تقترحها عليه زوجته"^(٣). والمعنى: حُمى مُعْدِيَة تتميز بالتهابٍ رشحيٍّ في الجهاز التنفسي أو الهضمي أو العصبي، يصحبها صداع وأرق^(٤). جاء هذا الاستعمال اللغوي في صورة المركب الإضافي، وهو يتكون من المضاف (فيروس)، وهي لفظة معربة عن اللاتينية^(٥)، والمضاف إليه كلمة عربية (زُكام)، والمركب الإضافي في هذا الاستعمال صحيح لغةً، صحيح دلالةً.

١٤- لُقْمَة عيش: يقول الجيزاوي: "أبحث له عن صناعية وتخلص المصلحة، ويطلع لي منها لُقْمَة عيش"^(٦). والمعنى: أجر مادي معلوم. استُعْمِل المركب الإضافي استعمالاً مجازياً؛ حيث لا يوجد خبز، إنما هو أجر مادي مبتَغى من وراء إنجاز عمل ما. ومما يقاربه في المعنى: "لُقْمَة العَيْش: الرزق، القوت الأدنى"^(٧).

(١) أفادني بهذا المعنى أ.عواض العصيمي، بالاتصال بسيادته.

(٢) المعجم الوسيط، خ ب ت، ١/ ٣٣٦.

(٣) نارالمخ، ص: ١٥.

(٤) معجم اللغة العربية المعاصرة، أن فل و ن ز، ١/ ١٣٢.

(٥) يُنظر: معجم الدخيل في اللغة العربية الحديثة ولهجاتها، ص: ١٦٠.

(٦) أيام بغداد، ص: ٦٧.

(٧) معجم اللغة العربية المعاصرة، ل ق م، ٣/ ٢٠٢٩.

المطلب الثاني التراكيب الوصفية:

رصدت لغة السرد الروائي المعاصر عدداً من التراكيب الوصفية المستعملة في لغة الحياة اليومية، وقد اتصفت بما اتصفت به سابقتها (التراكيب الإضافية)؛ حيث الصحة اللغوية والدلالية، وشيوع الاستعمال، وعدم مجافاة الذوق العربي السليم. ومن أمثلة ذلك:

١- **الأدب الشعبي:** يقول العصيمي: "هل كان يبحث عن أشباهه في حكايات البدو المتبعثرة في الأفواه ومرويات **الأدب الشعبي**"؟^(١). والأدب الشعبي هو الأدب الشفهي الذي يتناقله الناس كلاماً دون تدوين، ويقابله الأدب الرسمي الذي يلزم له التدوين^(٢). خلا المعجم الوسيط ومعجم اللغة العربية المعاصرة من المركب الوصفي (الأدب الشعبي)، وهو جدير بالتسجيل فيهما؛ فهو صحيح لفظاً، صحيح دلالةً.

٢- **الأسواق الشعبية:** يقول العصيمي: "غير أن الأمر تغير كثيراً على هذا السريـر الذي اشترته زوجته بآلاف الريالات من أحد **الأسواق الشعبية**"^(٣). والمعنى: الأسواق التي تُقام يومياً في كل بلدةٍ أو أهل حي بعينه، وهي ثابتة في مكانٍ واحد وفي كافة المواسم. كانت هذه الأسواق تُقام كالموسمية، أي: بدون دكاكين أو محلات؛ بل إن التجار كانوا يأتون بما يحتاجون إليه لعرض بضائعهم وينصبونها في مواقعها. وقد جاء هذا الاستعمال اللغوي في صورة المركب الوصفي، حيث جاء الاسم الموصوف جمع تكسير (الأسواق)، وجاءت الصفة (الشعبية) اسم منسوب مؤنث إلى كلمة (الشعب)، وقد أدت الكلمتان معاً معنى جديداً لا تؤديه كل كلمة على حدة.

(١) نارالمخ، ص: ٣٩.

(٢) يُنظر: مباحث في الأدب الشعبي، عامر رشيد السامرائي، د. ط، وزارة الثقافة والإرشاد، بغداد، ١٩٦٤م، ص: ١٠، وما بعدها.

(٣) نارالمخ، ص: ١٣.

٣- **الجَوْلَة التفقدية:** يقول العصيمي: "بعد هذا الجَوْلَة التفقدية، وريثما تأتي القهوة والشاي، ثم يحين وقت العشاء، سأعيد عليك ما..."^(١). والمعنى: زيارة استكشافية أو رحلة ترفيهية بهدف رؤية أو معاينة أماكن بعينها، والوقوف على نشاط ما فيها. ويلاحظ أن الكلمتين اللتين صيغ منهما المركب الوصفي صحيحتان لغةً، صحيحتان دلالةً، والمركب الوصفي جدير بالتسجيل في المعجم المعاصر.

٤- **الحرس الوطني:** يقول العصيمي: "سمعت كبار السن يتحدثون عن المطر، والإبل، والأراضي، وذكريات العمل بعد التقاعد من الجيش أو الحرس الوطني أو المرور"^(٢). والمعنى: (في المصطلحات العسكرية): قوة عسكرية تساعد الجيش في مهمات الدفاع عن الوطن، كما تساعد قوى الأمن في ضبط الأمور وإخماد الفتن وقت الضرورة^(٣). والتركيب صحيح لغةً، صحيح دلالةً. وهو جدير بالتسجيل في المعجم المعاصر.

٥- **الخبز الشامي:** يقول العصيمي: "تحوّلت تغذيته إلى الجُبْن والقشطة والخبز الشامي"^(٤). والمعنى: نوع من الخبز المنبسط على شكل دائرة، شائع في بلاد الشام ومصر. ويقابله في مصر الخُبْز البلدي. والتركيب صحيح لغةً، صحيح دلالةً.

٦- **الطَّبُّ الشَّعبيّ:** يقول العصيمي: "ولكن هناك أقوال أخرى يزعم بعضها أن السحركان أقوى من الطَّبِّ الشَّعبيّ الذي مُورس عليه مراراً دون طائل"^(٥).

(١) نارالمخ، ص: ٤٤.

(٢) السابق، ص: ٢٠.

(٣) يُنظر: دعائم التمكين للمملكة العربية السعودية على ضوء قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ إِذَا مَكَتُهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عِقَابُ الْأُمُورِ﴾، حمد بن حمدي الصاعدي، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، العدد المائة وعشرة، السنة الثانية والثلاثون، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م، ص: ١٤٨.

(٤) نارالمخ، ص: ١٥.

(٥) نارالمخ، ص: ٩.

والطبَّ الشعبي يُعرَف بالطب التقليديّ، أو الطب البديل، وهو يتضمن الأنظمة المعرفية التي تطورت عبر الأجيال في المجتمعات المختلفة قبل عصر الطب الحديث. والمركب الوصفي شائع في الاستعمال المعاصر، وهو -أيضاً- صحيح لغة، صحيح دلالةً.

٧- **الطُّوب الإسْمَنيّ**: يقول الجيزاوي: "وبدأ السبّاكون عملهم، ورأى كومة من **الطُّوب الإسْمَنيّ**"^(١). والمعنى: "نوع من الطُّوب يُصنع من الأسمنت والرمل وهو بديل للطوب الطَّقْليّ"^(٢). وقد جاء المركب الوصفي من كلمتين؛ إحداهما عربية (الطُّوب)، والأخرى معرّبة عن الإنجليزية cement^(٣).

٨- **العُتَبَات المقدّسة**: يقول الجيزاوي: "وأدرك على الفور لماذا يطلقون على هذه المساجد **العتبات المقدسة**"^(٤). والمعنى: أماكن دينية وحضارية مقدّسة لدى الشيعة تضم مراقد الأئمة من آل البيت في النجف وكربلاء والكاظمية وسامراء... إلخ^(٥). و(العُتَبَات) جمع (عُتْبَة)، وهي "من الباب: الخشبة التي يُوطأ عليها. و- الخشبة العُليا منه"^(٦). و"المقدسة" اسم مفعول مؤنث من الفعل "قَدَسَ". وقد اكتسبت الكلمتان معاً دلالة اصطلاحية جديدة، يمكن إضافتها إلى المعجم العربي المعاصر.

٩- **الفيلم السينمائي**: يقول الجيزاوي: "كانت رأسه المتعبة لا تزال تعمل وشريط الذكريات يكرأمامه مثل شريط **الفيلم السينمائي**"^(٧). والمعنى: سلسلة من

(١) أيام بغداد، ص: ١٠٧.

(٢) يُنظر: معجم الرياض للغة العربية المعاصرة، مجمع الملك سلمان العالمي للغة العربية، ط وب، نسخة إلكترونية على الشبكة العنكبوتية

(٣) يُنظر: معجم الدخيل في اللغة العربية الحديثة ولهجاتها، ص: ٢٩.

(٤) أيام بغداد، ص: ٨٣.

(٥) يُنظر: النظام القانوني لاستثمار أموال العتبات المقدسة دراسة مقارنة، جاسم عمران مشجل الشمري، رسالة ماجستير نوقشت بكلية القانون، جامعة كربلاء، العراق، ٢٠١٣م، ص: ١٢.

(٦) المعجم الوسيط، ع ت ب، ٢ / ٩١٩.

(٧) أيام بغداد، ص: ٢٣.

الصّور المتوالية الثابتة، عن موضوع، أو مشكلة، أو ظاهرة بعينها، مطبوعة على شريط ملفوف على بكر، تتراوح مدة عرضه عادة من ١٠ دقائق إلى ساعتين، حسب موضوعه والظروف التي تحيط به^(١). الكلمتان معربتان؛ الأولى عن الإنجليزية film، وأصل معناها: جلد رقيق^(٢). الكلمتان معربتان؛ الأولى عن الإنجليزية film، وأصل معناها: جلد رقيق^(٣)، والثانية عن الإنجليزية أيضاً cinema^(٤)، ثم عوملت معاملة الكلمات العربية فنُسب إليها فقيّل: سينمائي.

١٠- الموسيقى العسكرية: يقول الجيزاوي: "والأغنية لا تزال تتردد مع الموسيقى العسكرية"^(٥). والمعنى: نوع محدد من الموسيقى يركز بصورة أساسية على الإيقاع القوي، تُسمّع من جميع الأرجاء. وهي مقترنة بتاريخ الجيوش وانتصاراتها الحربية، وبعاداتها التنظيمية. ويتميز إيقاعها بـ "لحن السير" (المارش) march، وهو تحديد إيقاع السير في تنظيم خطوات الجنود^(٦). ويلاحظ أن الكلمة الأولى معربة عن اليونانية^(٧)، والثانية كلمة منسوبة إلى كلمة (العسكر). وقد أدّى سبك الكلمتين معنى اصطلاحياً جديداً.

١١- المياه المُقَوَّرَة: يقول العصيمي: "نحن أولى بالسما منكم يا أهل المياه المُقَوَّرَة. يقصد أننا نشرب الماء من قوارير بلاستيكية"^(٨). والمعنى: مياه

(١) يُنظر: موقع: <https://www.yabeyrouth.com/3813->

(٢) يُنظر: معجم الدخيل في اللغة العربية الحديثة ولهجاتها، ص: ١٥٧.

(٣) يُنظر: السابق نفسه.

(٤) يُنظر: السابق، ص: ١٢٥.

(٥) أيام بغداد، ص: ٥٧.

(٦) الموسوعة العربية، رابط: <https://arab-ency.com.sy/ency/details/10533/20>

(٧) يُنظر: كتاب تفسير الألفاظ الدخيلة في اللغة العربية مع ذكر أصلها بحروفه، طوبيا العنيسي

الحلي اللبناني، عني بنشره وتصحيحه وتعليق حواشيه: الشيخ يوسف توما البستاني، الطبعة

الثانية، مكتبة العرب بالفضالة، مصر، ١٩٣٢م، ص: ٧١.

(٨) نارالمخ، ص: ٢٢.

معبأة في قوارير بلاستيكية صالحة للشرب. ويلاحظ أن الكلمة الأولى (المياه) جمع (ماء)، والكلمة الثانية اسم مفعول مشتق للفعل (قَوَّرَ) من (القارورة)، وهو اشتقاق يجيزه قانون اللغة. وقد أدت الكلمتان معاً معنى جديداً للدلالة عن نوع بعينه من المياه.

ويلاحظ بعد استعراض أمثلة التراكيب الإضافية والوصفية في روائتي (أيام بغداد) و(نار المرخ) ما يلي:

- التراكيب الوصفية أكثر وروداً من التراكيب الإضافية؛ نظراً للمستحدثات الهائلة في حياتنا المعاصرة، بعكس التركيب الإضافي الذي يمكن أن تحل كلمات أخرى محل المضاف أو المضاف إليه فيه.
- جاء عنصرا التركيب من كلمتين عربيتين مثل (العتبات المقدسة)، كما جاء من كلمتين إحداهما عربية والأخرى معربة، أو العكس، مثل: (فيروس الزكام) و(الطوب الإسمتي)، كما جاء من كلمتين معربتين، مثل: الفيلم السينمائي.
- كثير من هذا التركيب الوصفية سُجِّلَتْ نظائرها في المعاجم الحديثة؛ وهذا يعني أنها جديرة بالتسجيل في بنية المعجم العربي المعاصر، أسوةً بنظائرها.
- كان اللهجة الخاصة أحياناً أثر في صكّ بعض التراكيب، مثل: أبوا الشباب - زاد الصحراء، طعام الخبوت.
- كما كان للمدنية الحديثة أثر في صكّ بعضها الآخر، مثل: المياه المُقَوَّرَة.
- كان للاصطلاح دور في صكّ بعض التراكيب، مثل: الأدب الشعبي، الحرس الوطني، الطب الشعبي.

المبحث الثالث الأساليب الشائعة المستقاة من لغة السرد الروائي:

تمثلت شجاعة العربية في تفصيح الكثير من الأساليب التي تشيع في اللهجات المحلية في الأقطار العربية، ويتأمل هذه الأساليب نجد أنها لا تخرج عن النظام اللغوي الصحيح صوتاً وصرفاً وتركيباً ودلالةً، وقد خلا منها معجم اللغة العربية المعاصرة (الصادر عام ٢٠٠٨م)، بوصفه أحد المعاجم المعاصرة التي عُنيت بإيراد العديد من الأساليب الشائعة في لغتنا اليومية، وكذلك المعجم الوسيط (الطبعة المُحدّثة والمُزيدة) الصادرة عام ٢٠٢١م، ومن أمثلة هذه الأساليب اللهجية التي شاعت في لغة الخطاب السردى المعاصر ما يأتي:

١- **أَفْرَطُ يَدَكَ**: يقول الجيزاوي: "عشروجات ١٠٠٪ لعمال السطح، وافرط يدك يا شيف"^(١). قوله: (افرط يدك) أسلوب تعبيرى شائع في الاستعمال اللغوي المعاصر، وهو عبارة عن جملة فعلية، (افرط - فعل أمر)، فاعله ضمير مستتر تقديره (أنت)، (يدك - مفعول به)، وهذا الأسلوب اللغوي قائم على البنية الحوارية بين شخصين؛ لذا يعتمد على توجيه الفعل الإنجازي إلى شخص ما؛ مما يحقق قصدية المتكلم والإفادة لدى المتلقي، وهو ما تسعى إليه تداوليات الخطاب الروائي في البنية السردية.

وهذا الأسلوب التعبيري أسلوب كنائي، غرضه الحث على التوسعة في الإنفاق؛ ولعله قريب الشبه بالمجاز الواضح في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾^(٢).

وفي التعبير بفعل الأمر (افرط) مبالغة في طلب التوسعة، بخلاف الفعل (ابسط) الذي يفيد الاعتدال، يقال: "أَفْرَطَ الشَّخْصُ: أَسْرَفَ، جَاوَزَ الْحَدَّ فِي قَوْلٍ أَوْ فِعْلٍ... مِنْ

(١) أيام بغداد، ص: ١٠٨.

(٢) سورة الإسراء، الآية ٢٩.

غير إفراط ولا تفريط: بوسطية واعتدال^(١)، واستعمل الأفراد في (يدك)؛ لأن العطاء يكون بيد واحدة في الناس، وفي التعبير تحفيز على الإعطاء، وإبراز للعطاء في صورة محسوسة مشاهدة، تزخر بالحياة والحركة، فتكون أرسخ في النفس.

٢- **بركاتك يا فلان:** يقول الجيزاوي: "**بركاتك يا حاجة كريمة**"^(٢). يقال هذا الأسلوب التعبيري في أكثر من سياق لغوي؛ فقد يقال في سياق السخرية من شخص ما يدّعي علماً ما أو معرفة ما، أو تديناً؛ وهو في الحقيقة لا يمتلك شيئاً من هذا. وقد يكون الشخص نزيهاً ويسخر منه أهل الأهواء بغير حق بمثل هذا الأسلوب كمن يقول لعابد: خذني على جناحك. وقد يقال في سياق التماس البركة فعلاً من شخص ذي صفات حميدة، ويبدو أن الأسلوب يتضمن معنى الدعاء، بمعنى (ابسطي علينا بركاتك) على سبيل التهكم؛ تهاوناً بالمخاطب، وتحقيراً لشأنه، فهو مدح يُراد به الذم، أو على سبيل التعظيم؛ التماساً للبركة من الأعلى إلى الأدنى؛ وعلى كلٍّ فهو من الأساليب اللغوية الشائعة الاستعمال في اللهجة المصرية المحكية، ويمكن دراسته وإضافته إلى معاجم الأساليب الشائعة المعاصرة.

٣- **البيت بيتك:** يقول الجيزاوي: "**البيت بيتك عندي شغل**"^(٣). جملة اسمية صحيحة لغةً، صحيحة دلالةً؛ يُقصد بها المبالغة في الترحيب بقدم ضيف إلى بيت شخص ما، وكأنه بذلك يقول له: تصرف بأريحية فبيتي بيتك. وفي إضافة (بيتك) إلى كاف الخطاب؛ ما يفيد ملكيته له، وهي ملكية مجازية وليست حقيقية، حيث أنزل المخاطب منزلة صاحب البيت في حرية التصرف، مبالغة في حفاوته والترحيب به. وفيه من جهة أخرى التماس العذر في انصراف

(١) معجم اللغة العربية المعاصرة، ف رط، ٣ / ١٦٩٣.

(٢) أيام بغداد، ص: ١٤٤.

(٣) السابق، ص: ٧٣.

صاحب البيت عن الضيف. وقد سُمِّي أحد البرامج الشهيرة بهذا الأسلوب في التلفزيون المصري في الفترة من ٢٠٠٥م حتى ٢٠١٠م، وأسلوب (البيت بيتك) من الأساليب اللغوية الشائعة الاستعمال في اللهجة المصرية المحكيّة، ويمكن دراسته وإضافته إلى معاجم الأساليب الشائعة المعاصرة.

٤- **يَبْضُ فلانُ وجهَ فلان:** يقول الجيزاوي: "كان اليوم الأول أصعب يوم عمل، خاصة عندما اشتدت الحرارة، لكنه تحمّل وتحلّد، حتى يَبْضُ وجه صاحبه" (١). (يَبْضُ فلانُ وجهَ فلان) تركيب لغوي صحيح البنية؛ ويشيع في لهجاتنا العربية المعاصرة، ولا يُقصد منه معناه الحقيقي، ولكن يُقصد به المعنى الكنائى؛ أي: شرفه وكان عند حسن الظن به. ومن شأن الإنسان إذا بلغه ما يسره أو يسوؤه ظهور أمارات ذلك على قسّمات وجهه. ولا شك أن التأثر بالمعجم القرآني واضح؛ حيث التأثر بقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ...﴾ (٢). وعبر بالوجه عن الذات، من باب التعبير بالجزء عن الكل؛ إذ الوجه هو عنوان السيادة والشرف والوجاهة، ومحل ظهور فرح الإنسان وحزنه، كما قال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ۖ (٣٨) ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ۖ (٣٩) وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ غَٰثَرَةٌ ۖ (٤٠)﴾ (٣).

٥- **تَكْهَرَبَ الجوَّ:** يقول الجيزاوي: "الجوّ قد تَكْهَرَبَ، وشعروا أن حادثاً كبيراً وقع، من تلثم السائق" (٤). الفعل (تَكْهَرَبَ) بزنة (تَفَعَّلَ)، فعل مشتق من الاسم الأجنبي المعرب (كهرياء)، ومعناه الحقيقي: "اكتسب الكهريائيّة من جسم متهيّج بها، سرت فيه القوّة الكهريائيّة"، وهو مطاوع للفعل الرباعي (كَهَرَبَ). يقال: كَهَرَبَهُ فَتَكْهَرَبَ. وقد أخذ الفعل معنى استعارياً فأصبح يُستعمل بمعنى

(١) أيام بغداد، ص: ٧٨.

(٢) سورة آل عمران، الآية ١٠٦.

(٣) سورة عبس، الآيات من ٣٨ - ٤٠.

(٤) أيام بغداد، ص: ٥٢.

مجازي؛ فنقول مثلاً: تكهرب الجو (والجو يُقصد به العلاقة أو الاجتماع أو المجلس أو الحوار... إلخ)، و: تكهربت المفاوضات، و: تكهربت الأجواء... وهكذا. وتعبر (تَكْهَرَبَ الجَوُّ) تعبير كُنْأِي يدل على شحن الأجواء بالقلق والتوتر الذي يكاد يصيب الموجودين بالصعق، من هول ما يقع.

٦- **الجسم يدفع زكَّاته**: يقول العصيمي: "الجسم يدفع زكَّاته من العمر والصحة"^(١). يقال هذا الأسلوب في سياق الرضا بقضاء الله وقدره حال المرض؛ فهو كناية عن مغفرة الذنوب نتيجة الصبر على المرض والرضا به. والمعنى فيه تأثر بالموروث الديني؛ فقد جاء في الحديث الشريف: "ما مِنْ مُصِيبَةٍ تُصِيبُ الْمُسْلِمَ إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا عَنْهُ، حَتَّى الشُّوْكَةُ يُشَاكُهَا"^(٢). والأسلوب صحيح لغةً، صحيح دلالةً؛ حيث شَبَّهَ الجسمَ بإنسان يدفع الزكاة على سبيل الاستعارة المكنية. وواضح أن الصورة البلاغية حاضرة في بنية التركيب اللغوي، وهو شائع الاستعمال في العربية المعاصرة.

٧- **جعل الله في وجه فلان القبول، وحَبَّبَ فيه خَلْقَه**: يقول الجيزاوي: "يجعل الله في وجهك القبول ويحبب فيك خلقه"^(٣). نحن أمام أسلوب دعائي شائع في اللهجة المصرية خاصة؛ وغالبًا ما تدعو به الأم لابنها القاصد عملاً ما، أو متوجهاً إلى سفر ما من أجل السعي على الرزق. وفي استعمال صيغة الخبر في الدِّعاء تفاؤلاً باستجابة الدعاء، وتحقيق وقوعه. وعناصر هذا الأسلوب بنيةً ودلالةً صحيحة.

(١) نار المرخ، ص: ١٥٣.

(٢) الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي ت ٢٥٦هـ، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الطبعة الأولى، دار طوق النجاة مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، ١٤٢٢هـ، باب ما جاء في كفارة المرض، ٧ / ١١٤.

(٣) أيام بغداد، ص: ١٢.

٨- **جَمَدُ قَلْبِكَ**: يقول الجيزاوي: "**جَمَدُ قَلْبِكَ** أهم حاجة ثقة الحاج"^(١). نحن أمام جملة فعلية (فعل أمر+ فاعل (أنت) + مفعول به)، وهي صحيحة لغةً؛ ولكنها من حيث الدلالة لا يُقصد بها الدلالة الحقيقية، وإنما المقصود الأمر برباطة الجأش وعدم القلق والخوف. وقد ورد استعمال الفعل (جَمَدَ) في المعجم المعاصر بمعنى مجازي. من ذلك: "**جَمَدَ المَالُ**، أو **الحسابُ**: أَوْقَفَ التعاملَ فيه". ويقال: **جَمَدَ الشركةُ**، و**جَمَدَ المُباحثاتُ**"^(٢). والتعبير بجمود القلب كناية عن قوته وثباته، كما يُكنى بجمود العين عن قسوة القلب، وبجمود الدم في العروق عن الخوف. و(الجمود) يدل على صلابة الشيء وتماسكه، ومنه الجماد، وهو نقيض الذوبان، كالماء السائل يصير بالجمود ثلجاً صلباً، فحينئذ يكون التعبير مستعاراً؛ لتقوية القلب، وتثبيتته، وإزالة اضطرابه. والمعنى الذي أفرزته لغة الرواية جدير بالتسجيل في المعجم المعاصر.

٩- "**خيرك سابق**": يقول الجيزاوي: "**خيرك سابق** يا عم عادل"^(٣). نحن أمام أسلوب صحيح لغةً، صحيح دلالةً؛ فجملة (خيرك سابق) جملة اسمية. وفي إضافة (خيرك) لكاف الخطاب ما يفيد التخصيص، وفي التعبير باسم الفاعل (سابق) ما يدل على ثبوت الصفة ودوامها. ويُستعمل هذا الأسلوب في حياتنا المعاصرة عندما يمتن شخص ما لشخص آخر على معروف ما أو صنيع خير فعله له؛ فيقابل هذا الشخص مقدّم المعروف أو صنيع الخير هذا الامتنان، بتأكيد أن الشخص المقدّم له هذا المعروف صاحب أفضال سابقة له. والأسلوب من الشيعوع بمكان ما يؤهله للتسجيل في بنية المعجم العربية المعاصر؛ فضلاً عن صحته اللغوية والدلالية.

(١) السابق، ص: ٩٠.

(٢) المعجم الوسيط، ج ٥، ١/ ٢٠٩.

(٣) أيام بغداد، ص: ١٤٩.

١٠- "دخيلك الله... انطيني غرفة للصباح"^(١). يشيع هذا الأسلوب في اللهجتين العراقية والأردنية، ومعناه: أستنجد بالله، كأنه يستحلفه بالله، ومعناه: اللجوء إلى الله خوفاً من أمر بعينه؛ كأن القائل يريد أن يقول: أنا دخلت بأمان الله أملك، فيحرم على الطرف الثاني الاعتداء عليه، ويشبهه قولنا: بالله عليك^(٢). "وقد سموا (دخيل الله) بمعنى أنه مستجير بالله"^(٣).

١١- دماغك حلوة: يقول الجيزاوي: "دماغك حلوة. أنت مدير وقائد بالفطرة"^(٤). (دماغك حلوة)، جملة اسمية تُستعمل - غالباً - في اللهجة المصرية كناية عن الذكاء الفطري، وتوقُّد الذهن، والاستعداد الفطري لمواجهة الصعوبات والتحديات والتغلب عليها. ولعل سبب شيوع هذا الأسلوب يرجع إلى أن كلمة (الدماغ) في الوعي الجمعي تشير إلى مكان من الذهن والتفكير والاستنباط... إلخ؛ فيقال: فلان دماغه ذريّة، وفلان صاحب دماغ عالية، وفلان دماغه كبيرة... وهكذا.

١٢- ربنا يكفيننا شرهم: يقول الجيزاوي: "ربنا يكفيننا شرهم يا أستاذ"^(٥). أسلوب دعائي يتوجه به شخص ما إلى ربه سبحانه وتعالى راجياً أن يكفيه شراً متوقعاً من شخص ما. وتأمل عناصر الأسلوب نجد أنه صحيح بنيةً، صحيح دلالةً؛ فالأسلوب أسلوب خبري يتضمن معنى الدعاء؛ أي: اللهم اكفنا شرهم، ثم الجملة الفعلية (يكفيننا شرهم) وهو ينصب مفعولين، ويلاحظ مجيء هذه الجملة في صورة الخبر، ولكن معنى الإنشاء فيها هو المقصود. والتقدير:

(١) السابق، ص: ١٠١.

(٢) يُنظر: الاستعمالات اللهجية في رواية أيام بغداد للجيزاوي، د. إبراهيم سند إبراهيم أحمد، مقال منشور بمجلة البيان، تصدر من رابطة الأدباء الكويتيين، العدد ٦١٢، يوليو ٢٠٢١م، ص: ٥٤.

(٣) معجم الأصول الفصيحة للألفاظ الدارجة، أو ما فعلته القرون بالعربية في مهدها، ص: ٣٥٦.

(٤) أيام بغداد، ص: ٩٢.

(٥) أيام بغداد، ص: ١١٥.

اكفنا شرهم. والتعبير بالمضارع يدل على طلب تجدد الكفاية بتجدد الشر، وإضافة الشر إلى ضمير الغائبين يدل على التخصيص. وفي التنزيل العزيز: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ^(١)﴾، ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ^(٢)﴾.

١٣- رينا يوقّف لك أولاد الحلال: يقول الجيزاوي: "رينا يوقّف لك أولاد الحلال يا ابني!"^(٣). يشيع هذا الأسلوب - غالباً - في اللهجة المصرية، ويتأمل عناصر هذا الأسلوب نجد أنها عناصر صحيحة لغوياً، صحيحة دلاليّاً؛، فهو أسلوب خبري أريد به الدعاء بأن يوقف الله لهم أولاد الحلال، والمجاز واضح في الفعل (يوقّف)؛ حيث ليس الوقوف الحقيقي هو المقصود، إنما المقصود التسخير والمساعدة والدعم. (و أولاد الحلال) كناية عن الأخيار المحبين للخير الداعمين للناس.

١٤- الضرب في الحياة باليد وبالقدم: يقول العصيمي: "غربي المسنوي، ٦٧ سنة أو يزيد قليلاً عن ٦٧ سنة من الضرب في الحياة باليد وبالقدم"^(٤). واضح التأثير بالمعجم القرآني للفعل (ضرب) حيث يقول تعالى: ﴿وَأَخْرَجُوا بِضُرُونِ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ^(٥)﴾؛ قال الأصفهاني: "والضَرْبُ فِي الْأَرْضِ: الدَّهَابُ فِيهَا وَضَرْبُهَا بِالْأَرْجْلِ"^(٦). فالأسلوب كناية عن السعي والجد والاجتهاد في تحصيل أسباب العيش، وفي التعبير بالضرب باليد والقدم تصوير لمكابدة المشاق، وكأن الحياة خصم يصارعه.

(١) سورة البقرة، من الآية ١٣٧.

(٢) سورة الحجر، الآية ٩٥.

(٣) أيام بغداد، ص: ٩.

(٤) نار المخ، ص: ٢٤.

(٥) سورة المزمل، من الآية ٢٠.

(٦) المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني ت ٥٠٢ هـ، تحقيق وإعداد: مركز الدراسات والبحوث، د. ط، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، السعودية، ض رب، ١/ ٣٨٤.

١٥- طالب قُرب / طالب القُرب: يقول العصيمي: "حضر الأب بصفة مراقب، والأم جاءت غير بعيد عن الباب بصفتها امرأة ذات سيادة وزيادة، وحضر الرجل بهيئة طالب قُرب" ^(١). (فلان طالب القُرب)، (أطلب القُرب منك) هذا الأسلوب شائع في لهجاتنا المعاصرة، ولا يُقصد منه معناه الحقيقي، وإنما هو كناية عن طلب الخطبة أو الزواج.

١٦- على عيني وراسي: يقول الجيزاوي: "على عيني وراسي أحبك كثيراً يا أبا القاسم" ^(٢). يقال هذا الأسلوب في سياق التقدير والاحتفاء والعناية الزائدة بشخص ما أو طلب قضاء طلب ما؛ وواضح أن الأسلوب يشير إلى أجزاء محذوفة من السياق يفهمها طرفا الخطاب القائم بينهما الحوار (المتكلم والمخاطب)؛ فمثلاً يمكن أن يُقدَّر المحذوف بـ(أنت)، أو طلبك على عيني وراسي. ويلاحظ أن كلمة (راسي) جاءت مخففة الهمزة؛ وذلك للسرعة التي تنشدها دائماً طبيعة الحوار في لهجاتنا المحلية.

وفي إيثار (العين) و(الرأس) -دون سائر الأعضاء- مبالغة في الاحتفاء والرعاية، فاستعمال الرأس يُشعر بالتوقير والرفعة، واستعمال العين يُشعر بالمراقبة، وهو ما يعضّده استعمال حرف الاستعلاء والتمكن (على). وفي التنزيل العزيز: ﴿وَلْنُصَنِّعَ عَلَىٰ عَيْنِي﴾ ^(٣)، وقوله سبحانه: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ ^(٤).

١٧- عمِلَ حسابَه على كذا: يقول الجيزاوي: "عمِلت حسابي على صحبتك حتى مطار بغداد" ^(٥). اكتسبت كلمة (الحساب) في هذا الأسلوب دلالةً جديدةً؛ وهي: الاستعداد، أو الترتيب والإعداد. وهو تغير دلالي مقبول للكلمة. ويعني

(١) نارالمخ، ص: ١١.

(٢) أيام بغداد، ص: ١٩٠.

(٣) سورة طه، الآية ٣٩.

(٤) سورة القمر، الآية ١٤.

(٥) أيام بغداد، ص: ٢٠٦.

هذا الأسلوب: أخذت استعدادي، أو الترتيب والإعداد أن أكون في رفقتك حتى مطار بغداد. والأسلوب صحيح لغةً، صحيح دلالة، ويمكن إضافته إلى المعجم العربي المعاصر.

١٨- فلان صاحب صاحبه: يقول الجيزاوي: "يوسف صاحب صاحبه"^(١). يدل هذا الأسلوب في لهجاتنا المعاصرة على الشخص المخلص في صداقته لصديقه؛ فيضحي من أجله، ويؤثره على نفسه، ويبادر بتقديم العون والدعم له، سواءً أطلب منه أم لم يطلب، ولا يُتوقع منه أي أدّى تجاه صديقه أبداً. وواضح أن الأسلوب فيه كناية واضحة على الملازمة بالبدن أو العناية والهمة^(٢)، والشهامة والمروءة والنبيل والإخلاص والوفاء في الصداقة.

١٩- فلان هدية زين: يقول الجيزاوي: "ترى قدمت لنا هدية، أبو القاسم هدية زين"^(٣). يشيع هذا الأسلوب في البلاد الخليجية. وهو تشبيه بليغ للشخص الحسن بالهدية، التي يسربها من يهداها، ويكون مُمتناً لمن أهداه. ومعناه: الإقرار بفضائل شخص ما ومآثره، وأن من كان سبباً في تعريف الشخص به قد قدّم له هدية ممتازة، وكلمة (زَيْن) كلمة فصيحة؛ فقد جاء في المعجم الوسيط: "الزَيْنُ: كلُّ ما يَزِين. (ج) أَرْيَانُ. و-: الحَسَن. وهي بقاء. يقال: امرأةٌ زَيْنَةٌ"^(٤).

٢٠- في أصبعها كالخاتم: يقول العصيمي: "أشد ما ألها في هذه الأثناء أن الجميع وقف معه حالماً أتي بكل ما طلبت. وأولهم زوجها الذي ظنت أنه في أصبعها كالخاتم"^(٥). لما كان الخاتم سهل الحركة في الأصبع، وسهل نقله من أصبع

(١) السابق، ص: ٦٧.

(٢) انظر: المفردات، ص ح ب، ١/ ٣٦١.

(٣) أيام بغداد، ص: ١٨٩.

(٤) المعجم الوسيط، زي ن، ١/ ٦٥٨.

(٥) نار المخ، ص: ١٣.

إلى آخر، فقد شاع هذا الأسلوب التعبيري في اللهجة العربية المعاصرة - خاصة اللهجتين السعودية والمصرية - للدلالة على الانقياد والإذعان والاستسلام للتوجيه والأمر. وفيه تشبيه الشخص المستسلم بالخاتم في الأصبع من حيث سهولة التحكم فيه. وفي الأسلوب (قلب)؛ إذ الخاتم ظرف، والمظروف هو الأصبع، فأنزل أحدهما منزلة الآخر، إذ العادة هي نقل المظروف إلى الظرف^(١).

٢١- **فيك الخير:** يقول الجيزاوي: "والله فيك الخير يا محمد"^(٢). أسلوب شائع في معظم لهجاتنا المعاصرة، وهو أسلوب صحيح لغة؛ حيث الجملة الاسمية (خبر شبه جملة مقدم + مبتدأ مؤخر)، وتقديم الخبر يفيد التخصيص، والأسلوب حقيقي الاستعمال؛ بمعنى: تأكيد صفة الخيرية لشخص، ويُراد من ذلك توجيه الشكر له على صنيع خير قام به هذا الشخص الموجه له الشكر.

٢٢- **كفاية عليك كذا:** يقول الجيزاوي: "كفاية عليك الجنيه"^(٣). هذا الأسلوب من الأساليب اللغوية الشائعة في استعمالات اللهجة العربية المعاصرة (اللهجة المصرية غالباً)، ويقال في سياق الحوار بين شخصين؛ فيحاور أحدهما الآخر بقوله: كفاية عليك الجنيه؛ دلالة على أن هذا المبلغ كافٍ، ولا يستحق الشخص الآخر أكثر من ذلك.

٢٣- **كله تمام:** يقول الجيزاوي: "بعد نصف ساعة عاد وهو يشير له: كله تمام"^(٤). يشيع هذا الأسلوب في اللهجة المصرية خاصة؛ وذلك للدلالة على إنجاز مهمة أو عمل ما، ويشيع هذا الأسلوب في استعمالات اللهجة العربية المعاصرة (اللهجة المصرية)؛ خاصة في الوحدات العسكرية والشرطية، وكأن قائله يفيد بذلك

(١) يُنظر: الأطول شرح تلخيص مفتاح العلوم، إبراهيم بن محمد بن عريشاه عصام الدين الحنفي ت: ٩٤٣ هـ، حققه وعلّق عليه: عبد الحميد هنداوي، د. ط، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١/ ٤٢٨.

(٢) أيام بغداد، ص: ٧٢.

(٣) السابق، ص: ١٦.

(٤) أيام بغداد، ص: ١٠٢.

إنجازه لهذه المهمة على أكمل وجه، وإفادة مكلفه بتمام الأمر المكلف به وانتهائه منه. ولفظ (كل) يفيد العموم، ونُستعمل كلمة (التمام) مصدراً بمعنى: الإكمال؛ فقد جاء في المعجم الوسيط: "تَمَّ الشَّيْءُ يَتِمُّ تَمًّا، وتَمَامًا: كَمَلَ"^(١). وهو معنى مناسب لمعنى الأسلوب الشائع في اللهجة المعاصرة.

٢٤- **لَو الْوُدُّ وَدِّي**: يقول العصيمي: "**لَو الْوُدُّ وَدِّي** ما كلفت عليك لا بكثير ولا بقليل إلا بشيٍ يسمح به خاطرك"^(٢). يشيع هذا الأسلوب في سياق التمني لأمر يصعب تحقيقه على المتكلم، وغالبًا ما يكون مفتتحًا لحديثه. و(لو) في هذا التعبير مُشْرِية معنى التمني. وهو أسلوب صحيح لغةً، صحيح دلالةً.

٢٥- **مَنْ أَحَبَّهُ رَبُّهُ حَبَبَ فِيهِ خَلَقَهُ**: يقول الجيزاوي: "**مَنْ أَحَبَّهُ رَبُّهُ حَبَبَ فِيهِ خَلَقَهُ**"^(٣). نحن أمام أسلوب لهجيٍّ مصريٍّ يكثر استعماله وتداوله على ألسنة مستعملي العربية؛ وقد جعلت اللهجة المصرية المعاصرة من هذا التركيب اللغوي مثلًا سيارًا، وهذه خصيصة تُضاف إلى خصائص لهجاتنا المحلية. وبتأمل هذا الأسلوب نجد أنه أسلوب صحيح بنيةً، صحيح دلالةً؛ فنحن أمام جملتين: جملة فعل الشرط (مَنْ أَحَبَّهُ رَبُّهُ) + جملة جواب الشرط (حَبَبَ فِيهِ خَلَقَهُ). وفي صوغ التعبير في أسلوب الشرط حدث على الفعل؛ فمتى تحقق الشرط وقع الجزاء.

وواضح التأثير بلغة الحديث الشريف؛ فقد جاء في الحديث القدسي: "إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ الْعَبْدَ نَادَى جِبْرِيلُ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحْبِبْهُ، فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، فَيُنَادِي جِبْرِيلُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحْبِبُوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، ثُمَّ يُوَضَّعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ"^(٤).

(١) المعجم الوسيط، ت م م، ١/ ١٣٦.

(٢) نارالمخ، ص: ١٠.

(٣) أيام بغداد، ص: ٢٠٨.

(٤) الجامع الصحيح المختصر، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله ت:

٢٥٦هـ، الطبعة الأولى، دار الشعب، القاهرة، ١٩٨٧م، باب التوحيد، ٩/ ١٧٣.

٢٦- نأكل عيش: يقول الجيزاوي: "كلنا نأكل عيش من هذا الفندق"^(١). يشيع هذا الأسلوب - خاصة في اللهجة المصرية - للدلالة على السعي على الرزق، والضرب في مناكب الأرض، وهو وثيق الصلة بالمعاني المعجمية لكلمة (العَيْش) في المعجم الوسيط: "العَيْشُ: الحياة. - ما تكون به الحياة من المَطْعَمِ والمَشْرَبِ والدَّخْلِ. ويقال: عَيْشُ بني فلانٍ اللَّبَنُ، أي: يعيشون عليه. - الخُبْرُ"^(٢). وواضح أن الأسلوب (نأكل عيش) يتجه نحو الكناية. ويُؤخذ على هذا الأسلوب أطراح الإعراب؛ فالصواب: نأكل عيشاً. لكن المستعمل قد سهّل الهمز وأسقط الإعراب من موقع المفعولية؛ سرعةً في النطق وتخفيفاً في الأداء الكلامي.

٢٧- نَوَّرَتْ كذا: يقول الجيزاوي: "والله نَوَّرَتْ مدينة الحلة ومحافظة بابل كلها"^(٣). يشيع هذا الأسلوب في معظم لهجاتنا المعاصرة، ويُقصد به الترحيب بشخص قادم من مكان إلى مكان آخر. ولا شك أن المعنى المستنبط هو معنى مجازي يحمل دلالاتٍ بلاغية وتداولية تدور حول الترحيب بالضيف، فهذا الأسلوب التعبيري يُقصد منه الترحيب وإظهار الفرح والسعادة بهذا الشخص القادم من سفرٍ ما. والأسلوب استعارة مكنية؛ حيث شبه الشخص بالمصباح الذي يضيء المكان، وحذف المشبه به، ودلَّ عليه بشيء من لوازمه.

٢٨- هات العواقب سليمة يا ربّ: يقول الجيزاوي: "ربّ هات العواقب سليمة يا رب العالمين"^(٤). يشيع هذا الأسلوب الدعائي في اللهجة المصرية خاصة؛ عندما يشاع حدوث مكروه ما أو حادثة ما؛ كحادث سيارة مثلاً، ويتوقع المرء حدوث مكروه لأحد أحبائه في هذا الحادث؛ فهو يرجو من الله - عز وجل - أن تكون عواقب الأمر (سواء أكان حادث سيارة، أو حريق بنائية، أو مشاجرة... إلخ)

(١) أيام بغداد، ص: ٩١.

(٢) المعجم الوسيط، ع ي ش، ١/ ١٠٠٧.

(٣) أيام بغداد، ص: ٧٣.

(٤) أيام بغداد، ص: ١٤٥.

خالية من أي أذى أو ضرر للأحباب والأصدقاء ومن على شاكلتهم. وواضح أن معنى (العواقب) في الأسلوب الذي بين أيدينا قريب الصلة من معناه في المعجم العربي؛ فقد جاء في المعجم الوسيط: "العاقبة: آخر كل شيء أو خاتمته" ^(١). (ج) عواقب.

٢٩- **واقع في عَرَضِكَ**: يقول الجيزاوي: "في عَرَضِكَ دَبَّرَ لي أي مكان" ^(٢)، "هذه امرأة لجأت لي وقالت: إنها واقعة في عَرَضِي" ^(٣). هذا اللفظ من المثلثات، فثمة ثلاثة ألفاظ العَرَض بالفتح والتسكين وهو ضد الطول، والعَرَض بالضم والتسكين وهو الوسط. يقال: ضرب به عَرَضَ الحائط أي وسطه، والعَرَض بالكسر والتسكين، وهو المراد هنا، ويدل على من هو في حرمة الرجل من أفراد أهله. وقوله واقع في عرضه؛ أي جاعل نفسي في حماك وواحدًا من عرضك ^(٤)، وقد حرّم الرسول - صلى الله عليه وسلم - في حجة الوداع "كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ وَمَالُهُ وَعَرَضُهُ"، موضع المَدْح والذَمِّ مِنَ الْإِنْسَانِ، سَوَاءً كَانَ فِي نَفْسِهِ أَوْ فِي سَلْفِهِ، أَوْ مَنْ يَلْزِمُهُ أَمْرُهُ. وقيل: هُوَ جَانِبُهُ الَّذِي يَصُونُهُ مِنْ نَفْسِهِ وَحَسَبِهِ، وَيُحَامِي عَنْهُ أَنْ يُنْتَقَصَ وَيُثْلَبَ" ^(٥). وقد ورد في معجم اللغة العربية المعاصرة: "أنا في عَرَضِكَ: ألجأ إليك وأستغيث بك. ذوو العَرَض: أشرف القوم" ^(٦). وجاء في تكملة المعاجم العربية: "نحن في عَرَضِكَ: نطرح أنفسنا على مروءتك وشهامتك، كما ترجمها لين (ألف ليلة: ٢٢٥)، وفيها: أن رجلين خافا

(١) المعجم الوسيط، ع ق ب، ٢/ ٩٦٦.

(٢) أيام بغداد، ص: ١٠١.

(٣) السابق، ص: ١٠٣.

(٤) المعجم الوسيط، ع رض، ٢/ ٩٣٧.

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري المعروف بابن الأثير ٦٠٦ هـ، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م، ٣/ ٢٠٩.

(٦) معجم اللغة العربية المعاصرة، ع رض، ٢/ ١٤٨٣.

أَنْ يُقْتَلَا فذهبا إلى أهمها وقالاً لها: يا أَمْنًا نحن في عِرْضك يا أَمْنًا اشفعي فينا. وفي معجم بوشر: أنا في عِرْضك: الأمان الأمان! العفو العفو! ^(١). وإن كانت الاستعمالات اللغوية المعاصرة (اللهجة المصرية المحكية) تميل إلى التخفيف في النطق والسرعة في الأداء الكلامي؛ لذا شاع هذا التركيب في الاستعمالات المعاصرة بفتح العين؛ وذلك على سبيل المجاز؛ للدلالة على الاستنجاد والاحتماء من خطر ما بشخص له نفوذ أو منصب ما، يمكن أن يقدم يد العون لمن يطلبه منه. واستعمال (العِرْض) هنا على سبيل الكناية عن شخص الإنسان المحتَمَى به.

٣٠- وَقَّعت قلبي: يقول الجيزاوي: "طَبْعًا يا مجدي تعال تعال. وَقَّعت قلبي" ^(٢). أسلوب شائع في اللهجة المصرية، ويقال -غالبًا- في سياق الخوف من حدوث مكروه أو نازلة ما. وعنصر الكناية واضح فيه؛ فالقلب هو مركز المشاعر والعواطف؛ فكأن هذا الأمر المحزن أو الفاجعة قد تسببت في انهيار القلب، مع التأكيد على أن هذا الأسلوب يقال في سياق الظن لحدوث هذا المكروه، ومع تبين عدم حدوثه؛ يقال: وَقَّعت قلبي؛ فالأمر لا يتعدى كونه ظن حدوث المصيبة، ولكنها لم تحدث. والأسلوب صحيح لغةً، صحيح دلالةً.

٣١- يَحْلُها الذي لا يغفل ولا ينام: يقول الجيزاوي: "قُمْ تَوْضاً لنصلي الفجر... وفي الصباح يَحْلُها الذي لا يغفل ولا ينام" ^(٣). يشيع هذا الأسلوب في اللهجة المصرية غالبًا؛ للدلالة على تفويض تفريغ معضلة أو أزمة ما للخالق -سبحانه وتعالى- فالله عز وجل هو خالقنا ومدبر الكون، وهو وحده -سبحانه وتعالى- القادر على تفريغ الكروب وإزالة الهموم. وواضح التأثير بالمعجم القرآني؛

(١) تكلمة المعاجم العربية، ٧ / ١٧٧.

(٢) أيام بغداد، ص: ١٢٠.

(٣) أيام بغداد، ص: ١٢٣.

يقول تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ﴾^(١). أما المعنى الذي أفاده الفعل (حَلَّ) في الأسلوب (فَرَّجَ) أو (كشف الهمّ) فهو قريب الصلة بالمعنى الوارد للفعل في المعجم الوسيط؛ حيث جاء فيه: "حَلَّ الْعُقْدَةَ يَحْلُهَا حَلًّا: فَكَّهَا. ويقال: حَلَّ الْمُشْكِلَةَ ونحوها"^(٢).

والتعبير بلفظ (يَحْلُ) يشير إلى تعقد الأمور كعقد الحبل، و"الذي لا يغفل ولا ينام" كناية عن الله تعالى، وفي تخصيصه بالذكر إشارة إلى تمام القدرة، وأنه سبحانه لا يعجزه شيء، ولا تخفى عليه خافية.

ويلاحظ على هذه الأساليب اللغوية السابقة ما يأتي:

١- شيوع معظم هذه الأساليب في اللهجات المعاصرة المحكية [سواءً المصرية منها أو غيرها]، وهذه اللهجات المحكية تتسم بالتنوع والثراء في الأبنية الصرفية والتراكيب النحوية، أي: في مفرداتها وأساليبها.

٢- لا تخرج هذه الأساليب على بنية اللغة الصحيحة صرفاً، ونحواً (باستثناء أسلوب نأكل عيش)، وتركيباً؛ ومن ثم علينا أن نفكر في دفع غطاء العامية عنها؛ فهي أساليب تشيع ويكثر تداولها على ألسنة العامة فقط، لكنها مقبولة لغة ودلالة.

٣- كان التأثير بالمعجمين القرآني والنبوي واضحاً في بعض هذه الأساليب على نحو ما بينت سابقاً.

٤- نظراً للتداول الذي حققته بعض هذه الأساليب في الاستعمال فقد جرى بعضها مجرى الأمثال السيّارة.

(١) سورة البقرة، من الآية ٢٥٦.

(٢) المعجم الوسيط، ج ١، ل، ١، ٣٠٤.

- ٥- كان للأسلوب البلاغي (سواء المجاز أو الكناية أو الاستعارة) آثار واضحة في دلالات الكثير من هذه الأساليب الشائعة في لهجتنا المعاصرة.
- ٦- تنوعت هذه الأساليب بين جمل فعلية، وجمل اسمية، وجمل شرطية، وجملة نداء... إلخ؛ مما يدلُّ على شجاعة لغة السرد الروائي في رصد العديد من الأساليب الشائعة بتنوعات صرفية وانحرافات لغوية عديدة.
- ٧- كان لمبدأ التآدب الخاص بالتداولية حضور واضح في بعض هذه الأساليب؛ مما يجعلها محققة لمقصدية المتكلم في لغة الخطاب الروائي.

المبحث الرابع الألفاظ الأعجمية المستقاة من لغة السرد الروائي:

أحاول في هذا المبحث بيان أن لغة السرد الروائي تتصف بإيراد العديد من الألفاظ الأعجمية، وهي ألفاظ جديدة بالدراسة اللغوية الجادة، إما بتعريبها، أو ترجمتها، أو إيجاد مكافئ عربي لها، أو قبولها بوصفها من الدخيل^(١).

وهذه الألفاظ الأعجمية أوردت بعضها المعاجم العربية المعاصرة، كمعجم اللغة العربية المعاصرة (الصادر عام ٢٠٠٨م)، وكذلك المعجم الوسيط (الطبعة المُحدَّثة والمُزَيَّدة) الصادرة عام ٢٠٢١م. وبعضها الآخر خلت منه المعاجم العربية المعاصرة، وهي جديدة بالدراسة والإضافة إلى بنية المعجم العربي المعاصر. ويمكن بيانها على النحو الآتي:

(١) لمزيد من التفصيل يُنظر: ظاهرة الاقتراض اللغوي: دراسة تحليلية لأعمال لجنة الألفاظ والأساليب بمجمع اللغة العربية بالقاهرة، د. مصطفى يوسف، بحث منشور بمجلة سرديات، الجمعية المصرية للدراسات السردية، كلية الآداب، جامعة قناة السويس، مصر، العدد الرابع والأربعون أبريل - مايو - يونيو، ٢٠٢٢م.

المطلب الأول الألفاظ الأعجمية التي وردت في المعاجم العربية المعاصرة، وفي لغة السرد الروائي:

إن إيراد مثل هذه الألفاظ الأعجمية ليس بدءاً في الاستعمالات اللغوية المعاصرة فقد أوردت المعاجم المعاصرة بعضاً منها، وكذلك وردت في لغة السرد الروائي المعاصر. ومن أمثلة ذلك:

- البقشيش: يقول الجيزاوي: "بينما كان الزملاء يتنافسون على أن تكون خدمتهم بالصفوف الأولى وحول المسرح، حيث يجلس كبار رجال الأعمال والمشاهير ويكثر البقشيش"^(١). فقد جاء في معجم اللغة العربية المعاصرة: "بَقْشِيش: ج بَقَاشِيشُ: عَطِيَّةٌ مَجَانِيَّةٌ وإِكْرَامِيَّةٌ، هِبَةٌ، رِشْوَةٌ"^(٢). والكلمة في الأصل معربة عن الفارسية "بَجْشِش"، بمعنى: العَطِيَّةُ^(٣).
- البلكونة: يقول الجيزاوي: "أسند ظهره على كرسي البلكونة وهو يقول..."^(٤). جاء في معجم اللغة العربية المعاصرة: "بَلْكونة: شُرْفَةٌ دَاخِلِيَّةٌ"^(٥). والكلمة في الأصل معربة عن الإيطالية balcone، بمعنى: الشُرْفَةُ^(٦).
- البيتزا: يقول العصيمي: "أما أشد ما عافته نفسه من المأكولات التي تقدمها رسلا فهي التي تسميها البيتزا"^(٧). جاء في معجم اللغة العربية المعاصرة: "بيتزا: فطيرة مخبوزة مَغْطَاةٌ بمسحوق الطماطم المتبَّل والجُبْن وبعض

(١) أيام بغداد، ص: ١٢.

(٢) معجم اللغة العربية المعاصرة، ب ق ش ي ش، ١/ ٢٣١.

(٣) يُنظر: معجم الدخيل في اللغة العربية الحديثة ولهجاتها، ص: ٦١.

(٤) أيام بغداد، ص: ٢٤٧.

(٥) معجم اللغة العربية المعاصرة، ب ل ك و نة، ١/ ٢٤٣.

(٦) يُنظر: معجم الدخيل في اللغة العربية الحديثة ولهجاتها، ص: ٦٤.

(٧) نارالمخ، ص: ١٥.

الإضافات الأخرى، وقد يدخل في صنْعها أنواع من اللحوم^(١). والكلمة معربة عن الإيطالية pizza، ومعناها: قرص يُخبز بالفرن وعليه إدام مكوّن من الجُبْن والطماطم وما إلى ذلك^(٢).

— **تاكسي:** يقول الجيزاوي: "ربع ساعة بالتاكسي"^(٣). جاء في معجم اللغة العربية المعاصرة: "تاكسي: سَيّارة تنقل الركّاب مقابل أجر محدّد"^(٤). والكلمة من الدخيل من الإنجليزية والفرنسية taxi، وهو اختصار لـ taximeter أي عدّاد الأجرة، وأهل المغرب ينطقونه (طاكسي)، ويجمعه أهل السودان على (تكاس - التكاسي)^(٥).

— **سجاير:** يقول الجيزاوي: "وهو كما رآه يسكن ويأكل بالفندق، ويدخن السجاير المارلبورو الحمراء"^(٦). أورد المعجم الوسيط المفرد (السَّيجارة): "قدْرُ من التَّبغ المَمْفَرِي يُلَفُّ في ورقة رقيقة لِيُدَخَّن، شديدُ الضَّرَرِ عند تدخينه"^(٧)، في حين أورد معجم اللغة العربية المعاصرة المفرد جمعه: سيجارات وسجاير وسجاير^(٨). وحرّى بالوسيط تسجيل هذه الجموع. وكلمة (سيجار) دخيلة من الإنجليزية cigar، والفرنسية cigare، ومن الإسبانية cigarro^(٩).

— **سيراميك:** يقول الجيزاوي: "عامل يطلع كراتين سيراميك"^(١٠). لم يورد المعجم الوسيط كلمة (سيراميك)، وإن اعترف بها وأوردها في ثانيا تعريفه لمدخل (السَّيلكون)^(١١). أما معجم اللغة العربية المعاصرة فأوردها: "سيراميك: نوع

(١) معجم اللغة العربية المعاصرة، ب ي ت ز، ١/ ٢٦٨.

(٢) يُنظر: معجم الدخيل في اللغة العربية الحديثة ولهجاتها، ص: ٧٣.

(٣) أيام بغداد، ص: ٨٣.

(٤) معجم اللغة العربية المعاصرة، ت ا ك س ي، ١/ ٢٨٠.

(٥) يُنظر: معجم الدخيل في اللغة العربية الحديثة ولهجاتها، ص: ٧٧.

(٦) أيام بغداد، ص: ٦٧.

(٧) المعجم الوسيط، س ي ج ا رة، ١/ ٧٤٢.

(٨) معجم اللغة العربية المعاصرة، س ي ج ا رة، ٢/ ١١٤٥.

(٩) يُنظر: معجم الدخيل في اللغة العربية الحديثة ولهجاتها، ص: ١٢٧.

(١٠) أيام بغداد، ص: ٦٧.

(١١) المعجم الوسيط، س ي ل ك و ن، ١/ ٧١٤.

من الخزف"^(١). والكلمة معربة عن اليونانية، بمعنى: طين الخزاف^(٢). والكلمة من التداول الاستعمالي؛ مما يؤهلها للتسجيل في المعجم الوسيط.

— **الشامبو:** يقول العصيمي: "أحس بالنقص ينمو في الرجل الصلب الذي كانه ويحوّله إلى شخص يتجه بإذعان، بل برغبة، إلى الشامبو للاستحمام"^(٣). لم ترد الكلمة في المعجم الوسيط؛ وأوردها معجم اللغة العربية المعاصرة: "شامبو (ج) شامبوهات: مستحضر صابوني سائل أو كريمي؛ لغسل الجسم أو الشعر وفروة الرأس"^(٤). والكلمة دخيلة من الإنجليزية shampoo، وإن كانت هندية الأصل، ولفظه الهندي (چانپو) بمعنى (ادلکوا)، ولكن الكلمة الهندية لا تُستعمل بمعنى هذا المستحضر^(٥). ويمكن تسجيل الكلمة في المعجم الوسيط، بوصفها من الدخيل؛ خاصة أنها حاضرة في استعمالنا المعاصر بوفرة.

— **الشوكولاتة:** يقول العصيمي: "حتى التمر رغم توافره في السوق لم تَعْتَدُ تناوله؛ بل أبدت تعقفاً من تفضيله على منتجات السوق كالشوكولاتة وتصنيعاتها المختلفة"^(٦). جاء في معجم اللغة العربية المعاصرة: "شوكولاتة: حلوى من الكاكاو والحليب والسكر، تُؤكَل سائلة ومجمّدة"^(٧). في حين لم يوردها المعجم الوسيط. والكلمة معربة من الإسبانية chocolate، من chocolatl^(٨). وجدير بالمعجم الوسيط أن يسجلها أسوة بكلمات أخرى معربة.

(١) معجم اللغة العربية المعاصرة، س ي ر ا م ي ك، ٢ / ١١٤٨.

(٢) يُنظر: معجم الدخيل في اللغة العربية الحديثة ولهجاتها، ص: ١٢٨.

(٣) نارالمخ، ص: ١٥.

(٤) معجم اللغة العربية المعاصرة، ش ا م ب و، ٢ / ١١٥٥.

(٥) يُنظر: معجم الدخيل في اللغة العربية الحديثة ولهجاتها، ص: ١٣٢.

(٦) نارالمخ، ص: ١٥.

(٧) معجم اللغة العربية المعاصرة، ش و ك و ل ا ت ة، ٢ / ١٢٥٠.

(٨) يُنظر: معجم الدخيل في اللغة العربية الحديثة ولهجاتها، ص: ١٣٤.

— **كارتونة (ج) كراتين:** يقول الجيزاوي: "عامل يطلع كراتين سيراميك"^(١). جاء في المعجم الوسيط: "الكارتون: نَوْعٌ من الورقِ المَقَوَّى، له استخداماتٌ متعددة"^(٢)، وجاء في معجم اللغة العربية المعاصرة: "كارتونة (ج) كرتونات وكراتين: علبة مصنوعة من الورق المقوّى"^(٣). و(كرتون) بدون ألف (ج) كراتين: الورق المقوّى، وصندوق مصنوع منه - معربة عن الفرنسية carton. وجدير بالمعجم الوسيط أن يورد الكلمة بدون ألف، وكذلك الجمع (كراتين)؛ نظراً للشيعوع والتداول، وعدم وجود مكافئ عربي مناسب.

— **الغليون:** يقول العصيمي: "لم أر أحداً يستخدم غليوناً على الإطلاق، لا حديث عن القصص القديمة والقصيد الأول"^(٤). جاء في معجم اللغة العربية المعاصرة: "غَلْيُون (ج) غَلاوِينُ وَغَلايِينُ: أنبوب للتّدخين له رأس مجوّف يُحشى فيه التّبغ"^(٥). والكلمة معربة عن الفارسية (قَلْيُون) معناه النارجيلة. ومعلوم أن القاف تُنطق غيناً بالفارسية، و(قَلْيُون) مُصَحَّف من (غَلْيَان)، وهو كذلك بمعنى النارجيلة، وهي كلمة عربية أصلها (غَلْيَان) سُمّيت النارجيلة بهذه التسمية؛ لأن الماء الذي فيها يتحرك عند التدخين كتحرّكه عند الغليان؛ فهذه كلمة عربية عادت إلينا مشوّهاً مبناها، مُغيّراً معناها^(٦) - مع التأكيد أن الكلمة تُنطق في اللهجات المحكية بضم الغين - والكلمة جديرة بالتسجيل في المعجم الوسيط.

(١) أيام بغداد، ص: ٦٧.

(٢) المعجم الوسيط، كارت ون، ٢ / ١٢١٥.

(٣) معجم اللغة العربية المعاصرة، كارت ون، ٣ / ١٩١٨.

(٤) نارالمخ، ص: ٢٣.

(٥) معجم اللغة العربية المعاصرة، غلي ون، ٢ / ١٦٣٩.

(٦) يُنظر: معجم الدخيل في اللغة العربية الحديثة ولهجاتها، ص: ١٤٨.

— **الكُشري:** يقول الجيزاوي: "تذكر كيف عمل في محل **الكُشري** بميدان الجيزة..."^(١). جاء في معجم اللغة العربية المعاصرة: "**كُشري**: طعام يُصنع من الرُّز والعدس مقشوراً أو غير مقشور بالإضافة إلى المكرونة"^(٢). والكلمة معربة عن اللغة الهندية^(٣)..

— **يافطة:** يقول الجيزاوي: "وأثناء تجواله بالسوق، قرأ **يافطة** كبيرة في محل يبيع الخضراوات"^(٤). وردت الكلمة في معجم اللغة العربية المعاصرة: "**يافطة** (ج) يافطات: لافتة للدعاية والإعلان، لوحة من خشب أو معدن أو نحوهما يُكتب عليها اسم أو شعار لتوجيه النظر إليه"^(٥). في حين لم يوردها المعجم الوسيط. والكلمة معربة عن التركية (**يافته**) yaftha^(٦). وهي جذيرة بإدراجها في المعجم الوسيط؛ حيث إنها كثيرة التداول في عالمنا العربي.

المطلب الثاني الألفاظ الأعجمية التي وردت في لغة السرد الروائي، ولم ترد في بنية المعجم العربي المعاصر:

حفلت لغة السرد الروائي بالعديد من الألفاظ الأعجمية مما يُتداول في لغتنا المعاصرة بين قطاعات عديدة من مستخدمي العربية، وقد خلا منها معجم اللغة العربية المعاصرة والمعجم الوسيط. ومن أمثلة ذلك:

— **أسانسير:** يقول الجيزاوي: "أفرشها في مكان كويس بجوار غرفة **الأسانسير**"^(٧). على الرغم من أن مجمع اللغة العربية بالقاهرة قد أجاز كلمة (**مُصعد**)^(٨) بدلاً

(١) أيام بغداد، ص: ١٠.

(٢) معجم اللغة العربية المعاصرة، ك ش ري، ١٩٣٦ / ٣.

(٣) يُنظر: معجم الدخيل في اللغة العربية الحديثة ولهجاتها، ص: ١٧٩.

(٤) أيام بغداد، ص: ١١٦.

(٥) معجم اللغة العربية المعاصرة، ي ا ف طة، ٢٥٠٦ / ٣.

(٦) يُنظر: معجم الدخيل في اللغة العربية الحديثة ولهجاتها، ص: ٢٢٣.

(٧) أيام بغداد، ص: ١٠٢.

(٨) جاء في المعجم الوسيط: "**المُصْعَدُ**: ما يُصْعَدُ به. و-: جهاز يُستعان به على الصعود والهبوط في المباني المرتفعة. **المُصْعَدُ**: **المُصْعَادُ**. ج **مَصَاعِدُ**". المعجم الوسيط، ص د، ٨١٩ / ١.

عن كلمة (أسانسير) العربية عن الفرنسية ascenseur^(١)؛ فإن كلمة (أسانسير) لا تزال تُستعمل على نطاق واسع في العالم العربي؛ مما يؤهل الكلمة لقبولها بوصفها من الدخيل^(٢).

— **البشوت:** يقول العصيمي: "لورأيتهم كلما وقع لهم أمر في الإمارة أو في المحكمة أو عند أحد الأمراء أو في قصر أحد المشايخ، يلبسون البشوت..."^(٣). أورد المعجم الوسيط المفرد (البِشْت) ولم يورد له جمعاً؛ حيث جاء فيه: "البِشْتُ: كِسَاءٌ بلا كُمَيْنِ"^(٤). وكلمة (بِشْت) دخيلة من اللغة الفارسية، وأصلها من (بُشْت دار)، ومعناه الحرفي: ذو ظهر، ويُطلق على ثوب غليظ^(٥). وجمع الكلمة على (بشوت) من الشيوع والتداول والصحة الدلالية ما يرشح إضافته إلى المعجم الوسيط، ويكثر استعمال هذه اللفظة اللغوية في دول الخليج العربي، ويقابلها في اللهجة المصرية المعاصرة (العباءة).

— **البوتاجاز:** يقول العصيمي: "... وهي نفسها القهوة التي تتناولها أنت، ولكن إعدادهما مختصر للغاية، وتُعدّ على البوتاجاز وليس على الحطب"^(٦). أصل كلمة (بوتاجاز) (بوتاغاز)، وهي كلمة منحوتة من كلمة (butane) الإنجليزية، وكلمة (غاز)، ويُطلق على الغاز الذي يُستعمل في وقود المنازل والمصانع، وقد يطلقه الناس على موقد الغاز أيضاً^(٧). ومن أمثلة ذلك في لغتنا المعاصرة نطق (البنتاغون) (البنتاجون).

(١) يُنظر: معجم الدخيل في اللغة العربية الحديثة ولهجاتها، ص: ٥٩.

(٢) "الدخيل: اللفظ أو الأسلوب أو التركيب المقترض من لغة أجنبية إلى اللغة العربية، وإن وافق اللفظ العربي - صوتاً وصرفاً - دون قصد". ظواهر لغوية في المعجمية العربية: دراسات تطبيقية، ص: ١٨٦.

(٣) نارالمخ، ص: ٣٩.

(٤) المعجم الوسيط، ب ش ت، ١/ ٨٩.

(٥) يُنظر: معجم الدخيل في اللغة العربية الحديثة ولهجاتها، ص: ٢٥.

(٦) نارالمخ، ص: ٤٠.

(٧) يُنظر: معجم الدخيل في اللغة العربية الحديثة ولهجاتها، ص: ٦٩.

- **الرووف:** يقول الجيزاوي: "إن شاء الله يكون عندنا أحلى رووف للفندق"^(١). من الكلمات الشائعة الاستعمال في اللغة المعاصرة، وتعني: سطح البيت، أو ردهة واسعة يجلس فيها - غالباً - من يريد الاستمتاع بالهواء الطلق. والكلمة من الدخيل من اللغة الإنجليزية roof^(٢). والكلمة جديدة بتسجيلها في بنية المعجم المعاصر، بوصفها من الدخيل، ويكثر استعمال هذه اللفظة اللغوية في العربية المعاصرة مع البنايات الكبيرة واستعمال أسطحها رفوفاً تُزرع بنباتات الزينة؛ فتكون مكاناً للجلسات العائلية، أو المقاهي العامة؛ للاستمتاع بالمناظر العامة الجميلة من فوق البنايات المرتفعة.
- **الشَّيف:** يقول الجيزاوي: "ويهبط بالأسانسير للدور الأسفل يتذوق أكل الشَّيف"^(٣). كلمة (الشَّيف) من الكلمات الشائعة التداول في لغتنا المعاصرة، وتعني: رئيس الطباخين في فندق أو مطعم أو نحوهما. والكلمة في الفرنسية chef، وهو اختصار لـ chef de، أي رئيس الطهي، أو رئيس المطبخ، وهي توءم chief بالإنجليزية بمعنى الرئيس^(٤). والكلمة جديدة بالتسجيل في معاجمنا المعاصرة؛ بوصفها من الدخيل، خاصّة مع انتشارها في الاستعمال اللغوي في المطاعم الكبرى والكافيتريات المنتشرة في أماكن السياحة والمصايف.
- **الكارنيه:** يقول الجيزاوي: "دفعت مصاريف الكلية، وطلّعت الكارنيه الجديد"^(٥). الكلمة متداولة في اللهجة المصرية المعاصرة، وتعني بطاقة لإثبات هوية الطالب أو الموظف، وقد تعددت استخداماته؛ فهناك كارنيه النادي، وكارنيه الشرطة، وكارنيه القوات المسلحة... إلخ. والكلمة معربة من الفرنسية carent^(٦). وهي

(١) أيام بغداد، ص: ٨٣.

(٢) يُنظر: معجم المعاني: <https://www.almaany.com/ar/dict/ar-en/roof/>

(٣) نارالمخ، ص: ٩٢.

(٤) يُنظر: معجم الدخيل في اللغة العربية الحديثة ولهجاتها، ص: ١٣٧.

(٥) أيام بغداد، ص: ٢٣١.

(٦) يُنظر: معجم الدخيل في اللغة العربية الحديثة ولهجاتها، ص: ١٧٠.

جديرة بالتسجيل في المعجم الوسيط؛ حيث إنها من التداول والشيوع بقدر لا ينكره أحد، ولا يُستغنى عن هذه اللفظة اللغوية في المجتمع الجامعي ودخول الطلاب من بوابات الجامعات، أو مجتمع الرياضة ودخول الأعضاء إلى النوادي،... وغيرها.

— **الكافيتريا:** يقول الجيزاوي: "العمل بالمطاعم والقهواي والكافيتريات المنتشرة على طول الطرق السريعة"^(١). الكلمة شائعة في لغتنا المعاصرة، وتعني: مكان مخصص لتناول المشروبات والأطعمة، قد يكون في معسكر أو جامعة أو مدرسة... وغيرها. والكلمة معربة عن الإسبانية *cafetero*، بمعنى صانع القهوة وبائعها^(٢). ورغم أن كلمة (مَقْصِف) العربية تؤدي المعنى؛ فإن كلمة (كافيتريا) أكثر تداولاً على ألسنة الناس في حياتهم العامة؛ مما يرشح إمكانية تعريبها وإدراجها في بنية المعجم المعاصر.

— **الكوتشينة:** يقول الجيزاوي: "وما إن دخل من باب البيت حتى وجد الكثير ممن يعرفهم من أهل قريته يلعبون الكوتشينة"^(٣). الكلمة تصحيف للكلمة الإيطالية "Cartoncini"، وتُنطق "كرتونشيني"، وتعني لعبة البطاقات^(٤). وهذه الكلمة متداولة في بعض اللهجات المعاصرة، خاصة في نوادي الشباب وأماكن تجمعهم للسهر؛ مما يرشح تعريبها في بنية المعجم العربي المعاصر.

— **الماركة:** يقول الجيزاوي: "سَلَّمه مائة ماركة، والماركات قطع بلاستيكية صغيرة"^(٥). كلمة (ماركة) معناها: علامة تجارية. وقد جاء في معجم اللغة العربية المعاصرة: "ماركة: علامة، سمة، نوع" "ماركة مسجّلة" ° ماركة تجارية: علامة فارقة تُجعل على البضائع ولكلّ معمل علامة خاصّة به يضعها

(١) أيام بغداد، ص: ١٤.

(٢) يُنظر: معجم الدخيل في اللغة العربية الحديثة ولهجاتها، ص: ١٧١.

(٣) أيام بغداد، ص: ٥٨.

(٤) يُنظر: معجم المعاني: <https://www.almaany.com/ar/dict/ar-en/>

(٥) أيام بغداد، ص: ٦٠.

على مصنوعاته^(١). والكلمة جرمانية الأصل، منها mark بالإنجليزية. وفي التركية marka من marca بالإيطالية^(٢). والكلمة متداولة في لغتنا المعاصرة، خاصة في مجال الإلكترونيات والملابس وغيرها من الماركات الشهيرة؛ ولذا فإن الكلمة جديدة بإدراجها ضمن الألفاظ المعربة في المعجم الوسيط.

— **نسكافيه:** يقول العصيمي: "هذا كل شيء، ماء مغلي وعبوة صغيرة من **النسكافيه** الجاهزة توقف الحواس يوماً كاملاً"^(٣). كلمة (نسكافيه) من الكلمات المتداولة في حياتنا المعاصرة، وتعني: قهوة سريعة الذوبان من البُن، حيث تُستخدم القهوة المحمّصة والماء في التصنيع، وقد يُضاف إليه اللبن الطازج أو المصنّع. والكلمة منحوتة من كلمتي café و nestle، ونستله هي الشركة العالمية التي تقوم بإنتاج النسكافيه وتطوير نكهاته عبر الأيام، وأنتجته استناداً على خبرتها في صناعة الحليب^(٤).

يتضح لنا من الأمثلة السابقة ما يأتي:

١- أن الكلمات الأعجمية قد تنوع اقتراضها من لغات عدة كالفارسية والإنجليزية والفرنسية والتركية والألمانية والإسبانية... إلخ.

٢- أن هذه الكلمات يرجع شيوعها في البيئة العربية لأنها وليدة بيئات أخرى؛ فهي وافدة علينا من هذه البيئات.

٣- تأخر المجامع العربية والهيئات العليا للغة العربية في وضع مكافئ عربي جعل من الصعب ترشيح هذا المكافئ العربي؛ ومن ثم أصبح تعريب هذه الكلمات، أو قبولها بوصفها من الدخيل أمراً حتمياً.

(١) معجم اللغة العربية المعاصرة، ماركة، ٣ / ٢٠٦١.

(٢) يُنظر: معجم الدخيل في اللغة العربية الحديثة ولهجاتها، ص: ١٩٦.

(٣) نارالمخ، ص: ٤٠.

(٤) يُنظر: <https://www.nestle-mena.com/ar/brands/nestle>

٤- لغة السرد الروائي المعاصر لغة حاضرة تصف الواقع اللغوي المعيش بكل ما فيه من تنوعات لغوية؛ سواءً أكانت لغة فصحي، أم لغة صحيحة، أم ألفاظاً أعجمية.

الخاتمة:

تناولت هذه الدراسة موضوع (شجاعة العربية في الخطاب السردى: تنوع الأنماط اللغوية وإثراء المعجم العربى المعاصر)، عرضت في المبحث الأول الألفاظ المستقاة من لغة السرد الروائي، وفي المبحث الثاني عرضت التراكيب اللغوية، وفي المبحث الثالث عرضت الأساليب الشائعة في لغة السرد الروائي، وفي المبحث الرابع عرضت الدراسة بعض الألفاظ الأعجمية المستقاة من لغة السرد الروائي، وكيفية نقلها إلى البيئة العربية، سواءً بتعريبها، أو ترجمتها، أو إيجاد مكافئ عربي، أو قبولها بوصفها من الدخيل.

وقد جاءت هذه الدراسة في لغة السرد الروائي المعاصر؛ لرصد الواقع المعيش على ألسنة الناس؛ مما يؤكد جرأة الروائيين في التجديد في بنية اللغة: ألفاظاً، وأساليب، وتراكيب؛ فنجد توسيعاً لقواعد الاشتقاق، والقياس، والنحت، والتعريب، والترجمة... إلخ.

وقد توصلت الدراسة إلى عدد من النتائج؛ منها ما يأتي:

١- بينت الدراسة قدرة السرد الروائي على التجديد في بنية اللغة العربية وإثرائها، بما لا يخالف منطق اللغة السليم.

٢- أكدت الدراسة اختلاف الروائيين عن غيرهم- [أي صنّاع المعاجم المعاصرة]- بالجرأة في تسجيل ما يشيع على ألسنة العامة، وفي لهجاتهم المحكيّة؛ أي: يحذرون صانع المعجم العربى المعاصر من تسجيل ما يشيع من ألفاظ وأساليب وتراكيب الذائعة الشيع على ألسنة الناس في حياتهم العامة.

٣- أكّدت الدراسة أن كثيراً من الاستعمالات اللهجية التي رصدتها لغة الرواية صحيحة لغوية من ناحيتي (الاشتقاق والدلالة)، كما أشارت إلى انحراف المعنى الأصلي في بعض الاستعمالات اللغوية المحكية إلى دائرة البلاغة العربية (الكناية والمجاز).

٤- أشارت الدراسة إلى قدرة الرواية على الانتقال بالألفاظ من دلالات بعينها سجلتها المعاجم، إلى دلالات أخرى جديدة؛ وذلك بعوامل التغير الدلالي، من تعميم الدلالة أو تخصيصها، أو رقي الدلالة أو انحطاطها، أو عن طريق نقل الدلالة.

٥- أثبتت الدراسة تفصيح كثير من الأساليب الشائعة المتداولة في حياة الناس العامة، والتزامها بالقوالب الصرفية والتركيب النحوية الصحيحة؛ ومن ثم وجب على اللغويين والمعجميين أن يفكروا في دفع غطاء العمية عنها، خاصة بعد أن دفع الروائيون ذلك الغطاء.

٦- أشارت الدراسة إلى أن كثيراً من الاستعمالات المعاصرة في اللهجات المحكية التي رصدتها لغة الرواية قد مالت إلى تخفيف الهمزة، أو قلبها ياء، وأطراح الإعراب في بعض الأحيان؛ طلباً للسرعة في الحوار الكلامي، وتخفيفاً على القارئ العادي من أجل إيصال المعنى إليه مباشرة.

٧- أكّدت الدراسة أن اللهجات المعاصرة، ومظاهر المدنية الحديثة، والاصطلاح العلمي - مثلت دوافع حقيقية في صكّ العديد من الأساليب والتركيب (بنوعها الإضافي والوصفي)، وقد وجدت توظيفاً مناسباً لها في لغة السرد الروائي.

٨- أظهرت الدراسة أن لغة السرد الروائي لا تتحرج من تسجيل ألفاظ أجنبية مما يتردد على ألسنة مستعملي اللغة (في زمان الرواية ومكانها)، وتوظيفها في البناء اللغوي للرواية، بما لا ينفّر من ذلك، وتقبل القارئ لها بقبول حسن.

- ٩- أوضحت الدراسة أن العديد من الألفاظ قد أدّت معنىً إنجازياً جديداً في لغة الخطاب الروائي، مما يعبر عن قصيدة المتكلم، ويحقق الإفادة لدى المتلقي؛ وهذا جوهر ما تسعى إليه اللسانيات التداولية في الدرس اللغوي الحديث.
- ١٠- أكدت الدراسة أن شجاعة العربية تمثلت في تفصيح الكثير من الأساليب اللغوية التي لا تخرج عن النظام اللغوي الفصيح، والتي استعان بها الروائيون في أعمالهم الأدبية، وتشيع في اللهجات المحكيّة في الأقطار العربية.

ثانياً التوصيات:

- ١- ضرورة أن يتولى اتحاد المجمع اللغوية العربية فكرة إنشاء أطلس لهجي للأقطار العربية، يوضح مدى التقارب بين اللهجات الحالية والفصحى الأصيلة، ويزيل أسباب الغموض اللهجي بين هذه الأقطار بعضها البعض.
- ٢- يوصي البحث أن ينتبه صناع المعاجم المعاصرة -مؤسسات وأفراداً- إلى ضرورة جمع اللغة من الأعمال الروائية، وبيان الجدير منها بالتسجيل في المعجم العربي المعاصر، من حيث توافر عناصر الصحة اللغوية والدلالية والشيوع.
- ٣- ضرورة تكثيف دراسات صرفية وبلاغية لبيان خصائص السرد الروائي؛ من حيث جرائه في الخروج على الأنماط الصرفية (من مثل تعدي الفعل ولزومه، التضمين... إلخ)، وكذلك بيان الخصائص البلاغية التي تضيفها لغة السرد على الألفاظ فتكسبها معاني جديدة. (ينظر في ذلك على نحو مماثل: معجم لغة الشعر، مجمع اللغة العربية، حرف الهمزة).

المصادر والمراجع

آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، د. محمود أحمد نحلة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ٢٠٠٢م.

إرشاد السالك إلى حل ألفية ابن مالك، برهان الدين إبراهيم بن محمد بن أبي بكر بن أيوب بن قيم الجوزية (ت ٧٦٧ هـ)، تحقيق: د. محمد بن عوض بن محمد السهلي، الطبعة الأولى، أضواء السلف، الرياض، ١٣٧٣ هـ - ١٩٥٤ م.

الأطول شرح تلخيص مفتاح العلوم، إبراهيم بن محمد بن عريشاه عصام الدين الحنفي (ت: ٩٤٣ هـ)، حققه وعلّق عليه: عبد الحميد هنداي، د. ط، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج ١.

أيام بغداد، خليل الجيزاوي، الطبعة الأولى، دار المعارف، القاهرة، ٢٠٢٠م.

الاستعمالات اللهجية في رواية (أيام بغداد) للجيزاوي، د. إبراهيم سند إبراهيم أحمد، مقال منشور بمجلة البيان، تصدر من رابطة الأدباء الكويتيين، العدد ٦١٢، يوليو ٢٠٢١م.

تعلمنا "السنع" و"المواجيب" في رمضان، زايد المنصوري، مقال منشور بمركز الاتحاد للأخبار، أبوظبي، الإمارات، الثلاثاء ١٧ سبتمبر ٢٠٢٤م.

تكملة المعاجم العربية، رينهارت بيترآن دوزي (ت: ١٣٠٠ هـ)، نقله إلى العربية وعلّق عليه: جمال الخياط، الطبعة الأولى، وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، من ١٩٧٩ - ٢٠٠٠م.

الجامع الصحيح المختصر، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (ت: ٢٥٦ هـ)، الطبعة الأولى، دار الشعب، القاهرة، ١٩٨٧م، ج ٩.

الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي (ت ٢٥٦هـ)، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الطبعة الأولى، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، ١٤٢٢هـ، ج ٧.

جمهرة اللغة، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (ت: ٣٢١هـ)، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، الطبعة الأولى، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ١٩٨٧م.

جهود مجمع اللغة العربية بالقاهرة في دراسة العربية المعاصرة، عمر محمد سعيد زايد، رسالة دكتوراه مخطوطة بكلية دار العلوم جامعة القاهرة، إشراف أ.د. محمد حسن عبدالعزيز، نُوقشت عام ١٩٩١م.

الجيم، أبو عمرو إسحاق بن مرار الشيباني بالولاء (ت: ٢٠٦هـ)، تحقيق: إبراهيم الإياري، راجعه: محمد خلف أحمد، د.ط، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، القاهرة، ١٩٧٤م، ج ٢.

الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢ هـ)، تحقيق: محمد علي النجار، الطبعة الرابعة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٩م.

دلائل الإعجاز، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (ت: ٤٧١هـ)، تحقيق: محمود محمد شاكر، الطبعة الثالثة، مطبعة المدني بالقاهرة، ودار المدني بجدة، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

دعائم التمكين للمملكة العربية السعودية على ضوء قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ إِذَا مَكَتَهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عِقَبُ الْأُمُورِ﴾، حمد بن حمدي الصاعدي، العدد المائة وعشرة، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، السنة الثانية والثلاثون، ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م.

شرح كتاب سيبويه، أبو سعيد السيرافي الحسن بن عبد الله بن المرزبان (ت: ٣٦٨هـ)،
تحقيق: أحمد حسن مهدي، علي سيد علي، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية،
بيروت، لبنان، ٢٠٠٨م، ج ٤.

ظاهرة الاقتراض اللغوي: دراسة تحليلية لأعمال لجنة (الألفاظ والأساليب) بمجمع
اللغة العربية بالقاهرة، د. مصطفى يوسف، بحث منشور بمجلة سرديات، الجمعية
المصرية للدراسات السردية، كلية الآداب، جامعة قناة السويس، مصر، العدد
الرابع والأربعون (أبريل - مايو - يونيو)، ٢٠٢٢م.

ظواهر لغوية في المعجمة العربية، الطبعة الأولى، د. مصطفى يوسف، دار النابغة،
القاهرة، ٢٠٢٤م.

فصيح العامي في شمال نجد، عبدالرحمن بن زيد السويداء، الطبعة الأولى، دار السويداء
للنشر والتوزيع، الرياض، ١٩٨٧م، ج ٣.

كتاب الأفعال، علي بن جعفر بن علي السعدي، أبو القاسم، المعروف بابن القَطَّاع
الصقلي (ت: ٥١٥هـ)، الطبعة الأولى، عالم الكتب، القاهرة، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، ج ٣.

كتاب الألفاظ والأساليب، إعداد لجنة الألفاظ والأساليب، مجمع اللغة العربية،
الطبعة الأولى، القاهرة، ٢٠٢٢م، ج ٦.

كتاب تفسير الألفاظ الدخيلة في اللغة العربية مع ذكر أصلها بحروفه، طوبيا العنيسي
الحلي اللبناني، عُني بنشره وتصحيحه وتعليق حواشيه: الشيخ يوسف توما
البستاني، الطبعة الثانية، مكتبة العرب بالفجالة، مصر، ١٩٣٢م.

كتاب في أصول اللغة، مجمع اللغة العربية، الطبعة الأولى، الهيئة العامة لشؤون المطابع
الأميرية، القاهرة، ١٩٦٩م.

مباحث في الأدب الشعبي، عامر رشيد السامرائي، الطبعة الأولى، وزارة الثقافة والإرشاد،
بغداد، ١٩٦٤م.

المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين ابن الأثير (ت ٦٣٧هـ)، تحقيق: أحمد الحوفي، وبدوي طبانة، د.ط، دار نهضة مصر، القاهرة، القسم الثاني، د.ت.
مجلة مجمع اللغة العربية الملكي، د.ط، المطبعة الأميرية ببولاق، مصر، الجزء الثاني، صفر ١٣٥٤هـ = مايو ١٩٣٥م.

مجمع اللغة العربية في ثلاثين عاماً: مجموعة القرارات العلمية، الطبعة الأولى، مجمع اللغة العربية، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، القاهرة، ١٩٦٣م.

مجموعة القرارات العلمية في خمسين عاماً ١٩٣٤-١٩٨٤، الطبعة الأولى، مجمع اللغة العربية، طبع بالهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، ١٩٨٤م.

مسرد الألفاظ والأساليب: من الدورة الخامسة والثلاثين حتى الدورة التسعين، إعداد وتصنيف: د. مصطفى يوسف، مراجعة وتقديم: أ.د. محمد العبد، مراجعة: أ.د. محمد رجب الوزير، الطبعة الأولى، القاهرة، ٢٠٢٤م.

معجم الأصول الفصيحة للألفاظ الدارجة، أو ما فعلته القرون بالعربية في مهدها، محمد بن ناصر العبودي، د.ط، مكتبة الملك عبدالعزيز العامة، الرياض، ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م، ج ١.

معجم تيمور الكبير في الألفاظ العامية، أحمد تيمور، الطبعة الأولى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧١م، ج ٢.

معجم الدخيل في اللغة العربية الحديثة ولهجاتها، د. ف. عبدالرحيم، الطبعة الأولى، دار القلم، دمشق، ٢٠١١م.

معجم الرياض للغة العربية المعاصرة، مجمع الملك سلمان العالمي للغة العربية، (نسخة إلكترونية على الشبكة العنكبوتية).

معجم الصواب اللغوي، د. أحمد مختار عمر، بمساعدة فريق عمل، ط ١، عالم الكتب، القاهرة، ٢٠٠٨م، ج ١.

معجم اللغة العربية المعاصرة، د. أحمد مختار عمر، بمساعدة فريق عمل، الطبعة الأولى،
عالم الكتب، القاهرة، ٢٠٠٨م.

المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، الطبعة الخامسة (طبعة محدثة ومزودة)، طبع
بمطابع دار التحرير للطبع والنشر، القاهرة، ٢٠٢١م.

المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني
(ت ٥٠٢هـ)، تحقيق وإعداد: مركز الدراسات والبحوث، د. ط، مكتبة نزار مصطفى
الباز، مكة المكرمة، السعودية، ج ١.

المقاصد النحوية في شرح شواهد شروح الألفية المشهور بـ "شرح الشواهد الكبرى"،
بدر الدين محمود بن أحمد بن موسى العيني (ت ٨٥٥ هـ)، تحقيق: د. علي محمد
فاخر، د. أحمد محمد توفيق السوداني، د. عبد العزيز محمد فاخر، الطبعة الأولى، دار
السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، مصر، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م، ج ٤.
موسوعة اللهجة العامية السورية: كراسة لغوية نقدية في التفصيح والتأصيل والمولد
والدخيل، ياسين عبد الرحيم، د. ط، الهيئة السورية العامة للكتاب، وزارة الثقافة،
دمشق، ٢٠١٢م، ج ٢.

نار المرخ، عواض العصيمي، الطبعة الأولى، دار مدارك للنشر، الرياض، السعودية، ٢٠٢١م.
النص والخطاب والاتصال، د. محمد العبد، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي،
الطبعة الأولى، ٢٠١٤م.

النظام القانوني لاستثمار أموال العتبات المقدسة دراسة مقارنة، جاسم عمران مشجل
الشمري، رسالة ماجستير نوقشت بكلية القانون، جامعة كربلاء، العراق، ٢٠١٣م.

النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري
المعروف بابن الأثير (ت ٦٠٦هـ)، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد
الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، ج ٣.



المواقع الإلكترونية:

١- الموسوعة العربية، رابط:

<https://arab-ency.com.sy/ency/details/10533/20>

٢- معجم المعاني:

<https://www.almaany.com/ar/dict/ar-en/roof/>

٣- موقع: <https://saudipedia.com/>، مجتمع اللباس والزينة.

٤- موقع جامعة عين شمس:

<https://www.asu.edu.eg/ar/34/page>

٥- معجم المعاني:

<https://www.almaany.com/ar/dict/ar-en/roof/>

٦- معجم المعاني:

<https://www.almaany.com/ar/dict/ar->

٧- <https://www.nestle->

٨- mena.com/ar/brands/nescafe



شجاعة العربية من الاستعمال إلى مصاولة اللغات (شجاعة التعريب والترجمة) منظورٌ جديد

أ.د. سعود بن حامد الصاعدي
أستاذ البلاغة والنقد بجامعة أم القرى

الملخص:

يرصد البحث مفهوم شجاعة العربية من الاستعمال اللغوي إلى مصاولة اللغات، وذلك في سياق الكشف عن أفق جديد لهذا المصطلح.

وقد رصد الباحث مفهوم الشجاعة وقاربه بين الإنسان واللسان وعلاقة ذلك بالحقيقة والمجاز.

كما تتبّع البحث هذا المفهوم في الأفق القديم عند ابن حني وابن الأثير، بين شجاعة الاستعمال وشجاعة التأويل.

وخلص بعد ذلك إلى الأفق الجديد المتمثل في بابين كبيرين هما الترجمة والتعريب، في مقابل بابين في الأفق القديم هما الاتساع والعدول.

والغاية من ذلك هو نقل شجاعة العربية من الدلالة اللغوية والدلالة البلاغية كما عند ابن جني وابن الأثير إلى الدلالة الحضارية كما يظهر ذلك في دراسة إعجاز العَلَمِ الأعجمي في القرآن، عند محمود رؤوف أبو سعدة، وهو نموذج إعجازي يمكن أن

نستخلص منه أفقاً ونموذجاً جديداً لمفهوم شجاعة العربية يعزز النموذج القرآني الأكمل في الاستعمال من جهة ومصالوة اللغات من جهة أخرى.

وثمرة هذه الدراسة تكمن في اقتراح نموذج حضاري تظهر من خلاله شجاعة العربية في أهم بابين من أبواب المثاقفة مع الآخر وحوار اللغات وتنافسها في صناعة المعنى وصياغته وإيصاله في أحسن صورة من اللفظ كما هو تعريف الرماني للبلاغة، ولكن هذه المرة في سياق التنافس بين اللغات على التعبير عن الأغراض والمعاني في ميدان حضاري هو ميدان من ميادين الشجاعة والمبارزة والمصالوة في حيازة المعاني الكلية والتعبير عنها وعن المعاني الجزئية في سياق الحوار الفكري والثقافي بين الأمم.

مدخل

نحو منظور جديد

من أبرز ما تظهر فيه شجاعة العربية غير الاستعمال الفردي المتعلق بالتركيب والأساليب، ذلك الجانب المعرفي الحضاري في التواصل مع اللغات الأخرى ومصالواتها في ميدان صناعة المعنى، ترجمةً وتعريباً، فهذان المساران تظهر فيهما الشجاعة في ميدان التنافس ومضمار السباق في التعبير عن المعاني الكلية والجزئية.

والمأمل في البيان القرآني يحده النموذج الأكمل في شجاعة العربية؛ إذ يبدو الاستعمال القرآني متعاليًا على القانون النحوي المطرد في الصياغة النمطية، وبما أن شجاعة العربية، في أصل إطلاقه، مفهوم مجازي يعني اختراق النموذج التركيبي والانزياح عن السنن المطردة لعل دلالية ولطائف بلاغية؛ فقد شابه الشجاعة في مضمار الكر والفر بميدان المعركة من هذا الوجه، أي العدول عن النمط المألوف في الاعتياد الإنساني والاستعمال اللغوي والنحوي، وهو ما جعل ابن جني يصف هذا النوع من العدول والتصرف الحر بشجاعة العربية.

غير أن ثمة مضماراً جديداً يتجاوز الاستعمال والدلالة اللغوية كما عند ابن جني، كما يتجاوز الدلالة البلاغية كما عند ابن الأثير، وهما من أبرز من عالج شجاعة العربية بهذا المفهوم من منظورين مختلفين^(١).

وشجاعة العربية، في منظور ابن جني، تتجلى في الاستعمال، وتظهر في "الحذف والزيادة والتقديم والتأخير والحمل على المعنى والتحريف"^(٢)، في حين تظهر عند ابن الأثير في الالتفات، "ويكون هذا النوع من الكلام خاصة لأنه ينتقل فيه عن صيغة إلى صيغة، كانتقال من خطاب حاضر إلى غائب، أو من خطاب غائب إلى حاضر، أو من فعل ماضٍ إلى مستقبل، أو من مستقبل إلى ماضٍ أو غير ذلك"^(٣).

وجماع ما عند ابن جني وابن الأثير معاً يمكن رده إلى بابين كبيرين هما الاتساع والعدول، فهذان هما المساران، والبابان الكبيران، لشجاعة العربية، وهما متلازمان، فالاتساع ينطوي على العدول، والعدول مظهر من مظاهر الاتساع وشكل من أشكاله الاستعمالية التي وقف عندها اللغويون والبلاغيون، البيانيون بشكل عام، في وقت مبكر، كأبي عبيدة معمر بن المثنى والفراء وسيبويه وابن قتيبة والجاحظ^(٤)، إلى أن انتهت الأمور عند البلاغيين المتأخرين في الظواهر البلاغية التي رصدها علماء البلاغة في مباحثهم لاسيما منها ما وصفوه بالعدول ومخالفة مقتضى الظاهر^(٥)، وكان أساسها ما

(١) ينظر: مصطلح شجاعة العربية بين ابن جني وابن الأثير، ناصر حسن يعقوب، وعمر صبحي جابر، مجلة المجمع، العدد ١٦٢٠٢١، ص ٤١٧.

(٢) الخصائص، أبو الفتح عثمان ابن جني، تحقيق محمد النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب: القاهرة، ١٩٩٩ ط ٤، ٣٦٢ / ٢.

(٣) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين ابن الأثير، تحقيق: أحمد الحوفي ويدوي طبانة، دار نهضة مصر، القاهرة، القسم الثاني، ص ١٦٨.

(٤) ينظر: البلاغة العربية، أصولها وامتداداتها، د. محمد العمري، أفريقيا الشرق، الطبعة الثانية، ٢٠١٠م، ص ٩٥ - ٩٦، وكذلك ص ١١٧، و ص ١١٩، ٤٣، و ص ١٤٣، و ص ١٥٨ - ١٥٩.

(٥) درس د. محمد عبد المطلب بنية التحول في سياق التوسع والعدول عند البلاغيين وحاول تطبيق هذه البنية على مباحث البلاغة العربية، ينظر: البلاغة العربية، قراءة أخرى، محمد عبد المطلب، مكتبة لبنان، ناشرون، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م، ص ٨٩ - ١٠٣.

يتعلّق بالأسرار واللطائف والدقائق التي عالجها عبد القاهر في أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز، وهما الكتابان اللذان استند عليهما البلاغيون في صياغة الإطار النظري للبلاغة^(١)، كما أنهما يمثلان شجاعة العربية من الجانب الآخر الذي يوازي ما طرحه ابن جني تحت هذا المفهوم في الخصائص، فقد التفت عبد القاهر إلى بلاغة الإنسان في حين التفت ابن جني إلى بلاغة اللسان، وإن كان مؤداهما واحداً ويفضيان إلى طريقة الاستعمال ومبدأ التخيّر^(٢).

ومن أجل الدخول في موضوع كهذا من أبواب متفرقة لابد أولاً من تحرير المفهوم وبيان علاقة الإنسان بالبيان من خلاله، وهي العلاقة التي تظهر في أشكال شتى ودروب ومسالك متنوعة، أبرزها، فيما يتعلّق بموضوعنا هذا، العلاقة بين الحقيقة والمجاز وتلك الروابط التي أتاحت للغة بعامة، والعربية بشكل خاص، أن تقرن بين المعالم والمفاهيم، وأن تقتحم، كما يفعل الفارس تماماً، ميادين الشجاعة، سواء كان ذلك على مستوى التفكير أو مستوى التعبير، بل واستطاعت اللغة من خلال ذلك أن تكون بيت الوجود، حين أحالت الوجود كلّ إلى لغة فيها من الكلمات ما يوازي ما في العالم من الكائنات، وذلك مظهر لا يخفى من مظاهر شجاعة اللغة، فضلاً عن أنه مظهر من مظاهر شجاعة العربية في سعة معجمها وبسطة لسانها، وإحكام بنائها في صرفها ونحوها، وفقها وبلاغتها، وهو ما تستوجبه الشجاعة من حاجة إلى القدرات والملكات سواء كان ذلك في الإنسان أو اللسان.

وقد عالج هذا المفهوم في رصد ظواهر الاتساع والعدول، كما أسلفنا آنفاً، عالم لغوي هو ابن جني، وناقد بلاغي هو ابن الأثير، الأول من منظور لغوي دلالي، والثاني من منظور بلاغي، وسنقف معهما في سياق الأفق القديم لميدان شجاعة العربية.

(١) البلاغة العربية، قراءة أخرى، ص ٩٦.

(٢) ينظر في هذا الباب: مبدأ التخيّر بين بلاغة الإنسان وبلاغة اللسان، د. هاني عبيد الله الصاعدي، بحث منشور في مجلة الجامعة الإسلامية للغة العربية وآدابها، مجلة علمية محكمة، العدد: ٧، الجزء: ١، يناير - مارس ٢٠٢٣م، ص ٣٠٣.

أما المنظور الجديد فنطرح له نموذجاً في أفق الإعجاز، عند محمود رؤوف أبو سعدة، ونشير فيه إلى البابين الجديدين لشجاعة العربية، وذلك في سياق حضاري، يستند على النموذج القرآني الذي من خلاله يمكن الوقوف على شجاعة العربية في أكمل صورها بياناً وبرهاناً، وستكون محاور هذه الدراسة على النحو التالي:

المحور الأول: مفهوم الشجاعة من الإنسان إلى اللسان.

المحور الثاني: الأفق القديم وشجاعة الاستعمال: الميدان اللغوي، والميدان البلاغي.

المحور الثالث: الأفق الجديد وشجاعة التأويل: الميدان الإعجازي، والميدان الحضاري.

الخاتمة: استخلاص النموذج وشجاعة العربية.

المحور الأول

مفهوم الشجاعة من الإنسان إلى اللسان

تطلق الشجاعة، كما في جذرها المعجمي عند ابن فارس، على الجرأة والإقدام^(١)، كما تُطلق على شدة القلب في البأس^(٢)، وهذا المعنى في حقيقته منتزع من سياق الحرب، وتعني ثبات القلب إذا حمي الوطيس واشتد الكرب، وعليه فالثبات هنا جاء في موضع هو مدعاة لضده، فموضع الحرب يقتضي شدة تنزلزل بها الأقدام عن مواضعها، فلما كانت الشجاعة ثباتاً في الميدان كانت خارجة عن السياق الطبيعي، وفي ذلك ما يعزز قيمتها في ميدان القتال.

(١) ينظر: معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، وضع حواشيه إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، مادة شَجَّعَ، ١/ ٦٤١.

(٢) ينظر: الصحاح، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، بيروت، دار العلم للملايين، الطبعة الرابعة، ١٤٠٧هـ - ١٩٧٨م، مادة شَجَّعَ.

وكذلك ما يتعلق بالجرأة والإقدام وهي أكثر ارتباطاً بالمعنى المجازي في شجاعة العربية.

ومثل ذلك يقال في شجاعة اللسان، على التدرج من الحقيقة إلى المجاز، حيث تأتي شجاعة الفرسان في الميدان على حقيقتها حيث شدة القلب في البأس، وهي الحرب، والجرأة والاقترحام وما يتبع ذلك من مظاهر الشجاعة كالإقدام وركوب الخيل والقتال، وما له علاقة بدرجة الشجاعة من اقتحام ميدان المعركة بلا عدة كافية، وركوب الخيل بلا سرج ولا لجام، وتلك مظاهر وثيقة الصلة بما نحن بصده من تأثيل لمفهوم الشجاعة في سياق الاستعمال المجازي وفي سياق إطلاقها على النمط التعبيري في استعمال اللغة نفسها والتعبير بها عن الأغراض، ففي هذا السياق يقول امرؤ القيس^(١)، رابطاً صنعة الشعر والاعتدال على قوافيه بالاعتدال في ميدان الفروسية:

أَدُوذُ الْقَوافي عَيَّيْ ذِيادَا ذِيادُ غَلَامٍ جَرِيٍّ جَوَادَا
فَأَعَزْلُ مَرَجَانِهَا جَانِبَا وَأَخْذُ مِنْ دُرِّهَا الْمُسْتَجَادَا
فَلَمَّا كَثُرْنَ وَعَنَيْنَهُ تَخَيَّرَ مِنْهُنَّ سِرّاً جِيادَا

فنلاحظ في هذه الصورة الشعرية كيف يزود الشاعر قوافيه ويسوقها كما يزود الغلام الجواد، مع التجانس بين الجواد والجياد، بما يشير إلى أن هذه الصورة راسخة في التصور البياني، فكما أن للإبل وللخيل مسالكها وميدانها فللمعاني والقوافي مسالكها وميدانها، و"الذود يحمل معنى التحكم الرشيد بالدفع والسوق والطرْد"^(٢)، وأساسه مستعار من ذود الإبل، في السيطرة عليها وضبط مسارها، وكذلك الأمر في المعاني في اقتدار الشاعر عليها، "وهو المُعَبَّرُ عنه مجازاً بالقوافي، فيشرع في سوقها ودفعا والتحكم فيها بثقة وشجاعة وتمكّن"^(٣).

(١) ديوان امرؤ القيس، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، دار المعارف، الطبعة السادسة، بدون تاريخ، ص ٢٤٨.

(٢) ينظر: الصحاح، مادة ذود.

(٣) مبدأ التخيير بين بلاغة الإنسان وبلاغة اللسان، المجلة الإسلامية لكلية اللغة العربية وآدابها، ص ٣١٢.

وقد نظر ابن جني إلى مفهوم شجاعة العربية هذا النظر، فربط بين شجاعة الفرسان وشجاعة اللسان، يقول: "فمتى رأيت الشاعر قد ارتكب مثل هذه الضرورات على قبحها وانخراق الأصول بها فاعلم أن ذلك على ما جشمه منه وإن دل من وجه على جوره وتعسّفه فإنّه من وجه مؤذن بصياله"^(١)، ويربط بين ذلك وبين صورة الفارس في الميدان فيرى أن مثله في ذلك "مثل مجري الجموح بغير لجام، ووارد الحرب الضروس حاسراً من غير احتشام، فهو وإن كان ملوفاً في عنفه وتهالكة فإنه مشهود له بشجاعته وفيض مُنته"^(٢)، ومثله ابن الأثير الذي سمى الالتفات بشجاعة العربية "لأن الشجاعة هي الإقدام، وذلك أن الرجل الشجاع يركب ما لا يستطيعه غيره، ويتورّد ما لا يتورده سواه، وكذلك الالتفات في الكلام فإن اللغة تختص به دون غيرها من اللغات"^(٣).

وتظهر شجاعة اللسان بالمعنى المطروح في شجاعة العربية، أي الخروج عن الاستعمال المألوف المطرد، والعدول عن الظاهر من القوانين المطردة، إلى ما يستوجبه المقام من التفكير والتعبير الذي تتجدد به الاستعمالات وتنمو به اللغة في معجمها وبنائها وتركيبها، وذلك من خلال الظواهر البلاغية والأسلوبية التي توصف تارة بالاتساع وتارة بالعدول، وتارة ثالثة بالانزياح كما عند الأسلوبيين.

غير أن ثمة شجاعة أخرى هي إلى الحدق أقرب، وهي تتصل بالقدرة على الصنعة والتأويل، وقد أشار إليها ابن جني في ردّ الفرع إلى الأصل بحذق ولطف صنعة، وتلك قدرة على المناورة والصيال أمكن من التقخم والجرأة، ومن هذا الباب لم يستحسن الضرورات الشعرية وعدّها من الجانب المذموم، لاسيما حين تكثّر في الشعر، وإلى ذلك يشير محمد مشبال حين ذكر "أنّ ظواهر الشجاعة ليست من قبيل التعجرف والتعسّف، بل إنّها تتحقّق بضرب من الصنعة والملاطفة، اللتين يؤثّرهما ابن جني"^(٤).

(١) الخصائص ٢/ ٣٩٢.

(٢) السابق.

(٣) المثل السائر، ٢/ ١٣٥.

(٤) البلاغة والأصول، دراسة في أسس التفكير البلاغي العربي، نموذج ابن جني، محمد مشبال، أفريقية

الشرق، ٢٠٠٧م، ص ٧٤

كما يقرر ذلك محمد أبو موسى، حيث ذكر أن هذه الأساليب، ومنها التحريف، "ليس معناها الخروج عن سنن العرب، وطرائقهم، وإنما هو من السنن ومسموعٌ ممَّن تؤخذ عنهم اللغة"^(١)، كما أشار إلى "أنَّ هذه الأبواب التي درسها أبو الفتح لم يفاجئنا فيها بشيء غير مألوف، ولعلَّه أراد بجمع هذه الأبواب تحت هذا الاسم (أي: شجاعة العربية) الإشارة إلى أنَّ من سنن العربية ونهجها المتقرر ما يبدو مخالفاً كالتقديم الذي هو نقض للترتبة، والحذف الذي هو خلاف الأصل، والحمل على المعنى الذي هو إهمال اللفظ المنطوق، والذي عليه المعوّل في الرابطة الإعرابية، والتحريف الذي هو خلاف ما جاء عليه اللفظ"^(٢).

وبذلك يكون ضابط الشجاعة متمركزاً حول الاقتدار والقدرة، الاقتدار على الاستعمال والقدرة على رده إلى الأصول الثابتة والقوانين المستقرة، وهذا نظير الشجاع في المعركة فهو مقتدر من جهة على خوض الصعاب، ولديه القدرة على التصرف من جهة ثانية.

ولا شك أنَّ هذا النظر إلى مفهوم الشجاعة وتصنيفه إلى جهتين: جهة الاقتدار وجهة القدرة يمكن الاستفادة منه في تصنيف شجاعة العربية إلى قسمين: **شجاعة الاستعمال** وجعلها تتعلّق بالمتكلّم وجرائته وصياله وهو باب الاقتدار، و**شجاعة التأويل** وجعلها تتعلّق بالمتلقّي وقدرته وجرائته وإقدامه في الفهم والتأويل وهو باب القدرة.

وبهذا تكون القدرة والاقتدار نظيرة للفهم والإفهام في الرؤية البيانية، فيما رواه الجاحظ عن الإمام إبراهيم بن محمد العلوي الهاشمي من قوله: "يكفي من حظ البلاغة ألا يؤتى السامع من سوء إفهام الناطق، ولا يؤتى الناطق من سوء فهم السامع"^(٣)، غير

(١) مراجعات في أصول الدرس البلاغي، محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، ص ١٢٥.

(٢) السابق.

(٣) السابق.

أنّها تكون في مستوى أعلى وألصق بالشجاعة، فإذا كان الفهم والإفهام حالة كفاية واكتفاء، فالقدرة والافتقار حالة تمكّن وصيال، وهي حالة تشمل الاستعمال للمتكلم والتأويل للمتلقّي، في مقابل ثنائية الفهم والإفهام في الرؤية البيانية.

المحور الثاني

الأفق القديم وشجاعة الاستعمال

لعلّ أول من أطلق مصطلح (شجاعة العربية)، بهذا اللفظ، هو ابن جني، كما يرى محمد أبو موسى^(١)، غير أننا نجد ما هو قريب منه عند الجاحظ، كما ذكر ذلك محمد مشبال^(٢)، منوهاً بقول الجاحظ: "وللعرب إقدام على الكلام، ثقة بفهم أصحابهم عنهم"^(٣).

وقد ربط ابن جني شجاعة العربية بالاستعمال من منظور لغوي، وكان يتحدث فيه عن بلاغة اللسان، ويسلكه ضمن قوانين اللغة بين الاطراد والعدول، وهو حينما يعالجه في سياق الدلالة اللغوية فإنه يؤكد على التقدير والتأويل، ومن هنا كانت مباحثه، "الحذف والزيادة والتقديم والتأخير والحمل على المعنى والتحريف"^(٤) مباحث لغوية تدرس ضمن خصائص العربية، وبما أن الشجاعة تعني المضاءة والجرأة والإقدام فإن ابن جني يقصد بشجاعة العربية "إقدام وشجاعة من وضع هذه اللغة، لأن اللغة ليست ذلك التركيب اللفظي الظاهر وإنما ثمة تركيب آخر غير ظاهر في النص كالحذف، كما أن اللغة تحوي بعض الأساليب المخالفة للقاعدة العربية المعروفة كالتقديم والتأخير والفصل والحمل على المعنى مما يعكس شجاعة عقول أصحاب اللغة واتساعها وذكائها، لأنهم كانوا يقصدون بالدرجة الأساس إيصال المعنى"^(٥).

(١) ينظر: مراجعات في أصول الدرس البلاغي، ص ١٢٥.

(٢) ينظر: البلاغة والأصول، ص ٦٢.

(٣) الحيوان، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٤هـ، ١٦/٥.

(٤) الخصائص، ابن جني، ٢/ ٣٦٢.

(٥) شجاعة العربية بين ابن جني وابن الأثير، ص ٤١٨.

وهذا النظر مما يعزز شجاعة الاستعمال لدى المتكلم، كما أنه لا يغفل شجاعة المتلقي من خلال التقدير والتأويل، فهما وجهان أيضاً من الوجوه التي يطلع بها المتلقي على شجاعة اللسان.

وفي هذا السياق يركز ابن جني على ردّ الفروع إلى الأصول، ولذلك ترتبط شجاعة العربية عنده أيضاً بمن يتصدى لشرح اللغة وبيانها، ففي الحذف مثلاً "يتم افتراض أبعاد في النص غير موجودة فيه ويصل النحاة من هذا الافتراض إلى موقف يتصورون فيه أنه يوفق بين الشروط التي تفرضها القاعدة النحوية وبين النصوص التي تتجاف عن تلك الشروط ولا تطبقها"^(١)، وهذا هو ما يعزز التأويل عنده ويمكن اعتباره وعدّه من شجاعة التأويل.

وتكمن شجاعة الاستعمال في أنها تستند على قدرة في ركوب بحر اللغة وسير غوره العميق، كما يظهر من وصفه لأسلوب الحمل على المعنى بأنه "غور في العربية بعيد، ومذهب نازح فسيح"^(٢).

والناظر في المباحث التي عالجها ابن جني يجدها على قسمين: قسم يقبل التأويل العقلي ويمكن ردّه إلى أصل القاعدة النحوية، وقسم لا يقبل التأويل وهو ما صنّفه ضمن ضرورات الشعر، وشجاعة الاستعمال في الشعر ترتبط بالشاعر وخبرته وجراته وتقّمه وإن خالف القياس وخرق القوانين.

وفي هذا الصدد يذكر محمد مشبال أنه لا بد من التفريق "بين نمطين من العدول، النمط الأول مرتبط بأصول النظام اللغوي للعربية كإرادة أمن اللبس ومراعاة الذوق،... والنمط الثاني مرتبط ببواعث بلاغية وجمالية، وهذا النمط الأخير هو الذي يفسّر لنا إطلاق ابن جني مصطلح "الشجاعة" على مجموعة من الظواهر الشائعة في الشعر"^(٣).

(١) أصول التفكير النحوي، علي أبو المكارم، دار القلم بيروت، ١٩٧٣م، ص ٢٨١.

(٢) الخصائص: ٣١٣/٢.

(٣) البلاغة والأصول: ص ٦٥.

وقد أخذ ابن الأثير مصطلح "الشجاعة" من ابن جني متأثراً به^(١) ولكنه نقله إلى الحقل والتأويل البلاغي، وجعله في أسلوب الالتفات الذي يشمل عنده العدول أيضاً في صيغ الأفعال، فهو إما عدول من أسلوب إلى أسلوب، كما في الالتفات بين الضمائر في نسق واحد، وهو ما استقرّ عند البلاغيين في صور الالتفات الستة المعروفة.

وإما أن يكون عدولاً من صيغة إلى صيغة، كالتعبير بالماضي عن المضارع أو التعبير بالمضارع عن الماضي، وهكذا فيما يخص المراوحة بين الأزمنة في صيغ الأفعال.

ووجه تسمية هذا الانتقال والتحول بالشجاعة أن فيه خرقاً للاطراد في الأسلوب والاتساق في الزمن، وتلك من مظاهر الشجاعة التي تفتقر إلى جرأة في الاستعمال وجرأة في التأويل.

ونلاحظ في هذا السياق أن ابن الأثير، مثله مثل ابن جني، قد سلك هذا المسلك في تأويله لأسلوب الالتفات من منظور بلاغي، في مقابل منظور ابن جني اللغوي.

ويمكن القول إن عبد القاهر قد كشف عن شجاعة الاستعمال في مباحث النظم كما اتّصف بالشجاعة في التأويل وهو يعالج مباحث النظم ويرصد ما فيها من تراكيب ظاهرة ومضمرة، يمكن عدّها كلها من شجاعة العربية في التفكير والتعبير. وشجاعة العلماء في سبر غور أسرارها ودقائقها ولطائفها.

المحور الثالث

الأفق الجديد وشجاعة التأويل

يقترن التعريب بالترجمة في سياق التواصل بين الثقافات، وإذا كانت الترجمة هي النافذة أو الجسر الذي يعبر منه النص من لغة إلى أخرى فإن التعريب، استناداً إلى جذره المعجمي، هو أداة العربية في الهيمنة على المعاني بألفاظها وأبنيثها وتراكيبها، ومن هنا تبرز

(١) ينظر: مراجعات في أصول الدرس البلاغي، ص ١٢٥.

الحاجة إلى شجاعة التعريب، كما هي الحاجة إلى شجاعة الترجمة، غير أن الأولى أخص، أي شجاعة التعريب، لأنها تعيد بناء الألفاظ وصيغها وفقاً للنظام العربي الذي يستقبل عدداً من الألفاظ الأجنبية فيهدّبها ويصقلها، ثم يعيد صياغتها من جديد لتكون عربية، وهو نوع بعيد الغور في شجاعة العربية ومذهب نازح فسيح، بتعبير ابن جني، في حين أن الترجمة تقتصر على نقل المعاني دون الألفاظ، لكنها أيضاً في حاجة إلى شجاعة اللغة من جهة وشجاعة المترجم من جهة ثانية ذلك أن "عملية الترجمة هي فن اختيار العبارات المناسبة التي تحمل المعنى في إطار لغوي سليم"^(١)، كما أنه على المترجم "أن يحسن فهم النصوص التي يترجم منها"^(٢)، ممّا يعزز أن الأفق الجديد لشجاعة العربية شكلٌ من أشكال شجاعة التأويل، فالمعرب والمترجم كلاهما يصدران في البدء عن فهم وتأويل للغة الأخرى التي يلتقيان بها في ميدان المصالوة بين التعريب والترجمة.

وهذان البابان يمكن من خلالهما اقتراح أفق جديد لشجاعة العربية، تصالو به اللغات الأخرى وتظهر هيمنتها وقدرتها في ميدان التعبير عن المعاني، سواء تعلّق ذلك بالأسماء والأفعال، أو تعلّق بالتركيب والأساليب.

وفي هذه الدراسة سنستعرض نموذجاً فريداً في إعجاز القرآن، طرحه الباحث محمود رؤوف أبو سعدة؛ هو تفسير العلم الأعجمي في القرآن، حيث توصل في دراسته إلى أن للقرآن في تفسير علمه الأعجمي طرائق شتى، استظهر منها ست طرائق هي: التفسير بالتعريب، التفسير بالترجمة، التفسير بالمرادف، التفسير بالمشاكلة، التفسير بالمقابلة، التفسير بالسياق العام"^(٣)، وكما هو معلوم فالتفسير من جنس التأويل، وبينهما عموم وخصوص، وقد كان التفسير قديماً يُعدّ تأويلاً، ولم يظهر الفرق الاصطلاحي الدقيق

(١) في فن الترجمة، عبد المحسن إسماعيل رمضان، مكتبة جزيرة الورد، ٢٠٠٩م، ص ١٧.

(٢) السابق.

(٣) ينظر: العلم الأعجمي في القرآن مفسراً بالقرآن، من إعجاز القرآن، وجه في إعجاز القرآن جديد، محمود رؤوف أبو سعدة، دار الهلال، ١ / ١٣٩.

بينهما إلا في الدراسات المعاصرة، وأياً كان الأمر فهما ينتميان إلى حقل واحد هو ما يعزّز شجاعة التأويل في مقابل شجاعة الاستعمال، بذات الضابط الذي أشار إليه مشبال بأن لا تكون من قبيل التعجرف والتعسف، بل بضرب من الصنعة والملاطفة.

وإذا كان ابن جني قد عالج شجاعة العربية في الحذف والزيادة والتقديم والتأخير والحمل على المعنى والتحريف، كما مرّ، كما عالجها ابن الأثير في الالتفات، وقد ظهرت معهما شجاعة الاستعمال وشجاعة التأويل، فإنه يمكن عدّ الطرق الستة في تفسير العلّم الأعجمي من شجاعة العربية التي ظهرت في نموذجها الأكمل، وبحسب للباحث أبي سعدة أنه استظهرها مع شجاعة في التأويل.

وقد برع أبو سعدة في تتبّع العلّم الأعجمي في القرآن ورصد معانيه في لغته الأصلية التي حافظ عليها البيان القرآني وحفظها بهذه الطرق التعبيرية.

ولعل أكثر ما يلفت في هذه الطرق أنه يمكن عدّها أدوات بيانية بلاغية تفوّق بها البيان القرآني وظهرت من خلاله شجاعة العربية في مصاولة اللغات السامية وتجلّت قدرتها البيانية والجمالية في تحويل الأسماء من ألفاظها في لغتها الأصلية إلى ألفاظ عربية راسخة في اللسان دون تغيير معانيها ودلالاتها الأولى، كما سنبين لاحقاً.

وسنقتصر في هذه الدراسة على التفسير بالتعريب والتفسير بالترجمة باعتبار هاتين الأدوات من أبرز ما تكون به المصاولة بين اللغات في ميدان التنافس على إيصال المعنى في أحسن صورة من اللفظ، وهو إضافة إلى أنه ميدان حوار ثقافي حضاري، فهو ميدان من ميادين البلاغة والحجاج فبه يظهر علوّ البيان القرآني وهيمته على الكتب السابقة، كما تظهر مكانة العربية في مصاولة اللغات السامية وتسنّمها مقام الرتبة الأولى في تفسير التوراة والإنجيل، أو بتعبير علماء الكتاب العهد القديم والعهد الجديد.

وفيما يلي سنقف مع أبرز مواضع هذا النموذج الإعجازي في شجاعة العربية، كما طرحه أبو سعدة في كتابه القيم.

١- الميدان والمصاولة:

طرح رؤوف أبو سعدة منظوراً إعجازياً جديداً يتمثل في العلم الأعجمي في القرآن، حيث فطن إلى أن البيان القرآني ينطوي على فكرة إعجازية هي الاحتفاظ بالدلالة الأصلية للأعلام الأعجمية في لغاتها، وهذا وجه من وجوه التعريب والترجمة، لكنه وجه فريد من نوعه حيث ثبت من خلاله أن القرآن مهيمن على ما سبقه من الكتب، فهو حافظ دلالاتها وأسرارها، كما أن هذا النظر الجديد في الإعجاز ينسجم مع بداية التكوين في قصة الخلق، في قوله تعالى ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: ٣١]، وكأن القرآن يحتفظ بخاصية هذا التعليم المبكر من جهة الأسماء، إذ تظهر من خلاله أصالة الأسماء الأعجمية في معانيها وذلك من خلال الطرق الستة، وأبرزها طريقا التعريب والترجمة موضع نظرنا في هذا المبحث، وذلك ما سنتناوله من خلال التأصيل في الفقرتين التاليتين، وتأويل العلم الأعجمي في المطلب الذي يليهما.

أ. قياس المسافة وميدان المصاولة:

يمكن قياس المسافة وتحديد ميدان المصاولة من خلال ضبط الفارق بين التعريب والترجمة؛ فالمقصود بالتعريب، كما طرحه الباحث محمود أبو سعدة، هو "تعريب العلم الأعجمي على وزن عربي يفيد بذاته أصل معناه في لغته"^(١)،

ويرى أن شرط التفسير بالتعريب هو "اتحاد الجذري في اللفظين، الأعجمي والعربي، ولا يتسنى ذلك إلا في لغتين من نفس الأسرة اللغوية، كما هو الحال في اللغتين العربية والعبرية"^(٢).

(١) العلم الأعجمي في القرآن: ص ١٣٩.

(٢) السابق.

وعلى ذلك فالتعريب يكون على نوعين:

- ١- تعريب قريب ويكون بين لفظين من أسرة لغوية واحدة، وهذا النوع محل لتفسير الاسم الأعجمي بالتعريب، نحو تعريب ميكائيل بين العربية والعبرية.
- ٢- تعريب بعيد ويكون بين لفظين ليسا من أسرة لغوية واحدة، وهذا النوع محل للتفسير بالترجمة، كما بين العربية واليونانية نحو تعريب (جورجيوس) من اليونانية إلى (جرجس) في العربية، وذلك باستبقاء أحرف الاسم الصحيحة (ج-ر-ج-س) والاستغناء عن الحروف الأخرى الزائدة.

وفائدة هذا التصنيف هو الوقوف على طريقة القرآن في استعمال شجاعة العربية في مصاولة اللغات الأخرى بين التعريب والترجمة، وذلك وفق خاصية الاختيار، فحين يكون التعريب بين لغتين من أسرة واحدة فإنه "يصيب التعريب ويصيب المعنى في آن واحد"^(١).

أما حين يكون بين لغتين متباعدتين فإن التعريب يبقى محتاجاً إلى الترجمة، "فلا تفهم معنى (جرجس) إلا أن يقال لك إن أصلها في اليونانية (جورجيوس)، وأن معنى (جورجيوس) هذه في اليونانية (الحارث)،... أما إن ترجمت الاسم العلم إلى معناه في لغتك غير عابئ بأصل صورته في لغته، كأن تسمي جورجيوس الحارث مباشرة فقد أصبت المعنى وفاتك المبني"^(٢).

ومن هنا فالداعي إلى التفسير بالتعريب أو التفسير بالترجمة يتوقف على المسافة بين اللغتين في الأسر اللغوية، كما يتوقف على اعتبارات أخرى مثل مراعاة الجانب الدلالي والمستوى الجمالي، وهو ما يجعل المترجم يعدل عن التعريب إلى الترجمة، كما سيأتي بيانه.

(١) السابق.

(٢) السابق.

ب. العدول ووظائف الترجمة:

الأصل أن القرآن في تفسير الاسم الأعجمي لا يعدل عن التعريب إلى الترجمة إلا إذا كان اللفظان من أسرتين مختلفتين، ولكنه يعتمد أحياناً إلى الترجمة ويعدل عن التعريب رغم أن اللفظين من أسرة واحدة وذلك "حين تفيد الصورة التي يعرب عليها الاسم عكس معناه في لغته، مثل (يشوع) بمعنى (الناجي) في العبرية فإن تعريبها إلى (يسوع) يفيد معنى بالضد هو (الهالك) ولذلك عدل القرآن إلى ترجمته إلى عيسى.

وفي الجملة فإن القرآن يعدل عن التعريب إلى الترجمة في ثلاثة أوجه:

الأول: العلم وهو أصل كل إعجاز في القرآن.

الثاني: منع اللبس وذلك حين تفيد الصورة التي يعرب عليها الاسم عكس معناه في لغته.

الثالث: تحاشي الوحشي وتحري الجمال^(١).

فها هنا ثلاث وظائف تؤديها الترجمة: وظيفة إعجازية، ووظيفة دلالية، ووظيفة جمالية: وبذلك يظهر أن الترجمة عدول عن الأصل وهو التعريب، لأن التعريب جزء من نظام اللغة في بنيتها وبه تكون الهيمنة ومصالوة اللغات الأخرى، في حين أن الترجمة عدول عن النظام إلى المعاني، وهي نقل للمعنى دون اللفظ، وسواء تعلّق الأمر بالتعريب أو العدول عنه إلى الترجمة، فإن ذلك ضرب من ضروب شجاعة العريية ومصالوتها في ميدان التفاوض مع اللغات على المعاني وحيازتها.

٢- العلم الأعجمي وشجاعة التأويل:

بالنظر إلى صنيع الباحث أبو سعدة في تتبعه لطرق القرآن في تفسير العلم الأعجمي يظهر أنه امتلك شجاعة التأويل بضوابطها وأدواتها، حيث استند تأويله على أمرين

(١) ينظر: السابق، ١٣٩-١٤٠.

مهمين هما الاطراد والحجاج، فقد استنبط الطرق التأويلية للعلم الأعجمي بعد الاستقراء، فوجد هذه الطرق مطردة لا تتخلف في تفسير العلم الأعجمي وهي كما سلف ذكره، التعريب والترجمة والمشاكلة والمرادف والمقابلة والسياق وقد تأتي مفردة أو قد يشترك طريقان أو ثلاثة في تفسير الاسم على نحو ما نجد في اسم لوط، فمعناه بالعبرية محجوب، وهو يفسر بالمقابلة كما في قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ (٦٧) قَالَ إِنَّ هَؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ ﴿[الحجر: ٦٧-٦٨]؛ فالفضيحة ضد الستر الذي يدل عليه اسم لوط في العبرية.

كما أنه مفسر بالسياق إذ يشيع معنى الستر في القصة كاملة بدءاً من التخفي في الليل إلى طمس أعينهم، والمشهد كله لا يخلو من هذا المعنى حيث يحتجب منهم لوط كما تحتجب الملائكة ويضرب الليل بأستاره على القرية المجرمة ويمضي لوط في سائر من الليل^(١).

ولا يخفى أن كل ذلك يعدُّ من شجاعة الباحث في التأويل، كما أنه من شجاعة العربية التي أبرزها البيان القرآني، وسنقف في الفقرات الآتية على بضع من الأسماء الأعجمية لإيضاح شجاعة الاستعمال تعريباً وترجمة مع شجاعة التأويل استنباطاً وحجاجاً، وذلك فيما وصفناه في سياق هذا البحث بهيمنة التعريب ورهان الترجمة وفيما يلي بيان ذلك^(٢):

أ. هيمنة التعريب:

نلمس هيمنة القرآن، وتبعاً لذلك هيمنة العربية على أخواتها من اللغات السامية، في تعريب اسم الملك المقرب ميكائيل إلى (ميكال) ونقله من العبرية إلى العربية في لفظ رشيق أصاب به التعريب والمعنى معاً، فهو في العبرية (ميكائيل) وتنطق الكاف فيها خاء أي (ميخائيل).

(١) ينظر: السابق، ص ١٤٢.

(٢) تجدر الإشارة هنا إلى أن ما سنسرده في هيمنة التعريب ورهان الترجمة هو عرض موجز شديد الإيجاز، مع تصرف يسير، لعمل الباحث أبو سعدة، ينظر: العلم الأعجمي في القرآن، ص ١٨٣ وما بعدها.

وعلماء العبرية يفسّرونه بأنه تركيب مزجي من ثلاثة أجزاء: مي - كا - إيل، أي: من - ك - الله، وليست عندهم على التقرير، بل على الاستفهام أو التعجب: من كالله! وهو غاية ما يستفاد منها تقريراً، إذا اعتبرت (من) موصولة أي: الذي هو كالله، ومعناه ممثّل الله عزّ وجلّ المفوّض منه تبارك وتعالى.

وقد فسّر القرآن ميكائيل بالتعريب وحده فأصاب المعنى وأصاب التعريب وقطع بعجمة هذا الاسم فجّره بالفتح في موضع الكسر.

وموضع هيمنة القرآن في هذا التعريب وإعجازه أنه صحح لأهل العبرية نطق الاسم واشتقاقه فلم يحمل اشتقاق الوكيل على المماثلة كما في الصيغة العبرية (من كالله)، بل جعله على وزن (مفعال) من (فَعَلَ): ميكال من الجذر العبري (يكل) على المبالغة كما في (ميشاع) من (يَشَع) على الإيساع والتوسعة، وهو نظير الجذر العربي (وكل) في أصل معناه: أوكلت إليه الأمر ووكلته إليه، وهذا هو معنى ميكال عبرياً وعربياً بمعنى الوكيل الذي يفيد القادر المقتدر أو الموكل المفوّض.

وبذلك يكون التعريب في هذا السياق مصالوة ظافرة، حيث احتفظت اللغة ببنيتها مع مراعاة لفظ الاسم ومعناه في لغته الأصلية دون تغيير في جذوره وهذا غاية في الدقة والهيمنة على المبنى والمعنى.

وتكمن شجاعة التأويل لدى الباحث في أنه قارب بين اللغات السامية في جذورها، ولم يصدّه عن ذلك ما وجدّه في كتب التفسير من تأويل للاسم على معنى (عبيد الله) نظير ما قيل في (جبريل) وحمله على معنى (عبد الله)، فكان بحثه في جذور اللغات السامية ومقابلتها والوصول إلى الجذر المشترك بينها والمعنى المشترك، ثم النفاذ بعد ذلك إلى استخلاص المعنى العربي لميكال بعد التعريب، كل ذلك باب من أبواب مصالوة اللغات، من منظور تأويلي، كما هو باب من أبواب شجاعة العربية في نقل المعنى والمبنى

معاً إلى بنيتها ودلالاتها مع إصابة التعريب والمعنى كما سلف، ومع الهيمنة والحياسة والاحتفاظ بالرابط الدلالي والامتداد التاريخي مع الكتب المقدسة الأولى التي غفل عنها كتاب العهد القديم والجديد ومن نقلها وترجمها إلى اللغات الأخرى^(١).

ب. رهان الترجمة:

قد يكون للترجمة رهانها الذي يحتاج إلى ملاطفة وصنعة في التأويل للكشف عنه في سياق هذه المصاولة، كما في ترجمة القرآن لاسم أبي إبراهيم، عليه السلام، بحسب ما طرحه الباحث أبو سعدة، حيث ورد في القرآن (آزر) وفي التوراة (تارح) مما حدا بأكثر المفسرين إلى حلّ هذا الإشكال بإيراد أكثر من وجه، ذكر جملة منها القرطبي^(٢)، إلا أن نصّ القرآن على ذلك دعا الباحث محمود أبو سعدة إلى النظر في دلالة الاسم الأعجمي فتوصل إلى أن (آزر) تفسير بالترجمة لـ(تارح)، وبذلك يكون المقصود في الآية هو أبو إبراهيم أصالة ولا حاجة لتأويله بأنه عم إبراهيم، عليه السلام، أو أنه ذم في لغتهم أو لقب أو اسم صنم أو أن معناه المعوجّ مما نقله القرطبي^(٣)، فلا إشكال إذن بين وروده في القرآن بهذا الاسم (آزر) ووروده في التوراة باسم (تارح).

وموضع الرهان هنا هو التحدي الذي تكشف عنه الترجمة، والمقاربة بين اللغتين، اللغة الأصلية للاسم واللغة المترجم إليها، وقد لفت الباحث إلى أن أزر ليست تعريباً لتارح كما ذهب إلى ذلك العقاد، وإنما هي ترجمة، ومرد ذلك إلى الأسباب الآتية:

١- أن تارح لم تعرف في العبرية ولا الآرامية، وقد سكّتها عنها علماء التوراة وتوقّفوا عن تفسيرها.

٢- أن أبا إبراهيم لم يكن رجلاً عبرانياً ولا آرامياً، ولكنه كان رجلاً بابلياً.

(١) ينظر: السابق، ص ١٨٣، ١٨٤.

(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، تحقيق: د. عبد الحميد الهنداوي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ١٤٣٧هـ - ٢٠١٦م، ١٥/٤ - ١٦.

(٣) السابق.

وبناء على ذلك فمعنى تارح لا يمكن التماسه إلا من الجذر البابلي، لعدم وجود الجذر السامي ترح من العبرية والآرامية، وبما أن البابليين، وهم ساميون من عرب شبه الجزيرة- وقد اختلطوا بالشومريين في جنوبي العراق، قد نطقوا هذا الحرف تاء بدلاً من الطاء، فمعنى الاسم يحتاج إلى المعجم البابلي، وهو ناقص يقتصر على مفردات قلائل، فلم يبق إلا العودة إلى أصول الساميات الأولى، ولأن القرآن أصل لكل تأصيل للمعجم العربي لم يعتمد تارح لا بالتاء ولا بالطاء اسماً لأبي إبراهيم وإنما أتى به على الترجمة أزر تفادياً لنقله عن أصل معناه في لغة صاحبه إن هو أتى به على أصله معرباً.

وهذا يعني أن تارح أو طارح ليستا من ترح وطرح العربيين، وإنما هما أو أحدهما من لغة سامية أقرب إلى البابلية تاريخاً وحضارة، والآرامية والعبرية هما الأقرب لذلك وليس فيهما جذر (ترح)، فليس فيهما إلا جذر (طرح)، وهذا يعني ضرورة التماس معنى (تارح) في (طارح)، والتماسه في العبرية- الآرامية، وليس في العربية.

وإذن فمعنى طارح مفسراً بالترجمة هو أزر، والأزر هو الظهر، ومعنى: وَزَرَ، يَزِرُ، وَزْرًا فهو وَازِرٌ يعني حمل ما يثقل ظهره، والوزر على أصل معناه في العربية الحمل الثقيل، وهو في العبرية- الآرامية (ظُورِحَ)، أخذاً من الجذر العبري الآرامي (طَرَحَ)، أي حمل ما يثقل ظهره.

وعلى هذا لا سبيل إلى تفسير معنى (تارح) البابلية (اسم أبي إبراهيم في التوراة) إلا بردها إلى (طارح) العبرية - الآرامية، أبداً البابليون من طائها تاء، ولا ترجمة إلى العربية لهذا الاسم البابلي أدق من (أزر) التي في القرآن، بمعنى الوازر، على أصلها لا مجازها^(١).

وبناء عليه نرى أن القرآن قد استنفر الطاقة الدلالية للغة العربية وأحاط بها، فعبر بها عن أصل معجمي في العبرية لا يوجد منه في المعجم العربي سوى لفظ واحد هو (وزار) التي وردت اسماً علماً في الأصل العبراني لأسفار التوراة على مجازها العربي بمعنى موزور أي راكب الوزر، ولكن القرآن عدل عن وزار إلى أزر دفعاً لشبهة فهمها بمعنى الآثم

(١) ينظر: العلم الأعجمي في القرآن، ص ٢٦٠-٢٦٧.

الخاطئ، كما عدل عن استبقائها معربة على أصلها العبري الآرامي (تارح) أو (طارح) لأن تارح تشتبه في العربية بمعنى (المحزون) الترح، و(طارح) تشتبه في العربية بمعنى (الطريح) المنبوذ.

ويمكن الإشارة هنا إلى شجاعة التأويل حيث صال الباحث وجال بين الجذور المعجمية وقارب بينها إلى أن وصل إلى هذه النتيجة التي كشفت العلاقة بين ما ورد في القرآن الكريم وما ورد في التوراة حول اسم أبي إبراهيم دون الحاجة إلى العدول عن الأب إلى العم من أجل إزالة الإشكال لغوياً من منظور لغة واحدة، وكذلك دون الحاجة إلى سوق أكثر من تأويل لا يراعي معنى الاسم في لغته الأصلية؛ فالقصود، كما يرى أبو سعدة، استناداً إلى اللغة الأصلية للاسم الأعجمي هو أن "أزر (اسم أبي إبراهيم في القرآن) يعني مُوقِر الظهر مُنْقَلُهُ: إنها نفسها (الوزار) حامل الوزر، على أصلها لا مجازها، أي الحُمُولُ المُحْمَل، وهو نفس معنى طارح العبرية - الآرامية"^(١).

ومن رهان الترجمة أيضاً إزالة اللبس وتوخي جمال الجرس، ومثال ذلك (ذو الكفل) وهو اسم لأحد أنبياء بني إسرائيل، على ما يرجّحه الباحث رؤوف أبو سعدة، وأظهر الأدلة على ذلك هو اسمه في العبرية (حلقياً) وهو علم جار في أعلام العهد القديم، وهو اسم مزجي: حلقى + يا، من الجذر العبري (حلق) بالحاء غير المنقوطة، مكافئ (خلق) العربي، ومن معانيه في العبرية والعربية معا (الخَلَق) بتخفيف اللام أي الكفل والحظ والنصيب والقسم^(٢).

وقد ترجمه القرآن إلى (ذو الكفل) وعدل عن تعريبه لأمرين:

الأول: إزالة اللبس واختلاط المعنى، لأنه إن تركه على جذره العبري التبس بمعاني الجذر العربي (خلق) وهو غير مراد، وإن عدل به عن الحاء إلى الخاء على جهة التعريب انبههم على القارئ العربي المراد منه، أهو الخَلَق أم الخُلُق أم الخَلَق؟

(١) العلم الأعجمي في القرآن، ص ٢٦٧.

(٢) ينظر: السابق، ص ١٨٣.

الثاني: مراعاة جمالية الجرس القرآني، حيث أثره القرآن لذلك، وهذا الجانب هو أحد رهانات الترجمة بالإضافة إلى إصابة المعنى ودلالته، وقد أصاب القرآن بهذه الترجمة المبني والمعنى معا^(١).

وبذلك يظهر رهان الترجمة في العدول إليها عن التعريب، وهو مما يعزز الاختيار بين أحد أمرين في سياق المصاولة بين اللغات، وسواء تعلق الأمر بهيمنة التعريب أو برهان الترجمة فالميدان في هذا السياق ميدان من ميادين شجاعة العربية في مصاولة اللغات.

الخاتمة

استخلاص النموذج وشجاعة العربية

بناء على ما سبق ذكره يمكن استخلاص نموذج لشجاعة العربية في أفق جديد يستلهم النموذج القرآني في تعريب وترجمة الأسماء الأعجمية وذلك وفقاً للخطوات المنهجية الآتية:

أ. تحديد الأسرة اللغوية، وذلك للتمييز بين اللغات التي تنتمي لأسرة واحدة واللغات التي تنتمي لأسر مختلفة.

ب. التركيز على سلامة المعنى في اللغة الأصلية وعدم تحويله أو تغييره أثناء عملية النقل من لغة إلى لغة.

ج. تقديم التعريب على الترجمة وجعله أصلاً حين تكون اللغتان من أسرة واحدة مع عدم اللبس في المعنى.

د. العدول إلى الترجمة وذلك في حالة اختلاف الأسر اللغوية، مع مراعاة الوظيفة الدلالية والوظيفة الجمالية.

(١) ينظر: السابق، ص ١٨٣ - ١٨٤.

هـ. مراعاة (السياق) باعتباره (الميدان) الذي تظهر فيه الشجاعة؛ وهو المعيار الذي يحكمها ويحكم عليها من حيث الصنعة والحدق أو الجرأة والاقتحام، أو التهوّر وانتهاك السنن والقوانين اعتباطاً بلا مرجعية تردُّ فيها الفروع الجزئية إلى الأصول الكلية.

ولاشك أن هذا المستخلص في تعريب الأسماء وترجمتها يمتد إلى المصطلحات والمفاهيم من المخترعات الجديدة وفقاً للنموذج القرآني كما طرح خطواته الباحث محمود رؤوف أبو سعدة، فقد ظهرت من خلاله شجاعة العربية في مصاولة اللغات وهيمنتها على المبنى والمعنى في نقل الأسماء الأعجمية وصياغتها في منظومة كاملة على المستوى المعجمي والصرفي والنحوي والبلاغي، وذلك من خلال ست طرق تمثل عناصر المنظومة اللغوية في البيان القرآني هي: التعريب والترجمة والمرادف والمشاكل والمقابلة والسياق، وكل هذه الطرق صالحة لأن تكون أدوات للترجمة على المستوى الأوسع، بحيث يمكن من خلالها نقل النصوص العلمية والأدبية وفقاً للمنهجية التي أشرنا إليها في خطوات استخلاص النموذج.

وأخيراً تجدر الإشارة هنا إلى أن استخلاص هذا النموذج في شجاعة العربية تعريباً وترجمة إنما يفيد من المعالجة في تتبّع البيان القرآني في نقل الأسماء من سياقها الأعجمي إلى سياق عربي، بصرف النظر عما توصل إليه الباحث أبو سعدة في تأويل الأسماء، إذ يبقى اجتهاداً مدعوماً بالمقاربة والحجاج، وهو ما سمّيناه هنا بشجاعة التأويل نظراً لامتلاك الباحث أدوات المقاربة في سياق مصاولة اللغات، بالإضافة إلى الاستقراء للطرق التي تتبّعها في البيان القرآني في تفسير العلم الأعجمي بأصنافه الثلاثة: علم الذات، وعلم الجنس، وعلم الموضع، وهذه الطرق التي سبق ذكرها آنفاً، ويمكن وفقاً لما طرحه الباحث أبو سعدة استثمار هذا النموذج بعناصره الستة في توسيع أفق شجاعة العربية.

المصادر والمراجع

- أصول التفكير النحوي، علي أبو المكارم، دار القلم بيروت، ١٩٧٣م.
- البلاغة العربية، أصولها وامتداداتها، د. محمد العمري، أفريقيا الشرق، الطبعة الثانية، ٢٠١٠م.
- البلاغة العربية، قراءة أخرى، محمد عبد المطلب، مكتبة لبنان، ناشرون، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م.
- البلاغة والأصول، دراسة في أسس التفكير البلاغي العربي، نموذج ابن جني، محمد مشبال، أفريقيا الشرق، ٢٠٠٧م.
- الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، تحقيق: د. عبد الحميد الهنداوي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ١٤٣٧هـ - ٢٠١٦م.
- الحيوان، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٤هـ.
- الخصائص، أبو الفتح عثمان ابن جني، تحقيق محمد النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب: القاهرة، الطبعة الرابعة، ١٩٩٩م.
- ديوان امرئ القيس، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، دار المعارف، الطبعة السادسة، بدون تاريخ.
- الصحاح، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، بيروت، دار العلم للملايين، الطبعة الرابعة، ١٤٠٧هـ - ١٩٧٨م.
- العلم الأعجمي في القرآن مفسراً بالقرآن، من إعجاز القرآن، وجه في إعجاز القرآن جديد، محمود رؤوف أبو سعدة، دار الهلال.

في فن الترجمة، عبد المحسن إسماعيل رمضان، مكتبة جزيرة الورد، ٢٠٠٩م.

مبدأ التخيّر بين بلاغة الإنسان وبلاغة اللسان، د. هاني عبيد الله الصاعدي، بحث منشور
في (مجلة الجامعة الإسلامية للغة العربية وآدابها، مجلة علمية محكمة، العدد: ٧،
الجزء: ١، يناير - مارس ٢٠٢٣م).

المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين ابن الأثير، تحقيق: أحمد الحوفي وبدوي
طبانة، دار نهضة مصر، القاهرة.

مراجعات في أصول الدرس البلاغي، محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، القاهرة،
الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

مصطلح شجاعة العربية بين ابن جني وابن الأثير، ناصر حسن يعقوب، وعمر صبحي
جابر، مجلة المجمع، العدد ١٦، (٢٠٢١م).

معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، وضع حواشيه إبراهيم شمس الدين، دار الكتب
العلمية، بيروت، لبنان.

العبارات المسكوكة في العربية بوصفها مظهرًا من مظاهر شجاعتها

د. أسامة بن أحمد السلمي

أستاذ اللغويات المشارك بجامعة أمّ القرى

الملخص:

يُعنى هذا البحث بالعبارات المسكوكة في العربية، وهي تلك الجمل والتراكيب التي يمكن تمييزها من بين سائر الكلام العادي، والتي تُعدُّ من سمات العربية المذكورة لدى علمائها كابن فارس، وذلك أنّ لهم كلمًا تلوح كالمصاييح في الدجى، كقولهم: ويلمه، ومكره أحاك لا بطل، وكان رجلًا، وآية، ولا أباك، ولله دره، وهو باقعة، ويا ترى، ويا ليت شعري، وثكلتك أمك.

وهذه العبارات تتصف بصفة أخرى وهي مخالفتها أصول اللغة ومقتضى الظاهر، فيقصد البحث إلى دراسة تلك المخالفات للأصول وللمقتضى الظاهر، مفترضًا أنّها مظهر من مظاهر شجاعة العربية، وقدرتها على السك والبراعة، دون مخافة عدم بلوغ القصد والوقوع في اللبس، حيث تتصرف فيها بالحذف، وبالتقديم والتأخير، مع إغلاق القياس في ذاتها وإتاحته في منوالها، وتكثيف الدلالة والإيماء اللطيف.

كما أن هذا السبيل من البراعة اللغوية قد استمر وتطور إلى المعاصرين، فغدوا يقولون: السوق السوداء، ولا محل له من الإعراب، وفي خبر كان، وعقباله، وعرق الجبين، ورقم صعب، ومن الألف إلى الياء، وغسيل الأموال. ودرّس البحث الموقف من تلك العبارات المعاصرة، وخلص البحث إلى جوازها؛ لسريانها على منوالها، وسنن

العرب في كلامها، وإلى أن مظاهر الشجاعة فيها تتجلى في مخالفة دلالاتها لمقتضى الظاهر، وفي تصرفها في الصوت والبنية والتركيب، وفي استمرار جواز توليدها والنسج على منوالها.

وأوصى بالدراسة التفصيلية لتلك العبارات وتحليل أبعادها التداولية والسياقية.

المقدمة:

من الظواهر اللغوية في العربية غناها بالعبارات المسكوكة، وهي تلك الجمل والتركيب التي يمكن تمييزها من بين سائر الكلام العادي، والتي تُعدُّ من سمات العربية المذكورة لدى علمائها كابن فارس، الذي وصفها بأنَّ لها كلمًا تلوح كالمصاييح في الدجى، كقولهم: ويلمه، ومكره أخاك لا بطل، وكان آية...، وكان رجلاً...، ولا أبا لك، ولله دره، وهو باقعة، ويا تُرى، ويا ليت شعري، وثكلتك أمك.

كما أن هذا السبيل من البراعة اللغوية استمرَّ وتطوَّر إلى المعاصرين، فغدوا يقولون: السوق السوداء، ولا محل له من الإعراب، وفي خبر كان، وعقباله، وعرق الجبين، ورقم صعب. ومن الألف إلى الياء، وغسيل الأموال، وحصان طراودة.

وقد لاحظت أن لتلك العبارات علاقة بشجاعة العربية التي ذكرها ابن جني وعدها من خصائص اللغة، وذلك لطبيعتها، واستمرار توليدها، ولاتصافها بمخالفتها أصول اللغة ومقتضى الظاهر، فيدرس البحث العلاقة بين العبارات المسكوكة وشجاعة العربية، وتتبع مظاهرها في مخالفتها للأصول ومقتضى الظاهر، ومدى قياسية استمرار النسج على منوالها، مفترضاً أنَّها مظهر من مظاهر شجاعة العربية، ودليل قدرتها على السكِّ والبراعة، دون مخافة عدم بلوغ القصد والوقع في اللبس، حيث تتصرف فيها بالحذف، والتقديم والتأخير، وتكثيف الدلالة والإيماء اللطيف، وتشويق المخاطبين.

وتكمن مشكلة البحث في تحديد العلاقة بين العبارات المسكوكة وبين شجاعة العربية، وفي تتبع مظاهر مخالفتها للأصول اللغوية ومقتضى الظاهر، والموقف من العبارات المماثلة لها في العربية المعاصرة.

ويعبر عن تلك المشكلة السؤال الآتي: ما علاقة العبارات المسكوكة بشجاعة العربية؟
ويتفرع منه الأسئلة التالية:

ما سمات العبارات المسكوكة؟ وما مفهوم شجاعة العربية؟

وفيم تتمثل مظاهر الشجاعة اللغوية في تلك العبارات؟

وما الموقف من توليد المعاصرين لتلك العبارات؟

كما يسعى البحث إلى تحقيق الأهداف الآتية:

١- تحديد العلاقة بين العبارات المسكوكة وبين شجاعة العربية.

٢- استنتاج مظاهر الشجاعة والمخالفات فيها للأصول ومقتضى الظاهر.

٣- جمع قائمة منها ودراستها من العربية الفصحى، والمعاصرة.

٤- دراسة الموقف من العبارات المسكوكة المعاصرة.

واعتمد البحث المنهجية الوصفية التحليلية، واقتضى بناؤه أن يتكوّن من مقدمة، ومبحثين، وخاتمة، متبوعاً بفهرس المصادر والمراجع، فأما المقدمة فتحتوي على موضوع البحث ومشكلته وأهدافه.

وأما المبحثان فالأول منهما هو: مفهوم العبارات المسكوكة، وشجاعة العربية، والعلاقة بينهما.

والثاني: مظاهر مخالفة الأصول ومقتضى الظاهر في العبارات المسكوكة.

ثم الخاتمة وتتضمن أهم النتائج.

المبحث الأول:

مفهوم العبارات المسكوكة، وشجاعة العربية، والعلاقة بينها:

في هذا المبحث تعريف بالمراد بالعبارات المسكوكة، وتتبع لسماتها، وتبسيط الضوء على مفهوم شجاعة العربية، وتبيان العلاقة بينهما.

أولاً مفهوم العبارات المسكوكة وسماتها:

وهي عبارات لغوية تمتاز بسماتٍ تميّزها عن سائر الكلام العاديّ من اللغة، ويطلق عليها الباحثون عددًا من الأسماء كالعبارات المسكوكة، والعبارات الاصطلاحية، والمسكوكات اللغوية، والتعبيرات السياقية وغير ذلك^(١)، وبعض تلك التسميات تصدق على بعضها دون سائرها، وقد عُرِّفت بأنها "كلُّ عبارة تتألف من لفظين أو أكثر، وتنظم معًا في الوضع الذي يقتضيه علم النحو، ولكنها في النهاية تؤدي إلى دلالةٍ، تختلف عما يقتضيه ظاهر التركيب"^(٢)، وقيل كذلك إنها "نمط تعبيريّ خاص بلغةٍ ما، يتميز بالثبات، ويتكون من كلمتين أو أكثر، تحولت عن معناها الحرفي إلى معنى مغاير اصططلحت عليه الجماعة اللغوية"^(٣)، فسُرِّحَ كلُّ كلمة منها على حدة لا يصل إلى معناها المطلوب،

(١) ينظر: التراكيب المسكوكة في اللغة العربية وعلاقتها بالمتلازمات اللفظية والتناس، إبراهيم عوض حسين. ص ٣٢١، مجلة كلية دار العلوم، المجلد ٣٧، العدد ١٣٢، سبتمبر وأكتوبر ٢٠٢٠م. ومعجم اللغة العربية المعاصرة أحمد ختار عمر، الطبعة الأولى ١٤٢٩ / ٢٠٠٨م، عالم الكتب، القاهرة ص ٩

(٢) ينظر: التراكيب المسكوكة في اللغة العربية: ٣٢٠، وظاهرة التعبير الاصطلاحي محاولة لتوحيد المصطلح ص ٣٨٢

(٣) معجم التراكيب والعبارات الاصطلاحية القديم منها والمولد أحمد أبو سعد ص ٥

"ولا يفهم معناها الكلي بمجرد فهم معاني مفرداتها وضم هذه المعاني بعضها لبعض"^(١). وقد تكون مقتبسة من نصوص لغوية فصيحة، من القرآن الكريم، والأحاديث النبوية الشريفة، والشعر، والحكم، والأمثال^(٢).

ويمكن تحديد مفهومها بإبراز سماتها التي تكمن في كونها مسكوكة لفظاً، ولامعة معنى ولفظاً، وبارعة أسلوباً، واصطلاحية دلالةً، ومتداولة استعمالاً، وثابتة في النسيج اللفظي. وسنستعرض هذه السمات فيما يأتي:

١- **السك والبناء اللفظي:** من سمات تلك العبارات أن تكون مسكوكة، ومكونة من كلمتين فأكثر غالباً، وربما جاءت أحياناً على كلمة واحدة، ويضيق مفهومها بعضُ الباحثين ويوسّعه آخرون، ومنهم تمام حسان، وهو الصحيح، لتشمل نحو (نعم) و(بئس) كما تشمل (ما أحسنه) و(أحسن به) و(حبذا) و(لا حبذا)، و(شتان) و(صه)، و(مه)، وسائر أسماء الأفعال والأصوات، أو ما يسمى الخالفة، كما تشمل العبارات التلازمية في ألفاظ التحايا ونحوها، وكذلك كان موقف أحمد مختار عمر^(٣)، ويجمع تلك العبارات تركبها وسكّها في صيغة جديدة، و"هذه الصيغة في تركيبها الجديد أصبحت مسكوكة لا تقبل الدخول في جدول إسنادي كما تدخل الأفعال، ولا في جدول تصريفي كما تدخل الأفعال والصفات، ولا في جدول إلصاق كما يدخل هذان ومعهما الأسماء"^(٤)، ومثاله التعجب بصيغته القياسية المعروفة التي تميّزه عن غيره، "فالتركيب فيه كله مسكوك idiomatic كالأمثال التي لا تتغير"^(٥)، وتعليل النحويين

(١) علم الدلالة، أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الخامسة ١٩٩٨م ص ٢٣

(٢) ينظر التراكيب المسكوكة في اللغة العربية: ٣٢٢

(٣) ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة أحمد مختار عمر: ٩

(٤) ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان عمر، عالم الكتب، الطبعة: الخامسة ١٤٢٧هـ-

٢٠٠٦م ص ١١٤

(٥) ينظر: تمام حسان في اللغة العربية معناها ومبناها: ١١٤

لصيغتي التعجب يكشف حقيقة تلك العبارات المسكوكة، حيث علّوهما بقولهم: "ليكون مجيئه على صورة واحدة أدلّ على ما يراد به" ^(١)، فمعنى (ما أفعله) و(أفعل به) ما أشدّ عجي له، فالمعنى في الحالتين على الإفصاح "أي: التعبير عن الانفعال والتأثر" ^(٢)، والتركيب مسكوك ثابت الصورة، ولهذا كان محفوظ الرتبة، مقطوع الصلة بغيرها من الناحية التصريفية ^(٣). وعلى هذا تكون حقيقة المسكوكات اللغوية إذن أنها وحدات دلالية مركبة ^(٤) اكتسبت معاني جديدة زائدة على معاني مفرداتها ^(٥).

وهذه العبارات المسكوكة تشبه المتلازمات اللفظية، ولكنها تفارقها في جواز مجيئها على كلمة واحدة بخلاف المتلازمات اللفظية، كما أن المتلازمات يستدعيها السياق خلافاً للمسكوكات، وهي تشبه كذلك العبارات السياقية في تكونها من كلمتين فأكثر، ولكن بينها وبين المعجم السياقي افتراق وذلك بإمكان الاستغناء عن جزء من العبارة السياقية، نحو (مكة المكرمة) و(القدس الشريف)، خلافاً للمسكوكات التي لا تقبل الاستغناء عن جزء منها ^(٦).

وهي تشبه أيضاً العبارات المنحوتة والمختصرة، ولكن بينهما فروق، حيث إن مصطلح النحت يراد به أخذ حرفٍ أو حرفين من كلمتين فأكثر، وتنشئ بها كلمة تدل على معنى ما أخذت منه. وقد أشار إليه سيبويه ^(٧)، ووصفه ابن فارس بقوله: "تَنَحَّتْ

(١) ينظر: شرح الأشموني ٢ / ٢٦٨، واللغة العربية معناها ومبناها تمام حسان: ١١٤

(٢) ينظر: تمام حسان في اللغة العربية معناها ومبناها: ١١٤

(٣) ينظر: السابق: ١١٤

(٤) معجم اللغة العربية المعاصرة أحمد مختار عمر: ٩

(٥) علم الدلالة، أحمد مختار عمر: ٢٣

(٦) ينظر: التراكيب المسكوكة: ٣٢١ ومعجم اللغة العربية المعاصرة: ١٠٠

(٧) ينظر: دراسات في فقه اللغة، صبيح إبراهيم الصالح، دار العلم للملايين، الطبعة الأولى ١٣٧٩ هـ - ١٩٦٠ م (ص ٢٦٣)

من كلمتين كلمة واحدة وهو جنسٌ من الاختصار وذلك نحو (رجل عَبْشَمِي) ^(١)، نسبةً إلى اسمين (عبد) و(شمس)، وذلك ما لا يتحقق في العبارات المسكوكة.

٢- **البراعة**، وهي سمة ملازمة لتلك العبارات بحيث تتصف بإمكان تمييزها بين سائر الكلام العادي اعتماداً على براعتها وحُدس المخاطب والمتلقي، فتمتاز هذه العبارات بالبراعة ورشاقة الدلالة، و"الإيماء اللطيف والإشارة الدالة" ^(٢)، وبالإيجاز الذي يتطلب شرحه إلى الإسهاب والتطويل، وذلك بدقة اللفظ وإصابة المعنى، وقد وضح ذلك ابنُ فارس بتعدداده خصائص العربية وأنَّ فيها كلِّما تلوح كالمصاييح في الدجى، وعدّها من سنن العربية وخصائصها ^(٣)، والذي يؤكد هذه السمة أنه في حال تغيير مفرداتها أو ترتيبها أو حذف مذكور فيها، أو ذكر محذوف منها؛ فإنها تفقد وميضها، وتتلأشى، وهذا الوصف قد صرح به عبد القاهر الجرجاني في تغيير الكلام البارع بقوله: "فإنك ترى ما ترى من الرُّونقِ والطلاوة، ومن الحسن والحلاوة" ^(٤)، ويقول: "ثم انظر كيف يكون الحال، وكيف يذهبُ الحسنُ والحلاوة، وكيف تعدم أريجيتك التي كانت، وكيف تذهب النشوة التي كنت تجدها" ^(٥).

وسمة البراعة هذه مما تميّز المسكوكات عن غيرها كالمصطلحات العلمية أو المتلازمات اللفظية والعبارات السياقية، التي ليس من سماتها البراعة وقوة التعبير.

(١) ينظر: الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت ٣٩٥ هـ) نشر: محمد علي بيضون، الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م. ص ٢١٠

(٢) ينظر: السابق: ٢٣

(٣) ينظر: السابق: ٢٣

(٤) دلائل الإعجاز، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (ت ٤٧١ هـ)، تحقيق: محمود محمد شاكر أبو فهر، مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة، الطبعة الثالثة ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م ص ٨٦

(٥) ينظر: دلائل الإعجاز: ٩٩

٣- الثبات: حيث تمتاز تلك العبارات بأنها لا تقبل التغيير ولا الاستبدال، بل هي وحدات دلالية ثابتة، ولو حدث فيها تغيير بالتقديم أو التأخير أو الحذف أو الذكر أو الاستبدال؛ لتلاشت العبارة المسكوكة، وخفت بريقها، وذهب ضوؤها، إذ استبدال الألفاظ أو تغييرها يفقدها سمتها التي بها يميّزها المتلقي من بين سائر الكلام العادي، لأن المسكوك لا يحتمل التجزئ، وحذف أحد أجزائه يؤدي إلى انهيار العبارة المسكوكة^(١)، حتى لو كان ذلك متاحاً في النظام النحوي، إذ استحالتها إلى وحدة دلالية يستدعي تأييدها على النظام النحوي العام، لكونها "تراكيب لغوية تختلف عن التراكيب العادية، وتستعصي على التغييرات التي تقبلها التراكيب العادية"^(٢)، كعبارة (على قدم وساق)، فلا يجوز فيها أن يقال: (على ساق وقدم)، مع أنه جائز في النظام التركيبي العام^(٣)، وسبب ذلك أن التركيب صار مسكوكاً، وغداً متداولاً كالكلام الجاري مجرى المثل، والأمثال لا تُغيّر.

٤- الاصطلاحية: ومن سماتها تضمُّنها دلالات مكثفة، ولهذا تُسمّى العبارات الاصطلاحية لأنها تشتمل على دلالات إضافية، وهذه السمة جعلتها تتصف بضعف إمكان التنبؤ بدلالاتها اعتماداً على النظام اللغوي والمعاني المعجمية^(٤)، وكذلك صعوبة ترجمته، وذلك لاشتغالها على حمولة ثقافية واجتماعية ودلالات مكثفة، وقد سبق في تعريفها أنها بمجموع ألفاظها تؤدي إلى دلالة تختلف عما يقتضيه ظاهر تركيبها^(٥)، وأنها تحولت عن معناها الحرفي إلى معنى

(١) ينظر: التعابير المسكوكة في اللغة العربية، حسن بن محمد علي ازروال، مجلة السوسيولسانيات وتحليل الخطاب، العدد ٢ فبراير ٢٠١٦م ص ٢٥٥

(٢) ينظر: السابق: ٢٥٠

(٣) ينظر: التعابير الاصطلاحية والسياقية ومعجم عربي لها، علي القاسمي ص ٢٩-٣٠.

(٤) ينظر: العبارات المسكوكة (المخصوصة) حدها وخصائصها، سمر الغانمي، مجلة مدارات في اللغة والأدب، المجلد ١ العدد ٢ سنة ٢٠١٩م ص ١٢٢

(٥) ينظر: التراكيب المسكوكة: ٣٢٠، وظاهرة التعبير الاصطلاحي محاولة لتوحيد المصطلح ص ٣٨٢

مغاير اصططلحت عليه الجماعة اللغوية^(١)، فالعبارة (أسلم رجله للريح) لا تفي معانيها المعجمية بمعناها المقصود، وهذا مما يذكره اللغويون في معنى المعنى كقولهم أيضاً: (رفع عقيرته) فمعرفة معاني مفرداتها المعجمية لا تكفي لمعرفة معناها المقصود.

وهي وإن كانت اصطلاحية ولكن بينها وبين المصطلحات العلمية فرق، لأن المصطلح العلمي يكون اسماً، أما هذه العبارات فتأتي أسماءً أو أفعالاً أو حروفاً^(٢)، إضافة إلى أن المصطلحات العلمية تكون خاصة بأهل علم وفن خلافاً للمسكوكات التي تكون سيّارة بين الجماعة اللغوية، وألصق بالعرف اللغوي الذي يكون بين الدلالة اللغوية العامة وبين الدلالة المصطلحية الخاصة. كما أن المصطلحات العلمية تتكوّن غالباً عن وعي وقصد، بخلاف هذه العبارات التي هي تنشأ دون قصد لها، فتتلاقى العبارات المسكوكة مع المصطلحات العلمية في الكثافة الدلالية في كلّ منهما، التي تستلزم ضعف تنبؤ معانيها المقصودة، ولكنهما تختلفان في أن المصطلح تعارف جماعة علمية وهي خاصة، أما التعابير المسكوكة فهي تعارف جماعة لغوية وهي عامة.

وهذا الاصطلاح للمسكوكات قد يشيع في سياقاتٍ تداولية بين فئة من الجماعة اللغوية دون غيرها^(٣)، ومثال ذلك العبارات المسكوكة في الخطابات الإدارية ذات الوحدات الدلالية المقولبة من نحو (حسب اللوائح والأنظمة) و(وفق التوجيه) و(للاطلاع) و(قيد التنفيذ) و(جاري المتابعة) و(مع التحية والتقدير)، والعبارات الملزمة في الرد الآلي الصوتي والكتابي، وفي الذكاء الاصطناعي خاصة، حيث تكون العبارات فيها محفوظة سلفاً.

(١) ينظر: معجم التراكيب والعبارات الاصطلاحية القديم منها والمولد أحمد أبو سعد ص ٥

(٢) ينظر: التعابير المسكوكة في محكيّة الأزرق (محافظة الضالع)، عبد الرحيم صالح عبد الرحمن حسان، مجلة جامعة عدن للعلوم الإنسانية والاجتماعية، مجلد ٥ عدد ٣ (٢٠٢٤) سبتمبر. ص

٢٧٠-٢٨٩

(٣) ينظر: المسكوكات اللغوية في كتاب سيبويه، دليّة صاحبي، رسالة ماجستير، ٢٠١٤م، كلية الآداب

واللغات بجامعة مولود معمري، ص ١٧

٥- **التداول والتكرار:** ومن سمات العبارات المسكوكة الشيعوع^(١)، إذ تستحيل إلى عبارات متداولة وسيارة بين الجماعة اللغوية، ولهذا نرى مصاحبتها -أحياناً- لعبارة (كما يقال) أو (كما يقولون)، ولو أن ساكناً ارتجل شيئاً من تلك العبارات ولم تشع وتتناقل على ألسنة الناس؛ فإنها لا تكتسب صفات المسكوكات وأحكامها، لعدم شيوعها وقبول الجماعة اللغوية لها، وذلك مما يقربها من المقولات المأثورة، وتفارقها في أنها غدت من نسيج اللغة وسعتها ومرونتها وحمولتها وثقافتها، كما أنها بمجموع سماتها تتحقق لها هوية خاصة، والتداول اللغوي للألفاظ أو العبارات له مراتب ومنازل، فإن كان قليلاً ونادراً وُصف بالغريب، وإن كان كثيراً كثرة واسعة وُصف بالمبتذل، ويلازمه فقدان الدلالة، كمفهوم الكليشات، كليشة (cliché) ويراد بها عبارة متداولة وكثيرة التكرار كثرة مفرطة حتى تكاد تتلاشى دلالتها، كالشعارات، التي تفرغ من دلالتها وتبتذل بكثرة تكرارها، وأما التداول الفصيح فهو ما كان بينهما.

وبعد هذا الاستعراض لأهم سماتها الموضحة للمراد بها، نذكر أن كثيراً من الباحثين يجعلونها في مقابل مصطلح (Idioms)، وهي عامة في سائر اللغات، وقد عرفها علماء العربية وميزوها، كقول ابن فارس "تلوح كالمصاييح في الدجى"، و"بارع كلامهم" وقوله في مقدمة متخير الألفاظ: "وختمته بالكلام المركب الجاري مجرى الأمثال والتشبيهات"، وقال في كتابه الاستشهاد بالشعر أو الأبيات الشعرية يقول: "وجعلت مفايح أبوابه الألفاظ المفردة السهلة، وختمته بالألفاظ المركبة الجارية مجرى الأمثال والتشبيهات والمجازات والاستعارات"^(٢).

(١) ينظر: العبارات المسكوكة (المخصوصة) حدها وخصائصها، سمر الغانمي، مجلة مدارات في اللغة والأدب، المجلد ١ العدد ٢ سنة ٢٠١٩م ص ١١٥

(٢) متخير الألفاظ، المؤلف: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت ٣٩٥هـ)، هلال ناجي، مطبعة المعارف، بغداد، الطبعة: الأولى، ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م، ص ٤٣-٤٤

وقد استمر توليد العبارات المسكوكة لدى المعاصرين، وجمعها عدد من اللغويين، فجمع محمد رضوان الداية في معجم (المفيد، معجم إعلامي بلاغي مصطلحي) نحو مئة وخمسين عبارة معاصرة، وذكر تمام حسان في العربية معناها ومبناها أمثلة منها نحو خمسين عبارة، وجمع أحمد مختار عمرو من معه في معجم اللغة العربية المعاصرة نحو (١٧.٨٨٣) تعبيراً سياقياً وكثير منها يُعدُّ من المسكوكات اللغوية^(١). ومن مظاهرها معجمات العبارات الشائعة في تعليم اللغات، وكذلك عموم المعاجم اللغوية، ومعاجم المعاني والموضوعات خاصة، وكتب الغريب والنوادر والأمثال.

ثانياً مفهوم شجاعة العربية وعلاقتها بالعبارات المسكوكة:

بَوَّب ابن جني باباً في شجاعة العربية، وقال: "اعلم أنَّ معظم ذلك إنما هو الحذف، والزيادة، والتقديم، والتأخير، والحمل على المعنى، والتحريف"^(٢)، والاتساع، ومثل لذلك بجملة من الأمثلة، كالعدول عن المطابقة في التذكير والتأنيث والإفراد والتثنية والجمع، والعدول عن الأصل إلى الفرع، والعكس، والاتساع بالخروج عن الحقيقة إلى المجاز^(٣).

فتظهر شجاعة العربية إذن في قدرتها على التصرف في مقتضيات الظاهر وأصول اللغة، بالاتساع والترخص، والتقديم والتأخير، والحذف والذكر. ويستدعي البحث هنا سؤالاً رئيساً وهو ما علاقة العبارات المسكوكة بشجاعة العربية؟ وللإجابة على السؤال فإنه لما تبين مما سبق أن الشجاعة اللغوية تكمن في الإقدام على التصرف في اللفظ أو المعنى دون مخافة عدم بلوغ القصد والغاية؛ كانت مظاهر التصرف في المسكوكات اللغوية قد تجلّت في نواحٍ عدة، في مخالفة دلالاتها لمقتضى الظاهر، وفي تصرفها في الصوت والبنية والتركيب، وفي استمرار جواز توليدها والنسج على منوالها.

(١) ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة ١ / ٢٧

(٢) ينظر: الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني، تحقيق: محمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الرابعة. (٣٦٢ / ٢)

(٣) ينظر: الخصائص ٢ / ٤١٢

وفي المبحث التالي تحليل لتلك المظاهر في نماذج مختارة من العبارات المسكوكة، تدل على ما وراءها، مع بقاء إمكان دراستها دراسة تفصيلية.

المبحث الثاني:

مظاهر الشجاعة اللغوية في العبارات المسكوكة:

في هذا المبحث عرض لمظاهر الشجاعة اللغوية في مسكوكات العربية، التي تتمظهر في استمرار جواز توليدها والنسج على منوالها، وفي الاتساع ومخالفتها مقتضى الظاهر في دلالاتها، والتصرف فيها والعدول بها عن أصل وضعها، في مستويات اللغة المختلفة في الصوت والبنية والتركيب، وفيما يأتي بيانها:

أولاً مظاهر الشجاعة اللغوية في توليد العبارات المسكوكة.

العربية غنية بالمسكوكات اللغوية، وعبقريّة اللغات "تقاس أحياناً بما تمتلكه من مسكوكات أو صيغ لغوية يتناقلها أبناء اللغة جيلاً فجيلاً، شفهيّاً أو كتابيّاً، ومثل هذه المسكوكات الموروثة تماثل أمثالها السائرة، وهي في الأصل ضرب من هذه المسكوكات في بنيتها الأسلوبية والوظيفية؛ من حيث إيجاز اللفظ وإصابة المعنى وحسن التشبيه"^(١).

وتلك المسكوكات مننها ما سُكِّ في عصور الاحتجاج ومنها ما سُكِّ بعد عصور الاحتجاج، مما يستدعي السؤال عن الموقف من توليد المعاصرين للمسكوكات اللغوية؟ من نحو قولهم: السوق السوداء، وغسيل الأموال، والطابور الخامس، وغير ذلك؟

والجواب أنه اختلف اللغويون في حكم توليد المعاصرين للمسكوكات، ووصف صاحب معجم المفيد موقف بعض اللغويين المعاصرين بأنهم يتورعون عن دراستها وحكمها، ولا يقدّمون فيها جواباً مقنعاً، وهم في الوقت نفسه يستعملونها ويصغون

(١) أمثال ومسكوكات لغوية، محمد رجب النجار، العدد ٤٩٨

إليها ولا ينكرونها^(١)، وأن بعض منتسبي مجمع اللغة العربية بدمشق تذكروا أمر هذه العبارات ولم يجذبوها^(٢)، "وعدم تحبيذ الفكرة رأي ما يزال سائداً عند بعض زملائنا في المجمع، كأنهم يتوهمون اختراق اللغة الفصيحة من هذا الجانب، وهو موقف غريب، ولا مسوّغ له، ومن ذا الذي يستطيع أن يقف في وجه حركة الأدب شعره ونثره، إذا كانت حركة لا تفسد اللغة ولا تعرضها للخطر، بل الأمر على العكس من ذلك"^(٣)، ونقل عن عبد القادر المغربي عضو مجمع اللغة العربية بدمشق قبوله لهذا الجنس من توليد من المعاصرين. وعن إبراهيم السامرائي أن العربية لم تنتكر لهذا الجديد من الكلم والأساليب، وقبول ما كان منها موافقا للكلم الفصيح، وهو ضابط مهم^(٤).

وفي رأيي أن الموافق منها للكلام الفصيح مقبول، لأنها منسوجة على سنن العرب، وما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب^(٥)، ثم إن علماء العربية قد ميّزوا أجناس الكلام وجعلوا لكل جنس منه خصوصية. فللغة الشعر خصوصية الضرورية بنوعيتها المستحسنة والمستقبحة، وكذلك للأمثال وما يلحق بها، وحريّ بالمسكوكات اللغوية أن تكون من باب ما يعده النحويون الكلام الجاري مجرى المثل، إذ يقرّرون في أصولهم أن "الأمثال لا تغير بل تجري كما جاءت وإن كانت ملحونة، ولا يستعمل فيها الإعراب وتخرج عن القياس فتحكى كما سمعت، ألا ترى أن قولهم: "أعطِ القوس باريها" تُسكّن ياءه، وإن كان التحريك الأصل، لوقوع المثل في الأصل على ذلك، وكذلك قولهم: "الصيف ضيّعت اللبّن" لمّا وقع في الأصل للمؤنث لم يُغَيّر من بعد، وإن ضُرب للمذكور وكذا قولهم: "أطريّ فإنك ناعة"، يَضْرَبُ للمذكور والمؤنث والاثنين والجميع على لفظ التأنيث"^(٦)، فالتزام عدم التغيير يشمل المطابقة في العدد والجنس، كما يشمل النظام

(١) ينظر: معجم المفيد: ٧

(٢) ينظر: السابق: ٨

(٣) السابق: ٨

(٤) السابق: ١٣-١٤

(٥) الخصائص: ١/٣٧٠/١. ٣٥٨

(٦) البلغة إلى أصول اللغة، محمد صديق خان القنّوجي، تحقيق: سهاد حمدان أحمد السامرائي، رسالة

ماجستير، جامعة تكريت. ص ١٢٤

اللغوي صوتاً وصرفاً ونحوًا، بل ولا يجوز ذكر المحذوف في هذا الجنس من الكلام وإن كان جائزاً في النظام اللغوي العام، "نحو الكلاب على البقر" فـ"الكلاب": منصوب بفعل محذوف وجوباً "أي: أرسل"، ولا يجوز ذكره؛ لأن ذكره يغيّر المثل، والأمثال لا تغيّر؛ لأنه لما شبه مضربها بموردها، لزم أن يلتزم فيها أصلها". والكلام الجاري مجرى المثل عندهم هو كل كلام يصدق عليه كثرة الاستعمال والتداول بين الجماعة اللغوية، حيث صرحوا بمرادهم به، وأنه "كل كلام اشتهر، فبسبب شهرته جرى مجرى المثل، فأعطي حكمه في أنه لا يغير"^(١)، وهو وصف يصدق على المسكوكات اللغوية، ويتسق مع أصول النحويين في معاملة أجناس من الكلام معاملة الأمثال وذلك لشهرتها وكثرة تداولها، وإن كانت ليس أمثلاً^(٢).

كما أن هذه المسكوكات من جنس بارع الكلام. وهو باب غير مقيّد بحدود زمانية في أصول اللغة، حيث إنّه "من المعلوم أن الاحتجاج بالكلام العربي لغرضين غرض لفظي وغرض معنوي، وأنّ فريقاً من العلماء حجّروا سعة فقصر الاحتجاج على العصر الجاهلي حتى في الجانب المعنوي، ولكن الجمهور لم يلتفت إلى هذا التحجير لعقمه وبعده عن طبيعة الحياة"^(٣)، وصرح ابن جني بقبوله^(٤).

وهذا التوليد المقبول يثري اللغة بوصفه عاملاً من عوامل نموها، وإلى ذلك ألمح كرد علي، وأحمد مختار عمر في معجم اللغة العربية المعاصرة^(٥)، حيث أخذ على المعاجم العربية تكرار موادها وعباراتها والنقل فيما بينها، ودعا إلى إحياء المعجم العربي بعبارات

(١) شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو، خالد الأزهرى، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان الطبعة: الأولى ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م (١/ ٤٧٣)

(٢) ينظر: شرح التسهيل المسمى "تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد، ناظر الجيش (ت ٧٧٨ هـ) تحقيق: علي محمد فاخر وآخرون، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة - جمهورية مصر العربية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٨هـ (٥ / ٦٠٤)

(٣) في أصول النحو، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٧ / ١٩٨٧م ص ١٦-١٧

(٤) الخصائص ٢٦ / ١

(٥) معجم اللغة العربية المعاصرة ١ / ٩، ١٩

المعاصرين، والعبارات السياقية والاصطلاحية منها خاصة، وتضمنها المعاجم لتكون دالة على نمو العربية وحيوتها.

وإذا كان النحت الذي هو من جنس هذه العبارات وأشدُّ منها إغلاقاً؛ قد أجاز القياس عليه ابن فارس، وأجازه مجمع اللغة العربية بالقاهرة في سياقات اصطلاحية^(١)، فإنَّ المسكوكات اللغوية أقرب إلى جواز القياس عليها، وهو قياس جمعي للجماعة اللغوية، الذي يقربه من حكم السماع اللغوي، وليس قياساً فردياً استعمالياً، واللغة العربية لغة حيّة مطواعة.

ثانياً مظاهر الشجاعة اللغوية في ألفاظ العبارات المسكوكة:

ومن مظاهر الشجاعة اللغوية في العبارات المسكوكة ما يتعلق منها باللفظ وما يتعلق منها بالمعنى، فأما ما يتعلق منها باللفظ فيشمل المستويات اللغوية الصوتية والصرفية والنحوية، حيث تتمتع المسكوكات اللغوية بالتصرف فيها والعدول عن أصل وضعها، سواء أكان في الصوت أم البنية أم التركيب.

ففي التصرف الصوتي والصرفي يمكن التمثيل بالمسكوك اللغوي (ويلمه)، الذي يراد به إظهار التعجب، ومرْكَبٌ من (ويل) و(أمه) وحدث فيه إلصاق توهمي لتركب تركباً مزجياً، وخُفِّفَ الهمز بحذفه، ويقول المعاصرون (عقبالك) وهو مسكوك لغوي مرْكَبٌ من (عقبى) و(لك)، وحدث فيه إلصاق توهمي^(٢). ومن عباراتهم (شيك مفتوح) بالتسكين في الكلمتين مهما كان موقعها الإعرابي، للحفاظ على النمط التداولي لها.

(١) ينظر: دراسات في فقه اللغة صبحي الصالح: ٢٦٣ وينظر: مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة العدد

(٧) الصادر في: ١٠ يناير ١٩٥٣ ص ٢٠١ - ٢٠٤

(٢) معجم اللغة العربية المعاصرة ٣ / ٢٠١٠

ويقولون: (يأتينا بالغدايا والعشايا) وذلك للمناسبة بين الكلمتين، والأصل الغداوات، لأنه من الغدوة، ومنه الحديث (ارجعن مأزورات غير مأجورات)، بالهمز لمناسبة الكلمتين، والأصل موزورات لأنه من الوزر^(١).

ويقولون: (حيّاك الله وبيّاك)، وهو مسكوك لغوي أصله (بؤّاك)، وأبدلت ياء لمناسبة الكلمة التي قبلها. ويقول المعاصرون (كلام فاضي) أي ليس صادقاً ولا صحيحاً، ولا يعلّونه إعلال قاضٍ، فلا يقبل التغيير إلى (كلام فاضٍ)، وذلك للحفاظ على نمطه التداولي، ومن نافلة القول أن هذه المسكوكات وغيرها لا تقبل التغيير في ألفاظها ولا في نظامها الصوتي والصرفي والنحوي في أعيانها وإن كان متاخاً في أمثالها، فالفرق بين التعبيرات المسكوكة وبين التعبيرات العادية لا يظهر إلا بالمقارنة بين التراكيب^(٢).

٦- ومن التصرف التركيبي العدول عن أصول النحو الذي يعدّ من مظاهر الشجاعة اللغوية في العبارات المسكوكة، وذلك بالتقديم والتأخير والحذف والتأبي على الجائز في الأصل، والعدول عن المطابقة: "كتأنيث المذكر، وتذكير المؤنث، وتصوير معنى الواحد في الجماعة، والجماعة في الواحد، وفي حمل الثاني على لفظ قد يكون عليه الأول أصلاً كان ذلك اللفظ أو فرعاً"^(٣)، ومن ذلك قولهم (يا ليت شعري) أو (ليت شعري) بحذف (يا) النداء، وهو مسكوك لغوي يراد به التوكيد والقسم، وأصل معناه ليتني أشعر بمعنى: أعلم وأدرك، وهو من الشعور والفطنة، والياء فيه خرجت لغير النداء بل للتنبيه ونحوه، وشعري هو خبر ليت، واسمها محذوف ناب عنها الضمير في شعري، والتقدير: ليتني أشعر، ومن النحويين من يجعل (شعري) الاسم، والجملة بعده الخبر، نحو (ليت شعري أزيد قائم) و(ليت شعري عن زيد أقائم)، ولكنه بعيد لوقوع الخبر

(١) ينظر: الصاحبي: ١٧٤ وشرح درة الغواص في أوهام الخواص، أحمد بن محمد الخفاجي، تحقيق: عبد

الحفيظ فرغلي علي قنّي، دار الجيل، بيروت - لبنان الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م

(٢) ينظر: التعابير المسكوكة في اللغة العربية حسن بن محمد علي ازروال: ٢٥١

(٣) الخصائص ٢ / ٤١٢

جملة طلبية، ولا رابط فيها، فيكون الخبر من الكون العام المحذوف وجوباً^(١)، وهو مسكوك لا يجوز تغييره فلا يقال (ليتني أشعر). ومثله قولهم (يا ترى)، وتُرى، ويا هل تُرى وأُرایت، ومعناه إفادة التعجب مع طلب رأي السامع^(٢)، والياء فيها ليست للنداء بل للتنبيه.

وعلى نحو ذلك (على قدم وساق)، والمراد اشتداد الأمر^(٣)، ولا يجوز التقديم: على ساق وقدم؛ لأنه بذلك تتلاشى العبارة المسكوكة وتفنى، وكذلك التزامه الأفراد دون الجمع والتثنية.

والعبارة (وقع زيد في حيص بيص) مسكوك لغوي يراد به الحيرة والاضطراب، وهو مبني على فتح الجزأين، ولا يمكن حذف أحد الجزأين لئلا ينطفئ وهجها وإن استقامت لغة، وهي لا تقبل العطف، ولا التقديم والتأخير ولا تعريف النكرة، فلا يقال: (وقع في حيص البيص)، ولا (الحيص والبيص)، ولا (حيص وبيص)^(٤).

ومنها قولهم (جاؤوا بقضّهم وقضيضهم) أي جميعاً، أو جاء بالقض والقضيض، أي بالكبير والصغير، وأصل القضّ: الحصى، والقضيض: ما تكسّر منه ودقّ^(٥)، ولا تقبل التقديم والتأخير، ولا التثنية والجمع.

ويقولون (وضعت الحرب أوزارها)، ولا يقبل فيها التقديم والتأخير، أو أفراد الأوزار^(٦).

(١) ينظر: معجم القواعد العربية، لعبد الغني الدقر ٢ / ١٢١، وينظر: التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل، أبو حيان الأندلسي ٥ / ٥٩

(٢) ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة ٢ / ٨٣٧

(٣) ينظر: السابق ٢ / ٨٧٤

(٤) ينظر: في التعابير المسكوكة في اللغة العربية ص ٢٥٠-٢٥٤

(٥) ينظر: تهذيب اللغة: باب القاف والصاد.

(٦) ينظر: التراكيب المسكوكة في اللغة العربية، إبراهيم عوض إبراهيم حسين: ٣٦٩.

ومن العبارات (خبط عشواء) التي وردت في الشعر الجاهلي، قال زهير:

رَأَيْتُ الْمَنَايَا خَبَطَ عَشْوَاءَ مِنْ تَصَبٍ تُمِتُّهُ وَمِنْ تَخَطَّى يُعَمَّرُ فِيهِ رَمٌ

ويقولون: هو يَخْبِطُ خَبَطَ عَشْوَاءَ، ويضربونه مثلاً للسادر الذي يركب رأسه ولا يهتم لعاقبته، وأصل المعنى أن العشواء هي الناقة التي لا تبصر فتخطط بيديها كيفما اتفق، والمراد يعم ولا يخص^(١).

ومن تلك العبارات (لبيك) و(لبيك وسعديك)، و(حنانيك)، و(هاذيك)، وهكذا (دواليك)، ولا تستعمل إلا مثناة، وتفيد التكرار والاستمرار، على معنى تلبية بعد تلبية، وإسعاداً بعد إسعاد، وتحناً بعد تحنن، وإسراعاً بعد إسراع، تداولاً بعد تداول، وتلازم الإضافة إلى كاف الخطاب^(٢)، وربما قال المعاصرون (لبيه).

ومن العبارات (شيبتي هود وأخواتها) وهي مقتبسة من الحديث النبوي الشريف، وفيه عدول عن أصل المطابقة على تقدير المضاف (سورة) وإقامة المضاف إليه مقامه.

ومنه قولهم (أهلاً وسهلاً)، وهو مسكوك لغوي يراد به الترحيب، وأصل معناه أتيَتْ أهلاً لك لا غرباء، ونزلت مكاناً سهلاً لا حزناً وصعباً^(٣)، فخذفوا العامل فيهما، ولا يجوز إظهاره هنا، وإن كان محتمل الجواز في غير المسكوك، كما لا يصح فيه التقديم والتأخير (سهلاً وأهلاً) مع جواز التقديم والتأخير، لأنه سيفقده بريقه ووهجه.

(١) ينظر: تهذيب اللغة: باب العين والشين من معتل العين.

(٢) ينظر: أوضح المسالك لابن هشام ٩٧ / ٣

(٣) ينظر: شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، شوان بن سعيد الحميري اليمني، تحقيق: حسين بن عبد الله العمري - مطهر بن علي الإيراني - يوسف محمد عبد الله، دار الفكر المعاصر (بيروت - لبنان)، دار الفكر (دمشق - سورية)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م (١ / ٣٤٦)

ويقول المعاصرون: استعمل (أسلوب العصا والجزرة)، ويريدون الوعد والوعيد، والترغيب والترهيب، ولا يصح فيه إعادة الترتيب، ولا التثنية والجمع^(١). كما يقولون (على العين والرأس) للموافقة والتقدير، ولا يصح فيه التقديم ولا تثنية العين أو جمعها^(٢).

ومن عبارات المعاصرين قولهم (نسخ ولصق) ويريدون التكرار والمحاكاة، وهو مأخوذ من مصطلحات الحواسيب، ولا يصح فيه اطراح العطف ولا التقديم والتأخير. ويقولون (السهل الممتنع) مسكوك لغوي يراد به الأمر "السهل الذي لا يمكن تقليده أو مضاهاته، وما يحتاج إلى رؤية وتدبر"^(٣)، ويكون من باب تعدد الأخبار كقولهم (يقظان نائم)، ولا يقبل العطف ولا التقديم والتأخير، ولا التثنية والجمع.

ويقولون: (وكان رجلاً...) ويحذفون النعت ليذهب فيه العقل كل مذهب، على تقدير عالمًا أو فاضلاً أو كريماً بحسب ما يناسبه السياق، وكذلك يقولون (وكان آية...) في الجمال أو العلم أو الخلق، ومن عبارات المعاصرين (له ماض... ماض...) ويحذفون، والتقدير فيه بحسب ما يناسب من السياق، ماض مضى أو مظلماً^(٤).

وجميع هذه المسكوكات تختلف عن التركيب العادي توزيعاً وان اتفقت بنائياً^(٥).

ثالثاً مظاهر الشجاعة اللغوية في معاني العبارات المسكوكة:

وتتجلى مظاهر الشجاعة اللغوية في معاني العبارات المسكوكة في التكتيف الدلالي فيها، والترخص والانساع. وعدم الاستبدال المعجمي، فأما مفهوم الانساع لدى متقدمي علماء العربية فيشمل جميع صور الخروج عن مقتضى الظاهر والتصرف، كالمجاز والاستعارة والكناية. وجميع هذه الصور تشتمل عليها المسكوكات اللغوية، سواء أكانت

(١) ينظر: معجم المفيد: ٢٢٠

(٢) ينظر: المسكوكات اللغوية في كتاب سيبويه: ١٢

(٣) ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة ١٢٨/٣

(٤) ينظر: معجم المفيد: ٢٨٥

(٥) ينظر: التعابير المسكوكة في اللغة العربية: ٢٥١

في ذاتها، أم في استعمالها لأنه تشبيه حال بحال على سبيل الاستعارة، وفي ذلك يقول ابن جني في باب الفرق بين الحقيقة والمجاز وهو التالي لباب الشجاعة وكيف تصرف الحال "فالاتساع فإش في جميع أجناس شجاعة العربية"^(١)، و"المجاز كثير من باب الشجاعة في اللغة: من الحذوف، والزيادات، والتقديم والتأخير، والحمل على المعنى، والتحريف. ألا ترى أنك إذا قلت: بنو فلان يطؤونهم الطريق، ففيه من السعة إخبارك عما لا يصح وطؤه بما صح وطؤه"^(٢).

وأما التكتيف الدلالي فيكون بعدم فهم المعنى المقصد اعتماداً على معاني المفردات، وتتجلى الشجاعة اللغوية في ركوب المسكوك هذا المسلك دون مخافة عدم بلوغ القصد، ومنه ما يذكره اللغويون عن معنى المعنى، نحو (رفع عقيرته)، على معنى رفع صوته أو يصرخ أو يخاصم، و(مربط الفرس)، و(شعرة معاوية)، و(عصا موسى)، و(أكل عليه الدهر وشرب)، و(انتقل إلى الرفيق الأعلى) و(لا يرد يد لامس) فجميعها لا تفي معانيها مفرداتها المباشرة بمراميها ومقاصدها.

ومن ذلك قولهم (ضرب كفاً بكف) بمعنى تحير، ولا يفهم المراد بمجرد شرح معاني المفردات^(٣)، ومنه قولهم (شبكت عشري على شعري) للانفعال والدهشة، و(يقلب كفيه) للندم والحسرة، مع بقائها على صورتها.

وكذلك يقولون (ضرب أخماساً في أسداس) أو (ضرب أخماساً لأسداس)، بمعنى أظهر غير ما يبطن، ويسعي في المكر والخديعة^(٤)، ولا يظهر معناه المراد بإدراك معاني مفرداته، كما لا يقبل الأفراد والتثنية.

(١) ينظر: الخصائص ٢ / ٤٤٩

(٢) ينظر: الخصائص ٢ / ٤٤٨

(٣) ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة ٣ / ٩٤٥

(٤) ينظر: الصحاح (خ م س).

وأما في عدم الاستبدال المعجمي فإن سائر العبارات المسكوكة لا يصح فيها الاستبدال، ولو حدث لفنيت المسكوكة، نحو قولهم (السوق السوداء) حيث لو استبدلت المظلمة بالسوداء أو غير النظامية؛ لانطفأ بريقها وخفت وهجها.

وكذلك قولهم (مات حتف أنفه) ويقول المعاصرون (لقي حتفه)، وفي سياق ديني (قضى نحبه)، ومنها قولهم (رهن الإشارة)، و(سبعين مرة)، و(مئة مرة)، و(ألف مرة) مما لا يراد به العدد، بل مطلق التكرار. ومن العبارات (حديث ذو شجون) على معنى متشعب متفرع يستدعي بعضه بعضاً^(١).

كما يقولون (ثقة عمياء) بمعنى مطلقة دون قصد الذم، ويقولون (فوق مستوى الشبهات)، وتقول العرب (أبيت اللعن) على معنى لا يقع منك الفعل المشين، ويقول المعاصرون (عدّاك العيب). ومن العبارات المسكوكة: يعدّه (من سقط المتاع)، أي لا يأبه به، و(بيضة الديك) للأمر النادر، ويكون في سياق محمود أو مذموم^(٢). ومن عباراتهم (ثلاثة الأثافي) وهو الأمر المتمّ ما قبله إن وقع ثالثاً.

الخاتمة:

وفي خاتمة هذا البحث يمكن تسجيل الاستنتاجات التالية:

- العبارات المسكوكة وُصفت بألفاظ كثيرة، وتداخلت مع مقاربات لها، ولكن لها سماتها التي تميزها عن غيرها.
- سمات العبارات المسكوكة تكمن في كونها مسكوكة لفظاً، ولامعة معنى ولفظاً، وبارعة أسلوباً، واصطلاحية دلالةً، ومتداولة استعمالاً، وثابتة في النسيج اللفظي.

(١) ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة ١ / ١٩

(٢) ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة ١ / ١٩

- يظهر مفهوم شجاعة العربية في قدرة اللغة على التصرف في مقتضيات الظاهر وفي أصول اللغة، بالاتساع والترخص، والتقديم والتأخير، والحذف والذكر.
 - وتتجلى الشجاعة اللغوية في العبارات المسكوكة بالتصرف فيها والعدول عن أصل وضعها، في مستويات اللغة المختلفة في الصوت والبنية والتركيب. وفي تكثيف دلالتها وإيجازها دون مخافة عدم بلوغ القصد والغاية، وكذلك في استمرار جواز توليدها والنسج على منوالها.
 - توليد المعاصرين للمسكوكات اللغوية مقبول في الجملة؛ وذلك لسيورها على منوال العربية، ولكون سبيلها الاستعمال والقياس الجمعي، وليس قياس الأفراد الاستعمالي.
 - درّس البحثُ نحو خمسين عبارة مختارة من تلك العبارات المسكوكة، وأكثر ما تظهر فيه الشجاعة اللغوية في التكثيف الدلالي، ثم المستوى النحوي، ثم الصرفي والصوتي.
- وأخيراً يوصي البحث بدراسة تلك العبارات المسكوكة في القديم والحديث دراسةً تفصيلية، من حيث الحكم عليها، وتتبع سياقاتها التداولية، وتحليل دلالاتها، وأشكالها وقوالبها، وكيفية الإفادة منها في تنمية الثروة اللغوية، وتعليم العربية.

المصادر والمراجع

البلغة إلى أصول اللغة، محمد صديق خان القنّوجي، تحقيق: سهاد حمدان أحمد السامرائي، رسالة ماجستير، جامعة تكريت.

التركيب المسكوكة في اللغة العربية وعلاقتها بالمتلازمات اللفظية والتناس، إبراهيم عوض حسين، مجلة كلية دارالعلوم، المجلد ٣٧، العدد ١٣٢، سبتمبر وأكتوبر ٢٠٢٠م.

التعابير المسكوكة في اللغة العربية، حسن بن محمد علي ازروال، مجلة السوسيولسانيات وتحليل الخطاب، العدد ٢ فبراير ٢٠١٦م.

التعابير المسكوكة في محكيّة الأزرق (محافظة الضالع)، عبد الرحيم صالح عبد الرحمن حسان، مجلة جامعة عدن للعلوم الإنسانية والاجتماعية، مجلد ٥ عدد ٣ (٢٠٢٤) سبتمبر.

الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني، تحقيق: محمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الرابعة.

دراسات في فقه اللغة، صبحي إبراهيم الصالح، دارالعلم للملايين، الطبعة الأولى ١٣٧٩هـ - ١٩٦٠م.

دلائل الإعجاز، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (ت ٤٧١ هـ)، تحقيق: محمود محمد شاكر أبو فهر، مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بمجدة، الطبعة الثالثة ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢م.

شرح التسهيل المسمى "تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد، ناظر الجيش (ت ٧٧٨ هـ) تحقيق: علي محمد فاخر وآخرون، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة - جمهورية مصر العربية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٨ هـ.

شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو، خالد الأزهرى،
دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان الطبعة: الأولى ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

شرح درة الغواص في أوهام الخواص، أحمد بن محمد الخفاجي، تحقيق: عبد الحفيظ
فرغلي علي قرني، دار الجيل، بيروت - لبنان الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م

شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، شوان بن سعيد الحميرى اليمنى، تحقيق:
حسين بن عبد الله العمري - مطهر بن علي الإرياني - يوسف محمد عبد الله،
دار الفكر المعاصر (بيروت - لبنان)، دار الفكر (دمشق - سورية)، الطبعة: الأولى،
١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، أحمد بن فارس، نشر:
محمد علي بيضون، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

العبارات المسكوكة (المخصوصة) حدها وخصائصها، سمر الغانمي، مجلة مدارات في
اللغة والأدب، المجلد ١ العدد ٢ سنة ٢٠١٩م.

علم الدلالة، أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الخامسة ١٩٩٨م.

في أصول النحو، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٧ / ١٩٨٧م.

اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان عمر، عالم الكتب، الطبعة: الخامسة
١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.

متخير الألفاظ، المؤلف: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت
٣٩٥هـ)، هلال ناجي، مطبعة المعارف، بغداد، الطبعة: الأولى، ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م.

المسكوكات اللغوية في كتاب سيبويه، دليلة صاحبي، رسالة ماجستير، ٢٠١٤م، كلية
الآداب واللغات بجامعة مولود معمري.

معجم اللغة العربية المعاصرة أحمد ختار عمر، الطبعة الأولى ١٤٢٩ / ٢٠٠٨م، عالم
الكتب، القاهرة



نبذة عن الكتاب

يضم هذا الكتاب البحوث العلمية التي قُدمت في ندوة شجاعة العربية، وهي ندوة ناقشت مفهوم شجاعة اللغة العربية من زوايا متعددة، في إطار إبراز طاقتها التعبيرية وقدرتها على استيعاب التحولات. تناولت الأبحاث قضايا التغير اللغوي المتسارع في العصر الحديث، وحضور العربية في التعليم الرقمي، والصناعة المعجمية، والخطاب السردي، والتواصل الحضاري. إلى جانب مقاربات في نحو النص، والعبارات المسكوكة، والتعريب والترجمة، وصورة العربية في وعي الآخر.

يقدم الكتاب مادة علمية متنوعة تعكس تعدد الرؤى حول العربية وقضاياها في سياقاتها القديمة والمعاصرة.



هذه الطبعة
إهداء من المجمع
ولا يُسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

